

تراثنا

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأنابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء العاشر

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَالْمُسْلِمِينَ

الجزء العاشر

من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية الملك المنصور أبى بكر

ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر

- هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن السلطان الملك الناصر
أبى المعالى محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون . جلس على تخت
المُلْك بالإيوآن من قلعة الجبل بعهد من أبيه إليه صبيحة تُوَفَّى والده ، وهو يوم
الخميس حادى عشرين ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعائة ، ولقبه الأمراء
الأكابر بالملك المنصور على لقب جدّه . والمنصور هذا هو الثالث عشر من ملوك
الترك بديار مصر ، والأول من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وآتفق الأمراء
على إقامة الأمير سيف الدين طُقُزْدُمَرْ الحَمَوِىّ ، هُوَ الملك المنصور هذا فى نيابة
السلطنة بديار مصر كونه من أكابر الأمراء ، وأيضا صهر السلطان ، ويكون الأمير
قَوَصُون الناصرى - مَدْبَرُ المُلْكَةِ ، ورأس المشورة ، ويُشاركه فى الرأى الأمير بَشْتَك
الناصرى - ، وتمّ ذلك ورُسِمَ بتجهيز التشاريف والخلع إلى نواب البلاد الشامية على يد
الأمير قُطْلُوْبَغَا الفخرى - ، ورُسِمَ له بتحليف الأمراء والنواب بالبلاد الشامية على

العادة . ونُودى بالقاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضة والذهب بسم الله تعالى ، فُسِّر الناس بذلك ، فإنهم كانوا قد آمنتوا من التعامل بالفضة وآلا تكون معاملتهم آلا بالذهب . ثم أَفْرَجَ^(١) عن بركة الحبش ، وكان النشوق قد أخذها من الأشراف ، وصار يُنْفَق فيهم من بيت المال . ثم كَتَبَ إلى ولاية الأعمال برفع المظالم وآلا يُرْحَى على بلاد الأجناد شعير ولا تبُن .

ثم في يوم الخميس ثامن عشرين ذى الحجة^(٢) أُنْهَمَ الملك المنصور على عشرة أمراء بإمرة طبلخاناه . ثم جمع القضاة في يوم السبت سلخه في جامع القلعة للنظر في أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان وإعادته إلى الخلافة ، وحضر معهم الأمير طاجار الدوادار فآتَفَفُوا على إعادته لمهد أبيه إليه بالخلافة بمقتضى مكتوب ثابت على قاضي قُوص^(٤) .

ثم في يوم الاثنين ثاني المحرم سنة آئتين وأربعين وسبعمائة خَلَعَ السلطان على جميع الأمراء المتقدمين في الموكب بدار العدل ، وطلع القضاة وجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد على الدرجة الثالثة من تحت السلطان ، وعليه خِلمة خضراء وفوق عمامته طُرحة سوداء مرقومة بالذهب ، ثم تَخَرَجَ السلطان من باب السر على العادة إلى الإيوان قفام له الخليفة والقضاة ومن كان جالسا من الأمراء ، وجلس على

(١) راجع الاستدراك الوارد في ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) في الأصلين : « يوم الجمعة ثاني عشرين ذى الحجة » . وما أثبتناه عن السلوك للقرنزي والتوفيقات الإلهامية . (٣) هو الجامع الناصري الذي أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون

بالقلعة . راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية

رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٥) دار العدل المذكورة هنا المقصود بها

دار العدل التي أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون باسم الإيوان بالقلعة . راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١

من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) المقصود بباب السر هنا باب خاص من أبواب القصور الملكية التي يسكنها الملك بقلعة الجبل ، وهو غير باب سر القلعة .

الدرجة الأولى دون الخليفة، وقام الخليفة وأفتتح الخطبة بقوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعل الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴿١﴾. ثم أوصى الأمراء بالرفق بالرية وإقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين، ثم قال : فوضت إليك جميع أحكام المسلمين ، وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين .

ثم تلا قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) . وجلس بغيء في الحال بخلعة سوداء فالبسها الخليفة السلطان بيده ، ثم قلده سيفاً عربياً ، وأخذ القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر في قراءة عهد الخليفة للسلطان حتى فرغ منه ، ثم قدمه إلى الخليفة فكتب عليه ، ثم كتب بعده فصة القضاة بالشهادة عليه ، ثم قدم السباط فأكلوا وأنقضت الخدمة .

ثم قدم الأمير بيغرا في يوم الخميس خامس المحرم من عند الأمير أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وقد حلقه بمدينة الكرك لأخيه السلطان الملك المنصور هذا ، ففرح الناس بذلك .

١٥

ثم في يوم الأحد ثامن المحرم قبض على الأمير بشتك الناصري ، وذلك أنه طلب أن يستقر في نيابة الشام ، ودخل على الأمير قوصون وسأله في ذلك وأعلمه أن السلطان كان قبل موته وعده بها وألح في سؤاله ، وقوصون يدافعه ويحتج عليه بأنه قد كتب إلى الأمير الطنبغا الصالحى نائب دمشق تقليداً باستمراره في نيابة

دَمَشَقَ عَلَى عَادَتِهِ وَلَا يَلِيقُ عِزُّهُ سَرِيعًا ، فَقَامَ عَنْهُ بِشْتِكٌ وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ ، فَإِنَّهُ
 كَانَ قَدْ تَوَقَّعَ مِنْ قَوْصُونَ وَخَشِيَ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَطَلَبَ الْخُرُوجَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ
 لِأَنَّكَ كَانَ بَيْنَهُمَا قَدِيمًا مِنَ الْمَنَافَرَةِ ، وَلِأَنَّ قَوْصُونَ صَارَ الْآنَ مُتَحَكِّمًا فِي الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا
 خَرَجَ بِشْتِكٌ مِنْ عِنْدِ قَوْصُونَ وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ سَعَى بِخَاصِيكَةِ السُّلْطَانِ وَحَمَلَ إِلَيْهِمْ
 مَا لَا كَثِيرًا فِي السَّرِّ ، وَبَعَثَ إِلَى الْأُمَرَاءِ الْيَكَارَ وَطَلَبَ مِنْهُمْ الْمُسَاعَدَةَ ، فَمَا زَالُوا
 بِالسُّلْطَانِ حَتَّى أَنْتَمَ عَلَيْهِ بِنَايَةَ الشَّامِ وَطَلَبَ الْأَمِيرُ قَوْصُونَ وَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ فَلَمْ يُوَافَقْهُ ،
 وَفَزِعَ مَعَ السُّلْطَانِ أَنَّهُ يَحْدِثُ الْأُمَرَاءَ فِي ذَلِكَ وَيَعِدُّهُمْ بِأَنَّهُ يُوتَى بِشْتِكٌ إِذَا قَدِمَ
 الْأَمِيرُ قُطْلُوبُغَا الْفُخْرَى مِنْ تَحْلِيفِ نَائِبِ الشَّامِ وَبِنَسْخَةِ الْيَمِينِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْأُمَرَاءُ
 عَرَفَهُمُ السُّلْطَانُ طَلَبَ بِشْتِكَ بِنَايَةَ الشَّامِ فَأَخَذُوا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالشُّكْرِ مِنْهُ ،
 فَاسْتَدْعَاهُ وَطَيَّبَ خَاطِرَهُ وَوَعَدَهُ بِهَا عِنْدَ قُدُومِ الْفُخْرَى ، وَرَسَمَ لَهُ بَأَنَ يَتَجَهَّزُ
 لِلسَّفَرِ ، فَظَنَّ بِشْتِكٌ أَنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ ، وَقَامَ مَعَ الْأُمَرَاءِ مِنَ الْخِدْمَةِ ، وَأَخَذَ فِي عَرْضِ
 خَبِيلِهِ وَبَعَثَ لِكُلِّ مِنْ أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدِّمِينَ مَا بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَرْوَاسٍ إِلَى رَأْسَيْنِ
 بِالْقَهَاشِ الْمَذْهَبِ الْفَانِرِ ، وَبَعَثَ مَعَهَا أَيْضًا الْمُهْجَنَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأُمَرَاءِ الْخَاصِيكَةِ
 مِثْلَ مَلِكْتُمَرِ الْجَازِيِّ وَالطَّنْبَغَا الْمَارِدَانِيَّ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ وَاللُّؤْلُؤِ
 وَالتَّحَفِ . وَفَزِعَ عِدَّةٌ مِنَ الْجَوَارِي فِي الْأُمَرَاءِ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ
 إِلَّا وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ . ثُمَّ فَرَّقَ عَلَى مَمَالِيكِهِ وَأَجْنَادِهِ وَأَخْرَجَ ثَمَانِينَ جَارِيَةً بَعْدَ مَا شَوَّرَهُنَّ
 بِالْأَقْشَةِ وَالزَّرَاكِشِ وَزَوْجَهُنَّ . وَفَزِعَ مِنْ شَوْنَتِهِ عَلَى الْأُمَرَاءِ اثْنَى عَشَرَ أَلْفَ إِدْرَبٍ
 ظِلَّةٍ . وَزَادَ بِشْتِكٌ فِي الْعَطَاءِ حَتَّى وَقَعَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ وَأَتَمَّهُ السُّلْطَانُ وَالْأَمِيرُ قَوْصُونَ
 بِأَنَّهُ يُرِيدُ الْوُثُوبَ عَلَى السُّلْطَانِ وَعَمِلُوا هَذَا مِنْ فَعْلِهِ مُجْعَةً ^(١) [الْقَبْضُ] عَلَيْهِ ، وَكَانَ
 مَا خَصَّ الْأَمِيرُ قَوْصُونَ مِنْ تَفْرِقَةِ بِشْتِكِ فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ مَجْرَيْنَ مِنْ حِجَارَةِ مَعَاصِيرِ

- (١) القصب بما فيهما من القنود والسكر والأعسال والأبقار والغلال والآلات، وخمسمائة فدان من القصب مزروعة في أراضٍ ملك له، وغير ذلك، فادهش الأمراء كثرة عطائه، واستغنى منه جماعة من ممالكه وحواشيه. ولما كثرت القالة فيه بأنه يريد إفساد الدولة خلا به بعض خواصه وعرفه ذلك وأشار عليه بإمساك يده عن العطاء، فقال: هم إذا قبضوا على أخذوا مالى وأنا أحق بتفرقة منهم، وإذا سلمت فالمال كثير. هذا وقد قام قوصون في أمر بشتك المذكور قايماً حتى وافقه السلطان على القبض عليه عند قدوم قطلوبغا الفخرى، فاشاع قوصون أن بشتك يريد القبض على الفخرى إذا حضر فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا، فبعث إليه من تلقاه وعرفه بما وقع من تجهيز بشتك وأنه على عزم من أن يلقاك في طريقك ويقتلك، فكن على حذر، فأخذ قطلوبغا من الصالحية يحترز على نفسه حتى نزل سرياقوس^(١) وأتفق من الأمر العجيب أن بشتك خرج إلى حوشه بالرديانية خارج
- (١) في الأصلين: «بما فيها». وما أثبتناه عن السلوك. (٢) القنود: واحدة قند: عمل قصب السكر إذا جد. ويقال إنه فارسي معرب. (٣) الصالحية: إحدى قرى مركز قاقوس بمديرية الشرقية بمصر. راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
- (٤) قرية مصرية. راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.
- (٥) يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على الرديانية (ص ١٣٩ ج ٢) أن الرديانية اسم يطلق على بستان كبير أنشأه ريدان الصقلي أحد خدام العزيز بالله نزار بن المزمّلين الله. كان يحمل المظلة على رأس الخليفة وأختص بالخليفة الحاكم بأمر الله إلى أن قتله الحاكم في سنة ٥٩٣ هـ.
- وأقول: إنه لما كان بستان الرديانية يقع في حدود الصحراء الواقعة في شمال القاهرة، وكان البار يتهدى إليه فقد أطلق اسم الرديانية على البستان وعلى ما يجاوره من الأراضى الرطبة القضاء التي كانت تمتد في ذلك الوقت ما بين المكان الذي فيه اليوم ميدان الأمير فاروق بباب الحسينية وبين الصحراء التي فيها الآن مدينة مصر الجديدة، يؤيد ذلك جميع الوقائع والحوادث التي وقعت في الرديانية في عهد المماليك والتي وقعت بينهم وبين الترك. وذكرها ابن أبياس في تاريخ مصر في عدة مواضع، وكلها تدل على أن الرديانية كانت في الجهة السابق ذكرها. يدخل في حدود الرديانية الآن الوايلى الصغرى والعباسية ونكبات الجيش الواقعة على جانبي شارع الخليفة المأمون ومنشية البكرى ومصر الجديدة.
- ولا يزال يوجد من بقايا بستان ريدان الأراضى الزراعية الواقعة الآن على جانبي شارع بين الجنانين وشارع أحمد بك سعيد بأراضى تاحية الوايلى الصغرى خارج باب الحسينية بالقاهرة.

القاهرة ليعرض هُجْنَه وجمالَه فطار الخبرُ إلى قُطْلُوبُنا أن بشتك قد نرج إلى الرِيدَانِيَّة
 في أنتظارك ، فاستعد قُطْلُوبُنا وليس السلاح من تحت ثيابه وسار حتى تلقاه عِدَّة
 كثيرة من مماليكه وحولائه وهو على أهبة الخروج للحرب ، ونُحْرَجُ عن الطريق
 وسلك من تحت الجبل لينجو من بَشْتِكْ وقد قوى عنده حجة ما بلغه ، وكان عند
 بَشْتِكْ علم من قدومه ، فلما قُرب من الموضع الذى فيه بشتك لاحت له غُربة خيل
 فحدس بشتك أنه قُطْلُوبُنا الفخرى قد قَدِمَ ، فبعث إليه أحد مماليكه يبلغه سلامه
 وأنه يقف حتى يأتيه فيجتمع به ، فلما بلغ الفخرى ذلك زاد خوفه من بشتك ،
 فقال له : سلم على الأمير وقل له : لا يمكن اجتماعه بى قبل أن أقف قُدَّامَ
 السلطان . ثم بعد ذلك أجمع به وبغيره ، فضى مملوك بشتك وفى ظن قُطْلُوبُنا
 أنه إذا بلغه مملوكه الجواب ركب إليه ، فأمر قُطْلُوبُنا مماليكه بأن يسيروا قليلاً
 قليلاً ، وساق هو بمفرده مشواراً واحداً إلى القلعة ، ودخل إلى السلطان وبلغه
 طاعة النُواب وفرحهم بآيامه . ثم أخذ يعرف السلطان والأمير قُوصُون وسائر
 الأمراء بما اتفق له مع بَشْتِكْ ، وأنه كان يريد معارضته فى طريقه وقتله فأعلمه
 السلطان وقُوصُون بما اتفقا عليه من القُبْض على بشتك . فلما كان عصرُ اليوم
 المذكور ، ودخل الأمراء إلى الخدمة على العادة بالقصر وفيهم الأمير بشتك ،
 وأكلوا السَّماط تقدَّم الأمير قُطْلُوبُنا الفخرى والأمير طُفُزْدَمُر إلى بشتك وأخذوا
 سيفه وكتفاه وقُبْض معه على أخيه ^(١) أِيَوَان وعلى طُولُوتَمُر ومملوكين من المماليك
 السلطانية كانا يلوزان ببشتك ، وقبدا جميعاً وسُفروا إلى الإسكندرية فى الليل
 صحبة الأمير أَسَنْدَمُر العُمَرى وقُبْض على جميع مماليكه ووقعت الحوطة على
 موجوده ودوره وتُبَعَّتْ ثَلَمَاتُه وحواشيه . وأنهم السلطان من إقطاع بَشْتِكْ

(١) فى أحد الأصلين : « على أخويه » . وما أثبتناه عن الأصل الآخر والسلوك وتاريخ سلاطين المماليك .

على الأمير قَوْصُونُ بِمُخْصَوصُ الشَّرْقِ زيادةً على ما بيده ، وأخذ السلطان المطرية^(٢١) ومنية^(٢٢) ابن خَصِيب وشبرا^(٢٣) ، وفزق بقية الإقطاع على مَلِكْتُمُرَ الجحازى وغيره من الأمراء . فلما أصبحوا يوم الاثنين تاسع المحرم حُلّت حواصل بَشْتَكْ ، وهى من الذهب العين مائتا ألف دينار مصرية . ومن اللؤلؤ والجواهر والحوائص الذهب والكلفا مالزركش شئٌ كثير جداً ، هذا بعد أن فزق غالب موجوده حسب ماتقدم ذكره على الأمراء والماليك . ثم أخرج السلطان الأمير أحمد شاذ الشربخناه منفياً إلى طرابُلُسَ ليله مع بَشْتَكْ .

- (١) خصوص الشرق : بلدة كبيرة تعرف اليوم باسم « الحمام » بمركز أبنوب بمديرية أسيوط بمصر . وردت في معجم البلدان لياقوت باسم « الخصوص » . قال : وهى قرية من أعمال صعيد مصر شرق النيل ، كل من فيها نصارى . وفى تقويم البلدان لأبى القدا : « الخصوص قرية كبيرة قبالة أسيوط فى شرق النيل » . وردت فى النسخة السنية لأبى الجيعان : « الخصوص وكفورها من الأعمال الأسيوطية » .
- وبالبحث تبين لى أن خصوص الشرق أو الخصوص كانت ناحية ذات زمام واسع . وفى فك الزمام الذى عمل فى عهد السلطان سليمان العثمانى سنة ٩٣٣ هـ تقسم هذا الزمام على ناحية الخصوص الأصلية وهى الحمام وعلى كفورها وهى أبنوب وبنوزاج وبنو إبراهيم والسوالم وبنو محمد وكوم أبى شبل (كوم أبى شبل الآن) وبنوزيد والأكراد وبنو مر وكلها حول الحمام المذكورة بمركز أبنوب . وكانت بلدة الحمام هذه تعرف باسم الخصوص إلى سنة ١٢٣٠ هـ التى فك فيها زمام مديرية أسيوط فى عهد محمد على باشا الكبير ، ففى تلك السنة وردت باسم الحمام لأول مرة فى دفاتر المساحة والمكلفات ، وبذلك اختفى اسم الخصوص أو خصوص الشرق من عداد النواحى المصرية ، وظاهر اسم الحمام ، ولا يزال أغلب سكانها نصارى إلى اليوم ، وهذا يؤيد ما ذكره عنها لياقوت الحموى فى معجم البلدان .
- (٢) ويوجد فى مصر ناحيتان أخريان باسم الخصوص : إحداهما قرية الخصوص إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية ، وكانت تعرف بخصوص عين شمس لمجاورتها لمدينة عين شمس التى كانت بضواحي القاهرة . والثانية ناحية خصوص سعادة ، وهذه كانت تعرف أخيراً باسم كفور العايد ، ثم قسم زمامها على خمس قرى بمركز بليس بمديرية الشرقية ، وبذلك اختفى اسم خصوص سعادة واسم كفور العايد من عداد النواحى المصرية .
- (٣) قرية مصرية بضواحي القاهرة . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
- (٤) هى مدينة المنيا قاعدة مديرية المنيا بمصر . راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٩ من الجزء الخامس ، والاستدراك الوارد فى صفحة ٣٨٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٥) المقصود بشبرا هنا ناحية شبرا الخيمة إحدى قرى ضواحي القاهرة . راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) فى الأصلين : « وهو من الذهب ... الخ » . وما أثبتناه عن السلوك .

وفي يوم الخميس أنعم السلطان على أخويه : شعبان ورمضان كل واحد بإمرة .
 وفيه قبض السلطان على الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الحاجب لشيء
 أوجب ذلك . وفي يوم الاثنين ثالث عشر من المحرم خلع السلطان الملك المنصور
 أبو بكر على الأمير طقزدمر الجوى بناية السلطنة بالديار المصرية ، وكان رُشع لها
 قبل تاريخه ، فليس الخلعة وجلس في دسنت النيابة وحكم وصرف الأمور . وفي يوم
 الاثنين سلخه قبض السلطان على الأمير آقبا عبد الواحد وعلى أولاده ، وخلع على الأمير
 طقتمز الأحمدي^(١) وأستقر أستاذارا عوضا عن آقبا المذكور ، ورسم للأمير طيغنا
 المجدي والى القاهرة بإيقاع الخوطة على موجود آقبا ، وسلم ولده الكبير إلى المقدم
 إبراهيم بن صابر . وأصبح يوم الثلاثاء أول صفر فتحدث الأمراء أن ينزل في ترسيم^(٢)
 المجدي ليتصرف في أمره ، فنزل في حجة المجدي وأخذ في بيع موجوده ، وكان
 السلطان قد حلف قديما أنه متى تسلطن قبض عليه وصادره وضربه بالمقارع لأموار
 صدرت منه في حقه أيام والده الملك الناصر . فكان مما أبيع لآقبا عبد الواحد
 سراويل لزوجته بمائتي ألف درهم فضة وقبّاب وخفّ وسموكة^(٣) بخمسة وسبعين
 ألف درهم ، وثاربه جماعة كثيرة من الناس ممن كان ظلمهم في أيام تحكّمه وطلبوا
 حقوقهم منه وشكوه ، فأقسم السلطان لئن لم يرضهم ليسمرته على حمل ويُسهره
 بالقاهرة ففترق فيهم مائتي ألف درهم حتى سكتوا ، وكادت العامة تقتله لولا المجدي
 لسوء سيرته وكثرة ظلمه أيام ولايته . وفي يوم الأربعاء تاسع صفر قبض السلطان

(١) في الأصلين : « طقزدمر » . ونصحه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك والمهمل الصافي
 والدرر الكامنة . وكانت وفاته سنة ٧٤٧ هـ . وقد أقرّد صاحب تاريخ سلاطين المماليك بأن أستاذاره
 أستاذارا عوضا عن آقبا عبد الواحد كان في يوم الثلاثاء ٢٦ ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ .

(٢) الترميم هو الأمر الذي يصدر من الجهة المختصة بعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة (عن دوزي)

(٣) راجع حاشية رقم ٢ ص ١٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

على المقدم إبراهيم بن صابر وسأله لمحمد بن شمس [الدين] ^(١) المقدم وأحيط بأمواله ، فوجد له نحو سبعين ^(٢) حجرة في الجُشَّار ومائة وعشرين بَقَرَة في الزرايب ومائتي كبش وجُوتين كلاب ^(٣) سَلُوقِيَّة وعِدَّة طيور جوارح مع البَاذَرِيَّة ^(٤) . ووَجِد له من الغلال وغيرها شئ كثير .

- ثم قَدِم الخبر على السلطان من الأمير طَشْتَمُر حُصَّ أخضر الساق نائب حلب .
 بخروج ابن دُلْفَادِر عن الطاعة وموافقته لآرْتَنَّا مَمْلُوك الروم على السير لأخذ حلب ، وأنه قد جَمَعَ بَابُلُسْتِينَ ^(٥) جَمْعًا كَثِيرًا ، وسأل طَشْتَمُر أن يُجْعِدَه بعسكر من مصر ، فقتلَ السلطان لذلك وعَوَّق الجواب . وفيه رَسَم السلطان بضرب آقْبَغَا عبد الواحد بالمقارع فلم يُمَكِّنْهُ الأمير قَوْصُون من ذلك فآشَتَد حَقَّ السلطان وأطلق لسانه بحضرة خَاصِيكَيْتِه في حق قَوْصُون وغيره ، وفي ذلك اليوم عَقَدَ السلطان نِكَاحَه على جاريتين من المولَدات اللَّاتِي فِي بَيْتِ السلطان ، وكتب القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السَّرْصِدَاقَهُمَا ، فخلع عليه السلطان وأعطاه عشرة آلاف درهم ، ورَسَمَ السلطان لجمال الكُفَاة ناظر الخاص أن يُجَهِّزَهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فشرع جمالُ الكُفَاة في عمل الجَهَّاز ، وبينما هو في ذلك رَكِبَ الأمير قَوْصُون على السلطان بجماعة من الأمراء في يوم السبت تاسع عشر صفر وخلعوه من الملك في يوم الأحد عشرينه ، وأُخْرِجَ هو وإخوته إلى قَوْص ^(٦) صحبة الأمير بهادر بن جَرَكْتَمُر ^(٧) .

- (١) الكلمة عن السلوك للقرنزي . (٢) في لسان العرب : « الجبر : الفرس الأثني لم يدخلوا فيه الماء لأنه أَسَم لا يشركها فيه المذكور . والجمع أجبار وججورة وججور » . (٣) الجُشَّار : مكان رعى المشاة من خيل وغيرها . (٤) سلوقية : نسبة إلى سلوق كعبور : بلدة باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب ، أو إلى سلوق : بلدة بإرمينية (عن شرح القاموس) . (٥) راجع حاشية رقم ٢ ص ١٧٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٧) قوص : مدينة بصعيد مصر وهي قاعدة مركز قوص بمديرية قنا . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس . والاستدراك الوارد في صفحة ٣٨٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٨) في الأصلين : « صحبة الأمير بهادر وجركتمر » . وما أثبتناه عن السلوك .

وكان سبب خلع الملك المنصور هذا أن المنصور كان قَرَبَ الأمير يَبْلُغاَ اليَحَاوَى^(١) وشَغِفَ به شَغَفًا كَثِيرًا، ونَادَمَ الأمير مَلِكْتَمَرَ المَجَازَى^(٢) وأَخْتَصَّ به وبالأمر طاجار الدَّوَادَارَ وبالأمر قُطَيْلِجَا الحَمَوَى وجماعة من الخاصِّية ، وعَكَفَ على اللهو وشرب الخمر وسماع الملاحى فشَقَّ ذلك على الأمير قَوْصُون وغيره لأنه لم يُعْهَد من مَلِكٍ قبله شُرب خمر فيما رُوي ، فَحَمَلُوا الأمير طُقُز دَمَر النَّابِ على محادثته في ذلك وكَفَّه عنه فزاده لَوْمُهُ إغراءً وأَحْشَى في التَّجَاهُرِ باللهو، حتى تَكَلَّمَ به كُلُّ أحد من الأمراء والأجناد والعامة، فصار في الليل يَطْلُبُ الْعِلْمَانِ لإحضار المغاني، فَنَلَبَّ عليه السُّكْرُفَى بعض الليالى فصاح من الشُّبَاكِ على الأمير أَيْدُغُمُش أمير آخور: هَاتِ لِي قَطْقَطَ^(١) ، فقال أَيْدُغُمُش : يَاخُونَدَ^(٢) ، ما عندى قَرَسَ بهذا الاسم ، فتكلم بذلك السَّلَاخُورِيَّةُ^(٣) والركابية وتداولته الألسنة .

١٠

قلت : وأظن قطقط كانت امرأة مغنية . والله أعلم .

فلما زاد أمره طلب الأمير قَوْصُون طاجار الدَّوَادَارَ والشَّهَابَى شَادَ المَائِرَ ، وعَنَّفَهُمَا ووجَّهَهُمَا وقال لهما : سلطانٌ مصريليق به أن يعمل مقاماتٍ ويُحْضِرَ إليه البغايا والمغاني ! أهكذا كان يفعل والده ؟ وعرفهم أن الأمراء قد بلغهم ذلك وتشوَّش خواطرهم ، فدخلوا وعرفوا السلطان كلامه ، وزادوا في القول ، فأخذ جلساءُ الملك المنصور في الواقعة في قَوْصُون والتحدث في القبض عليه وعلى الأمير

١٥

(١) في السلوك : « ابن عطيط » . وورد أيضا في آبن إلياس (ج ١ ص ٢١٠) باسم « عطيط في جملة أبيات من الشعر وقال : إنه اسم لمن كان يغنى بمصر والشام » . (٢) ذكر القلقشندي في صبح الأعشى (ص ٤٦٠ ج ٥) أن السراخورد هو الذى يتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها . وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما سرا ومعناه الكبير ، والثاني خور ومعناه العلف ، ويكون المعنى كبير العلف . والمراد كير الجماعة الذين يتولون علف الدواب . وبعضهم يقول سلاخور أو السلاخورية كما ذكر المؤلف ، وهو تحريف في أصل الكلمة صوابه السراخورية . (٣) الركابية هم الذين يركبون خيول السلطان والأمراء لتسييرها وترويضها أو لتدرب بها على السباق .

قُطِّلُوا بِمَا الْفَخْرَى وَالْأَمِيرُ بَيْتَسُ الْأَحْمَدَى وَالْأَمِيرُ طُقُزْدَمَرْ النَّائِبُ ، قَتَلَ عَلَيْهِم
 الْأَمِيرُ يَلْبَغَا الْيَحْيَاوَى لِقَوَّصُونَ ، وَكَانَ قَدْ آسَمَّالَهُ قَوْصُونَ بِكَثْرَةِ الْعَطَاءِ فَيَمُنُ آسَمَّالُ
 مِنَ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَعَرَفَهُ أَنَّ الْإِتْفَاقَ قَدْ تَقَرَّرَ عَلَى الْقَبْضِ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ
 الْجُمُعَةِ وَقْتُ الصَّلَاةِ ، فَأَتَقَطَعَ قَوْصُونَ عَنِ الصَّلَاةِ وَأَظْهَرَ أَنَّ بَرَجًا وَجَعًا ، وَبَعَثَ
 فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ يُعْرِضُ بَيْتَسُ الْأَحْمَدَى بِالْخَبْرِ وَيُخْبِتُهُ عَلَى الرُّكُوبِ مَعَهُ ، وَطَلَبَ
 الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَوَاغَدَهُمْ عَلَى الرُّكُوبِ وَمَلَأَهُمْ بِكَثْرَةِ الْمَوَاعِيدِ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى
 الْأَمِيرِ الْحَاجِّ آلِ مَلِكٍ وَالْأَمِيرِ جَنْكَلِي بْنِ الْبَابَا وَهَؤُلَاءِ أَكْبَارُ الْأَمْراءِ فَلَمْ يَطْلُعْ الْفَجْرُ
 حَتَّى رَكِبَ الْأَمِيرُ قَوَّصُونَ مِنْ بَابِ سِرِّ الْقَلْعَةِ بِمَمَالِيكِهِ وَمَمَالِكِ السُّلْطَانِ وَسَارَ نَحْوَ
 الصَّحْرَاءِ ، وَبَعَثَ مَمَالِيكِهِ فِي طَلَبِ الْأَمْراءِ فَأَتَاهُ جَرَكْتَمُ وَبِهَادُرُ وَبَرْسَبُاقُ وَقُطِّلُوا بِمَا
 الْفَخْرَى وَالْأَحْمَدَى وَأَخَذُوا أَقْبَا عَبْدِ الْوَاحِدِ مِنْ تَرْسِيمٍ طَبِيعًا مَجْدِي ، فَسَارَ مَعَهُ
 الْمَجْدَى أَيْضًا ، وَوَقَفُوا بِأَجْمَعِهِمْ عِنْدَ قُبَّةِ النَّصْرِ وَدَقَّتْ طَبْلُخَانَاتُهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ
 مِنَ الْأَمْراءِ حَتَّى أَتَى قَوَّصُونَ ، هَذَا وَالسُّلْطَانُ وَنَدَمَاؤُهُ وَخَاصَّكَيْتُهُ فِي غَفْلَةٍ لَهُمْ
 وَغِيَّةٍ سُرَّحَهُمْ إِلَى أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ أَرْبَابُ الْوُظَائِفِ ، وَاقْبُظُوهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ
 وَعَرَفُوهُمْ مَا دُهِمُوا بِهِ ، فَبَعَثَ السُّلْطَانُ طَاجَارَ الدَّوَادَارِ إِلَى الْأَمِيرِ طُقُزْدَمَرْ النَّائِبِ
 يَسْأَلُهُ عَنِ الْخَبْرِ وَيُسْتَدْعِيهِ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ جَنْكَلِيَّ بْنَ الْبَابَا وَالْوَزِيرَ وَعَدَّةً مِنَ الْأَمْراءِ
 الْمُقِيمِينَ بِالْقَلْعَةِ ، فَأَمْتَنَعَ طُقُزْدَمَرْ مِنَ الدَّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَقَالَ : أَنَا مَعَ الْأَمْراءِ
 حَتَّى أَنْظُرَ مَا عَاقِبَةُ هَذَا الْأَمْرِ ، ثُمَّ قَالَ لَطَاجَارَ : أَنْتَ وَغَيْرُكَ سَبَبُ هَذَا ، حَتَّى
 أَفْسَدْتُمُ السُّلْطَانَ بِفَسَادِكُمْ وَلَمَبِكُمْ ، قُلْ لِلسُّلْطَانِ يَجْمَعُ مَمَالِيكَهُ وَمَمَالِيكَ أَبِيهِ حَوْلَهُ ، فَرَجِعْ
 طَاجَارُ وَيُلْقِ السُّلْطَانَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ السُّلْطَانُ إِلَى الْإِيوَانِ وَطَلَبَ الْمَمَالِيكَ ، فَصَارَتْ

(١) راجع الحاشية رقم ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) في أحد الأصولين :
 « السحرة » . وفي السلوك : « النفرة » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع
 من هذه الطبعة . (٤) في السلوك : « حتى أفسدتم السلطة بفسادكم » .

(١) كل طائفة تخرج على أنها تدخل إليه فتخرج إلى باب القلعة حتى صاروا نحو
الأربعمائة مملوك ، وساروا يداً واحدة من باب القلعة إلى باب القلعة ، فوجدوه
مُغلقاً فرجعوا إلى النائب طُقُزْدَمَر بعد ما أخرجوا بوالى باب القلعة وأنكروا عليه
وعلى مَنْ عنده من الأمراء (أعنى عن الأمير طُقُزْدَمَر) ، فقال لهم طُقُزْدَمَر :
السلطان ابن أستاذكم جالس على كرسي الملك وأتم تطلبون غيره . فقالوا : ما لنا
ابن أستاذ ، وما لنا أستاذٌ إلا قَوْصُون ، ابن أستاذنا مشغول عنا لا يعرفنا ومضوا
إلى باب القرافة (٣) وهدموا منه جانباً وخرجوا فإذا خيول بعضهم واقفة فركب
بعضهم وأردف عدةً منهم ومشى باقيهم إلى قبة النصر ففرح بهم قوصون والأمراء
وأركبهم الخيول وأعطوهم الأسلحة وأوقفوهم بين أصحابهم ، ثم أرسل قوصون
الأمير مسعود [بن خطير] (٤) الحاجب إلى السلطان يطلب منه مَلِكْتُمَر المَجَازِي
وَيَلْبَغَا البَحَاوِي ، وهما من أمراء الألوف الخاصية وطاجار الدوادار وغيرهم ،
ويعرفه أنه أستاذه وأستاذ جميع الأمراء وابن أستاذهم وأنهم على طاعته وإنما
يريدون هؤلاء لِمَا صدر منهم من الفساد ورعى الفتن ، فطلع الأمير مسعود فوجد
السلطان بالإيوان من القلعة ، وهم حوله في طائفة من الممالك فقبل الأرض وبلغه
الرسالة ، فقال السلطان : لا كيد ولا كرامة لهم . وما أُمِيرٌ مِمَالِكِي ومِمَالِكِ أَبِي لَهْم ،
وقد كَذَّبُوا فيما نقلوا عنهم ومهما قدرُوا عليه يفعلوه ، فإِذَا هُوَ إِلا أَنْ نَخْرُجَ عَنْهُ
الأمير مسعود حتى آقَتَضَى رَأْيَهُ بِأَنْ يَرْكَبَ بِنَ مَعَهُ وَيَنْزِلَ مِنَ الْقَلْعَةِ وَيَطْلُبَ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة والحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء
التاسع من هذه الطبعة . (٢) المقصود به باب القلعة العام الذي كان يعرف بباب المدرج . راجع الحاشية
رقم ٤ ص ١٩٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) المقصود هنا باب القرافة الذي يفصل بين
الغلهمة وبين قراة الإمام الشافعي وما جاورها من الجبال ذات الأنهرى . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١١
من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وقد ظهر أخيراً باب القرافة المفتوح في سور صلاح الدين الممتد من القلعة
إلى القسطنطينية بجوار باب السيدة عائشة و يفصلهما مدفن تمبراي الحسيني . (٤) التكلفة عن السلوك .

٥

١٠

١٥

٢٠

النائب طُقُزْدَمَرُ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْمَالِكِ وَيَدْقُ كُوسَاتِهِ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى الشَّبَاكِ وَأَمَرَ أَيْدُغْمُشَ أَمِيرَ آخُورَ أَنْ يَشُدَّ الْخَيْلَ لِلْحَرْبِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْإِسْطَبْلِ غَلَامٌ وَلَا سَائِسٌ وَلَا سَلَاخُورِيٌّ^(١) يَشُدُّ فَرَسًا وَاحِدًا ، فَبَعَثَ إِلَى النَّائِبِ يَسْتَدْعِيهِ فَأَمْتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَبَعَثَ الْأَمِيرُ قَوْصُونَ بُلْكُ الْجَدَارِ وَبَرْسَبَا إِلَى طُقُزْدَمَرِ النَّائِبِ يُعْلِمُهُ أَنَّهُ مَتَى لَمْ يَحْضُرِ الْغُرَمَاءُ إِلَيْهِ وَإِلَّا زَحَفَ عَلَى الْقَلْعَةِ وَأَخَذَهُمْ غَضَبًا ، فَبَعَثَ طُقُزْدَمَرُ إِلَى السُّلْطَانِ يُسِيرُ عَلَيْهِ بِأَرْسَالِهِمْ ، فَعَلِمَ السُّلْطَانُ أَنَّ النَّائِبَ وَأَمِيرَ آخُورَ قَدْ خَذَلَاهُ . فَقَامَ وَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ فَلَمْ يَجِدِ الْغُرَمَاءَ بَدَأَ مِنَ الْإِذْعَانِ ، وَخَرَجُوا إِلَى النَّائِبِ ، وَهُمْ الْأَمِيرُ مَلِكُتْمَرُ الْحِجَازِيُّ وَالْقُطُنْبُغَا الْمَارْدَانِيُّ وَيَلْبَغَا الْيَحْيَاوِيُّ ، وَهَؤُلَاءِ مُقَدِّمُو الْأُلُوفِ ، وَأَحَدُ خَوَاصِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَطَاجِرُ الدُّوَادَارِ وَالشَّهَابِيُّ شَادُ الْمَائِرِ وَبَكْلَشُ الْمَارْدِينِيُّ وَقُطْلِيْبَا الْحَمِيَوِيُّ ، فَبِعَثَمَهُمْ طُقُزْدَمَرُ النَّائِبِ إِلَى قَوْصُونَ مَحْبَبَةِ بُلْكُ الْجَدَارِ وَبَرْسَبَا ، فَلَمَّا رَأَاهُم قَوْصُونَ صَاحَ فِي الْحَاجِبِ أَنْ يُرْجِلَهُمْ عَنْ خِيُولِهِمْ مِنْ بَعِيدٍ فَأَنْزَلُوا أَنْزَالًا قَبِيحًا وَأَخَذُوا حَتَّى أَوْفَقُوا بَيْنَ يَدَيِ قَوْصُونَ ، فَتَنَفَّهَ وَوَجَّهَهُمْ وَأَمَرَ بِهِمْ قَبْدُوا وَعَمَلَتِ الزَّجَاجِيرُ فِي رِقَابِهِمْ ، وَأُلْخِشُبُ فِي أَيْدِيهِمْ ثُمَّ تَرَكَهُمْ فِي خِيَمٍ ضُرِبَتْ لَهُمْ عِنْدَ قُبَّةِ النَّصْرِ . وَاسْتَدْعَى طُقُزْدَمَرُ النَّائِبَ وَالْأَمِيرَ جَنْكِيَّ بْنَ الْبَابَا وَالْوَزِيرَ وَالْأُمَرَاءَ الْمُقِيمِينَ بِالْقَلْعَةِ وَالْأَمِيرَ أَيْدُغْمُشَ أَمِيرَ آخُورَ فَتَزَلُّوا إِلَيْهِ وَاتَّفَقُوا عَلَى خَلْعِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ وَإِخْرَاجِهِ ، فَتَوَجَّهَ الْأَمِيرُ بَرْسَبَا فِي جُمَاعَةٍ إِلَى الْقَلْعَةِ وَأَخْرَجَ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ وَإِخْوَتَهُ وَهُمْ سَبْعَةٌ نَفَرًا ، وَمَعَ كُلِّ مِنْهُمْ مَمْلُوكٌ صَغِيرٌ وَخَادِمٌ وَفَرَسٌ وَبُقْجَةٌ قَاشٌ ، وَأَرْكَبَهُمْ إِلَى شَاطِئِ النَّيْلِ وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَرَاةٍ وَسَارَبَهُمْ إِلَى قَوْصٍ ،

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من هذا الجزء . (٢) يلاحظ أن أفعالاً مضارعية وغيرها من القواكب . وردت في الأمسليين والسلوك للقرنيزي مخالفة لقواعد اللغة فآثرنا إبقاءها على ما هي عليه للوقوف على بعض أساليب مؤرخي القرون الوسطى . (٣) جمع زنجير ، وهو السلسلة . (٤) الحراقة : سفينة صغيرة .

ولم يترك بالقلعة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلا بئحك^(١)، ثم سلم قوصون الأمراء المقيدين إلى والى القاهرة، فمضى بهم إلى خزنة شمائل^(١١) وبجنتهم بها إلا يلبغا البحايوى، فإنه أفرج عنه، وكان يوما عظيما بالديار المصرية من إخراج أولاد السلطان الملك الناصر على هذه الصورة، وحبس هؤلاء الأمراء الملوك في خزنة شمائل وتهتك حرم السلطان على إخراج أولاد الناصر، وكثر البكاء والويل بالقاهرة، فكان هذا اليوم من أشنع الأيام. وبات قوصون ومن معه ليلة الأحد بنجيامهم في قبة النصر خارج القاهرة، وركبوا بكرة يوم الأحد العشرين من صفر إلى قلعة الجبل وأتفقوا على إقامة بئحك^(٢) ابن الملك الناصر محمد في السلطنة، فاقم وجلس على كرسي الملك حسب ما يأتى ذكره في أول ترجمته. وخلع الملك المنصور في يوم السبت تاسع عشر صفر من سنة اثنتين وأربعين وسبعائة، فكانت مدة ملكه على مصر تسعة وخمسين يوما، ومن حين قلده الخليفة [ثمانية و] أربعين يوما، لأنه لما تسلطن كان الخليفة [الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان] المستكنى لم يتم أمره في الخلافة، ثم انتظم أمره بعد ذلك فبايع الملك المنصور حسب ما ذكرناه، وخلع الملك المنصور أبو بكر من السلطنة وسلم القلعة بغير قتال مع كثرة من كان معه من خواص أمراء أبيه وماليكه، خذلان من الله تعالى !

(١) هذه الخزنة كانت من مجيون القاهرة، ذكرها المقرئ في خطه (ص ١٨٨ ج ٢) فقال : كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور، حرفت بالأمر علم الدين شمائل وإلى القاهرة في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب. وكانت من أشنع السجن وأقبحها منظرا، يحبس فيها من وجب عليه القتل أو القطع من السراق وقطاع الطريق ومن يريد السلطان إهلاكه من المالك وأصحاب الجرائم العظيمة، وما زالت هذه الخزنة على ذلك إلى أن هدمها الملك المؤيد شيخ الحمودى في سنة ٥٨١٨ وأدخلها في جملة ما هدمه من الدور التي أدخلها في مدرسته .

وأقول : إن هذه الخزنة من ضمن الأماكن التي دخلت في بناء جامع المؤيد المجاور لباب زويلة بشارع الحزلى من الله (السكرية سابقا) بالقاهرة. وكانت في القسم الجنوبي من المسجد بجوار السور القديم . (٢) زيادة يقتضها السياق . (٣) تكة يقتضها السياق .

وفي خلعه من السلطنة وإخراجه إلى قُوص مع إخوته عِبرة لمن آتَبره، فإن والده
 الملك الناصر محمد بن قلاوون كان أخرج الخليفة أبا الربيع سليمان المستكنى بأولاده
 وحواشيه إلى قُوص منفياً مرثماً عليه فُقُوصَ الملك الناصر عن قريب في ذريته
 بمثل ذلك، وأنَّجَ أولاده أعزَّ ممالكه وزوجُ أبنته، وهو قُوصون الناصري،
 فتوجه الملك المنصور مع إخوته إلى قُوص وصحبته بهادر بن جَرِكْتَمَر مثل الترسيم
 عليه وعلى إخوته، وأقام بها نحو الشهرين، ودَسَّ عليه قُوصون عبد المؤمن متولى
 قُوص فقتله وحمل رأسه إلى قُوصون سراً في أواخر شهر ربيع الآخر من سنة
 اثنتين وأربعين وسبعائة، وكنتموا ذلك عن الناس. فلما أَمْسَكَ قُوصون تحقق الناس
 ذلك، وجاء من حاقق بهادر أنه غرق طاجار الدوادار واستحس على قتل المنصور،
 فطُلب عبد المؤمن وقرَّر فأعترف فسَمَره السلطان الملك الناصر أحمد ابن الملك
 الناصر محمد بن قلاوون، وقد تسلطن بعد أخيه بَحْك أخذاً بدم أخيه الملك
 المنصور هذا.

وكان الملك المنصور سلطاناً كريماً شاباً حَمَلَ إليه مالُ بَشْتِك ومالُ آقِيفَا عبد الواحد
 ومالُ بَرَسْبُغا فوَهَبَ ذلك جميعه إلى الخاصكية الأمراء من ممالك والده مثل
 مَلِكْتَمَر المَجَازِي وَالْطَنْبُغا المَارْدَانِي وَيَلْبُغا الِيجَاوِي وطاجار الدوادار،
 وهؤلاء كانوا عظماء أمراء الألوف من الخاصكية وأعيان ممالك الملك الناصر محمد
 ابن قلاوون وأصهاره وأحبهم وأحبوه، فآلَتهى بهم عن قُوصون وقوى بهم بأسه،
 فخاف قُوصون عاقبة أمره وتقرب خُشْدَاشِيته إليه فدبَّر عليه وعليه حتى تم له ذلك،
 وكانت الناس تباشرتُ بئمن سلطنته. فإنه لما تسلطن أنطلستُ الأمور على أحسن

ما يكون ولم يقع بين الناس خلاف ولا وقع سيف حتى خالف قوُصون، فرموه بأمور وقبائح ودواهي، وآذَعُوا أَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ هُوَ وَالْمَذْكُورُونَ مِنْ مَمَالِكِ أَبِيهِ إِلَى بَحْرِ النَّبْلِ وَيَرْكَبُ مَعَهُمْ فِي الْمَرَائِبِ وَأَشْيَاءَ مِنْ ذَلِكَ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّتِهَا . ولم يكن مَسْكُ بَشْتَكُ بِخَاطِرِهِ وَلَا عَنْ أَمْرِهِ إِلَّا مِرَاعَاةَ لَخَاطِرِ قَوُصُونَ لِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ أَيَّامِ أَسَازِهِمَا الْمَلِكَ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ مِنَ الْمَنَافَرَةِ . وكان الملك المنصور شاباً حُلُوَ الْوَجْهِ، فِيهِ شُمْرَةٌ وَهَيْفٌ قَوَامٌ، وَكَانَ تَقْدِيرُ عَمْرِهِ مَا حَوْلَ الْعَشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ أَخْلَى الْإِخْوَةِ وَاشْجَعَهُمْ . زَوْجُهُ أَبُوهُ بِنْتُ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ طُقُزْدَمَرْ الْحَمَوِيِّ .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخه : وعمل الناس عزاءه ودار جواره^(١) في الليل بالدراريك في شوارع القاهرة أياماً، وأُبْكَيْنَ النَّاسُ وَتَأَسَّفُوا عَلَيْهِ لِأَنَّهُ خُلِلَ، وَعُمِلَ عَلَيْهِ وَأُخِذَ بَفْتَةٍ، وَقُتِلَ غَضًّا طَرِيًّا، وَلَوْ أَسْتَمَرَّ لِحَاءُ مِنْهُ مَلِكٌ عَظِيمٌ، كَانَ فِي عِزِّهِ أَلَّا يُغَيَّرَ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ جَدِّهِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ، وَيُطِيلَ مَا كَانَ أَحَدُهُ أَبُوهُ مِنْ إِنْقِطَاعَاتِ الْعُرَبَانِ وَإِنْعَامَاتِهِمْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ . انتهى كلام الصلاح الصفدي باختصار .

وأما أمر بَشْتَكُ وَحَبْسُهُ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَجْلِ مَمَالِكِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، وَكَانَ ثَقُلَ عَلَيْهِ فِي أَوَاخِرِ أَمْرِهِ . فَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ بَكَتُمُ السَّاقِ وَرِثَهُ فِي جَمِيعِ أَمْوَالِهِ، فِي دَارِهِ وَإِسْطَبْلِهِ . وَتَزَوَّجَ بِأَمْرَأَتِهِ أُمِّ أَحْمَدَ بْنِ بَكَتُمُ السَّاقِ وَاشْتَرَى جَارِيَتَهُ

(١) الصواب فيه : « ودارت جواريه » .

(٢) كذا في الأصلين والمنهل الصافي وأعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٩) وهي محرفة عن الدرايك، جمع دربكة ودربوكة، مريانية الأصل وهي معروفة (عن دوزي) .

(٣) في الأصلين : « في جميع أحواله » . وما أئجناه عن المنهل الصافي .

- (١) خُوِي بستة آلاف دينار، وكان معها من القماش ما قيمته عشرة آلاف دينار، وأخذ ابن بكتمر عنده . وكانت الشرقية تُنحى لبكتمر الساقى لحماها هو بعده، فعظم ذلك على قوُصون ولم يَسْغِه إلا السُّكَّات لِمَلِ السُّلطان إليه . وكان مع هذه الرئاسة الضخمة غير عفيف الذَّيل عن المَلِيج والقبِيع، وبالغ في ذلك وأفرط حتى في نساء الفلاحين وغيرهم . وكان سبب قُربه من أستاذه الملك الناصر أن الملك الناصر قال يوما في مبدأ أمره لمجد الدين السُّلَّامِي^(٢) : أريد أن أشتري لى مملوكًا يُشبه بوسعيد ابن خربندا ملك التتار، فقال مجد الدين : دَغ ذلك، فهذا بَشْتَك يُشبهه لافرق بينهما فحِظَى عنده لذلك . ولَمَّا نَدَبَه السُّلطان لَمَسْكَ تَنَكِر وتوجَّه إلى الشام للحوَطة على مال تَنَكِر، ورَأَى أمرَ مَشْق طَمِع في نياتِها ولم يَحْسُرُ فُتَاح السُّلطان في ذلك، وبَقِيَ في نفسه منها حَرَاة، فلَمَّا مَرَضَ السُّلطان وأشرف على الموت ألبس بَشْتَك مماليكه،
فأنَّهُ كان يلقه عن قوُصون أنه ألبس مماليكه، ثم أنتظم الأمر على أن السُّلطان جَعَلَ ابنه أبا بكر وليَ عهده، وقد قدَّمنا ذَكَرَ ذلك كَلَمَةً مَفصَّلاً في أواخر ترجمة الملك الناصر . فلَمَّا وقع ذلك قال بَشْتَك : لا أوافق على سلطنة أبي بكر، ما أريد إلا سيدي أحمد الذى بالكرك . فلَمَّا مات السُّلطان وَجَّهَى قام قوُصون إلى الشَّباك وطلب بَشْتَك وقال له : يا أميرِ تعالَ، أنا ما يَحْيى مَنى سُلطان، لأننى كنت أبيع

(١) ترجم لها صاحب الدر الكامنة وضبطها بالعبارة فقال : «خوي الموادة»، بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بعدها موحدة مكسورة . كانت مغنية فاقحة في ضرب العود ... ماتت بعد الأوبى وسجانة .

(٢) الشرقية المقصود بها هنا إقليم الشرقية إحدى مديريات الوجه البحرى بمصر . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلاوى (بتشديد اللام) مجد الدين بر الخواجا تاجر الخمار في الرقيق . ولد سنة ٦٧١ هـ وهو الذى سعى مع النورين جوبان في الصلح بين الملك الناصر وبوسعيد ملك التتار وأزدداد رحاحته بين الملكين . توفي سنة ٧٤٣ هـ (عن الدرر الكامنة

الطسما^(١) والكشاثون^(٢) في البلاد وأنت أشرت^(٣) متى، وأهل البلاد يعرفون ذلك متى،
وأنت ما يحيى منك سلطان، لأنك كنت تبيع^(٤) البوزا، وأنا أشرت^(٥) ذلك منك،
وأهل البلاد يعرفون ذلك كله، فما يكون سلطاناً من عُرف بيع الطسما والبرغالى^(٦)، ولا
من عُرف بيع البوزا، وهذا أستاذنا هو الذى أوصى لمن هو أخبره من أولاده،
وهذا في ذمته وما يسعنا إلا أمتثال أمره حياً وميتاً، وأنا ما أخالفك إن أردت
أحمد أو غيره، ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطاناً ما خالفك، فقال بشتك :
كل هذا صحيح، والأمر أمرك، وأحضرا المصحف وحلف كل للآخر وتناقا،
ثم قاما إلى رجل السلطان فقبلاهما وبكيا، ووضعنا آبن السلطان على كرسي الملك. وقد
تقدم ذكر ذلك كله، وتم الأمر بينهما على ذلك، حتى بدا لبشتك أن يلى نيابة الشام
فعاكسه قوصون فثارت الكائن والضغائن القديمة بينهما حتى وقع ما حكيناه، وأمسك
بشتك وأعتقل بالإسكندرية إلى أن قُتل في محبسه بالإسكندرية بعد أيام في سلطنة
الملك الأشرف نجك آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون في شهر ربيع الآخر من سنة
أثنتين وأربعين المذكورة، حسب ما يأتى ذكره. وبشتك هذا أول من أمسك
من أمراء الدولة الناصرية. وكان كريماً مهاباً، كان يذبح في سباطه في كل يوم
خمسين رأساً من الغنم وفروها لا بد منه، خارجاً عن الدجاج والإوز والحلوى. انتهى
ترجمة الملك المنصور أبى بكر بن محمد بن قلاوون. رحمه الله تعالى.

(١) الطسمة كلمة فارسية : قطعة سير من الجلد، تستحط عليها موسى إذا نبت، تعريب تاسمة.

(٢) جاء في ترجمة عثمان بن محمد بن لؤلؤ الأمير نغر الدين أحد الأمراء الطليغاناة بدمشق ما يأتى :
« كان يعمل بسبده عدة صنائع ويزركش ويطرز ويعمل الكشاثون ». انظر أعيان العصر للصفدى

(ج ٢ قسم ثان لوحة ٤٤٢) ويستفاد من ذلك أن الكشاثون نوع من تطريز الجلد.

(٣) البوزة هي الشراب المعروف المتخذ من الأرز أو الشعير أو الذرة الويجية.

(٤) البرغالى : خف من جلد الفرس مبطن بجلد ذئب. راجع رحلة ابن بطوطة (ج ٢ ص ٤٤٥)

والحاشية رقم ٤ ص ٣٣١ من الجزء السابع من هذه الطبعة

ذكر ولاية الملك الأشرف علاء الدين بكك على مصر

هو السلطان الملك الأشرف علاء الدين بكك ابن السلطان الملك الناصر ، ناصر ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحى - التميمي . جلس على تخت الملك باتفاق الأمراء بعد خلع أخيه أبى بكر ابن الملك الناصر محمد في يوم الاثنين حادى عشرين صفر سنة آئنتين وأربعين وسبعائة ، وركب بشعار السلطنة ولقب بالملك الأشرف ولم يكمل له من العمر خمس سنين ، وقيل كان عمره دون سبع سنين . وأمّه أم ولد تسمى أردو تركية الجنس وهو السلطان الرابع عشر من ملوك الترك بديار مصر ، والثاني من أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون . ولما تم أمره فى السلطنة جلس الأمراء وأشتوروا فيمن يقيموه فى نيابة السلطنة فرتح الأمير أيدغمش أمير آخور فامتنع أيدغمش من ذلك فوقع الاتفاق على الأمير قوصون الناصرى فأجاب بشرط على الأمراء أن يقيم على حاله فى الأشرفية من القلعة ولا يخرج منها إلى دار النيابة خارج باب القلعة من القلعة ، فأجابوه الأمراء

(١) ورد فى تاريخ ابن إياس (ج ١ ص ١٧٧) : « وأما تسميته بكبك فهو لفظ أعجمى معناه بالعربى صغير ، فإن والده لحظ فيه حال التسمية أنه سبيل بعده الملك وهو صغير ، والملوك لهم فراسة فى الأمور قبل وقوعها » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥ من هذا الجزء .

(٣) الأشرفية ، المقصود بها هنا قاعة الأشرفية التى كانت بالقلعة وهدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقام فى مكانها الإيوان . راجع الحاشية الخاصة بقاعة الأشرفية بالقلعة رقم ٢ ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) هذه الدار تكلم عليها المقرئ فى خطه (ص ٢١٤ ج ٢) فقال : كان بقعة الجبل بالقاهرة دار نيابة بناها الملك المنصور قلاوون فى سنة ٦٨٧ هـ وسكنها نواب السلطنة وكانوا يجلسون بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٣٧ هـ وصار موضعها ساحة ، وأبطل النيابة والوزارة أيضا ، فلما مات الملك الناصر أعاد الأمير قوصون دار النيابة عنده استقراره فى نيابة السلطنة ، ولكنه لم يجلس فيها بسبب القبض عليه . وأول من جلس بها بعد تجديدها هو الأمير شمس الدين آق سنقر نائب

إلى ذلك ، فاستقر من يومه في النيابة ، ونصرف في أمور المملكة ، والسلطان آله في السلطنة ، فقال في ذلك بعض شعراء العصر :

سلطاننا اليوم طفلٌ والأكابُرُ في * خلفٌ وبينهم الشيطان قد زَغَا
فكيف يَطْمَعُ مَنْ تُشْبِهُ مَظْلَمَةٌ * أن يبلغ السُّوْلُ والسلطانُ ما بلغَا

ثم آتفت الأمراء على إخراج الأمير الطنبغا المارداني من الحبس فأخرج من يومه . وفي ليلة الأربعاء ثالث عشرين صفر أخرج الأمير قطلوبغا الحموي وطاجار الدوادار ومليكتمر الحجازي والشهابي شاذ المائر من حبس خزانة شمائل بالقاهرة ، وحملوا إلى نهر الإسكندرية فسجنوا بها . وتوجه الأمير بك الجندار على البريد إلى حلب لتحليف النائب طشتمر الساق المعروف بحمص أخضر والأمراء ، وتوجه الأمير بيقر إلى دمشق بمثل ذلك إلى نائبها الأمير الطنبغا الصالحى ، وتوجه الأمير جركتمر بن بهادر إلى طرابلس وحماة لتحليف نوابها والأمراء ، وكتب إلى الأعمال بإعفاء الجند عن المغارم . ثم ركب الأمير قوصون في يوم الخميس رابع عشرينه في دسّت النيابة ، وترجل له الأمراء ومشوا في خدمته ، وأخذ وأعطى وأنفق على

= السلطنة في أيام الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأول جلوسه في شبائها كان في يوم أول صفر سنة ٧٤٣ هـ وتوارثها القلوب بعده .

ولما تكلم القلقشندي في صبح الأعشى على الباب الثالث من أبواب القلعة وهو بابها الأعظم (ص ٣٧٤ ج ٢) قال : ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهي منها إلى دركاه جليلة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . وفي قبل هذه الدركاه تقع دار النيابة وهي التي يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان ثم نائب . وبالبحث تبين لى أن هذه الدار قد آندرت وأنها كانت واقعة في الحوش الداخلى للقلعة الذى به الآن تكاثت الجليش ، لأن باب القلعة وهو بابها الأعظم الذى كان يعرف بالباب المدرج لا يزال واقعا في الحائط الغربى للقسم البحرى من القلعة وهو القسم الذى به تكاثت الجليش ، وكان الباب المذكور يوصل مباشرة إلى الدركاه وإلى دار النيابة التى أقيم فى مكانها بعض هذه التكاث .

(١) كذا فى الأصلين . ورواية المنهل الصافى والسلوك وآبن إياس : « ... من مسته مظلة » .

الأمراء لكل أمير مائة ومقدم ألف : ألف دينار ، ولكل أمير طبلخاناه خمسمائة دينار ، ولكل أمير عشرة مائتي دينار ، ولكل مقدم حلقة خمسين ديناراً ، ولكل جندي خمسة عشر ديناراً .

ثم في يوم [السبت] ^(١) سادس عشر ينة سَمَر قَوْصُون وليّ الدولة أبا الفَرَج ابن خَطِيرِ صَهر النُّشُو ، وكان قد توصّل إلى الملك المنصور بسفارة أستاذه مَلِكْتَمُر الجهازي ، ووقع منه أمور حَقَّدها عليه قَوْصُون لوقتها ، ولَمَّا سَمَرُ أَشْهر على جمل بمصر والقاهرة وقد أَشعلت الشموع بالخوانيت والشوارع ودَقَّت الطبول وقرِح الناس بشهيرة فَرَحاً زائداً لأنّه كان مَن بَقِيَ من حواشي النُّشُو وأصهاره ، وفيه يقول الأديب جمال الدين إبراهيم المِهمَّار :

١٠ قد أخلف النُّشُو صَهرُ سُوٍ • قَبِيحُ فِعْلٍ كَمَا تَرَوْهُ
أراد للشرِّ فَتَحَ باب • فأغلقوه وسمُّوه

ولَمَّا كان يومُ الخميس مستهلَّ شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وأربعين وسبعائة أنعم قَوْصُون على أحد وعشرين مملوكاً من الممالك السلطانية بإمريّات : منهم ستة طبلخاناه والبقية عشرات . وفي رابع عشر شهر ربيع الأول توجه الأمير طَوْغان لإحضار الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك محتفظاً به لِيُنْفَى إلى أسوان ^(٢) . وسبب ذلك أنّه ورد كتاب مَلِكْتَمُر السَّرْجَوَانِي نائِب الكرك يتضمن أن أحمد المذكور خرج عن طَوْعه وكثُر شَقْفُهُ بشباب أهل الكرك وأنهما كه في معاقره الخمر ، وأنّه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكرّكين على قتله وطلب الإغفاء

(١) زيادة عن السلوك يقتضيا السياق .

(٢) توفي سنة ٧٤٩ هـ عن الدرر الكامنة . (٣) أسوان : مدينة مصرية وهي قاطعة

مديرية أسوان بصعيد مصر . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

من نيابة الكرك . ثم في يوم السبت سابع عشر شهر ربيع الأول المذكور خلّع على
الأمير طُغْزُذُمُرُ الحمويّ نائب السلطنة بديار مصر نيابة حمّة عوضاً عن الملك الأفضل
ابن الملك المؤيد الأيوبي ، وأنعم على الملك الأفضل بتقدمة ألف بدمشق ، وأنعم على
الأمير آقْبغا عبد الواحد بإمرة يدمشق ، ورسم لفسره [إليها]^(١) . وفي يوم الخميس
ثاني عشرينه جلس السلطان الملك الأشرف يُحْكَمُ على تخت الملك وخلّع على جميع
الأمراء وأرباب الدولة بدار العدل . وقيل للأمراء الأرض بين يديه ثم تقدّموا
إليه على قدر مراتبهم وقبلوا يده فكان عِدَّةُ الخلع في هذا اليوم ألفاً ومائتي خلع .
ثم في تاسع عشرينه وردّ كتاب الشهابيّ أحمد ابن الملك الناصر محمد من الكرك بأنه
لا يحضر إلى القاهرة حتى يأتيه أكابر الأمراء إلى الكرك ويُخَلِّفَهُمْ ، ثم يحضر إخوته من
بلاد الصعيد إلى قلعة الكرك ، ويحضر بعد ذلك ، وينتصب سلطاناً فأجيب بأنه
لم يُطلب إلا لشكوى النائب منه ، وجُهِزَتْ له هدية سنّية ، وأنه يحضر حتى تُعمل
المصلحة ، فلم يكن بعد أيام إلا وحضر الأمير مَلِكْتُمُرُ السَّرْجَوَانِيّ نائب الكرك
إلى القاهرة في يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر ، وأخبر الأمير قَوْصُون وغيره
بامتناع الشهابيّ أحمد من الحضور ، وأنه أقام على الخلاف ، فأجتمع الأمراء
بالقصر في يوم الجمعة خامس عشره للشّورة في أمر أحمد المذكور ، حتى تقرّر الأمر
على تجريد العساكر لأخذه .

ثم في يوم السبت سادس عشره ابتدأت الفتنة بين الأمير قَوْصُون وبين
المالِك السلطانية ، وذلك أنّ قَوْصُون أرسل يطلب من مقدّم المالِك مملوكاً

(١) في الأصلين « تاسع عشر » . وما أثبتناه عن السلوك والتوقيعات الإلهامية وما يقتضيه

السياق .

(٢) زيادة عن السلوك .

- من طبقة الزمرذية^(١) جميل الصورة ، فتمه خُشداشيتُه أن يخرج من عندهم ، فتلطّف بهم المقدّم حتّى أخذه ومضى به إلى قَوْصُون فبات عنده ، ثم طَلَب من الغد نحو أربعة ممالك أنحرأو خمسة ، منهم شَيْخُون وصرغتمش وأَيْتَمَش عبد الغنى ، فامتنع خُشداشيتُهم من ذلك ، وقام منهم نحو المائة مملوك ، وقالوا : نحن ممالك السلطان ، ما نحن ممالك قَوْصُون ، وأخرجوا الطواشي المقدّم من عندهم على أقيح وجه ، فمضى المقدّم إلى قَوْصُون وعرفه الحال ، فأخرج إليهم قَوْصُون الأمير بَرَسْبغا الحاجب وشاويرشي دَواداره في عدّة من ممالكه ليأتوه بهم ، فإذا بالممالك قد تعصّبوا مع كبارهم ونخرجوا على حِمِيّة يريدون الأمير بيترس الأحمدي ، فإذا به راكب ، فمضوا إلى بيت الأمير جَنْكَلِي بن البابا فلقوه في طريقهم ؛ فقالوا له : نحن ممالك السلطان مُشْتَرَى ماله ، فكيف تترك ابنَ أستاذنا ونخدم غيره ، مَنْ هو مملوك مثلنا فينال غرضه منا ويفضّحننا بين الناس وجهروا له بالكلام الفاحش ، فتلطّف بهم جَنْكَلِي فلم يرجعوا عما هم عليه فخرق منهم ، وقال : أتم الظالمون بالأمس ولما خرجتم قلت لكم : طُقُزْدُمَر نائب السلطنة : إرجعوا إلى خدمة
- ١٠

(١) في الأصلين : « الزمردارية » . وما أثبتناه عن السلوك للقرنزي . وورد في خطه في الكلام على

١٥ الطباقي بساحة الإيوان (ص ٢١٤ ج ٢) : « وأفرد جنس الخطا والقبحا وأزلم بقاعة عرفت بالذهبية والزمرذية وجعل منهم جمدارية وسقاة وسماهم خاصكية » .

(٢) كذا ورد في الأصلين . وفي غالب كتب التراجم والتاريخ وردت بنون وبغيزنون .

(٣) يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على خط درب ابن البابا (ص ١٣٤ ج ٢)

٢٠ أن هذا الخط كان واقفا في المنطقة التي يحدها من بحري شارع نور الظلام وما في امتداده غربا إلى مستشفى النساء بأرض الحوض المرصود ، ومن الغرب عطفة حمام بابا ، ومن الجنوب حارة نجم الدين وما في امتدادها شرقا إلى حارة بنت المعمار ، ومن الشرق شارع الأتني بالقاهرة . وبما أنه لا يزال يوجد من آثار الأمير جَنْكَلِي بن البابا حمامه المحفوظ باسمه إلى اليوم بمطقة حمام بابا السابق ذكرها فيكون موقعه في المنطقة المذكورة ، لأنه مجاور للحمام ، وقد أندثر ودخل في الدور بتلك الجهة .

[أَبْن] أستاذكم قلم : ما لنا أَبْنُ أستاذ غير قَوْصُون، والآن تشكوا منه ! فأعذر واليه
ومضوا به ؛ وقد حضر الأحمدي فأجتمعوا به ؛ وتوجهوا إلى منكلى بَغَا الفخرى
فإذا قد وافاه برسُغا من عند قَوْصُون، فأرادوا أن يوقعوا به فكفَّهم الفخرى عنه ،
هذا وقوصون قد بلغه خبرهم ، فأراد أن يخرج ويجمع الأمراء فما زال به مَنْ عنده
حتى سكن إلى بُكرة النهار ، فكانت تلك الليلة ليلة مَهُولَة .

ثم طلب الأمير قوصون جَنكلى والأحمدي والفخرى وبقية الأمراء إليه ،
وأغراهم بالممالك السلطانية وخوفهم عاقبة أمرهم من استخفافهم بالأمراء ،
فبعثوا بالأمير مسعود الحاجب إليهم ليحضرهم فإذا جمعهم قد كُتِفَ وكَثُرَ ، فلم
يلتفتوا إليه فعاد فخرج إليهم الطَّبَّعُ المارداني وقُطْلُو بَغَا الفخرى وهما أكبر
الأمراء الخاصيكة من خُشْدَاشِيَّتِهِمْ ، وما زال بهم حتى أخذَا مَنْ وقع عليه الطلب ،
ودخلوا بهم إلى قَوْصُون ، فقبلوا يده فقام لهم وقبل رأسهم وطيب خواطرهم
ووعدهم بكل خير وأنصرفوا ، وفي ذهن قوصون أنه قد حصل الصلح ، وذلك
في يوم السبت . فلما كان [ليلة ^(٢) الاثنين] وقت الغروب تحالف الممالك
الناصرية على قتل قوصون وبعثوا إلى مَنْ بالقاهرة منهم ، فبات قوصون
— وقد بلغه ذلك — على حذر ، وركب يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر
الموكب مع الأمراء تحت القلعة ، وطلب أَيْدُ غُشْمَش أمير آخور ، وأخذ قوصون يلوم
الأمراء في إقامته في نيابة السلطنة ، وهم يترضوه ويعيدوه بالقيام معه ، فأدركه
الأمير بَيْرَسُ الأحمدي وأعلمه بأن الممالك السلطانية قد اتفقوا على قتله ، فغضب
بهم (أعنى الأمراء) إلى جهة قُبَّة النصر فأرتجت القلعة وقفلت أبوابها ، ولبست

(١) زيادة يقتضها السياق

(٢) زيادة عن السلوك .

الممالك السلطانية السلاح بالقلعة وكسرو الزردخانة السلطانية، هذا وقد امتلأت
الرميلة بالعامة، وصاحوا يا ناصرية ! نحن معكم، فأجابوهم من القلعة. فاشاروا لهم
بالتوجه إلى بيت قوصون فتوجهوا نحوه وكسروا بابه وهجموا عليه، وكسروا من كان
يرمي عليهم من أعلى البيت، وبلغ ذلك قوصون، فعاد بمن كان معه، وأوقعوا بالعامة

- (١) يستفاد مما ذكره القلقشندي في صبح الأعشى على وظيفة إمرة جاندار (ص ٢٠ ج ٤)، وما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على أمير جاندار (ص ٢٢٢ ج ٢) أن صاحب هذه الوظيفة علاوة على وظائفه الأصلية كان هو أيضا التسلم للزدخانة، وكانت أرفع الاعتقالات والسجون ندرا، ومن احتل أو سجن بها لا تطول مدته بها بل يقتل أو يخل سبيله .
- ومن هذا الوصف يتبين أن الزردخانة كانت مكانا يتمثل فيه من يأمر السلطان باعتقالهم، ولكن يفهم من عبارة المؤلف ووصفه للزدخانة السلطانية أنها لم تكن في وقت معتقلا بل كانت تزانن السلاح، يؤيد ذلك أن القلقشندي لما تكلم على السلاح خاناه (ص ١١ ج ٤) قال : ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزردخانة ومعناها بيت الزرد، وتشتمل على أنواع السلاح من السيوف والفضى والفتاب والرماح والدروع المنخدة من الزرد الماتع وغيرها من سائر أنواع السلاح . قال : وفي هذه السلاح خاناه من الصنائع المقيم بها لإصلاح العدد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ويسمى صانع ذلك بالزردكاش وهي لفظة بحجية معناها صانع الزرد وهذا ما يفصده المؤلف .
- ويستفاد مما ذكره ابن إياس في مناسبات متنوعة أشار فيها إلى الزردخانة في الصفحات رقم ١٤٣ ، ٢٥٥ ، ٣٨٣ ، ٤٧٥ من الجزء الرابع من كتاب بدائع الزهور أن باب الزردخانة كان واقعا في الحوش السلطاني السابق التعليق عليه في الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
- وبالبحث عن مكان الزردخانة في الحوش الذي فيه الآن قاعة العدل الضرب بخانة القديمة تبين لي أن الزردخانة مكانها اليوم مجموعة المباني القديمة التي خرب بعضها الواقعة بين الحوش من قبل وبين جامع الناصر محمد بن قلاوون من بحري ، وفيها ساقية قديمة ، ويحدها من الشرق الطريق الموصلة من الحوش إلى بئر يوسف ، ومن الغرب الطريق الموصلة من الحوش إلى جامع الناصر ومحمد علي بالقلعة بالقاهرة .
- (٢) كانت من الميادين الواسعة تحت قلعة الجبل بالقاهرة، وتعرف الآن بالمنشبة وبها ميدان صلاح الدين . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
- (٣) هو بذاته إصطبل قوصون السابق التعليق عليه . راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

حتى وصلوا إلى سور القلعة فرماهم الممالك من أعلى القلعة بالنشاب وأحوا العامة ،
فُقتل في المعركة الأمير محمود صهر الأمير جَنْكَلِي بن البابا بسهم نُشاب من القلعة ،
وقُتل معه آخر ، ووصلوا حاشية قَوْصُون إلى إسْطَبِل قَوْصُون ، فقد بدأ النهب فيه ،
فقتلوا من العامة جماعة كثيرة وقبضوا على جماعة ، فلم تَطُق الممالك السلطانية مقاومة
الأمراء فكفوا عن القتال وفتحوا باب القلعة لهم ، فطلع إليهم الأمير رَسْبُغا الحاجب
وأُنزل ثمانية من أعيان الممالك السلطانية إلى قَوْصُون . وقد وقف قَوْصُون بجانب
زاوية تقي^(٢) الدين رجب تحت القلعة ، فَوَسَط قَوْصُون منهم واحداً أسمه صربغا ،
فإنه الذي فتح خزانة السلاح وألبس الممالك ، وأمر به قَوْصُون فعلق على باب زويلة ،
وأراد أن يُوسِّط البقية فشفع فيهم الأمراء ، فحُيسوا بخزانة شمائل مقيدين . ثم رسم

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) هذه الزاوية
ذكرها المقرئ في خطه بأسم زاوية تقي الدين (ص ٤٣٢ ج ٢) فقال : إنها تحت قلعة الجبل . أنشأها
الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة ٧٢٠ هـ لسكنى الشيخ تقي الدين رجب بن أشيرك العجمي ، وكان
وجيهاً محترماً عند أمراء الدولة ، ولم يزل مقياً فيها إلى أن مات بها يوم ٨ رجب سنة ٧١٤ هـ ، وما زالت منزلاً
للقراء العجم إلى وقتنا هذا .

وأقول : إنه من زيارتي لهذه الزاوية وقراءتي لما فيها من الكتابات التي في اللوحات الرخام المثبتة
في حوائطها تبين لي أن الذي أنشأها هو الملك المنصور حسام الدين لاشين للشيخ تقي الدين رجب العجمي
في شهر صفر سنة ٦٩٧ هـ وأن الملك الناصر محمد بن قلاوون وسع مصل الزاوية وذلك في سنة ٧٢٦ هـ .

وأن الملك الظاهر أبا سعيد جقمق جدها في سنة ٨٤٧ هـ . ثم تبين لي أيضاً أن تقي الدين المذكور
مات في سنة ٧٢٤ هـ كما ورد في ترجمته في الدرر الكامنة لأبن حجر وفي السلوك للمقرئ وليس في سنة ٧١٤ هـ كما
ورد في الخطط المقرئية . وهذه الزاوية لا تزال موجودة إلى اليوم ، وقد تجد بداً أغلب مبانيها وهي عامرة الشعائر
الدينية بدرب اللبابة المتفرغ من سكة المحجر تحت القلعة بالقاهرة ، وتعرف هذه الزاوية بكنية العجمي أو تكية
تقي الدين البساطي نسبة إلى الشيخ محمد البساطي أحد مشايخها السابقين ، المتوفي في رمضان سنة ٩٠٥ هـ .
وقد اختلف المؤرخون في والد تقي الدين رجب هذا ، ففي الخطط المقرئية : « رجب بن أشيرك .
وفي الدرر الكامنة : « رجب بن أشيرك » . وفي هامش الدرر : « رجب بن أميرك » .

قوصون بتسمير عدة من العوام فسمّر منهم تسعة على باب زويلة^(١)، ثم أمر بالركوب على العائمة وقبضهم ففروا حتى إنهم لم يقدرُوا منهم على حرقوش واحد، ثم طلع قوصون إلى القلعة قريب مصر، ومدّ للأمراء سباطاً فأكلوا وبقيت الأطلاب والأجناد واقفة تحت القلعة إلى آخر النهار، فكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة، وكان جملة من قُتل فيه من الفتيين ثمانية وخمسين رجلاً وأنصرف الناس .

- ثم في ليلة الثلاثاء طلع الأمير برسباً الحاجب إلى طباق الممالك بالقلعة ومعه عدة من الممالك وقبضوا على مائة مملوك منهم وعملوا في الحديد وحبسوا بخزانة شمائل، ففهم من قُتل ومنهم من نُفي من مصر . ثم في يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر سمّر قوصون تسعة من العوام . ثم في يوم الأربعاء عشرينه سمّر قوصون أيضاً ثلاثة من الطواشيّة في عدة من الحرايش على باب زويلة ، وسحب ذلك أن قوصون لما نزل من القلعة ومضى إلى قبة النصر وقابله الممالك السلطانية أخذت الطواشيّة في الصباح على نسائه وأغشوا في سبّهن ، واستمر الطواشيّة في التسمير حتى مات أحدهم وشفع في الاثنين . ثم عرض قوصون ممالك الأطباق ، وأنهم على مائتين منهم بإقطاعات كبيرة ، وعين جماعة منهم بإمرات . ثم أكثر قوصون من الإحسان إليهم وبينما قوصون في ذلك قدّم عليه كُتب نائب الشام وأمراء الشام .
- وفيها كتب أحمد ابن السلطان الملك الناصر لهم محتومة لم تُفك ففتحها قوصون فإذا فيها لنائب الشام أنه كاتب لنائب حلب الأمير طشتمر الساق حمص أخضر وغيره

(١) الحرفوش من الناس : السافل .

(٢) الأطلاب : هم الحرس الخاص لأمراء الممالك، يحملون سلاحاً كالأجناد وهم الجند .

(٣) الطباق هي مساكن الممالك بالقلعة . راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من الجزء التاسع من هذه

وأنهم اتفقوا معه وأكثر من الشكوى من قوصون، فأوقف قوصون الأمراء عليها وما زال بهم حتى وافقوه على تجميد المسكر إلى الكرك .

وفي هذه الأيام ظهرت الممالك التي كانت الفتنة بسببهم عند خُشدًا شيتهم ، فسلم صرغتمش إلى الأمير أَلْطُنْبَا المارداني ، وسلم أَيْمُش إلى الأمير أَيْدُغُمُش أمير آخور ، وسلم شِيخُون إلى الأمير أَرْنُوبَا السَّلاح دَر ، وهؤلاء الأمراء الثلاثة ناصرية .

ثم أُشيع بالقاهرة أن أحمد ابن الملك الناصر قد تحرك من الكرك في طلب الجيء إلى الديار المصرية ، فكثُر الاضطراب ووقع الشروع في تجهيز المسكر محبة الأمير قُطْلُوبُغا الفخرى ، واستحلفه قوصون ، وبعث إليه بعشرة آلاف دينار ، وعين معه أيضا الأمير قَارِي أخا بكنمر اساق ومعهما أربعة وعشرون اميرا ، ما بين طلبلخانات وعشرات ، وأنفق على الجميع . ثم بعث قوصون إلى قُطْلُوبُغا الفخرى بخمسة آلاف دينار أخرى عند سفره وركب لوداعه محبة الأمراء ، حتى نزل بالريذانية^(١) في يوم الثلاثاء خامس عشرين ربيع الآخر ، وكل ذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة .

هذا والأمراء لم يكن منهم أحد راضيا بسفر هذه التجريدة ، بل أشار الأمير الحاج آل ملك والأمير جَنْكِي بن البابا على قوصون بأنه لا يُحرك ساكنا فلم يقبل قوصون ، وكانا أشارا عليه بأنه يكتب إلى أحمد بن الناصر يعتبه على مكاتبته لثائب الشام وغيره ، فكتب إليه بذلك فأجاب بأن طوغان أسمعه كلاما فاحشا وأغلظ عليه في القول فحمله الحق على مكتبة نائب الشام ، وأن قوصون والده بعد والده ونحو ذلك ، فلم يقنع قوصون ذلك ، وجهز المسكر لأخذه ، وبعد خروج المسكر ركب الأمير قوصون في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأولى إلى مِريّا قوس وصحبته الأمراء على عادتهم [توجه

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من هذا الجزء .

(٢) كذا في الأصلين والسلوك . والسياق يقتضى أن يكون : « في يوم الاثنين ... الخ » .

(١) السلطان ثم عاد]. وبعد مدة يسيره ظهر للأمير قوصون مخالفة الأمير طشتمر الساق نائب حلب المعروف بمحمص أخضر، وسبب مخالفته أنه شق عليه إخراج أولاد أستاذه الملك الناصر إلى الصعيد، وأيضاً تجهيز العساكر لقتال أحمد ابن الملك الناصر بالكرّك، وكان قد بعث إليه أيضاً أحمد ابن الملك الناصر يشكو من قوصون، وأنه يريد القبض عليه ويطلب منه النصرة عليه، فكتب طشتمر إلى أمراء الديار المصرية وإلى قوصون بالتّسب، فقبض على قاصده بقطياً^(٢) ومُجِن، وكتب قوصون إلى الأمير الطُّنبغا الصالحى نائب الشام بأن الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب شرع يتكلم في إقامة الفتنة وأنه لا يُصْنِى إلى قوله، وبعث إليه بأشياء كثيرة من الهدايا والتحف فأجاب الطُّنبغا نائب الشام بالسمع والطاعة والشكر والثناء.

ولما تم لقوصون ذلك وقع بينه وبين الأمير أيدغمش أمير آخور، وكادت الفتنة تقوم بينهما وأغلظ أيدغمش لقوصون في الكلام، وسببه أن بعض مماليك أمير على بن أيدغمش وثى إليه بأن قوصون قرر مع برسبغا الحاجب أن يبيت بالقاهرة ويركب في عدة من مماليك قوصون ويكبس على أيدغمش، فأخذ أيدغمش في الاحتراز، وأمتنع من طلوع القلعة أياماً بحجة أنه متوَعك، وكان ذلك بعد أن تصالحا بعد تفاوضهما بمدة يسيرة، وصار أيدغمش إذا سیر قوصون النائب بالرميلة^(٣)

(١) العبارة المحصورة ما بين المربعين [غير ظاهرة المعنى في حين أنها لم ترد في السلوك للقرينى

(٢) قطيا : بلدة مصرية كانت في الطريق ما بين مصر والعريش ، وقد أُنْذِرَتْ . راجع الحاشية رقم ٢

ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هي التي سبق التطبيق عليها في الحاشية رقم ١ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وأضيف إلى ما سبق ذكره أن الرملة المذكورة كانت قبل التنظيم الحالي وقيل تسميتها ميدان صلاح الدين مقسمة إلى ثلاث شياطين : الأولى الرملة ، وكانت تطلق على القضاء الذى يقع اليوم بين جامع السلطان حسن وجامع اليهودية والقلعة وسين مركز بوليس قس الخليفة ، وهذه المنطقة هي بذاتها التي كانت تعرف قديماً

في أيام الموابك يُغلق أيدغمش باب الإسطبل السلطاني ، و يوقف طائفة من الأوجاقية عليه ، فاشتهر الخبريين الناس وكثرت القالة ، وبلغ قوصون تغير خاطر أيدغمش عليه ، خلف للأمراء أنه ما يعرف لتغيره سببا ، فزالَت الأمراء بأيدغمش حتى طلع القلعة ، وعرف قوصون بحضرة الأمراء ما بلغه ، خلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ، ولا عنده منه خبر وتصالحا . وبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإسطبل الناقل إليه فردّه قوصون إليه ولم يعاقبه .

ثم قَدِم الخبِر ب وفاة الأمير بَشْتَك الناصريّ المقدم ذكره بتجيسه بغير الإسكندرية ، فأَتَهم قوصون بقتله ، وكان الأمير قوصون قد أنشأ قاعة جلوسه مع الأمراء من داخل باب القلعة^(١) ، وفتح فيها شباكا يُطلُّ على الدركاء ، وجلس فيه مع الأمراء ، ومدَّ سِماطاً بالقاعة المذكورة وزاد في سِماطه من الحلوى والدجاج والإوز ونحو ذلك ، وأكثر من الخلع والإعامات ، وصار يجلس مع الأمراء بالقاعة المذكورة ، فلما قَدِم الخبِر بموت بَشْتَك تغير خاطر جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم لموته ، فما زال بهم قوصون حتى صالحهم وحلّف لهم .

ثم قَدِم الخبِر من عبد المؤمن وإلى قوص بآن الملك المنصور أبا بكر وجَد في نفسه تغيراً ، وفي جسده نوعاً لزم الفراش منه أياما ومات ، وأَتَهم قوصون أيضا بأنه أمر عبد المؤمن بقتله ، فتغير لذلك خاطر الأمراء والمسالِك الناصرية قاطبة وهم يوم ذاك عساكر الإسلام ومن سواهم فقليل .

== بسوق الخيل . والمنطقة الثانية قراميدان أي الميدان الأسود ، وهي الواقعة قبل الأول لغاية بحن مصر ، وهاتان المنطقتان تدخلان الآن في ميداني محمد علي وصلاح الدين تحت القلعة . وأما المنطقة الثالثة فكانت تعرف باسم تحت السور ، ومكانها اليوم ميدان السيدة عائشة وكانت تسمى تحت السور ، لأنها تقع خلف السور الذي يفصل بين هذا الميدان وبين قراميدان ، ولا يزال السور المذكور قائما في ظهر مجموعة المساكن المطلة على ميدان السيدة عائشة من الجهة الشرقية بقسم الخليفة بالقاهرة .

(١) في الأصلين : « من داخل باب القلعة » . وما أثبتناه عن السلوك .

ثم قَدِمَ الخبر على قوصون بنزول العسكر الذي صحبة الأمير قُطْلُوْبغا الفخرى على مدينة الكرك وقد أمتنعت منه وأستعد أهلها للقتال، وكان الوقت شتاءً فأقام العسكر نحو عشرين يوماً في شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب، وتسلب أهل الكرك عليهم بالسب واللعن والتوبيخ وشنوا الغارات عليهم وصاروا يقطعون قَرَبَهُمْ وَرَوَايَاهُمْ؛ هذا وقوصون يد الفخرى بالأموال ويحضره على لزوم الحصار .

ثم قَدِمَ الخبر من دِمَشق بأن تَمَّرَ الموسوى قَدِمَ من حلب وأستمال جماعة من الأمراء إلى طَشْتَمُر الساقى حَصَّ أخضر نائب حلب، فكتب قوصون بالقبض عليه . ثم حمل قوصون تشريفاً إلى نائب حلب المذكور فلم يرَضَ نائب حلب بالتشريف وردّه، وكتب إلى قوصون يَعْثِبُهُ على إخراج أولاد أستاذه إلى الصعيد، فأجابهُ قوصون بأعذار غير مقبولة .

ثم قَدِمَ الخبر على قوصون أيضاً من شَطَى أمير العرب بأن قُطْلُوْبغا الفخرى قد خامر على قوصون، وحلف لأحمد بن الناصر هو ومن معه من الأمراء وأنهم أقاموا أحمد سلطاناً ولقبوه بالملك الناصر؛ وذلك بمكاتبة الأمير طَشْتَمُر الساقى نائب حلب له يَعْثِبُهُ على موافقة قوصون وقد فعل بأولاد أستاذه ما فعل، ويعزم عليه أنه يدخل في طاعة أحمد، ويقوم بنصرته، فصادف ذلك من الفخرى حَجَرَهُ من الإقامة على حصار الكرك وشدة البرد وعظم الغلاء، فجمع من معه وكتب إلى أحمد يخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه، وكتب لنائب حلب بذلك فأعاد جوابه بالشكر، وأعلمه بأن الأمير طَشْتَمُر نائب حماة وأمراء دِمَشق قد وافقوه على القيام بنصرة أحمد . وكان الأمير الطنبغا الصالحى نائب الشام قد أحس بشئ من هذا فأحترس على الطرقات، حتى ظَفِرَ بقاصد طَشْتَمُر نائب حلب على طريق بعلبك ومعه كتب فأخذها منه، وبعث بها إلى قوصون، فقَدِمَت ثانياً يوم ورود كتاب شَطَى بخبارة

- الفخرى ، فإذا فيها : «الملكى الناصرى» فأضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرفهم
 بما وقع وأوقفهم على الكتب ، وذكر لهم أنه وصل منه إلى قُطْلُوْبُغا الفخرى في هذه السفرة
 مبلغ أربعين ألف دينار سوى الخيل والقماش والتحف . ورسم بإيقاع الحوطة على
 دور الأمراء المجردين مع الفخرى إلى الكرك ، فما زال به الأمراء حتى كف عن ذلك .
 ٥ وأزم مباشرهم بحمل ما وصل إليهم وجميع حواصلهم ، وصار قوصون في أمر مريح
 مما بلغه ، وكتب إلى الأمير أَلْطُنْبُغا الصالحى نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر الساقى
 حمص أخضر نائب حلب ، ومعه نائب حمص ونائب صفد ونائب طرابلس ، وكتب إليهم
 قوصون بالسمع والطاعة إلى طاعة نائب الشام ، وحمل إليهم التفقات ، فلما بلغ أَلْطُنْبُغا
 الصالحى نائب الشام ذلك تجهز وخرج من دمشق بعساكرها في جمادى الآخرة فتلقاه الأمير
 أَرْقُطَاى نائب طرابلس على حمص وصار من جملة عساكره ، وأخبره بكتاب نائب
 ١٠ حاب إليه يدعوه لموافقته وأنه أبى عليه . ثم بعث أَلْطُنْبُغا نائب الشام إلى الأمير
 طُغْرُذَمَرْ نائب حماة من استماله وحلفه على طاعة الملك الأشرف طُحْك . ولما بلغ
 طشتمر حمص أخضر بجىء أَلْطُنْبُغا نائب الشام إليه أرسل استدعى ابن دُلْغادر فقدم
 عليه فاتفق معه على المسير إلى أَلْبُلُستين ، وسار به ومعه ما خف من أمواله وأخذ أولاده
 ومالكيه فأدركه عسكر حلب ، وقد وصل إليهم كتاب نائب الشام بالاحتراس عليه
 ١٥ ومنعه من الخروج من حلب ، فقاتلوه عدة وجوه فلم ينالوا منه غرضاً ، وقُتِل من
 الفريقين خمسة نفر وعادوا وأكثرهم جرحى . فلما وصل طشتمر إلى أَلْبُلُستين كتب
 إلى أَرْتَا يستأذنه في العبور إلى الروم فبعث إليه أرتا بقاضيه وعدة من أزمائه ، وجهز له
 الإقامات ، فمضى طشتمر إلى قيصرية ، وقد توجه أرتا لمحاربة ابن دِمِرْدَاش بعد
 ٢٠ أن رتب لطشتمر كل يوم ألفى درهم .

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

- وأما الطنبغا الصالحى نائب الشام فإنه قَدِمَ إلى حلب وكتب إلى قوصون يعلمه بتسحب طشتمر نائب حلب إلى جهة الروم، وأنه آستولى على مدينة حلب، فقَدِمَ كتابه على قوصون في يوم الأربعاء ثانى شهر رجب . ثم في يوم الاثنين سابع رجب فزق الأمير قوصون إقطاعات الأمراء المجردين مع قُطْلُوْبغا الفخرى الخارجين عن طاعة قوصون؛ وعدَّتهم آثنان وثلاثون أميراً، منهم أمراء طبلخانات ستة عشر، وأمراء عشرات ستة عشر، وأميران مقدمان : الفخرى وقمارى .
- ثم في يوم الثلاثاء تاسع عشرين رجب قَدِمَ الأمير الشيخ على بن دلتجى القازانى أحد أمراء العشرات المجردين، وأخبر بمسير قطلوبغا الفخرى من الكرك إلى دمشق، وأنه يريد موافقته مع الطنبغا الصالحى نائب الشام، وكان من خبره أن الأمير الطنبغا لما دخل حلب أخذ موجود طشتمر حصص أخضر وباعه ، وبينما هو في ذلك بلغه دخول قطلوبغا الفخرى بمن معه إلى دمشق، وأنه دعا للناصر أحمد، وقد وافقه آق سُنْقُرُ السلاوى نائب غزة وأصله نائب صفد ومن تأخر من أمراء دمشق بها، مثل سَنَجَر الجُمُقْدَار ومُمر الساقى وأن آق سُنْقُرُ نائب غزة وقف لحفظ الطرقات حتى لا يصل أحد من مصر إلى الطنبغا الصالحى، وأن قطلوبغا أخذ في تحصيل الأموال من دمشق للنفقة على الأمراء والجند، وأن الأمير طُقَزْدُمُر نائب حماة قَدِمَ عليه في غد دخوله، وركب الفخرى وتلقاه وقوى بهم وأستخدم جندا كثيرة ونادى بدمشق من أراد الإقطاع والنفقة فليحضر، وأخذ مالا كثيرا من التجار، وأكَّره قاضى القضاة تقي الدين بن السبكى حتى أخذ مال الأيتام وأخذ أجر الأملاك والأوقاف لثلاث سنين بجمع مالا عظيما، وأنه جماعات من الأجناد والتركمان، وكتب أوراقا من ديوان الجيش بأسماء الأجناد البطالين، وأنهم على البطالين بالخيال والتماش والسلاح، وحلف الجميع للسلطان الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن

فلاوون، وعَمِلَ برسمه العصائب السلطانية والسناجق الخليفية والكتائب والسرورج والغاشية والقبة والطير وسائر أبهة السلطنة، وكتب إلى الملك الناصر أحمد يعزفه بذلك فأجابه الناصر بالشكر والثناء، فلما سمع قوصون ذلك جمع الأمراء للمشورة فاتفق الرأي على تجريد أمراء إلى غزاة فتوجه برُسُبا الحاجب وأمير محمود الحاجب وعلاء الدين على بن طُفَيريل في جماعة .

ثم كتب قوصون إلى الطنبغا نائب الشام على يد أطميش الكرّيمي بأن يسير من حلب إلى قتال الفخرى بدمشق، فتوجه أطميش الكرّيمي من البرية لاقطاع الطريق حتى وصل إلى حلب، وعرف الطنبغا الخبر، فخرج الطنبغا بمن معه من العساكر وسار حتى قدم حصص، وقد خرج الفخرى من دمشق ونزل على خان لاجين وأمسك المضيق، وأقام الجليّة والعشير على الجبلين ووقف هو بالعسكر في وسط الطريق .

وأما الطنبغا فإنه حلف من معه من العساكر وسار من حصص يريد الفخرى حتى قرب منه . وعدد الجمع نحو ثلاثة عشر ألف فارس، فتمهل الطنبغا كراهية لسفك الدماء، وأرسل إلى الفخرى رُسُلا، ودام على ذلك ثلاثة أيام فلم يتم بينهما أمر، وبعث فُطْلُوْبغا الفخرى إلى جماعة من أصحاب الطنبغا يَعهِدُهم^(١) [ويستميلهم^(٢)] حتى وافقوه . فلما تعبت الرسل بينهم ومات العسكر من شدة البرد بعث الطنبغا في الليل جماعة من أصحابه ليهاجموا على الفخرى من ورائه، ويلقاهم هو من قدامه، وركب من الغد، فقال كل أمير بمن معه من أصحابه إلى جهة الفخرى، وصاروا من جملة، فلم يبق معه سوى أرقطاي نائب طرابلس وأسبغا بن [بكتمر^(٣)] البوبكرى

(١) زيادة عن السلوك . (٢) في السلوك : « ولت العسكر من شدة البرد » .

(٣) التكملة عن الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة والمنهل العارف .

وَأَيْدَمُرَ الْمَرْقِيَّ مِنْ أَمْرَاءِ دِمَشْقَ فَأَنْهَزَمُوا عَلَى طَرِيقِ صَفْدَ إِلَى جِهَةِ غَزَّةَ ، وَالْقَوْمُ فِي آثَرِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَعَةٌ هَائِلَةٌ ؛ إِنْهَزَمَ فِيهَا الطُّنْبُغَا نَائِبُ الشَّامِ .

ثُمَّ أَلْتَفَتَ الْفَخْرِيُّ إِلَى جِهَةِ دِمَشْقَ وَتَرَكَ السَّيْرَ حَلْفَ الطُّنْبُغَا حَتَّى دَخَلَ دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا ، وَكَتَبَ فِي الْحَالِ مَعَ الْبَرِيدِ إِلَى الْأَمِيرِ طَشْتُمَرِ السَّاقِي حَمَصَ أَخْضَرَ نَائِبَ حَلَبَ يَعْرِفُهُ بَنْصَرَتُهُ وَيَدْعُوهُ إِلَى الْحَضُورِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ ، وَأَنَّهُ فِي أَنْتِظَارِهِ بِدِمَشْقَ . ثُمَّ حَلَفَ الْفَخْرِيُّ وَمَنْ مَعَهُ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ وَأَمَرَ الْخَطْبَاءَ فَدَعَا لَهُ عَلَى مَنَابِرِ دِمَشْقَ وَضَرَبَ السَّكَّةَ بِاسْمِهِ .

وَأَمَّا الطُّنْبُغَا الصَّالِحِيُّ نَائِبُ دِمَشْقَ فَإِنَّهُ وَصَلَ إِلَى غَزَّةَ بِمَنْ مَعَهُ فَتَلَقَّاهُمُ الْأَمِيرُ بَرْسُغًا الْحَاجِبَ وَرُفَقَتَهُ ، وَكَتَبَ الطُّنْبُغَا إِلَى قُوصُونَ بِمَا وَقَعَ فَلَبَّى بِلُغِ قُوصُونَ الْخَبِيرُ قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَقَبِضَ عَلَى أَحْمَدَ شَادَ الشَّرِيفِيَّانَاةَ وَعَلَى قَرَطَايَ أَسْتَاذِ الْفَخْرِيِّ .
ثُمَّ قَدِمَ عَلَى قُوصُونَ كَتَابُ الْفَخْرِيِّ يَعْتَبُهُ عَلَى إِخْرَاجِ أَوْلَادِ أَسْتَاذِهِ إِلَى قُوصَ وَقَتَلَ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ أَبِي بَكْرَ ، وَأَنَّ الْإِتْفَاقَ وَقَعَ عَلَى سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ ، وَيُسِيرُ عَلَيْهِ بِأَنْ يَخْتَارَ بِلْدًا يَقِيمُ بِهَا حَتَّى يَسْأَلَ لَهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ أَحْمَدَ فِي تَقْلِيدِهِ نِيَابَتَهَا ، فِقَامَ قُوصُونَ وَقَعْدًا سَمِعَ ذَلِكَ ، وَجَمَعَ الْأَمْرَاءَ فَوَقَعَ الْإِتْفَاقَ عَلَى تَجْهِيزِ التَّقَادِمِ لِلْأَمْرَاءِ بِغَزَّةَ ، بِفَهْزِ قُوصُونَ لِكُلِّ مِنَ الطُّنْبُغَا نَائِبِ الشَّامِ وَأَرْقَطَايَ نَائِبِ طَرَابُلُسَ ثَلَاثِينَ بَذْلَةً قِمَاشَ وَثَلَاثِينَ قَبَاءَ مُسَنَّجَةً بِطَرَاظَاتِ زَرْكَشَ وَمَائَتِي خُفٍّ وَمَائَتِي كَفِّتَاهُ وَكِسُوةَ لَجْمِيعَ مَمَالِيكِهِمَا وَغُلَامَانِهِمَا وَحَوَاشِيَهُمَا ، وَجَهَّزَ لِكُلِّ مِنَ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ مَعَهُمَا ثَلَاثَ بَذْلَاتٍ وَأَقْيِيَّةَ يَسْنَجَابَ وَكِسُوةَ لِمَمَالِيكِهِمْ وَحَوَاشِيَهُمْ ، وَأَخَذَ قُوصُونَ فِي الْإِنْعَامِ عَلَى الْمَمَالِيكِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَأَخْرَجَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنَ الذَّخِيرَةِ لِتَجْهِيزِ أَمْرِهِ ، حَتَّى

(١) فِي السُّلُوكِ : « وَقَبِضَ عَلَى إِخْوَةِ أَحْمَدَ شَادَ الشَّرِيفِيَّانَاةَ » .

يُخْرَجُ بالعساكر إلى الشام ، وأُخرج أربعمائة قُرْقُلٌ ^(١) وعدة زَرْدِيَّاتٍ وَخُوذٍ وغيرها .
 وأنعم على جماعة من المماليك السلطانية بإمريات ، وغير إقطاعات جماعة منهم .
 ثم كَتَبَ قوصون إلى الأمراء بمسيرهم من غَزَّة إلى جهة القاهرة ، وهياً لهم الإقامة
 والخيول ، وبعث إليهم بالحلاوات والفواكه وسائر ما يليق بهم .

وبينا قوصون في ذلك إذ ركب الأمراء عليه في ليلة الثلاثاء تاسع عشرين رجب
 وقت العشاء الآخرة ، وسبب ركو بهم عليه تنكر قلوب الأكاابر عليه لأمر بدت
 منه ، منها : قَتَلَ الأمير بَشْتَكُ الناصري بغير ذنب ، وهو أعزُّ خُشْدَاشِيَّةٍ ، ولم يَكْفِهِ
 ذلك حَتَّى قَتَلَ الملك المنصورَ أبا بكر وهو ابن أستاذه ، وكان يكفيه الخلع من الملك .
 ومنها قُوَّةُ الوحشة بينه وبين الأمير أَيْدُغْمُشَ الناصري أمير آخور وهو أكبر
 خُشْدَاشِيَّةٍ ، فأخذ أَيْدُغْمُشَ يدبر عليه . وغير خواطر جماعة كثيرة عليه ، إلى أن
 كان من انتصار قُطْلُوْبُغا الفخري على الطُنْبُغا الصالحى نائب الشام ، وكان قوصون
 قد احتفلَ لقدم الطُنْبُغا نائب الشام ومن معه احتفالا زائدا ، وفتح ذخيرة السلطان
 وأكثر من النفقات والإنعامات حتى بلغت إنعاماته على الأمراء والخاصية
 ستمائة ألف دينار ، فشاع بأنه يريد يتسلطن بخاف أيدغمش وغيره من تحككه في
 السلطنة ، وحرَّضَ الأمراء الخاصية حتى وافقه الأمير علاء الدين الطُنْبُغا المارداني
 والأمير يَلْبُغا اليَحْيَاوِي في عدة من المماليك السلطانية ، وجمع كثير من أكابر
 الأمراء ، منهم : الأمير الحاج آل ملك والأمير بدر الدين چَنكَلِي بن البابا وأنفقوا
 الجميع أنهم يسيروا جميعا إلى الكرك عند قدوم الطُنْبُغا نائب الشام وخرجهم
 إلى لقائه .

(١) راجع تفسير هذه الكلمة وما بعدها في ص ١٤٦ حاشية « ٣ » ، « ٤ » من الجزء التاسع من

هذه الطبعة .

فلما كان يوم الاثنين ركب الأمير قوصون في المركب تحت القلعة على العادة
 وطلب الأمير تلجك ابن أخته وأخرجه إلى لقاء الأمير الطنبغا الصالحى نائب الشام،
 وقد ورد الخبر بنزوله على بليس ليأتى به سرىعا، فوافاه ومن معه إلى بليس، فسأله
 في القدوم إلى القاهرة بسرعة، فلم يوافق على السرعة وقصد أن يكون حضوره
 في يوم الخميس أول شعبان، وبات ليلة الثلاثاء على بليس وركب من الغد ونزل
 سرياقوس، فبلغه ركوب الأمراء على قوصون، وأنه محصور بالقلعة، فركب بمن
 معه إلى بركة الحاج، وإذا بطلب قوصون وسدقه قد وافوه في نحو مائة مملوك،
 وأعلموه أن في نصف الليل ركب الأمراء واحتاطت بإسطبل قوصون، ثم حصروه
 في قلعة الجبل، فخرجوا هم على حية حتى وصلوا إليهم، هذا ما كان من أمر
 الطنبغا نائب الشام.

١٠

وأما أمر قوصون فإنه لما بعث تلجك لياتيه بالأمير الطنبغا نائب الشام سرىعا
 تحقق أيدهم وأصحابه أن قوصون فيهم عنهم ما دبروه فتواعد الأمير أيدهم
 مع من وافقه على أن يركبوا في الليل إلى الكرك، فجهز كل منهم حاله، حتى كان ثلث
 الليل فتح الأمراء باب السور من قلعة الجبل ونزلوا إلى الأمير أيدهم بالإسطبل

- (١) كذا في الأصلين والسلوك. ولكن السياق يقتضى أن تكون العبارة هكذا: « فلما كان يوم
 الثلاثاء... الخ ». (٢) كذا في الأصلين والسلوك. وفي الدرر الكامنة: «... وابن أخيه
 بلجك» بالباء الموحدة والجيم. وفي هامشها: « تلجك » بالناء المثناة والحاء المهملة.
 (٣) مديشة مصرية قديمة وهى قاعدة مركز بليس بمديرية الشرقية بمصر. راجع الحاشية رقم ٢
 ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٤) كذا في الأصلين والسلوك. والسياق يقتضى
 أن تكون العبارة هكذا: « وبات ليلة الأربعاء... الخ ».

٢٠

- (٥) قرية من ضواحي القاهرة بمصر. راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة
 (٦) في أحد الأصلين: « لياتيه بالخبر بالأمير الطنبغا... الخ ».

السلطاني، ثم مضى كل واحد إلى إسبطله فلم ينتصف الليل إلا وعامة الأمراء
بأطلائهم في سوق الخيل تحت القلعة، وهم: الأمير الطنبغا المارداني^(١) ويلبغا الحيوي^(٢)
وبهادر الدمر دأشي والحاج آل ملك والحاوي^(٣) وقماري الحسيني^(٤) أمير شكار وأرنبغا^(٥)
واق سبقر السلاري، وبعثوا إلى إسطبيلات الأمراء مثل جنككي بن [محمد بن] البابا
وسبزرز الأحمدي وطرغاي وقيانمر^(٦) والوزير وليست ممالكهم وأنحرجت أطلائهم،
ثم خرج إليهم الأمير أيدغمش بماليكه ومن عنده من الأوجاقية، ووقفوا جميعا
ينتظرون نزول قوْصون إليهم فأحس قوْصون بهم وقد آتبه فطلب الأمراء المقيمين
بالقلعة فأتاه منهم اثنا عشر أميرا، منهم جنككي بن البابا وقيانمر والوزير، وليست ممالك
قوْصون التي كانت عنده بالقلعة وسأله أن يتزل ويدرك إسبطله ويجمع بمن فيه
من ممالكه، وكانوا سبعائة مملوك، وكان قوْصون يعتز بهم ويقول: إيش أباي
بالأمراء وغيرهم، عندي سبعائة مملوك ألقى بهم كل من في الأرض، فلم يوافقهم
قوْصون على النزول لما سبق في القدام. وأقام قوْصون بالقلعة إلى أن طلع النهار، فلما
لم يظهر له حركة طمع أيدغمش فيه، وأمر الأوجاقية أن تطلع إلى الطليخاناه السلطانية^(٧)

(١) في السلوك: « الحسيني » . (٢) التكلة من الدرر الكامنة .

(٣) هو طرغاي بن عبد الله الناصري سيف الدين . توفي سنة ٧٤٣ هـ عن المنهل الصافي .

(٤) كذا في الأصلين . وفي السلوك: « قيانمر » بالباء الموحدة بعد القاف .

(٥) يستفاد مما ورد في كتابي صبح الأعشى والخطط المقرزية عن كلمة طليخاناه أنها وجهت إلى أربعة

أغراض: الأول وهو الأصل، أنها تطلق على دار الطيل . والثاني على الطبول وما يتبعها من الآلات . والثالث
على رجال الجوق أي الفرقة الذين يحملون الطبول . والرابع أنها كانت من أسماء الرتب التي تمنح للأمراء .

فأما الطليخاناه ومعناها دار الطيل فذكرها المقرزي في مخطوطه باسم الطليخاناه تحت القلعة (ص ٢١٣)

ج ٢) فقال: إن الطليخاناه الموجودة تحت القلعة فيما بين باب السلطة وباب المدرج كانت دار العدل
القديمة التي عمرها الملك الظاهر بيبرس في سنة ٥٦١ هـ ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٢٢ هـ
وبنى في مكانها الطليخاناه المذكورة .

وأخرج لهم الكوسات^(١)، فذقوا حربياً، ثم نادى أيدغمش: معاشر أجناد الحلقة وممالك
السلطان والأجناد [و] البطالين يحضروا، ومن ليس له فرس وليس له سلاح يحضر
ويأخذ له الفرس والسلاح ويركب معنا، ويقاقل قوصون، فأتاه جماعة كثيرة من
أجناد الحلقة والممالك ما بين لابس سلاح وراكب وبين ماشٍ وعلى حمار. وأقبلت
العامة كالجمراد المنتشر لها في نفوسهم من قوصون، فنادى لهم أيدغمش ياكسابة^(٢):
عليكم بإسطنبول قوصون إنيوه فأحاطوا به وممالك قوصون من أعلاه ترميمهم بالنشاب
حتى أتلفوا منهم عدة كثيرة، فركب ممالك يلبغا اليحياوى من أعلى بيت يلبغا^(٣).
والبيت المذكور هو الآن موضع مدرسة السلطان حسن. وكان بيت يلبغا يُشرف
على بيت قوصون، فلما طلعا ممالك يلبغا اليحياوى تسلطوا على ممالك قوصون

١٠ = وبالبحث تبين أن الطبلخانة السلطانية مكانها اليوم القاعات المجعولة الآن مخازن لمهمات الجيش
المصرى الواقعة على يسار الداخل من باب العزب وهو الباب الغربى لقلعة القاهرة، وكان يسمى قديماً باب
السلسلة أو باب الإصطبل.

ولما تكلم القلقشندي في صبح الأعشى على الطبلخانة (ص ٨ ج ٤): قال: وهي بطول: تسدهم بها أبواب
وزمات وكوسات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، وتذق كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب،
وتكون محبة الطلب في الأسفار والحروب.

١٥ وذكر القلقشندي (في ص ١٥ ج ٤) أن الطبلخانة هي الرتبة الثانية من رتب أرباب السيوف وتمنع
الأمراء الذين يكونون تحت قيادة الواحد منهم أربعون فارساً. قال: ومن أمراء الطبلخانة كذلك
أرباب الوظائف والكشاف بالأعمال (الأقاليم) وأكابر الولاة.

(١) الكوسات هي صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص.
ويقصد المؤلف من ذلك أن الكوسات دقت لجمع الممالك وإعلان الحرب بين الفريقين المتنازعين.
٢٠ راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.

(٢) الكسابة: الذين همهم في الحرب كسب الغنائم. (عن كثر مير).

(٣) هذا البيت هو بده قصر يلبغا اليحياوى الذى سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ١٢١

من الجزء التاسع من هذه الطبعة. ومدرسة السلطان حسن سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ١ ص ١٢٣
من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

ورموا عليهم بالنشاب مساعدة للعوام ، وخرجوا منهم جماعة كثيرة وحالوا بينهم وبين العامة ، فهجمت العامة عند ذلك إسطنبول وقوصون ونهبوا زردخاناته وخواصله وأمواله وكسروا باب قصره بالفئوس بعد مكابدة شديدة وطلعوا إلى القصر ونهبوا ما فيه ، وقوصون ينظر ذلك من شبك القلعة ويقول : يا مسلمين ! ما تحفظون هذا المال ، إما أن يكون لى أو يكون للسلطان ، فقال أيدغمش : هذا شكرانه للناس ، والذي عندك فوق من الجوهر والتحف يكفي السلطان . وصار قوصون كلما هم للركوب بماليكه كسروا عليه الخاصيكة وقالوا له : يا خوند غدا نركب ونقتل هؤلاء ، وصاروا يهونوا عليه أمر أيدغمش وأصحابه لباطن كان لهم مع أيدغمش ، حتى كان من أمره ما كان .

ولما هجمت العامة بيت قوصون خرجوا بماليكه منه على حية وشقوا القاهرة وتوجهوا إلى عند الأمير ألطنبغا الصالحى نائب السهم ، فبعث أيدغمش في أثرهم إلى ألطنبغا نائب الشام ومن معه بالسلام عليهم ، وأن يمنوا بماليك قوصون من الاختلاط بهم ، فإن الأمير يلبغا اليحياوى والأمير آق سقر قادمان فى جمع كبير لأخذ بماليك قوصون وخواصه . فأمر ألطنبغا نائب الشام بماليك قوصون وتلجك وبرسبغا الحاجب أن يكونوا على حدة ، وليسوا الجميع وأخذ الأمير برسبغا بماليك قوصون وجماعته إلى جهة الجبل ، فلقبهم الأمير يلبغا اليحياوى بمن معه على بُعد ، وكان ذلك بعد ما أمسك قوصون ، فسار خلفهم إلى قرب إطفيج . وقيل فى أمر بماليك قوصون غير ذلك على ما سذكزه بعد القبض على قوصون .

وأما قوصون فإنه بقى واقفاً بسباك القلعة والعامة نهب فى بيته فلم يميز إلا ساعات من النهار حتى نهب جميع ما فى إسطنبول ، وقوصون يضرب يداً على يد

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

ويقول: يا أمراء! هذا تصرف جيد، يُنهب هذا المال جميعه، وكان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون . ثم بعث قوصون إلى أيدغمش يقول . إن هذا المال عظيم وينفع المسلمين والسلطان، فكيف تفعل هذا وتنادى بنهبه؟ فردّ جوابه: نحن قصدنا أنت ولو راح هذا المال وأضعافه، هذا كله والقلة مغلقة الأبواب، وجماعة قوصون يرمون من الأشرية بالنشاب^(١) إلى أن قرب العصر، والعامة تجمع نسايبهم وتطيه لمن هو من جهة أيدغمش . فلما رأى قوصون أمره في إدبار سلم نفسه، ودخل عليه الأمير بلك الجمدار وملكتمر السرجوانى يأمره أن يقيم في موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك فيتصرف فيه كما يختار، فلم يجد بدا من الإذعان، وأخذ يوصى الأمير جَنْكَلَى بن البابا وأمير مسعود حاجب المحتاب على أولاده، فأخذ وقيد ومضوا به إلى البرج^(٢) الذى كان بئسك فيه، ورسم عليه جماعة من الأمراء . وكان الذى تولى مسكه وحسه جَنْكَلَى بن البابا وأمير مسعود الحاجب وأربغا أمير جآندار .

وأما الأمير الطنبغا الصالحى نائب الشام ومن معه فإن برسبغا وتلجك والقوصونية لما فارقوا الطنبغا المذكور سار الطنبغا وأرقطاي والأمراء يريدون

- (١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
 (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥ من هذا الجزء .
 (٣) سبق أن ذكر مؤلف هذا الكتاب في حوادث سنة ٦٥٨ هـ في الجزء السابع من هذه الطبعة أنه لما وصل الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى إلى مصر احتفل الملك الظاهر بيبرس بلقائه وأنزله بالبرج الكبير داخل قلعة الجبل ، ويستفاد من ذلك أن البرج المذكور كان من القصور السلطانية وعلقتا عليه في الحاشية رقم ٤ ص ١١٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
- وأما البرج الذى يشير اليه المؤلف هنا فهو برج آخر كان من سجون القلعة . وبالبحث عن مكانه تبين لى أنه كان موجودا . ولما جدد عهد على باشا باني القلعة بين سنتي ١٢٢٨ و ١٢٤٤ هـ هدم ذلك البرج وجدد في مكانه برجاً أصغر من القديم لا يزال قائماً إلى اليوم ، ويعرف بيزج المقطم لأنه يشرف على جبل المقطم وهو قائم في الساحة التي بها تكئات الجيش على يمين الداخل من البرابة الداخلية بقلعة الجبل .

القاهرة، وأشار الطنبغا نائب الشام على أرقطاي نائب طرابلس أن يرد برسبغا وتلجك والقوصونية ويُقاتل بهم أيدغمش، فإنه ينضم إليه جميع حواشي قوصون ويأخذوا أيدغمش ويخرجوا قوصون ويقيموه كبيراً لهم أو يخرجوه إلى حيث يختار، ويقيموا سلطاناً أو ينتظروا أحداً فلم يُوافقه أرقطاي على ذلك لعفته عن سفك الدماء. فلما أعيا الطنبغا أمره سارا نحو القاهرة حتى وافيا أيدغمش وهو واقف تحت القلعة بأصحابه فاقبل أيدغمش عليهما وعانقهما وأمرهما أن يطنعا إلى القلعة فطلعا. ثم أرسل أيدغمش الأمير قازان والأمير آق سُنقر خلف برسبغا وتلجك ومن معهم. وجلس أيدغمش مع ثقاته من الأمراء وقتر معهم تسفير قوصون في الليل، إلى الإسكندرية، والقبض على الطنبغا الصالحى نائب الشام وعلى أرقطاي نائب طرابلس ومن يلوذ بهما من الغد، فكان كذلك وقُبِضَ عليهما، وتسفير الأمير يسبرس الأحمدي والأمير جَنَكَلِي بن البابا لإحضار السلطان الملك الناصر أحمد بن الكرك. ثم أُخرج بالأمير قوصون من بجته بقلعة الجبل في ليلة الخميس مع مائة فارس حتى أوصلوه إلى النيل وركب البحر ومضى به إلى الإسكندرية فسُجِنَ بها على ماسياتي ذكره.

وأما ما نهب لقوصون في هذه الحركة فشيء كثير، فإنه كان في حواصله من الذهب النقد أربعة آلاف دينارين في أيكاس، ومن الحوائص الذهب والكلفئات الزركش والأواني فشيء لا يحصر، وثلاثة أيكاس أطلس فيها فصوص وجواهر ممتنة بما يُنِيف على مائة ألف دينار، ومائة وثمانون زوج بسط، منها ما طوله أربعون ذراعاً وثلثون ذراعاً، كلها من عمل الروم وآيد وشيراز، وستة عشر زوجاً

(١) في الأصلين والسلوك: «فلما أعيا الطنبغا أمره سارا نحو القاهرة حتى وافيا أيدغمش ... الخ».

والسياق يقتضى ما أئبتناه.

(١) من عمل الشريف بمصر . وأربعة أزواج بُسُط حريلا يقوم عليها لحسنها ، فأُخِطَ
 سعر الذهب من كثرة ما نُهَبَ لقوصون ، حتى صُرِفَ بأحد عشر درهما الدينار مما
 صار وكثر في أيدي الناس بعد ما كان الدينار بعشرين درهما ، ولأن أَيْدُغْمَش نادى
 بعد ذلك بالقاهرة ومصر أن من أحضر من العامة ذهبا لتاجر أو صيرفي أو متعیش
 يُقبَض عليه ويُحضَر به إلى أَيْدِغْمَش ، فكان من معه منهم ذهب يأخذ فيه
 ما يُدْفَع إليه من غير توقف ، فرُخص سعر الذهب لذلك ، وكثرت مرافعات الناس
 بعضهم لبعض فيما نُهَب ، فجمع أَيْدِغْمَش شيئا كثيرا من ذلك ، فإن العامة يوم نُهَب
 إسْطبل قوصون أخذوا من قَصْره حتى سقوفه وأبوابه ورُخامه وتركوه خرابا .
 ثم مضوا إلى خانقائه بباب القرافة فمنعهم صوفيَّتها من النهب فما زالت العامة تقاتلهم
 حتى فتحوها ، ونهبوا جميع ما فيها حتى سلبوا الرجال والنساء ثيابهم ، فلم يدعوا لأحد
 شيئا ، وقطعوا بُسَطها وكسروا رُخامها وأخربوا بركتها ، وأخذوا الشبابيك وخشب
 السقوف والمصاحف وشَعَثُوا الجُدْر ، ثم مضوا إلى بيوت ممالك قوصون وهم
 في حَشْدٍ عظيم فنهبوا وأخربوها وما حولها ، وتتبعوا حواشي قوصون بالقاهرة
 والحُكُورة وبولاق والزَّرِيَّة وبركة قُرْمُوط (٦) وباعت العامة السقوف والأواني بأخس

(١) الشريف : أسم صانع اشتهر في صناعة البسط في هذا العصر . وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٧٣) .

(٢) في أحد الأصلين : « فكان من معه ذهب منهم يأخذ فيه ما يدفع إليه منه ... الخ » .

وفي الأصل الآخر : « فكان من معه من الذهب منهم يأخذ فيه ما يدفع إليه فيه » . وما أثبتناه عن السلوك .

(٣) خانقاة قوصون سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) رواية السلوك : « وهم في وحشة عظيمة » .

(٥) يقصد بها زرية قوصون التي سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ١٨٤ من الجزء التاسع

من هذه الطبعة . (٦) في الأصلين : « وبركة الفيل » . وهو خطأ صوابه ما أثبتناه عن السلوك

للمقرئ ، لأن بركة قرموط كانت واقعة فيما بين اللوق والمقس (راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨١ من الجزء

التاسع من هذه الطبعة) . وأما بركة الفيل فوقها الآن خط الحلبية الجديدة (راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥

من الجزء السابع من هذه الطبعة) .

الائتمان وصارت العامة إذا أرادوا نهب أحد قالوا : هذا قَوْصُونِي ! . فيذهب في الحال جميع ماله ، وزادت الأوباش في ذلك حتى خرجوا عن الحد وشميل الخوف كل أحد ، فقام الأمراء على أيد غمش وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب ، فأمر لسبعة من الأمراء ، فزلوا إلى القاهرة ، والعامة مجتمعة على باب الصالحية في نهب بيت القاضي الغوري الحنفي ، فقبضوا على عدة منهم وضربوهم بالمقاريع وشهروهم فأنكفؤا عن نهب الناس . انتهى .

وأما أصل قوصون وأتصاله بالملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار ساقيه أعظم مماليكه هو وبكتمر الساقى ، لأن قوصون كان ممن حضر إلى الديار المصرية من بلاد الترك صحبة [خوند ^(٢)] بذت أربك خان التي تزوجها الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو غير مملوك ، فلما كان في بعض الأيام طلع قوصون إلى القلعة في خدمة بعض التجار فرآه السلطان الملك الناصر فأعجبه ، فقال للتاجر : لأى شئ ماتبعنى هذا المملوك ؟ فقال التاجر : هذا ما هو مملوك ، فقال الملك الناصر : لا بد أن أشتريه ، ووزن ثمنه مبلغ ثمانية آلاف درهم ، وجهاز الثمن إلى أخيه قوصون إلى البلاد ^(٣) . ثم أنشأه الملك الناصر وجعله ساقياً ، ثم رقاها حتى جعله أمير مائة ومقدم ألف ، وعظم

(١) المقصود هنا المدارس الصالحية التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بخط بين القصرين بالقاهرة . وسبق التعليق عليها في الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) يستفاد من عبارة اجتماع العامة على باب الصالحية في نهب البيت المذكور أن القاضي المذكور كان ساكناً في المدارس الصالحية المشار إليها في الحاشية السابقة . ويستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على رجة وزير بغداد (ص ٥٠ ج ٢) أن القاضي المذكور هو حصام الدين حسن بن محمد بن محمد الغوري الحنفي ، قدم هو والوزير نجم الدين محمود بن علي بن شردين المعروف بوزير بغداد من العراق إلى مصر في شهر صفر سنة ٧٣٨ هـ .

(٣) زيادة عن خطط المقرئ (ج ٢ ص ٣٠٧) .

(٤) يريد بها بلاد القبجاقي التى نزع منها قوصون إلى الديار المصرية .

- عند الملك الناصر وحَظِيَ عنده وزوجه بأبلته وهى ثانية بنت زوجها الملك الناصر
للمالكة فى سنة سبع وعشرين وسبعماية، وكان له عُرس حفل، احتفل به الملك الناصر،
وحمل الأمراء التقادِم إليه فكان جملة التقادِم خمسين ألف دينار . ولما كان يقع
بينه وبين بكتُمُر الساقى منافسة يقول قَوْصُون : أنا ماتنقلت من الإسطبلات إلى
الطُّباق، بل اشتراى السلطان وجعلنى خاصيًّا مقربا عنده دفعة واحدة، فكان الملك
الناصر يتنوع فى الإنعام على قوصون حتى قيل إنه دفع إليه مرة مفتاح دَرْدَخانات
الأمير بكتُمُر الساقى بعد موته، وقيمتها ستمائة ألف دينار، قاله الشيخ صلاح الدين
الصفدى فى « تاريخه ». ثم تزايد أمر قوصون حتى وقع له ما حكيناه . واستمر قوصون
بسجن الإسكندرية هو وألطنبغا الصالحى نائب الشام وغيرهما حتى حضر الملك
الناصر أحمد من الكرك وجلس على كرسى الملك بقلعة الجبل حسب ما يأتى ذكره،
اتفق آراء الأمراء على قتل قوصون فجهزوا لقتله شهاب الدين أحمد بن صُبُح إلى
الإسكندرية فتوجه إليها وخَقَّ قوصون وألطنبغا نائب الشام وغيرهما فى شَوال
سنة اثنتين وأربعين، وقبل فى ذى القعدة على ما يأتى بيان ذلك فى وقته .
- وخلف قوصون عدة أولاد من بنت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون .
وكان أميراً جليلاً كريماً خيراً شجاعاً ، وكان يُعطى العطايا المائلة ، وكان إذا
ركب للصيد فى أيام أستاذه يركب فى خدمته ثلث عسكر مصر، وكان يركب قدامه
بالقاهرة مائة نقيب، وكان أخوه صوصون أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية،
وقيل أمير طلبخانة . وكان وقع بين قوصون وبين تنكر نائب الشام، فلما قُبِضَ
على تنكر وحمل إلى القاهرة ما عامله قوصون إلا بكل خير . ولما أُمِسِكَ قوصون
وقُتِل قال فيه الصلاح الصفدى :

(١) تقدّم فى ص ٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة أن عقد زواج أبنه الناصر محمد بن قلاوون

على الأمير قوصون كان فى سنة ٥٧٢٦ هـ

- قَوْصُونُ قَدْ كَانَتْ لَهُ رَتْبَةٌ * تَسْمُو عَلَى بَدْرِ السَّمَاءِ الزَّاهِرِ
فَخَطَّهْ فِي الْقَيْدِ أَيْدِغْمَشُ * مِنْ شَاهِقِ عَالٍ عَلَى الطَّائِرِ
وَلَمْ يَجِدْ مِنْ ذَلِكَ حَاجِبًا * فَإِنْ عَيْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
صَارَ عَجِيْبًا أَمْرُهُ كُلُّهُ * فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَفِي الْآخِرِ
وَقَالَ فِي قَوْصُونٍ وَفِي وَاقِعَتِهِ عَدَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنَ الشَّعْرِ وَالْبَلَّالِيقِ وَالْأَزْجَالِ، وَعَمِلَتْ
الْحُلَوَانِيَّةُ مِثَالَهُ فِي حُلَاوَةِ الْعَلَالِيقِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ جَمَالُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ الْأُدَيْبِ الْمَعَارِ :
شَخْصَ قَوْصُونٍ رَأَيْنَا * فِي الْعَلَالِيقِ مَسْمُرٍ
فَعَجِبْنَا مِنْهُ لَمَّا * جَاءَ فِي التَّسْمِيرِ سُكْرٌ
وَلِبَعْضِ عَوَاقِمِ مَصْرِ قَصِيدَةٍ « كَانَ وَكَانَ » أَوَّلُهَا :
مِنْ الْكَرْكَ جَانَا النَّاصِرَ * وَجَبَ مَعَهُ أَسَدُ الْغَابَةِ
وَوَقَعَتْكَ يَا مِيرَ قَوْصُونُ * مَا كَانَتْ آلَا كَذَابَةٍ
وأشياء غير ذلك، وقد خرجنا عن المقصود ولنرجع إلى ذكر أيدغمش وما فعله بمصر.
وأما أيدغمش فإنه آسَمَرٌ مَدْبَرُ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَقَامَ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَجَمَعَ الْأَمْرَاءَ وَخَلَعَ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ عَلَاءَ الدِّينِ بَكْكَكُ
أَبْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ مِنَ الْمُلْكِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ أَوَّلِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ
(١) رَوَايَةُ السُّلُوكِ : « صَاحِبًا » . (٢) رَاجِعِ الْخَاشِيَةَ رَقْمَ ١ ص ١٣٩ مِنْ الْجُزْءِ الْتَاسِعِ
مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .
(٣) ذَكَرَ الْمُقْرِزِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى سَوَاقِ الْخَلَاوِيِّينَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ١٠٠ أَنَّ فِيهِ مِنَ السُّكْرِ
الْمَعْمُولِ بِالصَّنَاعَةِ مَا يَجْعَلُ النَّظَرَ حَسَنًا ... وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَشْيَاءِ مَنْظَرًا مَا كَانَ يُصْنَعُ مِنَ السُّكْرِ فِي الْمَوَاسِمِ
مِثْلَ خَبُولِ وَسَبَاعٍ وَقَطَاطٍ وَغَيْرِهَا تَسْمَى الْعَلَالِيقُ وَاحِدُهَا عَلَاقَةٌ تَرْفَعُ بِخَيْوِطٍ عَلَى الْجَوَانِبِ فَهِيَ مَا يَزِنُ عَشْرَةَ
أَرْطَالٍ إِلَى رُبْعِ رَطْلٍ تَشْتَرَى لِلْأَطْفَالِ فَلَا يَبْقَى جَلِيلٌ وَلَا حَقِيرٌ حَتَّى يَبْتَاعَ مِنْهَا لِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَتَمْتَلِكُ أَسْوَاقُ
الْبُلْدَيْنِ : مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ وَأَرَادَ فِيهِمَا مِنْ هَذَا الصَّنَفِ .
(٤) تَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٩ هـ عَنْ الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ .

آثنتين وأربعين وسبعائة ، فكانت مدة سلطته على مصر خمسة أشهر وعشرة أيام ،
 ولم يكن له فيها من السلطنة إلا مجزء الاسم ، فقط وليس له من الأمر شيء ، وذلك
 ليصغر سنه ، وكان المتصرف في المملكة في سلطته الأمير قوصون . وكانت إذا حضرت
 العلامة أعطى قوصون الأشرف بكتك في يده قلماً ، وجاء الفقيه الذي يقرئه القرآن
 فيكتب العلامة والقلم في يد الأشرف بكتك ، وأستمر الأشرف بكتك بعد خلعها من
 السلطنة في الدور السلطانية تحت كنف والدته وهو والدته في ذل وصغار وهوان
 مع من تسلطن من إخوته ، لاسيما مع أم الملك الصالح إسماعيل ، فكانت في كل
 قليل إذا توقع ولدها الملك الصالح إسماعيل ، وكان كثير الضعف تبهم المذكورة
 أنها تتعمد له بالسحر وتأخذ جواربها وحواشيها وتعاقبهم ، وأخذت منها جملة
 مستكثرة فدامت على هذا مدة سلطنة الملك الصالح ، حتى نزل مرة إلى سرحة
 سرياقوس وبعث دس عليه أربعة خدام طواشبة فقتلوه على فراشه في سنة
 ست وأربعين وسبعائة ، وله من العمر اثنتا عشرة سنة ، وعظم مصابه على والدته ،
 بل على الناس قاطبة . رحمه الله تعالى .

ذكر ولاية الملك الناصر أحمد على مصر

السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون . تسلمن بعد خلع أخيه الأشرف بُحْكُ، وكان بُويع بالسلطنة قبل خلع بُحْكُ أيضا وهو بقلعة الكرك حسب ما ذكرناه في واقعة قُطْلُو بُغَا الفخرى مع أَلْطُنْبَغَا الصالحى نائب الشام . وأتم الملك الناصر هذا كان اسمها بِيَّاض ، كانت تُجَيِّدُ الْفِيَاءَ وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس توبة، وكانت تُعرف بِقُومَةٍ، وكان للناس بها آجتماعات في مجالس أُسْهم ، فلما بلغ السلطان الملك الناصر خبرها طلبها وأختص بها وحظيت عنده فولدت أحمد هذا على فراشه . ثم تزوجها بعد ذلك الأمير مَلِكْتُمُرُ السَّرْجَوَانِيّ في حياة الملك الناصر محمد . انتهى .

قلت : والملك الناصر أحمد هذا هو الخامس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والثالث من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . والآن نذكر ما وقع بالديار المصرية بعد خلع الأشرف بُحْكُ إلى حين دخول الملك الناصر هذا إليها من الكرك . ولما قبض أَيْدُغْمُش على قُوصُون وخلع الملك الأشرف بُحْكُ من السلطنة حسب ما تقدم ذكره بعث بالأمير جَنْكَلِي بن البابا والأمير بِيْبَرَس الأحمدي والأمير قُماري أمير شكار إلى الملك الناصر أحمد بالكرك وعلى يدهم كُتِبَ الأُمراءُ يخبرونه بما وقع ويستدعونه إلى تحت مُلكه . ثم جلس الأمير سيف الدين أَيْدُغْمُش والأمير أَلْطُنْبَغَا المَارِدَانِي والأمير بهادر الدِمْرَدَاشِي والأمير يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِيّ واستدعوا الأُمراء فلما حضروا أمر أَيْدُغْمُش بالقبض على أَلْطُنْبَغَا الصالحى الناصري نائب الشام وعلى الأمير

(١) في السلوك : « وكانت شهرتها فونية » .

أَرْقَطَايَ نَائِبَ طَرَابُلُسَ وَنَحْنَا بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ وَأَمْسَكُوا بَعْدَهُمَا سَبْعَةَ أَمْرَاءَ أُخَرَ مِنْ
أَمْرَاءِ الطَّبْلَخَانَاهِ وَالْأَمِيرَ قِيَاثَمَرٍ أَحَدَ مَقْدِمَى الْأُلُوفِ وَجَرَ كَثْمَرِينَ بِهَادِرٍ أَيْضًا مِنْ
مَقْدِمَى الْأُلُوفِ وَعِدَّةَ أَمْرَاءَ أُخَرَ، حَتَّى كَانَتْ عِدَّةٌ مَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ فِي هَذَا
الْيَوْمِ نَحْمَسَةَ وَعَشْرِينَ أَمِيرًا . ثُمَّ كَتَبَ الْأَمِيرُ أَيْدَغْمَشُ إِلَى الْأَمِيرِ قُطْلُوبَغَا الْفَخْرَى
يَعْرِفُهُ بِمَا وَقَعَ وَيَحْرُضُهُ عَلَى الْحُضُورِ صَحْبَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ . ثُمَّ طَلَبَ أَيْدَغْمَشُ
جَمَالَ الدِّينِ يَوْسُفَ وَالِىَ الْجِيزَةِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ بُولَايَةَ الْقَاهِرَةِ ، فَزَلَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَإِذَا
بِالْعَامَةِ فِي نَهَبِ بَيْوتِ مَمَالِكِ قَوْصُونَ فَقَبِضَ عَلَى عَشْرِينَ مِنْهُمْ وَضَرَبَهُمْ بِالْمَقَارِعِ
وَبَحَّجَهُمْ بَعْدَ مَا شَهَّرَهُمْ ، فَأَجْتَمَعَتِ الْغَوْغَاءُ وَوَقَفُوا لِأَيْدَغْمَشَ وَصَاحُوا عَلَيْهِ : وَلَيْتَ
عَلَى النَّاسِ وَاحِدَ قَوْصُونٍ مَا يُحَلِّيْنَا وَاحِدًا ! وَعَرَفُوهُ مَا وَقَعَ فَبَعَثَ الْأَوْجَاقِيَّةُ فِي طَلْبِهِ
فَوَجَدُوهُ بِالصَّلِيلِيَّةِ ^(٢) يَرِيدُ الْقَلْعَةَ فَصَاحَتْ عَلَيْهِ الْغَوْغَاءُ : قَوْصُونِي ! يَا غَيْرِيَّةَ ^(٣) عَلَى الْمَلِكِ
النَّاصِرِ ، وَرَجَمُوهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَقَامَتِ الْجَبَلِيَّةُ وَالْأَوْجَاقِيَّةُ فِي رَدِّهِمْ فَلَمْ يُطِيقُوا ذَلِكَ ،
وَجَرَتْ بَيْنَهُمُ الدَّمَاءُ ، فَهَرَبَ الْوَالِي إِلَى إِسْطَبْلِ الطَّنْبُغَا الْمَارْدَانِي ، وَحَمَتَهُ مَمَالِكُ
الطَّنْبُغَا مِنَ الْعَامَةِ ، فَطَلَبَ أَيْدَغْمَشُ الْغَوْغَاءَ وَخَيْرَهُمْ فِيمَنْ عَلَى فَقَالُوا : نَجْمُ الدِّينِ الَّذِي
كَانَ وَلِيَّ قَبْلِ ابْنِ الْمُحْسَنِ ، فَطَلَبَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ فَصَاحُوا بِحَيَاةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ النَّاصِرِ :

- (١) رواية السلوك : « وَأَخَذُوا بَعْدَهُمَا سَبْعَةَ عَشَرَ أَمِيرًا طَبْلَخَانَاهُ ... الخ » .
(٢) المقصود خط الصليبية بالقاهرة ، وقد علقنا على الصليبية في الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء
التاسع من هذه الطبعة . (٣) كذا في الأصلين والسلوك . والسياق يقتضى أن يكون نسج الكلام
هكذا : « يَأْمَنُ تَنَارُونَ عَلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ » . (٤) يستفاد مما ذكره المقرئى فى خطه عند
الكلام على قصر بلبغا البجوارى (ص ٧١ ج ٢) أن قصر الطنبغا الماردانى وفيه إسطلبه هدمه السلطان
الناصر حسن مع قصر بلبغا البجوارى وأنشأ فى موضعها مدرسته الموجودة الآن بأسم جامع السلطان حسن
بميدان محمد على تحت القلعة بالقاهرة . ومن وصف المقرئى هذين القصرين وموضعهما يتبين أن قصر
بلبغا البجوارى كان شاغلا للقسـم الجنوى الشرقى من أرض جامع السلطان حسن ، وأن قصر الطنبغا الماردانى
كان شاغلا للقسـم الشمالى الغربى منه .

إعزل عنا بن ربيعة المقدم وحامص رفيقه، فأذن لهم في نهيهما فتسارع نحو الألف منهم إلى دار ابن ربيعة بجانب بيت الأمير كوكاي فنبهوه ونهبوا بيت رفيقه ثم أنكفأوا عن الناس .

وفي يوم الجمعة ثاني شعبان دُعي على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد . وفي يوم الاثنين خامسه تجعت العائمة بسوق الخيل ومعهام رايات صُفر وتصايحوا بالأمير أيْدُغْمُش : زودنا لروح إلى أستاذنا الملك الناصر ونجىء صحبته، فكتب لهم مرسوما بالإقامة والرواتب في كل منزلة . وتوجهوا مسافرين من الغد . وفي يوم الأربعاء سابع شعبان وصل الأمراء من سجن الإسكندرية الذين كان سجنهم قوصون حتى أفرج عنهم أيْدُغْمُش، وهم الأمير مَلِكْتُمَر الحجازي وقُطْلِيْبَا الحنوي وأربعة وخمسون نفرا من الممالك الناصرية . وكان قوصون لما دخل إلى الإسكندرية مقبدا وافوه هؤلاء بعد أن أطلقوا فسلموا عليه سلام شامت فبكي قوصون وأعتذر لهم بما صدر منه في حقهم . وعند ما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم، وخرجت الناس لرؤيتهم فكان لقدومهم يوم مشهود . حتى طلعوا إلى القلعة فتلقت خوند الحجازية بنت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

(١) يستفاد من عبارة المؤلف أن دار ابن ربيعة وبيت رفيقه حامص كانا مجاورين لبيت الأمير سيف الدين كوكاي السلاح دار الناصري الذي كان واقعا برجة كوكاي . ويستفاد مما ذكره المقرئ على هذه الرجة (ص ٤٩ ج ٢) وعلى المدرسة القطبية (ص ٣٦٨ و ٣٩١ ج ٢) أن رجة كوكاي كانت واقعة على رأس شارع خان أبو طاقية عند تلاقيه بشارع سوق السمك المتفرع من شارع الخرنفش بقسم الجالية بالقاهرة، وأن المدرسة القطبية هي المعروفة الآن بجامع محب الدين أبو الطيب الواقع على رأس شارع خان أبو طاقية المذكور . ومن هذا الوصف يتبين أن هذه البيوت الثلاثة كانت واقعة بالقرب من الجامع المذكور وليس لها أثر اليوم .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . وراجع أيضا الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(١) زوجها مَلِكْتُمُ الحجازي بُحْدَامَهَا وجوارِها، ومغانِها تَضْرِبُ بالدُفوف والشَّبَاباتِ فَرَحًا به، ومعها أختها زوجة بَشْتَك تساعدها بالفرح وهي شامسة بقوصون لكونه قَتَلَ زوجها بَشْتَك الناصري قبل تاريخه هذا. وأختها بنت الملك الناصر الأخرى زوجة قوصون يجانبها في عويل وبكاء وصياح ولطم على قوصون. وقد أفتقر جوارى الملك الناصر وأولاده فرقتين، فرقة مع الحجازية وفرقة مع القوصونية، والمعجب أن هذا الفرح والعزاء كان قبل ذلك بالعكس، فكان العزاء إذ ذاك في بيت الحجازي، والفرح في بيت قوصون، والآن العزاء في بيت قوصون والفرح في بيت الحجازي وزوجة بَشْتَك وإن كان فرط في زوجها القَرط، فهي تساعد أختها الحجازية شماتة بقوصون، فلها كقول من قال :

١٠ وما من حُبِّه أحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرين
فانتظر إلى هذا الدهر وتقلبته بأسرع وقت من حال إلى حال، فنعوذ بالله من زوال النعم.

ثم قدِم بعد ذلك كتب الأمراء المتوجهين إلى الكرك لإحضار الملك الناصر، أنهم لما قربوا من الكرك بعث كل منهم مملوكه يعزف السلطان الملك الناصر بحضورهم إلى الكرك فبعث إليهم الملك الناصر رجلاً نصرانياً من نصارى الكرك يقول : يا أمراء، السلطان يقول لكم : إن كان معكم كتب فهاؤها أو مشافهة فقولوها، فدُفِعَت الكتبُ إلى النصراني ففضى بها ثم عاد من آخر النهار بكتاب مخنوم وقال عن السلطان : سلّم على الأمراء وعرفهم أن يقيموا بقرّة حتى يرد عليهم ما يمتدوه. وحضر مملوك من قبله يأمر الأمير قسارى بالإقامة على ناحية

٢٠ (١) الشابات، جمع شابة (بالباء المشددة) : قصة الزمر المعروفة مولدة (عن شفاء الغليل).

(١) صافيتا، ثم بعث إلى الأمراء بخاتم وكتاب يتضمن إقامتهم على غزاة والاعتذار عن لقائهم، فعاد جُنُكلى والأحمدى إلى غزاة وتوجه قمارى إلى ناحية صافيتا، فلما وقف الأمير أيدغمش على ذلك كتب من فوره إلى الأمير قطلوبغا الفخرى يسأله أن يصحب السلطان الملك الناصر في قدومه إلى مصر ليجلس على تخت ملكه . ثم كتب أيدغمش للأمراء بفسزة بالإقامة بها في انتظار السلطان، وعرفهم بمكاتبة الفخرى وأخذ أيدغمش في تجهيز أمور السلطنة، وأشاع قدوم السلطان خوفاً من إشاعة ما عامل الناصر أحد به الأمراء فيفسد عليه ماديته، فلما قدم البريد بكتاب أيدغمش إلى دمشق وافي قدوم كتاب السلطان أيضا من الكرك يتضمن القبض على طرنتاى البجقمقدار^(٣) والأمير طينال، وتعمل ما لهم إلى الكرك . وكان قطلوبغا الفخرى قد وثق طينال نيابة طرابلس وطرنتاى نيابة حمص فأعذر الفخرى بأن طينال في شغل

(١) اسم لقضاء في شمال طرابلس الشام، يحد شمالا بلواء اللاذقية وشرقا بحصن الأكراد وجنوبا بقضاء عكار وغربا بالبحر الأبيض المتوسط . وهو يشمل القسم الجنوبي من جبال النصيرية . وقصبة في القرون الوسطى قلعة صافيتا أو برج صافيتا وهي الحصن الصليبي الشهير، المبنى على فرع من فروع جبال النصيرية الذي فتحه الظاهر بيبرس سنة ٥٦٩ هـ . وأبرزه من أيدي الصليبيين .

وكان يحيط بالقلة سوران : الأول كثير الأضلاع والأخر بمثابة مدخل عمومي للحصن، وكان بين السورين مخازن مقبورة وإسطبلات، وقد صارت البلدة الحالية صافيتا في مكان هذه المخازن والإسطبلات . ولا يزال البرج الداخلى للحصن قائما وهو اليوم كنيسة للروم الأرثوذكس على شكل متوازي الأضلاع، طوله ٣١ مترا وعرضه ١٨ مترا .

وقصبة صافيتا منتظمة وأهلها متعلبون ، وعدد سكانها يربو على ٢٥٠٠ نفس .
(٢) راجع الكلام على صافيتا في كتاب ولاية بيروت الجزء الثاني ص ٣٢٨ وما بعدها . وراجع تقويم سوريا وفلسطين ليدكر ص ٣٥٢) .

(٣) ورد هذا اللقب في بعض المصادر التي تحت يدينا : « طرنتاى البجقمقدار » وهو يعنيه : « البجقمقدار » لأن بشمق أربجيق معناه النعل باللغة التركية ، ودار معناه ماسك وعليه يكون المعنى الذي يحمل نعل السلطان . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

بحركة الفرنج ، وأشار عليه بالآي حرك ساكتا في هذا الوقت ، وسأله سرية حضور
السلطان ليسير بالعساكر في ركابه إلى مصر ، وأكثر الفخرى من مُصادرة الناس
بدمشق . ثم قَدِمَ الأمير طَشْتَمُر الساقى المعروف بمَحْص أخضر نائب حلب كان من
بلاد الروم إلى الشام فلتقاء الفخرى وأنزله في مكان يليق به ، وكان في كتاب الناصر
أنه لا يخرج من الكرك حتى يحضر الأمير طَشْتَمُر من بلاد الروم ، فكتب الفخرى
بمخوره إلى الناصر وأنه يُسرِع في مجيئه إلى دِمَشق . وأخذ الفخرى أيضا في تجهيز
ما يحتاج السلطان إليه ، وفي ظنه أن السلطان يسير إليه بدمشق فيركب في خدمته
بالعساكر إلى مصر ، فلم يشعر الفخرى إلا وكتاب السلطان قد ورد عليه مع بعض
الكرّكين يتضمّن أنه يركب من دِمَشق ليجتمع مع السلطان على غزاة فسق ذلك
عليه وسار من دِمَشق بعساكرها وبمن أستخدمه حتى قَدِمَ غزاة في عِدّة كبيرة فلتقاء
الأمير جَنكِي والأحمدى وقُصارى أمير شكار .

وأما أمر الديار المصرية فإن الأميرين يلبغا اليحياوى ومليكتمر المجازى تفاوضا
في الكلام حتى بلغا إلى المخاصمة ، وصار لكل منهما طائفة ولبسوا آلة الحرب
فتجمعت الفوجاء تحت القلعة لنهب بيوت من عساه ينكسر من الأمراء ، فلم يزل
الأمير آيدُغُمُش بالأمراء حتى أنكفوا عن القتال ، وبعث إلى العامة عِدّة من الأوجاقية
فقبضوا على جماعة منهم وأودعهم بالسجن .

ثم في يوم الخميس سابع شهر رمضان قَدِمَ أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون
من قُوص إلى القاهرة ، وعِدَّتْهم ستة فركب الأمراء إلى لقائهم وهرعت العامة إليهم
نفجروا من الحرّاقة وركبوا الخيول إلى القرافة حتى جاءوا تربة جريكتمر صاحبة^(١)

(١) يستفاد من عبارة المؤلف أن هذه التربة نربها العامة من ذاك الوقت حتى صارت كوم تراب ،
ولذلك ليس لها أثر اليوم .

العامة هذه تربة الذى قَتَلَ أستاذنا الملك المنصور وهجموها وأخذوا ما فيها وأخربوها حتى صارت كوم تراب ، فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة وافاهم الأمير جمال الدين يوسف والى القاهرة كان ، فنزل وقَبِلَ رُكْبَةً رمضان ابن الملك الناصر فَرَفَسَه بِرجله وسبّه وقال له : أَتُنسى ونحن فى الحَرَّاقَة عند توجّهنا إلى قُوص وقد طلبنا ما كَلَّا من الجيزة فقلّت خذوهم وروحو إلى لعنة الله ما عندنا شيء ! فصاحت بهم العامة : بالله مَكًّا من نَهَبه ، هذا قُوصونى ! فأشار بيده أن أنهبوا بيته ففسارعوها فى الحال إلى بيته المجاور للجامع الظاهر بالحُسَيْنِيَّة ، حتّى صاروا منه إلى باب الفتوح ، فقامت إخوته ومن يلوذُ به فى دفع العامة بالسلاح ، وبعث الأمير أَيْدُعْمَش أيضا لجماعة ليردّوهم عن النهب ، وخرج إليهم نجم الدين والى القاهرة ، وقد تقايل القوم حتّى كفّهم عن القتال فكان يوماً ، مَهُولاً ، قُتِلَ فيه من العامة عشرة رجال ، وَجُرِحَ خَلْقٌ كثير ولم ينتهب شيء .

ثم قَدِمَ الخبز من غَزّة بقدوم الفخرى وطَقَزْدُمُر إلى غَزّة واجتمعهم مع جَنَكَلِي والأحمدي وقُفارى ، وهم فى انتظار السلطان ، وأن الأمير أَيْدُعْمَش يُخَلِّف جميع أمراء مصر وعساكرها للملك الناصر على العادة ، فَجَمِعُوا بالميدان . فَأُخْرِجَت نسخة اليمين المحضّرة ، فإذا هى تتضمن الحَلِفَ للسلطان ثم للأمير قُطْلُوْبَغَا الفخرى فتوقف

(١) جامع الظاهر لا يزال قائماً بميدان الظاهر بالقاهرة . وبالبحت تبين لى أن الجهة التى كانت مشغولة بالمساكن حول هذا الجامع فى ذلك الوقت هى الجهة الغربية ، وبناء على ذلك يكون بيت جمال الدين يوسف والى القاهرة المذكور فى المنطقة الواقعة الآن بين ميدان الظاهر وبين شارع الخليج المصرى .

(٢) فى السلوك : « قتل فيه من القاهرة ... الخ » .

(٣) كذا فى الأصلين . ولم ترد هذه الكلمة فى السلوك .

(٤) المقصود هنا الميدان الذى تحت القلعة ويعرف اليوم بميدان صلاح الدين بالقاهرة . راجع

الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الأمراء عن الحليف لقطلوبغا الفخري ، حتى ابتدأ الأمير أيدغمش خلفه فتبعه الجميع خوفاً من وقوع الفتنة .

- وأما أمر الفخري والأمراء فإنهم لما وصلوا إلى غزّة جمع لهم نائبيها آق سنقر الإقامات من الشعير والغنم . ثم كتب الأمراء جميعاً إلى الملك الناصر بقدمهم إلى غزّة وعرفوه بذلك واستحثّوه على سرعة الحضور صحبة ممالئهم والأمير قسارى أمير شكار ، فساروا إلى الكرك ، وكان قد سبقهم إلى الكرك الأمير يحيى بن طائر بغا صهر الأمير أيدغمش يستحث الملك الناصر أيضاً على المسير إلى مصر ، فأقاموا جميعاً ثلاثة أيام لم يؤذن لهم في دخول المدينة . لم أتاهم كاتب نصراني وبازدار يُقال له أبو بكر ويوسف بن النصال وهؤلاء الثلاثة هم خاصة الملك الناصر أحمد من أهل الكرك ، فسأموا عليهم وطلبوا ما معهم من الكتب ، فشق ذلك على الأمير قسارى وقال لهم : معنا مشافهات من الأمراء للسلطان ، لا بدّ من الاجتماع به ، فقالوا : لا يمكن الاجتماع به ، وقد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة فأعلمونا بها ، فلم يجدوا بداً من دفع الكتب إليهم ، وأقاموا إلى غد بغائتهم كتب مختومة وقيل للأمير يحيى بن طائر بغا : اذهب إلى عند الأمراء بغزّة فساروا عائدين إلى غزّة ، فإذا في الكتب الثناء على الأمراء وأن يتوجهوا إلى مصر ، فإن السلطان يقصد مصر بمفرده ، فتغيرت خواطر الأمراء وقالوا وطالوا ، وخرج الفخري عن الحّد وأفرط به الغضب ، وعزم على الخلاف ، فركب إليه طشتهم حمص أخضر والأمير چنگلي ابن البابا والأمير بيبرس الأحمدي . وما زالوا به حتى كف عما عزم عليه ، ووافق على المسير ، وكتبوا بما كان من ذلك إلى الأمير أيدغمش ، وتوجهوا جميعاً من غزّة يريدون مصر . وكان أيدغمش قد بعث ابنه بالخليل الخاص إلى السلطان ، فلما وصل إلى الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل ، ورسم بعوده إلى أبيه ،

وأخرج رجلا من الكرك يُعرف بأبي بكر البازدار ومعه رجلان ليُشِّروا بقدومه ، فوصلوا إلى الأمير أيدغمش في يوم الاثنين خامس عشرينه ، وبقوه سلام السلطان وعرفوه أنه كان قد ركب الهُجْرَ وسار على البرية صحبة العرب ، وأنه يُصَاحِبُ أويمايى ، نفلع عليهم وبعث بهم إلى الأمراء ، فأعطاهم كل أمير من الأمراء المتقدمين خمسة آلاف درهم ، وأعطاهم بقية الأمراء على قَدْر حاجتهم ، وخرج العائمة إلى لقائه .

فلما كان يوم الأربعاء سابع عشرين شهر رمضان قَدِمَ قاصدُ السلطان إلى الأمير أيدغمش بأن السلطان يأتي ليلاً من باب القرافة ، وأمر أن يُفتح له باب السرحى يعبر منه ، ففتحه وجلس أيدغمش والطَّبَنُ المارداني حتى مضى جانب من ليلة الخميس ثامن عشرينه أقبل السلطان في الليل في نحو العشرة رجال من أهل الكرك ، وقد تَلَمَّ وعليه ثيابٌ مُفرجة فتلقوه وسأموا عليه ، فلم يقف معهم ، وأخذ جماعته ودخل بهم ، ورجع الأمراء وهم يعجبون من أمره ، وأصبحوا وقد دُقَّت البشائر بالقلعة وزُيِّنَت القاهرة ومصر ، وأستدعى السلطانُ أيدغمش في بكرة يوم الجمعة ، فدخل عليه وقبل له الأرض فاستدناه وطيب خاطره ، وقال له : أنا ما كنتُ أنطلع إلى الملك وكنْتُ قانعاً بذلك المكان ، فلما سَيرتُ في طلبي ما أمكنني إلا أن أحضر كما رَسِمْتُ ، فقام أيدغمش وقبل الأرض ثانياً ، ثم كتب عن السلطان إلى الأمراء الشاميين يترفعهم بقدومه إلى مصر وأنه في آنتظارهم ، وكتب علامته بين الأسطر : « المملوك أحمد بن محمد » . وكتب إليهم أيدغمش كتاباً ، وخرج مملوكه بذلك على البريد فلقاهم على الوراثة فلم يُعجبهم هيئة عبور السلطان إلى مصر ، وكتبوا

(١) يريد : « خامس عشرين رمضان سنة ٧٤٢ هـ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

إلى أيدغمش أن يخرج إليهم هو والأمراء إلى سرباقوس ليتفقوا على ما يفعلوه .
فلما كان يوم عيد الفطر منع السلطان الأمراء من طلوع القلعة ، ورسم لكل أمير
أن يعمل سباطه في داره ، ولم ينزل السلطان لصلاة العيد ، وأمر الطواشي عنبر
السحرقي مقدم الماليك ونائبه الطواشي الإسماعيلي أن يجلسا على باب القلعة ويمنعا
من يدخل عليه ، وخلا بنفسه مع الكرّكين . وكان الحاج علي « إخوان سلاّر »^(١) إذا أتى
بطعام للسلطان على عادته خرج إليه يوسف وأبو بكر البازدار وأطعماه شئني الطعام
وتسلما السباط منه وعبرا به إلى السلطان ، ويقف الحاج علي « إخوان سلاّر » بمن
معه حتى يخرج إليهم الماعون .

وحكى الرئيس جمال الدين بن المغربي رئيس الأطباء أن السلطان استدعاه
وقد عرض له وجع في رأسه فوجده جالسا ويمجانه شاب من أهل الكرّك جالس ،
وبقية الكرّكين قيام فوصف له ما يلائمه وتردد إليه يومين وهو على هذه
الهيئة . انتهى .

ثم في يوم الأحد تاسع شوال قديم الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى والأمير
طشتمر الساقي حمص أخضر وجميع أمراء الشام وقضاتها والوزراء ونواب القلاع
في عالم كبير حتى سدوا الأفق ونزل كثير منهم تحت القلعة في الحليم ، وكان خرج إلى
لقاتهم الأمير أيدغمش والحاج آل ملك والجاوي والطنبغا المارداني وغيرهم ، وأخذ

(١) ورد في صبح الأعشى للقلقشندي (ج ٥ ص ٤٧١) في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف
من الأتباع والحواشي والخدم أن إخوان سلاّر هو لقب مختص بكبير رجال المطبخ السلطاني القائم مقام
المنهار في غير المطبخ من البيوت . وهو مركب من لفظين : أحدهما إخوان وهو الذي يؤكل عليه . والثاني
سلاّر وهي فارسية ومعناها المقدم وكأنه يقول : مقدم الإخوان . والعامة تقول « إخوان سلاّر » بألف
في أوله وهو لحن .

الفخرى يتحدث مع أيدغمش فيما عمله السلطان من ^(١) قدومه في زى العُربان واختصاصه بالكرّيين ، وإقامة أبى بكر البازدار حاجبه ، وأنكر عليه ذلك غاية الإنكار ، وطلب من الأمراء موافقته على خَلْعِهِ ورَدِّهِ إلى مكانه ، فلم يُمْكِنهُ طُشْتَمِرْ حص أخضر من ذلك ، وساعده الأمراء أيضا ، وما زالوا به حتى أعرض عمّا هم به ، ووافق الأمراء على طاعته . فلما كان يوم الاثنين عاشره لبس السلطان شعار السلطنة وجلس على تخت الملك ، وحضر الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد وقضاة مصر الأربعة وقضاة دمشق الأربعة ، وجميعُ الأمراء والمقدمين وبايعه الخليفة بالسلطنة وقبلوا الأرض بين يديه على العادة . ثم قام السلطان على قدميه فتقدم الأمراء وبأسوا يده واحداً بعد واحد على قدر مراتبهم ، وجاء الخليفة بعدهم وقضاة القضاة ماعدا القاضي حُسام الدين الغورى الحنفى ، فإنه لما طَلَعَ مع القضاة وجلسوا بجوامع القلعة حتى يُؤدَّن لهم على العادة جَمَعَ عليه ^(٢) [طَبَاخُ المَطْبِخِ السُلْطَانِيّ] بعض صِبيان المطبخ جَمْعاً من الأوباش لحَقْدِ كان في نفسه منه عند ما تحاكم هو وزوجته عنده قبل ذلك ، فأهانته القاضي المذكور ، فلما وجد الطباخ الفرصة هيم عليه بأوباشه ومدَّ يده إلى الغورى من بين القضاة وأقاموه وحرَقوا عمامته في حلقه وقطعوا ثيابه وهم يصيحون : يا قَوْصُونِي ! ثم ضربوه بالنعال ضرباً مُبرِّحاً ، وقالوا له : يا كافر يا فاسق ! فأرتجت القلعة ، وأقبل علم دار ^(٣) حتى خلصه منهم وهو يستغيث يامسلمين ! كيف يجرى هذا على قاض من قضاة المسلمين ؟ فأخذ المماليك جماعة من تلك الأوباش وجروهم إلى الأمير أيدغمش فضر بهم وبعث طائفة من

(١) في أحد الأصلين والسلوك : « فيما عليه ... الخ » .

(٢) تكملة يقتضيه سياق الكلام .

(٣) لقب على الذى يحمل العلم مع السلطان في المواكب ، وهو مركب من لفظين : أحدهما عربى وهو العلم ، والثانى فارسى وهو « دار » . والمعنى : ممسك العلم . (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٣) .

الأوجاقية ، ساروا بالقُورى إلى منزله ولم يحضر الموكب واثارت العامة على يئنه بالمدرسة الصالحية ونهبوه ، فكان يوما شنيعا^(١)

ثم فى يوم الخميس ثالث عشره عمل السلطان موكبا آخر وخلص على سائر الأمراء قاطبة ، وأنعم على الأمير طشتمر حمص أخضر بعشرة آلاف دينار وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى بمأ^(٢) حضر معه من البلاد الشامية وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضة ، ونزل فى موكب عظيم بمن حضر صحبته من أمراء البلاد الشامية وهم الأمير سنجر الجمقدار^(٣) وتمر الساقى وطرنطاي البشمقدار^(٤) وأقبغا عبد الواحد وتمر الموسوى وآبن قرأسنقر وأسنبغا بن البوبكرى وبكتمر العلائى وأصلم نائب صفد . ثم طلب السلطان الوزير نجم الدين ، ورسم له أن يكون يوسف البازدار ورفيقه مقدمى البازدارية ، ومقدمى الدولة ، وخلص السلطان عليهما كلفته زركش وأقبة طردوحش بجواص ذهب ، فحكما مصر فى الدولة وتكبرا على الناس وسارا بمحق زائد .

ثم فى يوم السبت خامس عشره خلص على الأمير طشتمر الساقى حمص أخضر بأستقراره فى نيابة السلطنة بالديار المصرية فتوجه بخلفته وباشر النيابة ، وجلس والحجاب قيام بين يديه والأمراء فى خدمته . وفى يوم الاثنين سابع عشره أخرج

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) هكذا فى الأصلين والسلوك .

(٣) الجمقدار أى حامل الدبوس أمام السلطان وهو مركب من كلمتين : « جمق » ومعناه دبوس .

و« دار » ومعناه حامل أو ماسك . ويلاحظ أن سنجر هذا تقدم ذكره فى الجزء الثامن فى غير موضع باسم

« سنجر الجمقدار » وفى الجزء التاسع كذلك ، ولكن صوبناه فى الجزء التاسع فى موضع آخر باسم « سنجر

البشمقدار » عن بعض المصادر . وقد ترجح لدينا أخيرا أنه الجمقدار لا البشمقدار لاختلاف الوظيفتين .

(٤) هو طرنطاي البشمقدار .

السلطان عبد المؤمن بن عبد الوهاب السَّلامى والى قُوص من السجن ، ورسَم بتسميره
فُسَمَّرَ على باب البِيَارِستان المنصورى بِمَسامير جافية شنيعة ، وِطِيف به مدَّة ستة أيام
وهو يُحَادِثُ الناس في الليل بأخباره ، ومما حَدَّثهم به أنه هو الذى كان وَثَبَ على
النَّشَو ناظر الخاصَّ وضربَه بالسيف ، حسب ما ذكرناه في ترجمة الملك الناصر
محمد بن قلاوون من أمر النشو ، وأنه لما سقطت عمامته عن رأسه ظلَّها رأسه .
وكان إذا قيل له : أَصِير يا عبد المؤمن ، فيقول : أسأل الله الصبر ، وَيُنْشِد كثيرا قوله
يُنْكِ عَلَيْنَا وَلَا تُنْكِ عَلَى أَحَدٍ * لنحن أغلظ أجبَادًا من الإِيل
وكان السبب لقتله ومُثلته هذه أنه قَتَلَ الملك المنصور أبا بكر بن الناصر محمد بقُوص
بأمر قَوْصُونَ ، ثم شُنِقَ بعد ذلك في يوم السبت ثانى عشرين شَوَّال على قنطرة
السدِّ وأكلته الكِلَاب . ثم قبَضَ السلطان على أحد وعشرين أميرا وأخرجهم إلى
الإِسْكَندَريَّة صحبة الأمير طَشْتَمُر طَلَّيْه .^(٣)

ثم في يوم الخميس سابع عشرينه خَلَعَ على الأمير الحاج آل ملك بِنِيابة حماة عوضا
عن طَقَرْدُمَر الحموى وعلى بِيَرَس الأحمدي وأستقرَّ في نيابة صفد عوضا عن أَصْلَم
الناصرى وعلى آق سنقر ، وأستقرَّ نائب غَزَّة على عادته . وفي مستهل ذى القعدة
خَلَعَ على الأمير قُطْلُوْبغا الفخرى بِنِيابة دِمَشق وعلى الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور بِنِيابة
حلب . ثم في يوم الثلاثاء ثانيه أَمْتَقَرَّ قارِى أمير شِكار أمير آخور عوضا عن
أيدغْمُش ، وأستقرَّ أحمد شاذ الشَّرْبُجَانَاه أمير شِكار ، وأستقرَّ آقْبغا عبد الواحد
في نيابة حِمص . ثم أنعم السلطان على الأمير زين الدين قَرَأجا بن دُلْغَادِر بإنعامات

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الاستدراك الوارد في ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة

(٣) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٤٩ هـ . وسمى « طليبه » لأنه كان اذا تكلم قال في آخر

كلامه : « طليبه » . وفي الدرر الكامنة : طشمر طلكيه « بالكاف بعد اللام » .

كثيرة وكتب له بالإمرة على التركان ونيابة أبلستين . وفي يوم الأحد سابع
ذى القعدة خرج الأمير أيدغمش متوجّها إلى نيابة حلب . وفي يوم الاثنين خامس
عشره خرج الأمير قطلوبغا الفخرى متوجّها إلى نيابة دمشق ومعه من تأخر من
عساكر الشام ، وخرج الأمير نائب السلطنة بالقاهرة لوداعه وجميع الأمراء ومدّ له
سيماطا عظيما .

ولما توجه الفخرى وأيدغمش وغيرهما من الديار المصرية وبقى الأمير طشتمر
الساقى حمص أخضر نائب السلطنة بالقاهرة قبض عليه السلطان بعد خروج الفخرى
بخمسة أيام ، وذلك في يوم السبت العشرين من ذى القعدة .

- وسبب القبض على طشتمر أنه بقى يعارض السلطان بحيث إنه كان يردّ مراسمه
ويشعّظ على الأمراء والأجناد تعاظما زائدا ، وكان إذا شفع عنده أحد من الأمراء
في شفاعته لا يقبلها ، وكان لا يقف لأمر إذا دخل عليه ، وإذا أنشئه قصّة عليها
علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك منه وطرد من هى بأسمه ، وأحرق به ،
وقرر مع السلطان أنه لا يحمّض من المراسيم إلّا ما يختاره ، ورسم للحاجب ألاّ يُقدّم
أحد قصّة للسلطان إلّا أن يكون حاضرا ، فلم يجاسر أحد أن يقدم قصّة للسلطان
في غيبته . وأخذ إقطاع الأمير بيبرس الأحمدي وتقدّمته لولده ، فكرهته الناس ،
وصارت أرباب الدولة وأصحاب الأشغال كلّها في بابه ، وتقربوا إليه بالهدايا
والثحف ، وأفرد بتدبير الملك ، وحطّ على الكركيين ومنعهم من الدخول على
السلطان ، فلم يتيّأ له ذلك . وكان ناصر الدين المعروف بفار السقوف قد توصّل
إلى الكركيين حتى استقرّ إمام السلطان يُصلّي به الخمس وناظر المشهد النفيسى عوضا
عن تقي الدّين على بن القسطلاني خطيب جامع عمرو وجامع القلعة ، وخلع عليه

السلطان بغير علم طَشْتَمَر النائب ، فعث إليه طَشْتَمَر عِدَّةُ نُقْبَاءٍ وَتَزَعِ الحِلْفَةِ من عليه وسلمته إلى المقدَّم إبراهيم بن صابر، وأمر بضربه وإلزامه بجمل مائة ألف درهم، فضربه أبْنُ صابر ضرباً مُبْرِحاً وأَسْتَخْرَجَ منه أربعين ألف درهم . ثم أفرج عنه بشفاعة أَيْدُعْمَشٍ والفخرى فيه بعد ما أشهد عليه أنه لا يطلعُ القلعة . ثم أخذ قصير مُعين من مباشرى قَوْصُونٍ وأحاط بما فيه من القنود والأعسال والسكر وغير ذلك ، فعظَّم ما فعله على السلطان وعلى الأمراء ، فإنه خرج عن الحد ، إلى أن قرر السلطان مع مقدَّم المماليك عَنَبَر السَّحَرَتِي والأمير آق سنقر السَّلَارِي في القبض على طَشْتَمَر وعلى قُطْلُوبغا الفخرى ، وأن سَدَعَى ممالك بَشَتَك وقوصون ويُنْزَلَم بالأطباق من القلعة ويُعطِيهم إقطاعات بالحلقة ليصيروا من جملة ممالك السلطان خوفاً من حركة طَشْتَمَر النائب .

ثم رتب السلطان عنده ممالك بداخل القصر للقبض على طَشْتَمَر أيضاً . وكان مما جدد طَشْتَمَر في نيابته أن منع الأمراء أن تُدْخِلَ ممالكهم إلى القصر ، وبَسَطَ من باب القصر بساطاً إلى داخله كما كان في الأيام الناصرية فصار الأمير لا يدخل إلى القصر إلَّا بمفرده ، فكان مادَّره عليه . ثم دخل هو أيضاً بمفرده ومعه ولداه إلى القصر ، وجلس على السَّهْاط على العادة ، فعند ما رُفِعَ السَّهْاط قَبَضَ كَشَلِي السلاح دار أحدُ المماليك السلطانية وكان معروفاً بالقوَّة على كِتْفَيْهِ من خلف ظهره قبضاً عنيفاً . ثم بَدَرَ إليه جماعة من المماليك وأخذوا سيفه وقيدوه وقيدوا ولديه ، ونزل أمير مسعود الحاجب في عِدَّة من الممالك السلطانية فأوقع الحَوَطَةَ على بيته وأخذ

(١) في الأصلين : « قنر معين » . وفي السلوك : « قصر معين بالنور » والصواب فيه : قصير معين الدين بالنور من أعمال الأردن ، يكسر فيه نصب السكر ، كان ذلك في القرون الوسطى . انظر معجم ياقوت (ص ١٢٦ ج ٥) (وانظر فلسطين الإسلامية لاسترايج ص ٣٢ و ٤٩٠) .

(٢) كذا في الأصلين والسلوك . وفي بعض المصادر التي تحت يدينا : « كشكل » .

(٣) سبق التعليق . عليه في الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة

ماليك فسجنهم . ثم خرج في الحال ساعة القبض على طشتمر الأمير الطنبغا
المارداني والأمير أرنبغا أمير سلاح ومعهما من أمراء الطبلخانة والعشرات نحو
خمسة عشر أميرا ومعهم أيضا من الممالك السلطانية وغيرهم ألف فارس ، وتوجهوا
ليقبضوا على الأمير قطلوبغا الفخرى ، وكتب للأمير آق سنقر الناصري نائب غزّة
بالركوب معهم بـ^(١)عسكره وجميع من عنده ومن هو في معاملته ، وكان الفخرى قد ركب
من الصالحية ، فبلغه مسك طشتمر ومسير العسكر إليه من هجان بمت به إليه بعض
ثقائه ، فساق إلى قطبا وأكل بها شيئا ، ثم رحل مسرعا حتى دخل العريش فإذا
آق سنقر بعسكره في انتظاره على الزعقة ، وكان ذلك وقت الغروب فوقف كل منهما
تجاه صاحبه . حتى أظلم الليل سار الفخرى بمن معه وهم ستون فارسا على البرية ،
فلما أصبح آق سنقر علم أن الفخرى فاته ، ومال أصحابه على أنقال الفخرى فهبوها
وعادوا إلى غزّة . واستمر الفخرى سائرا ليلته ، ومن الغد حتى أنتصف النهار وهو
سائق فلم يتأخر معه إلا سبعة فرسان ، وبلغ أربعة آلاف وخمسمائة دينار ، وقد وصل
بني وغلبا الأمير أيدغمش وهو نازل قراي عليه ، وعرفه بما جرى وأنه قطع
خمسة عشر بريدا في مسير يوم واحد ، فطيب أيدغمش خاطره وأنزله في خيمة وقام
له بما يليق به . فلما جئت الليل أمر به فقيده وهو نائم وكتب بذلك إلى السلطان
مع بكّا الحضري ، وكان السلطان لما بلغه هروب الفخرى تنكر على الأمراء

(١) الصالحة من إحدى قرى مركز قانوس بديرية الشرقية بمصر . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٥

من الجزء الخامس من هذه الطبعة

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) سبق الكلام عليها في الحاشية رقم ٤ ص ١٥٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) ذكرها صاحب صبح الأعشى في (ج ١٤ ص ٣٧٨) على أنها مركز من مراكز البريد ما بين

سرين و دغ . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وأَتَمَّهم بالخَّاصَّة عليه ، ومَهَّ في يوم الاثنين أن يُسَكِّهم ، فأنَّ عن الخدمة الجَّاولي في يوم الاثنين المذكور ، وهو تاسع عشرين ذى القعدة وتأخر معه جماعة كبيرة . فلما كان وقت الظهر بعث لكل أمير طائرًا ووزَّ مَشَوِيَّ وسال عنهم ؛ ثم بعث إليهم آخر النهار أن يَطلُّوا من الغد . فجاء بَكا الحَضْرَى عشية يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة ، ومعه البشارة بالقبض على سيف الدين قُطْلُوبُغا الفخرى . فسرَّ السلطان بذلك ، وكتب بحمله إلى الكرك . فلما طلع الأمراء إلى الخدمة في يوم الثلاثاء رضاهم السلطان وبشرهم بمسك الفخرى ، ثم أخبرهم أنه عَزَم على التوجُّه إلى الكرك ، وتجهَّز وأخذ الأموال مَهْبَتَه ، وأخرج الأمير طُشْتَمُر حصص أخضر مُقَيَّدًا في مَحَارَة^(١) في ليلة الأربعاء ومعه جماعة من الممالك السلطانية موكلون به .

ثم تقدَّم السلطان إلى الخليفة بعد ما ولَّاه نظر المشهد البَقِيصِيَّ عوضا عن ابن القسطلاني أن يسافر معه إلى الكرك ، ورسم لجمال الكفافة ناظر الجيش والخاص ، وللقاضى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر أن يتوجَّه معه إلى الكرك . ثم ركب السلطان ومعه الأمراء من قلعة الجبل في يوم الأربعاء ثانيه بعد ما أمر ثمانية من الممالك السلطانية وخلع عليهم على باب الحزانة ، وخلع على الأمير شمس الدين آق سقز السُّلَارِيَّ وقرَّره نائب الغيبة ، وخلع على شمس الدين محمد بن عدلان باستقراره قاضى العسكر ، وخلع على زين الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر البسطامي وأستقز به قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن حُسام الدين النُّورِي . فلما سار السلطان حتى قرب قُبَّة النصر خارج القاهرة وقف حتى قَبِلَ الأمراء يَدَه على مراتبهم ورجعوا عنه ، فترل في الحال عن فرسه ، وأبسن

(١) المَحَارَة : مركب يشبه الخودج .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة

ثياب الرُّبان وهي كالمِيلة مُفَرَّجة وعمامةً بِلثَّامَيْن ، وسائر الكَرَكَين في طريقه ، وترك الأمراء الذين معه وهم قُصارى وَمِلِكْتُمُر المجازى وأبو بكر وعمر أبنا أرغون النائب مع الممالك السلطانية والطلب ، وتوجه على البرية إلى الكرك [وليس معه ^(١)] إلا الكركيون ومملوكان [وهم في أثره ففاسوا مشقة عظيمة من العطش وغيره حتى وصلوا ظاهر الكرك وقد سبقهم السلطان إليها ، وقديما في يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة ، وكتب للأمراء بالديار المصرية يعترفهم بذلك ويسلم عليهم ، فقدم كتابه القاهرة في يوم الخميس سابع عشر ذى الحجة .

ولما دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك لم يمكن أحدا من العسكر أن يدخل المدينة سوى كاتب السر وجمال الكفاة ناظر الجيش والخاص فقط . ورسم أن يسير الأمير المقدم عنبر السحري بالممالك السلطانية إلى قرية الخليل عليه السلام ، وأن يسير قُصارى وعمر ابن النائب أرغون والخليفة إلى القدس الشريف . ثم رسم

(١) زيادة عن السلوك .

(٢) تسمى حبرون أو جبرون على نسبة دمشق باسم جبرون وهي مدينة من أعمال فلسطين ، وتقع في واحة بين جبال كثيفة الأشجار . بها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام . وفي طريقها قبر يونس عليه السلام . وتقع على خط عرض ٣١/٣١ شمالا وخط طول ٨/٣٥ شرقا . راجع فهرس الخريطة التاريخية الإسلامية للرحوم أمين واصف بك في الكلام على القدس وصبح الأعشى (ج ٤ ص ١٠٢) وتقوم البلدان لأبي الفداء إسماعيل وأطلس فيليب الجغرافى .

(٣) هي اورشليم المدينة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت في أيدي الصليبين في ١٥ يولييه سنة ١٠٩٩ وأسوا فيها مملكة استمرت حتى خلعها منهم صلاح الدين الأيوبي بعد معركة فاصلة في ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ وكان ذلك سبب الحرب الصليبية الثالثة . ينسب إليها أبو عبيد الله المقدسى الجغرافى المنهور صاحب كتاب « أحسن التقاسيم » المتوفى سنة ٥٣٧٥ . سكانها ٨٥ ألف نسمة . تقع على خط عرض ٣١/٤٧ شمالا وخط طول ٣٥/١٤ شرقا (راجع فهرس الخريطة التاريخية لأمين واصف بك وأطلس فيليب » .

السلطان لمقدم الممالك عبر السَّحَرَقَى أن ينتقل بالممالك السلطانية من الخليل إلى غَزَة لغلاء الأسعار بالخليل، وفي إنشاء ذلك وصل أمير على بن أيدُغْمَش بالفخري مقبداً إلى غَزَة وبها العساكر، فبعث السلطان إليه من تَسْلَم منه الفخري وأعاد ابن أيدُغْمَش إلى أبيه ولم يجتمع به، فسجن السلطان قُطْلُوبُغا الفخري وطشتمر حص أخضر بقلعة الكرك بعد ما نكل بالفخري رُهِين من العاقبة إهانة^(١) زائدة .

ثم كتب السلطان لآق سنقر السلاري نائب الغيبة بإرسال حريم الفخري إلى الكرك، وكانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسير الفخري بيسوم، فجهزهن إليه، فأخذ أهل الكرك جميع مامهتهن حتى ثيابهن، وبالغوا في الفُحْش بهن والإساءة . ثم كتب السلطان لآق سنقر السلاري نائب الغيبة بالديار المصرية أن يوقع الحوطة على موجود طشتمر حص أخضر وقُطْلُوبُغا الفخري، ويحمل ذلك إليه بالكرك . وكان

شان الملك الناصر أحمد أنه إذا رسم بشيء جاء كاتب كركي لكاتب السر وعرفه عن السلطان بما يريد، فيكتب كاتب السر ذلك ويتأوله للكاتب الكركي حتى يأخذ عليه علامة السلطان، ويبعثه حيث يرسم به، هذا ما كان من أمر الملك الناصر .

أما العسكر المتوجه من القاهرة إلى غَزَة فإن ابن أيدُغْمَش لما قدم عليهم بمدينة غَزَة ومعه الفخري أراد الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني أن يؤخره عنده بغزة حتى يراجع فيه السلطان فلم يوافق ابن أيدُغْمَش، وتوجه به إلى الكرك، فرحل الطنبغا المارداني وبقية العساكر عند ذلك إلى جهة الديار المصرية فقيدموها يوم السبت سادس عشرين ذى الحجة وأنمكف السلطان على اللهو واحتجب عن الناس

(١) في الأصلين : « إهنة » . وما أثبتناه من السلوك .

(٢) في أحد الأصلين والسلوك : « نائب غَزَة » . وتصحيحه عن الأصل الآخر وما تقدم ذكره

في ص ٦٦ من هذا الجزء ، وما سيذكره المؤلف بعد قليل .

إِلَّا الْكَرْكَيْنِ . ثم بلغه تغير خواطر الأمراء فأخذ في تحصين قلعة الكرك ومدينتها وأشحنها بالغلل والأقوات والأسلحة .

وأما أمر الديار المصرية فإنه شَقَّ عليهم غِيبةُ السلطان منها ، وأضطربت أحوال القاهرة وصارت غوغاء ، وصار عند أكابر الأمراء تشويش كثير لما بلغهم من مُصاب حريم الأمير قطلوبغا الفخرى . وبقي الأمير آق سنقر السلاوي في تخوف عظيم فإنه بلغه بأن جماعة من المهالك الذين قُبِضَ على أستاذهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه ، فترك آق سنقر الركوب في أيام المواكب أباما حتى اجتمع الأمراء عنده وحلفوا له . ثم اتَّفَقَ رأى الأمراء على أن كتبوا للسلطان الملك الناصر أحمد كتابا في خامس محرم سنة ثلاث وأربعين وسبعائة بأن الأمور واقفة لغيبة السلطان ، وقد نَأَقَى غالبُ عُمران الصعيد وغيره وطِمَعَ أرباب الفساد ، وخيفت السُّبُلَ وفسدت الأحوال ، وسألوا حضوره إلى الديار المصرية وأرسلوا الكتاب على يد الأمير طَقْتَمُر الصلاحي^(١) فتوجه طقتمُر إليه ، ثم عاد إلى الديار المصرية يجوابه في حادى عشره : بأننى قاعد فى موضع أشتى ، وأى وقت أردتُ حضرت إليكم ، وذكر طَقْتَمُرُ أن السلطان لم يُمْكِنه الاجتماع به ، وأنه بعث من أخذ منه الكتاب ، ثم أرسل إليه الجواب .

وقدم الخبر بأنه قَتَلَ الأمير طَشْتَمُر الساقى حمص أخضر ، والأمير قُطْلُوبْغا الفخرى ، وكان قصد قتلهما بالجوع ، فأقاما يومين بلباليهما لا يُطعمان طعاما ، فكسبرا قِيَدَهُمَا — وكان السلطان قد ركب للصيد — وخَلَمَا باب السجن ليلا وخرجا إلى

(١) في أحد الأصلين : « الذين قبضوا على أستاذهم » . ومبارة السلوك : « بلغه أن جماعة من

مهالك الأمراء الذين قبض عليهم قد باطنوا ... الخ » . (٢) هو أحد المهالك الناصرية ، تنقل في المناصب إلى أن تآمر وناب في حمص . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٨٧٤ هـ .

الحارس فأخذ سيفه وهو نائم فأحس بهما ، وقام يصيح حتى لحقه أصحابه فأخذوهما
وبعثوا إلى السلطان بخبرهما ، فقَدِم في زىَّ العُربان ووقف على الخندق وأحضرهما
وقد كَثُرَت بهما الجراحات ، فأمر يوسف ورفيقه بضرب أعناقهما ، وأخذ
يسبهما فردا عليه السبُّ ردًّا قبيحًا ، وضربت رقابهما ، فلما بلغ الأمراء ذلك
أشتدَّ قلقُهم .

ثم قَدِم كتاب السلطان للأمراء يُطَيِّب خواطرهم ويمزقهم أن مصر والشام
والكرك له ، وأنه حيثما شاء أقام ، ورسم أن تُجهَّز له الأغنام من بلاد الصعيد ، فتكرت
قلوب الأمراء ، ونفرت خواطرهم وتكلموا فيما بينهم في خَلَمه ، حتى اتَّفَق الأمراء على
خَلَمه من السلطنة ، وإقامة أخيه إسماعيل ابن الملك الناصر محمد ، فخلع في يوم الأربعاء
حادى عشر من المحرم من سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، فكانت مدة ولايته ثلاثة
أشهر وثلاثة عشر يوما ، منها مدة إقامته بمدينة الكرك ، ومراسمُهُ نافذة بمصر أحد
وخمسين يوما . وإقامته بمصر شهران ^(٢) إلا أياما .

وكان لما خرج من الديار المصرية متوجها إلى الكرك جمع الأغنام التي كانت
لأبيه وأغنام قوَّصون ، وعدَّتْها أربعة آلاف رأس وأربعمائة رأس من البقر التي كان
استحسنها أبوه ، وأخذ الطيور التي كانت بالأحواش على اختلاف أنواعها ، وحملها
على رؤوس الجمالين إلى الكرك ، وساق الأغنام والأبقار إليها ، ومعهم عدة سقاين ،
وعرض الخيول والمهجن ، وأخذ ما اختاره منها ومن البخاقى وحُمُر الوحش
والزراريق والسباع ، وسيرها إلى الكرك . ثم فتح الذخيرة وأخذ منها جميع ما فيها
من الذهب والفضة وهو ستمائة ألف دينار وصندوق فيه الجواهر التي جمعها أبوه

(١) في السلوك : « فتكرت قلوب الفقراء » .

(٢) في السلوك : « وإقامته بمصر شهران وأيام » .

في مدة سلطته . وتبع جوارى أبيه حتى عرفَ الممولاتَ منهنَّ ، فصار يبعث إلى الواحدةٍ منهنَّ يُعرفها أنه يدخل عليها الليلة فإذا تجملت بحليها وجواهرها أرسل من يحضرها إليه ، فإذا خرجت من موضعها ندب من يأخذ جميع ما عندها ، ثم يأخذ جميع ما عليها ، حتى سلب أكثرهن . ثم عرض الركبخاناه ، وأخذ ما فيها من السروج والثَّجْم والسلاسل الذهب والفضة . وأخذ الطائر الذهب الذي كان على القُبَّة ، وأخذ الغاشية الذهب وطلقات السناجق ؛ وما ترك بالقلعة مالا إلا أخذه ، وأستمر بالكرك .

فلما تسلطن أخوه الملك الصالح إسماعيل حسب ما يأتي ذكره أرسل إلى الكرك يطلب من أخيه الناصر أحمد هذا شعار الملك ، وما كان أخذه من الخزان وغيرها ، فلم يلتفت الناصر إلى كلامه ، فندب السلطان الملك الصالح تجريدة لحضاره بالكرك ، واستمر يبعث إليه تجريدة بعد أخرى سبع تجاريد ، حتى إنه لم يبق بمصر والشام أمير إلا تجرد إلى الكرك مرةً ومرةً إلى أن ظفروا به حسب ما يأتي ذكر ذلك كله مفصلاً في ترجمة الملك الصالح إسماعيل . ولما ظفروا بالملك الناصر أحمد قيدوه وحبسوه بالكرك بعد أن حاصروه بها مدة سنتين وشهر وثلاثة أيام ، حتى قبض عليه ، أ تلف فيها أموالاً كثيرة في النفقات على المقاتلة ، وأخذ أمره يتلاشى وهلك من عنده بالجوع . وضرب الذهب وخلط به الفضة والنحاس ونفق ذلك في الناس ، فكان الدينار الذي ضرب به يساوي خمسة دراهم .

وكان القبض على الملك الناصر من الكرك في يوم الاثنين الظهر ثاني عشرين صفر سنة خمس وأربعين وسبعائة ، وكتب بذلك إلى السلطان ، فأرسل السلطان الملك الصالح الأمير منجك اليوسفي الناصري السلاح دار إلى الكرك فقتله وحرز رأسه وتوجه بها إلى القاهرة

وكان الملك الناصر أحمد هذا قد أخرجه أبوه الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية إلى الكرك وهو صغير، لعله لم يبلغ العشرين، فُرِيَ بالكرك وأحب أهلها وصارت له وطناً، وكان نائب الكرك إذ ذاك مَلِكْتُمُ السَّرْجَوَانِي زوج أمته. ثم أرسل إليه أبوه أخويه: إبراهيم وأبا بكر المنصور فأقاموا الجميع بالكرك إلى أن طلبهم والدهم، وأعاد الناصر هذا إلى الكرك ثم طلبه ثانياً وزوجه بنت الأمير طائر بقا من أقارب الملك الناصر، ثم أعاده إلى الكرك.

وكان الناصر هذا أحسن إخوته وجهاً وشكلاً، وكان صاحب لحية كبيرة وشعر غزير، وكان ضخمًا شجاعاً صاحب بأس وقوة مفردة، وعنده شهامة مع ظلم وجبروت، وهو أسوأ أولاد الملك الناصر سيرةً مع خفة وطنش.



السنة التي حكم في أولها المنصور أبو بكر إلى حادى عشرين صفر من سنة ٦٨٠ هـ أنه حكم من السنة الماضية سبعة أيام. ثم حكم فيها من صفر إلى يوم الخميس أول شعبان الملك الأشرف بكحك. ثم حكم فيما بقي منها الملك الناصر أحمد هذا، والثلاثة أولاد الناصر محمد بن قلاوون حسب ما تقدم ذكره، والسنة المذكورة سنة اثنتين وأربعين وسبعائة.

فيها وقعت حادثة غريبة^(١) وهي أن رجلاً بواردياً^(٢) يقال له محمد بن خلف بخط السيوفيين^(٣) من القاهرة قُبِضَ عليه في يوم السبت سادس عشر رمضان، واحضر

(١) في الأصلين: «وهو» والتصويب عن السلوك.

(٢) كذا في الأصلين والسلوك. ويفهم من سياق الكلام أن كلمة «بواردي» معناها من يرد

الطيور ويعلمها حتى لا يخطئ إليها الفساد

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة

إلى محتسب القاهرة فوجد مخزنه من فراخ الحمام والزرارير المملوحة عدة أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين ، من ذلك أفراخ حمام ألف ومائة وستة وتسعون ، فرخا . وزرارير عدة ثلاثة وثلاثين ألف زررور ، وجميعها قد نثنت وتغيرت أحوالها ، فأدب وشهر .

- وفيها توفى الأمير علاء الدين الطنطا الصالحى الناصرى نائب الشام مقتولا بسجن الإسكندرية . كان أصله من صغار مماليك المنصور قلاوون ، ورُبى عند الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتوجه معه إلى الكرك ، فلما عاد الملك الناصر إلى منكبه أنعم عليه بإمره عشرة وجعله جاشنكيره ، ثم ولّاه حاجبا . ثم نقله من الجبوية إلى نيابة حلب بعد موت أرغون النائب ، فسار فيها سيرة مشكورة وغزا بلاد سبيس ، حتى أخذها بالأمان ؛ وقال في ذلك العلامة زين الدين عمر بن الوردى قصيدة طنانة أولها :

جهدك مقبول وعامك قابل * ألا في سبيل المجد ما أنت فاعل

- وعمر الأمير الطنطا المذكور في نيابته بحلب جامعا في شرقها ، ولم يكن إذ ذاك داخل سور حلب جامع تُقام فيه الخطبة سوى الجامع الكبير الأموى ، وأقام بحلب حتى وقع بينه وبين تنكر نائب الشام ، فشكاه تنكر إلى الملك الناصر فعزله عن نيابة حلب ، وولّاه نيابة غزّة إلى أن غضب السلطان على تنكر ولّاه عوضه نيابة الشام إلى أن مات الملك الناصر وتسلطن أولاده أنضم الطنطا هذا إلى قوصون ، فكان

(١) لا يزال إلى اليوم من مشاهير جوامع حلب . بناه بطرف الميدان الأسود سنة ٧١٨ هـ كما هو ثابت على بابه الكبير الغربى إلى اليوم ، وهو أول جامع بنى بها بعد الجامع الأموى الكبير داخل سورها شرق المدينة وبين بابيه الشرق والغرب حوش عظيم . وقد بلى بناؤه سنة ٧٢٣ هـ ولا تزال قبة البديعة تحتفظ برواقها وضخامة بناؤها ، وقد رُم جداره القبلى الشرق الداخلى في بناء السور أبو السعادات محمد بن الملك الأشرف قايتباى سنة ٩٠٣ هـ كما رمت الجامع كله دائرة الاوقاف في حلب سنة ١٣٤٠ هـ فعاد إليه بعض رونقه القديم . (انظر تاريخ حلب للطباخ ج ٢ ص ٣٧٠ وما بعدها) .

ذلك سببا لهلاكه ، وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلا . وكان أميرا جليلا شجاعا مشكور السيرة ومات وقد جاوز الخمسين سنة من العمر .

وفيها تُوِّفَّ ملك التتار أُوْزْبَك خان بن طغرلجا بن مَنكُوتْمَر بن طُغْآن بن بَاطُو^(١) ابن دُوْشِي خان بن چنگز خان . ومات أُوْزْبَك خان بعد أن مَلَكَ نحوًا من ثلاثين سنة ، وكان أسلم وحسن إسلامه وحرص رعيته على الإسلام فأسلم بعضهم ، ولم يَلْبَسْ أُوْزْبَك خان بعد أن أسلم السَّرَاقُوجَات^(٢) ، وكان يَلْبَسُ حِيَاصَةً من فولاذ ويقول : لُبْسُ الذهب حرامٌ على الرجال ، وكان يميل إلى دين وخر ، ويرتد إلى الفقراء ، وكان عنده عدل في رعيته ، وتزوج الملك الناصر محمد بآبنته . وكان أُوْزْبَك شجاعا كريما مليح الصورة ذا هيئة وحرمة . ومملكته متسعة ، وهى من بحر قُسْطَنْطِينِيَّة إلى نهر إِرَتِش مسيرة ثمانمائة فرسخ ، لكن أكثر ذلك قُرَى ومراع .^(٣)
وَوَلَّى الْمُلْكُ بعده جَائِي بِك خان .^(٤)

وَوُتِّقَ الأمير سيف الدين بَشْتَك بن عبد الله الناصرى مقتولا بسجن الإسكندرية في شهر ربيع الآخر . وكان إقطاعه يَعْمَلُ بمائتي ألف دينار في كل سنة ، وأنعم عليه أستاذهُ الملك الناصر محمد في يوم واحد بألف ألف درهم . وكان راتبه لسماطه في كل يوم خمسين رأساً من الغنم وقرصاً ، لا بد من ذلك . وكان كثير التَّيِّه لا يُحَدِّث

(١) في المنهل الصافي : « ابن باتو » باتا . المئات بدل الطاء . (٢) السراقوجات ، جمع سراقوج ، وهى طاقية تترية كان يلبسها ملوك التتار في العصور الوسطى . (راجع الملابس عند العرب لدوزى ص ٣٧٩ ، والقاموس الفارسي الإنجليزى لاستينجاس . وكرتيرص ٢٣٥ جزء أول) .
(٣) هو بحر بنطش وهو البحر الأسود الآن . (٤) في الأصلين : « نهر أريش » . وما أثبتناه عن دائرة المعارف الإسلامية وخرائط المساحة الحديثة . وهو أكبر النهرات التى تعد نهر أروبي في سيبيريا . وسياق الكلام على مملكة أُوْزْبَك خان بأوفى من هذا عند الكلام على الطاعون الذى وقع في سنة ٥٧٤٩ هـ . (٥) كذا في أحد الأصلين والسلوك . وفي الأصل الآخر : « جانبك » .

مباشره إلا بَرَّحْمَان^(١) . وهو صاحب القصرين القصرين والحمام بالقرب من سوق^(٢) العِزَّى والجامع عند قطرة طُقزْدَمَر^(٣) خارج القاهرة . قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : « وكان بَشَنَك أَيْفَ القامة ، حُلُو الوجه . قر به السلطان وادناه ، وكان يُسَمِّيه في غَيْبته بالأمير ، وكان إقطاعه سبعة عشرة [امرأة^(٤)] طبلخاناه أكبر من إقطاع قوصون ، وما يَعْلَم قوصون بذلك » .

وتُوِّفَى الأمير سيف الدين طاجار بن عبد الله الناصرى الدَّوَادَار قتيلاً بشفر الإسكندرية . وكان من خواص الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن أكابر مماليكه ، ورقاه حتى ولَّاه الدَّوَادَارِيَّة ، وكان تَمَن أَنْضم إلى الملك المنصور أبى بكر فُقَيْض عليه عند خَلْعهِ وقُتِل .

١٠ وفيها تُوِّفَى الأمير سيف الدين بَرَكْتُمُر بن عبد الله الناصرى قتيلاً .

وتُوِّفَى الأمير قوصون بن عبد الله الناصرى الساقى قتيلاً بشفر الإسكندرية في شَوَّال ، وقد مر من ذكره ما فيه كفاية عن تكراره ثانياً .

وتُوِّفَى الملك الأفضل علاء الدين على آبن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل [آبن الملك الأفضل على^(٥)] آبن الملك المظفر محمود آبن الملك المنصور محمد آبن الملك

١٥ المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه آبن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) حمام الأمير بَشَنَك الناصرى لم يذكره المقرئى في خطه . وهو لا يزال قائماً بشارع سوق السلاح الذى كان يسمى سوق العزى على رأس عطفة حمام بَشَنَك بالقاهرة . وهو من الحمامات الكبيرة ووجهته مكشوة برخام ملون جميل وطيباً آسمه . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

٢٠ (٤) هو جامع الأمير بَشَنَك الناصرى . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠٨ ج ٩ من هذه الطبعة .

(٥) هى قطرة طُقزْدَمَر التى تعرف اليوم بقنطرة درب الجمل بالقاهرة . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) زيادة عن السلوك .

(٧) الكلمة عما تقدم ذكره في ترجمة أبيه ص ٢٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الأيوبي صاحب حماة وأبن صاحبها . مات بدمشق ، وهو من جملة أمرائها بعد ما باشر سلطنة حماة عشرين سنة إلى أن نقله قوصون إلى إصره الشام، وولى نيابة حماة بعده الأمير طُغْزَدُمَر الحموي . وكانت وفاته في ليلة الثلاثاء حادي عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة .

وَتُوفِيَ الأمير شرف الدين ، وقيل مظفر الدين موسى بن مُهنا بن عيسى بن مهنا ^(١) ابن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل بمدينة تدمر ^(٢) . وكان من أجل ملوك العرب ، مات بغزة في العشر الأخير من جمادى الأولى .

وَتُوفِيَ الحافظ المجتهد جمال الدين أبو المجتاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك بن أبي الزهر القضاة الكلبى الميزى الحلبي المولد ، وُلِدَ بظاهر حلب في عاشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وسقانة ، ومات بدمشق في ثاني عشر صفر ، وكان إمام عصره أحد الحفاظ المشهورين . تَمَيَّع الكثير ورحل وكتب وصنف . وقد ذكرنا عدة كبيرة من مشايخه وسماحاته في ترجمته

(١) في صبح الأعشى (ج ٤ ص ٢٠٦) : « ابن مانع » بالثاء المثناة .

(٢) كذا في الدرر الكامنة والسلوك . وفي صبح الأعشى وأحد الأصلين : « ابن عقبة » . وفي الأصل الآخر : « ابن غضبة » وفي أحد المصادر : « ابن غضبة » وقد رجحنا رواية ابن جسر والمقرئى لأنها أحسن في ذلك .

(٣) مدينة قديمة : معناها بالآرامية مدينة « النخل » وكانت عامرة ذات تجارة واسعة مثل سلع « البزاة » وهي واقعة بطرف بادية الشام في الشمال الشرق من دمشق شرق حصص على خط عرض ٣٤/١٨ شمالا وعلى خط الطول ٣٨/٣٤ شرقا . كانت تمر بها القوافل بين الشام والعراق من القرن السادس قبل الميلاد ، وزادت أهميتها بعد سقوط البلاد في أوائل القرن الثاني للبلاد ، وكان لها شأن عظيم مع الرومان خصوصا في عهد ملكتها الزباء . ولا تزال قرية صغيرة بها آثار قديمة من أعمدة وصخور . ومن سنة ١٩١١ تراجعت حتى أصبحت تابعة لمص إلى الآن (راجع فهرس الخريطة الكبرى للسالك الإسلامية وأطلس فيليب الجغرافى وتاريخ حلب لطباخ وأظهرها من الجزء الثامن من الإكليل للهمداني) .

(٤) في أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ٤ ص ٥٧٩ أنه توفى ليلة الأحد الثالث عشر من صفر .

في « المنهل الصافي » ونبذة كثيرة من أخباره . ومن مصنفاته « كتاب تهذيب الكمال » وهو في غاية الحسن في معناه .

وتوفى الأمير سيف الدين تَمْرُ بن عبد الله الساقى الناصرى - أحد أمراء الألوفا في يوم الأحد ثامن عشرين ذى الحجة . وكان من أكابر الأمراء ومن أعيان خاصكية الملك الناصر محمد بن قلاوون ومماليكه .

وتوفى القضاى برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نحر الدين خليل بن إبراهيم الرسغنى الشافعى قاضى حلب بها . وكان فقيها فاضلا ، ولى القضاء بحلب وغيرها وأفتى ودرس .

وتوفى الأمير علاء الدين على ابن الأمير الكبير سيف الدين سَلار في شهر ربيع الآخر . وكان من أعيان الأمراء بالديار المصرية .

وتوفى خطيب جامع دِمَشق الأموى الشيخ بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى الشافعى . وكان فاضلا خطيبا فصيحاً .

وتوفى الأمير ركن الدين بَيْرُ بن عبد الله الناصرى السلاح دار نائب الفتوحات بآياس وغيرها . وكان من أجل الأمراء الناصرية . كان شجاعا كريما ، وله المواقف المشهودة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وتسع أصابع . والله تعالى أعلم .

(١) توجد منه نسخة مخطوطة بحفظة بدار الكتب المصرية وبعض أجزاء غير متتابعة من نسخة أخرى بأرقام مختلفة .

- (٢) في أحد الأصلين : « ثمانى عشرين ذى الحجة » . وفي السلوك : « ثامن عشرين ذى القعدة » .
 (٣) الرسغنى (فتح الزاء والعين وسكون المهمل) : نسبة الى رأس عين : مدينة بالجزيرة وقرية بفلسطين .
 (٤) في أحد الأصلين : « بئلس » وموابه ما أتيناه عن الأصل الآخر والسلوك وتاريخ سلاطين الممالك ، وما تقدم ذكره من المجلدات رقم ٥ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ذكر ولاية الملك الصالح إسماعيل على مصر

السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وهو السلطان السادس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والرابع من بني محمد بن قلاوون . جلس على تخت الملك في يوم الخميس^(١) ثاني عشر من المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بعد خلع أخيه الملك الناصر أحمد باتفاق الأمراء على ذلك لما بلغهم عن حسن سيرته ، فإنه قيل للأمراء لما أخرج قوصون أولاد الملك الناصر إلى قوص كان إسماعيل هذا يصوم يومى الاثنين والخميس ، ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن مع العفة والصيانة عما يُرمى به الشباب من اللهو واللعب ، فلما بلغهم ذلك اتفقوا على إقامته في الملك وسلطونه وحلفوا له الأمراء والعساكر وحلف لهم أيضا السلطان الملك الصالح إسماعيل المذكور ألا يؤذى أحدا ولا يقيض على أمير بغير ذنب ، فقام أمره ، ولقب بالملك الصالح ، ودقت البشار ، ونودى بزينة القاهرة ومصر ، ورسم بالإفراج عن المسجونين بفر الإسكندرية ، وكتب بالإفراج أيضا إلى الوجه القبلي والبحري^(٢) ألا يترك بالسجون إلا من استحق عليه القتل . وأسنتقر الأمير

(١) في التوقيعات الإلهامية أنه يوقع في الثاني عشر من المحرم سنة ٧٤٣ هـ .

(٢) تنقسم أراضي الدولة المصرية من الوجهة الجغرافية الطبيعية من المهد الفرعوني إلى اليوم إلى قسمين رئيسيين ، وهما الوجه البحرى الذى يمتد في شمال القاهرة على شكل مروحة وينتهى حده البحرى بالبحر الأبيض المتوسط ، ويقال له أسفل الأرض أو مصر السفلى . وأما الوجه القبلى فهو الذى يمتد على جانبي النيل من جنوب القاهرة إلى آخر حدود مصر الجنوبية ، ويقال له أعلى الأرض أو مصر العليا أو الصعيد ، وقد تكلنا عليه تفصيلا في الحاشية رقم ٣ ص ٤٣ من الجزء التاسع من هذه الضبعة .

أَرْغُونُ العِلائي زوج أُم الملك الصالح رأس نوبة ^(١) ، ويكون رأس المشورة ومدير السلطنة وكافل السلطان . واستقر الأمير آق سُقُر السَلَّارِي نائب السلطنة بالديار المصرية . وكتب للأمرء ببلاد الشام والنواب باستمرارهم وأرسل إليهم الخلع على يد الأمير طُفْتَمِر الصلاحى ، وكتب بتقليد الأمير أَيْدُغُمُش نائب حلب بنبابة الشام ، واستقر عوضه في نيابة حلب الأمير طُفَزْدَمَر المحوى نائب حماة . واستقر في نيابة حماة عوضا عن طُفَزْدَمَر الأمير علم الدين سَنَجَر الجاولى .

ثم كتب السلطان الملك الصالح إسماعيل إلى أخيه الملك الناصر أحمد بالسلام وإعلامه أن الأمرء أقاموه في السلطنة لما علموا أنه ليس له رغبة في ملك مصر ، وأنه يحب بلاد الكرك والشوبك وهي تحكك وملكك ، وسأله أن يرسل القبة والطير والغاشية والتمجاة وتوجه بالكتاب الأمير قُبَلَاى ، وخرج الأمير يتفرا ومعه عِدَّة من الأوجاقية لحز الخيول السلطانية من الكرك الذى كان الملك الناصر أخذهم من الإسطبل السلطانى ، وتوجه الجميع إلى جهة الكرك . ثم في يوم الأربعاء ثامن عشرين المحرم قَدِم الأمرء المسجونون بشفر الإسكندرية إلى القاهرة ، وعدتهم ستة وعشرون أميرا ، منهم الأمير قِيَاثُ وطَيْفَا المجدى وآبن طُوغَان جق وأسَبَغَا آبن البوبكرى وآبن سُوسُون وناصر الدين محمد بن المحسنى والحاج أَرْقُطَاى نائب طرابُلس فى آخرين ، وطلعوا إلى القلعة وقبلوا الأرض بين يدى السلطان . ثم رَسَم السلطان أن يجلس أَرْقُطَاى مكان الأمير علم الدين سَنَجَر الجاولى المنتقل إلى نيابة حماة ، وأن يتوجه البقية على إصريات ببلاد الشام .

(١) هو لقب على الذى يتحدث على ممالك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم . والمراد بالزأس هنا الأعلى أخذا من رأس الإنسان لأنه أئلاذ . ولنوبة واحدة النوب ، وهي المسرة بعد الأخرى . والغامة تقول لأعلام فى خدة السلطان : « رأس نوبة تنوب » وهو خطأ ، لأن المقصود تلز صاحب النوبة لا النوبة نفسها ، والصواب فيه أن يقال : « رأس روس النوب » أى أعلام عن صبح الأحنى (ج ٥ ص ٤٥٥) .

وفي يوم السبت أول صفر قديم من غزاة الأمير قنارى أمير شكار والأمير أبو بكر بن أرغون النائب والأمير ملكتنر الجحازي وصحبته الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد ، ومقدم الممالك الطواشي عنبر السحرتي والممالك السلطانية مفارقين الملك الناصر أحمد . وفيه خرج الأمير طغر دم الجوى من القاهرة لنيابة حلب .

وفي يوم الاثنين ثالثه خلع على الأمير سنجر الجاولي نائب حماة خلعة السفر ، وخلع فيه أيضا على الأمير مسعود بن خطير الحاجب خلعة السفر لنيابة غزاة ، وخلع على القاضي بدر الدين محمد بن محيى الدين محيى بن فضل الله ، وأستقر في كتابة السر بدمشق عوضا عن أخيه شهاب الدين أحمد . ورسم بسفر ممالك قوصون والأمير بشتك إلى البلاد الشامية منفزقين ، وكتب إلى النواب بذلك . وفيه أستقر الأمير جنكلى بن البابا في نظر البيارستان المنصوري بين القصرين عوضا عن سنجر الجاولي . وجلس الأمير آق سفر السلارى بدار النيابة بعد ما عمرها وفتح شباكا . ورسم له أن يعطى الأجناد الإقطاعات من ثلثائة دينار إلى أربعمائة دينار ويشاور فيما فوق ذلك . وأستقر المكين إبراهيم بن قروينة في نظر الجيش . وعين ابن التاج إسحاق لنظر الخاص كلاهما عوضا عن جمال الكفاة بحكم غيبته بالكرك عند الملك الناصر أحمد . وفيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناه .

وفي يوم الاثنين رابع عشرين صفر خلع السلطان على جميع الأمراء كبيرهم وصغيرهم الخلع السنية . وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه قديم القاضي علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر وجمال الكفاة ناظر الجيش والخاص من الكرك إلى

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢١ من هذا الجزء .

(٢) في السلك : « رسم له أن يعطى الأخزاز من ثلثائة إلى أربعمائة دينار ، ويشاور ... الخ » .

(٣) توفى سنة ٧٧١ هـ . (عن الدور الكامنة) .

الديار المصرية مفارقين الملك الناصر بحيلة دبرها جمال الكفاة ، وقد بَقِه عن الناصر أنه يُريد قتلهم خوفاً من حضورهم الى مصر ونقلهم لما هو عليه من سوء السيرة . فبذل جمال الكفاة ليوسف البازدار مالا جزيلا حتى مكثهم من الخروج ، فأقبل عليهم الأمراء والسultan ، وخلع عليهم بأستمرارهم على وظائفهم .

- ثم في يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الأول رَسَم السultan للأمر الطنبغا المارداني الناصري نيابة حمة عوضا عن الأمير سنجر الجاولي وكتب بحضور سنجر الجاولي الى نيابة غزة عوضا عن أمير مسعود ونقل أمير مسعود الى إمرة طبلخاناه بدمشق .

- وقدّم الخبر من شطى أمير العرب بأن الملك الناصر أحمد قَرَر مع بعض الكركيين أنه يدخل الى مصر ويقتل السultan فتشوش الأمراء لذلك فوقع الاتفاق على تجريد العساكر لقتال الملك الناصر وأخذه من الكرك . وفي يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر توجهت التجريدة الى الكرك صحبة الأمير بيغرا ، وهذه أول التجاريد الى الكرك لقتال الملك الناصر أحمد ، وفي عقيب ذلك حَدَث للسultan رُعاف مستمر فأتهمت أمّه أم السultan الأشراف بكنك خوند أَرَدُو بأنها محرّمة ، وهجّمت عليها وأوقعت الحوطة على موجودها وضربت عدّة من جوارها ليحترقن عليها . فلم يكن غير قليل حتى عوفي السultan ، ورَسَم بزيّة القاهرة ، وحملت أم السultan الى المشهد النفيسي قنديل ذهب ، زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية .

(١) كذا في الأصلين ، ولعله يريد بالجمع ما فوق الواحد .

(٢) في أحد الأصلين : « ليعترضوا عليها » . وما أثبتناه عن السلوك لفتنزي ولم ترد هذه العبارة

في الأصل الآخر . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٩ من الجزء التاسع والحاشية رقم ٣ ص ٣٧٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

ثم قَدِمَ الخبر على يد إياز الساقى بموت الأمير أَدْعُمَش نائب الشام فجأة ، فوقع الاختيار على استقرار الأمير طُقُزْدَمَر الميموي نائب حلب مكانه في نيابة الشام واستقر الأمير الطُنْبُغا المَارِدَانِي عوضا عن طقزدمر في نيابة حلب ، واستقر الأمير يَلْبُغا اليَحْيَاوِي في نيابة حماة عوضا عن المارداني .

ثم أنعم السلطان على أَرْغُون العلاني بإقطاع الأمير قُمَارِي بعد موته ، وكتب السلطان لنائب صَفَدَ وغزة بالنجدة للأمير بَيَغْرَا لِحِصَار الملك الناصر بالكرك .

ثم قَدِمَ الخبر من شَطَى أنه ركب مع العسكر على مدينة الكرك وقاتلوا أهل الكرك وهزموهم إلى القلعة ، وأن الملك الناصر أذن وسأل أن يُمهَّل حتى يكتب إلى السلطان ليرسل من يتسلم منه قلعة الكرك ، فرجعوا عنه فلم يكن غير قليل حتى استعدت الملك الناصر وقاتلهم .

وفي يوم الأربعاء رابع شهر رجب كانت فتنة الأمير رمضان أخى السلطان ، وسبب ذلك أن السلطان كان أنعم عليه بتقدمة ألف ، فلما خرج السلطان إلى سِرْيَا قُوس تأخر رمضان عنه بالقلعة وتحدث مع طائفة من المماليك في إقامته سلطانا وأتفقوا على ذلك ، فلما مَرِضَ السلطان الملك الصالح هذا وأسترخى قَوِيَّ أمره ، وشاع ذلك بين الناس وراسل تُكَا الخُصْرِي ومن خرج معه من الأمراء ، وواعد من وافقه على الركوب بقبة النصر ، فبلغ ذلك السلطان ومدبر دولته الأمير أَرْغُون العلاني ، فلم يعبأ بالخبر إلى أن أهل شهر رجب ، جهز الأمير رمضان خيوله وهجنه بناحية بركة الحَبَش (١) ، وواعد أصحابه على يوم الأربعاء ، فبلغ الأمير آق سنقر أمير

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الاستدراكات ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

آخو^١ر عند الغروب بما هو فيه من الحركة ، فندب عدّة من العربان لياتوه بنجر القوم ، فلما أتاه خبرهم سار إليهم وأخذ جميع الخيل والهجن عن آخرهم من خلف القلعة وساقهم إلى الإسطبل السلطاني وعرف السلطان والعلائي أرغون من باب السرّ بما فعله فطلباه إليهما فصعد بما ظفروا به من أسلحة القوم ، فاتفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده والاحتفاظ بهم ، فلما طلع الفجر خرج أرغون العلائي من بين يدي السلطان وطلب إخوة السلطان ووكل بهم ووكل بيت رمضان جماعة حتى طلعت الشمس ، وصعد الأمراء الأكابر إلى القلعة فاستدعى السلطان لهم وأعلموه بما وقع ، فطلبوا سيدي رمضان إليهم فامتنع من الحضور وهم يلحّون في طلبه إلى أن خرجت أمه وصاحت عليهم ، فعادوا عنه إلى أرغون العلائي ، فبعث أرغون بعدة من المالك والخدام لإحضاره فخرج في عشرين مملوكا إلى باب القلعة^(٢) وسأل عن النائب ، فقيل له عند السلطان مع الأمراء فمضى إلى باب القلعة وسيوف أصحابه مضلّة ، وركب على خيول الأمراء ، ومرة من معه إلى سوق الخيل تحت القلعة فلم يجد أحدا من الأمراء ، فتوجه إلى جهة قبة النصر خارج القاهرة ووقف هناك ومعه الأمير تكا الخصري وقد اجتمع الناس عليهم ، وبلغ السلطان والأمراء خبره فأخرج السلطان جمولا بين أربعة ليا به من الاسترخاء ، وركب النائب وآق سنقر أمير آخور وقاري أخو بكتمر الساق وجماعة أحر ، وأقام أكابر الأمراء عند السلطان وصفت أطلابهم تحت القلعة ، وضربت الكوسات جريا ، ونزلت النقباء

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، والحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من

الجزء التاسع من هذه الطبعة .

في طلب الأجناد ، وتوجه النائب إلى قبة النصر ، ووقف بمن معه تجاه رمضان ، وقد كثر جمع رمضان من أجناد الحُسَيْنِيَّة ومن ممالك تُكا والعامة ، وبث النائب يُخبر السلطان بذلك ، فن شدة ما أزعج نهضت قوته ، وقام قائماً على قدميه بعد ما كان يئس من نفسه من عظم آسـترخاء أعضائه ، وأراد الركوب فقام الأمراء وهنوه بالعافية وقبلوا له الأرض وهنوا عليه أمر أخيه رمضان ، ولا زالوا به حتى جلس مكانه ، فأقام إلى بعد الظهر والنائب يُرسل رمضان ويَعده بالجميل ويُخوفه العاقبة ، وهو لا يلتفت إلى قوله ، فعزم النائب على الحملة عليه هو ومن معه ودق طبله فلم يثبت العامة المجتمعة على رمضان وأنفلوا عنه وأنهزم هو وتُكا الحُضْرِي في عِدَّة من الممالك إلى البرية ، والأمراء في طلبه فعاد النائب إلى السلطان ، فلما كان بعد العشاء الآخرة من ليلة الخميس أحضر رمضان وتُكا الحُضْرِي وقد أدركهما بعد المغرب ، ورموا تُكا بالنشاب ، حتى ألقوه عن فرسه وقد وقف فرس رمضان من شدة السَّوق فوُكِّل برمضان من يحفظه ، وأذن للأمراء بترؤمهم إلى بيوتهم ، وطلّموا من بكرة يوم الخميس إلى الخدمة على العادة ، وجلس السلطان وطلب ممالك رمضان ، فأحضروا فأمر بحبسهم فحُبسوا أياماً ، ثم فرّقهم السلطان على الأمراء ، ثم خلع السلطان على الأمراء وفرق عليهم الأموال .

وفي يوم الاثنين سادس عشره وصل قاصد الأمير بغيراً المتوجه إلى الكرك بمن معه من العساكر بعد ما حاربوا الملك الناصر أحمد بالكرك وقتلوه قتالاً شديداً ، وجرح منهم جماعة وقتل أزوادهم ، فكتب السلطان بإحضارهم إلى الديار المصرية . وفيه خلع السلطان على طُرُنطاي البَشْمَقْدَار بناية غزّة عوضاً عن الأمير عَم الدين سَنَجَر الجاُولِي ، وكتب بقدم الجاُولِي إلى مصر . وفي يوم الثلاثاء

رابع عشر^(١)ينه ووسط السلطان تكا الخضرى بسوق الخيل تحت القلعة ووسط معه مملوكين من الممالك السلطانية . وفي هذا الشهر وقف السلطان الملك الصالح صاحب الترجمة ثلثي ناحية سنديس^(٢) من القليوبية على ستة عشر خادما لخدمة الضريح الشريف النبوي عليه الصلاة والسلام ، فتنت عدة خدام الضريح الشريف النبوي بذلك أربعين خادما .

قلت لله نره فيما فعل ! وعلى هذا تحسد الملوك لا على غيره .

ثم اتفق الأمراء مع السلطان على إخراج تجريدة ثانية لقتال الملك الناصر بالكرك ، فلما كان عاشر شعبان خرج الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكاي في ألفي فارس تجريدة للكرك ، وكتب السلطان أيضا بخروج تجريدة من الشام مضافا إلى من خرج من الأمراء والعساكر من الديار المصرية ، وتوجه الجميع ونصبت المناجيق على الكرك وجدوا في حصارها .

وأما الملك الصالح فإنه بعد خروج التجريدة خلع على جمال الكفاة بعدما عزل وصودر باستقراره مشير الدولة بسؤال وزير بغداد في ذلك بعد أن أعيد إلى الوزارة ونزلا معا^(٣) [بتشار يفهما] .

١٥ (١) في الأصلين : « رابع عشرين شعبان » وما أثبتناه عن السلوك للقريري وما يقتضيه السياق لأن فتنه الأمير رمضان كانت في رجب .

(٢) من القرى المصرية القديمة ، أسماها الأصل « دسبندس » وردت في كتاب فتح مصر لابن عبد الحكم ضمن القرى التي نزل بها العرب في الحوف الشرق . وفي القرن السادس الهجري حرف أسماها إلى سنديس فوردت به في تحفة الإرشاد في أسماء البلاد من أعمال الشرقية ، ثم في التحفة السنية لابن الجيخان من أعمال القليوبية ، وهي اليوم إحدى قرى مركز قلوب بمديرية القليوبية بمصر .

(٣) تكله عن السلوك يقتضيه السياق .

وفي ذى القعدة رتب السلطان دروسا للذهاب^(١) الأربعة بالقبة المنصورية ووقف عليهم وعلى قزاق وخدّام ووزير ذلك ناحية دهمشا بالشرقية فأستمر ذلك وعُرف بوقف الصالح .

ثم في يوم الأربعاء عاشر المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة قبض السلطان على أربعة أمراء، وهم الأمير آق سنقر السلاري نائب السلطنة والأمير بيغرا أمير جاندار صهر آق سنقر المذكور والأمير قرأجا الحاجب وأخيه أولاجا، وقيدوا ورسم بحبسهم في الإسكندرية، وخرج الأمير بلك على البريد إلى المجردين إلى الكرك فأدركهم على السعيدية، وطيب خواطرهم وأعلمهم بالقبض على الأمراء وعاد سريعاً، فقدم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادى عشره، وبعد وصوله قبض السلطان على طيغنا الدوادار الصغير، وكان سبب قبض السلطان على هؤلاء الأمراء أن الأمير آق سنقر كان في نيابته لا يرد قاصدا ولا قصة تُرفع إليه، فقصدته الناس من الأفطار وسألوه الرزق والأراضى التى أنشأها لهم تكن بيد أحد، وكذلك نيابة القلاع والأعمال والرواتب وإقطاعات الحلقة، فلم يرد أحدا سأل شيئا من ذلك سواء أكان ما أنشأه صحيحا أم باطلا، فإذا قيل له : هذا الذى سأله يحتاج أن يكشف عنه تغير وجهه وقال : ليس تقطع رزق الناس، وكان إذا كتب الإقطاع لأحد فيحضر صاحبه من سفره أو تعافى من مرضه وسأل في إعادة إقطاعه

(١) في المذهب الصافي : « رتب دروسا للقضاة الأربعة » وعلى هذه الرواية يترن السياق مع قول

المؤلف : « ووقف عليهم ... الخ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٣٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) من القروى المصرية القديمة . وردت في النسخة السنية لأبن الجيعان بأسم دهمشا الجمام . وهي

اليوم إحدى قرى مركز بليس بمديرية الشرقية بمصر .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

قال له : هذا أخذ إقطاعك ونحن نعوّضك ، ففسدت الأحوال لا سيما البلاد الشامية ، فكتب النواب بذلك للسلطان ، فكتبه السلطان فلم يرجع وقال : كل من طلب مني شيئا أعطيته ، وما أردت قلبي عن أحد ، بحيث إنه كان تقدم إليه القصة وهو يأكل فيترك أكله ، ويكتب عليها من غير أن يعلم ما فيها ، فأغلظ له بسبب ذلك الأمير شمس الدين آق سنقر الناصري أمير آخور ، واتفق مع ذلك أنه وشي به أنه مباطن مع الملك الناصر أحمد ، وأن كُتبه يصل إليه فقرر أرغون العلاني مسكه مع السلطان ، فأمسك هو وحاشيته ، هذا ما كان من أمره .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر المحرم من سنة أربع وأربعين المذكورة خلع السلطان على الأمير الحاج آل ملك ، وأستقر في نيابة السلطنة عوضا عن آق سنقر السلاري المذكور . ثم في ثاني عشر صفر قدم الخبر بوفاة الأمير الطنبغا المارداني الناصري . نائب حلب ، فرسم السلطان للأمير يلبغا اليحايوي نائب حماة بأستقراره في نيابة حلب عوضه ، وأستقر في نيابة حماة الأمير طقتمر الأحمدي نائب صفد وأستقر بلك الجمدار في نيابة صفد . وتوجه الأمير أرغون شاه بتقليد يلبغا اليحايوي وتوجه الأمير الطنبغا البرناق بتقليد نائب حماة .

وفي يوم السبت خامس عشرين صفر قدم الأمير بيبرس الأحمدي والأمير شوكاى بن معهما من المهزدين إلى الكرك ، فركب الأمراء إلى لقائهم ، وأستمر الأمير أصلم على حصار الكرك وهي التجريدة الثانية للكرك ، وعرفوا الأمراء السلطان أنه لا بد من خروج تجريدة ثالثة سريعا تقوية لأصلم لئلا يتنفس الناصر ويدوم الحصار عليه ، فعين السلطان جماعة من أعيان الأمراء وتجهزوا وخرجوا في يوم الاثنين رابع شهر ربيع الآخر ، وهم الأمير جنكلى بن الباء والأمير آق سنقر الناصري

الأمير أخور والأمير مَلِكْتُمُ السَّرْجَوَانِي والأمير عمر بن أرغون النائب في أربعة آلاف فارس تقويةً لأصلهم ، وهذه التجريدة الثالثة إلى الكرك^(١) ، وتوجه مصحبهم عدةً من تجارين ونجارين وتقايين وفطية ، وخرج السلطان أيضا في يوم سفرهم إلى سرياقوس على العادة كالمودع لهم .

وفي هذه الأيام آشتد نائب السلطنة الحاج آل ملك على والى القاهرة ومصر في بيع الخمر وغيره من المحرمات ، وعاقب جماعة كثيرة على ذلك وكان هذا دأب النائب من يوم أن حرب خزانة البنود في العام الماضي وأراق خمرها وبنائها مسجدا ، وحكروا للناس فعمروها دورا . وكان الذي يفعل في خزانة البنود من المعاصي والفسق يُستَحْي من ذكره فعف الناس في أيام نيابة آل ملك المذكور عن كثير من المعاصي خوفاً منه ، واستمر على ما هو عليه من تتبع الفواحش والخواطئ وغير ذلك حتى إنه نادى : من أحضر سكرانا واحداً معه جرة نمر خلع عليه فقعد العامة لشربة الخمر بكل طريق ، وأتوه مرةً بمجندي قد سكر فضربه وقطع خبزه وخلع على من قبض عليه ، ووقع له أمور مع بيعة الخمر يطول الشرح في ذكرها .

وكان يجلس في شبك النيابة طول النهار لا يمل من الحكم ولا يسأم ، وتروح أصحاب الوظائف ولا يبقى عنده إلا النقباء البطالة حتى لا يفوته أحد ، وصار له مهابة

(١) في السلوك : « وهي التجريدة الرابعة » . (٢) خزانة البنود وهي الزايات والأعلام ، ذكرها القرزى في خطه فقال : إنه كان بها ثلاثة آلاف صانع . برزين في سائر الصنائع أي أنها كانت قائمة على مساحة واسعة من الأرض ، كما يدل عليها حدودها المذكورة في الحاشية الخاصة بها . وغير معقول أن يقام على هذه المساحة الكبيرة مسجد واحد . ولعل المقصود أن الحاج آل ملك أقام المسجد الذي أشار إليه المؤلف في مكان الحانة التي كانت تباع فيها الخمر بمخزن خزانة البنود لتطهير تلك البقعة .

وبالبحث عن مكان المسجد المذكور في منطقة خزانة البنود تبين لي أنه أندروليس له أنزل اليوم بين مباني تلك المنطقة . هذا مع العلم بأن هذا المسجد الذي أنشاه آل ملك في سنة ٧٤٣ هـ هو غير المدرسة الملكية التي أنشأها الحاج آل ملك الجوكندار المذكور في سنة ٧١٩ هـ تجاه داره التي كانت بمخزن المنهد الحسيني ، فإن هذه المدرسة لا تزال موجودة إلى اليوم بشارع أم الفلام بالقرب من جامع سيدنا الحسين بالقاهرة ، وكان له جامع آخر خارج باب النصر وقد أندرو . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

عظيمة وحرمة كَفَّتْ الناس عن أشياء كثيرة حتى أعيان الأمراء، حتى قال فيه بعض شعراء عصره :

ال مَلَكُ الحَجَّ غدا سَعْدُهُ * يملأُ ظَهَرَ الأرضِ مَهما سَلَكَ

فالأمراء من دونه سُوقَةٌ * والمَلِكُ الظاهر هو المَلِكُ

- (١) وفي يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى قَدِمَ الأمير أَصْلَمُ و[أبو بكر] بن أَرْغُونِ النَّائِبِ وأُرْبَعًا من تجريدة الكَرَكِ بغير إذن وأَعْتَذروا بضعف أبدانهم وكثرة الجراحات في أصحابهم وقلة الزاد عندهم ، فَقَبِلَ السلطان عُدْرَهُم ، ورَسَمَ بِسَفر طُقْتُمُر الصلاحى وتمر الموساوى في عشرين مقدما من الحلقة وألْفى فارس نجدة لمن بَقِيَ من الأمراء على حِصار الكرك فساروا في سَلْخه ، وهذه التجريدة الرابعة بل الخامسة ؛ فإنه تكرر رواح الأمراء في تلك التجريدة مَرَّتَيْنِ .

- ثم بعد مدة رَسَمَ السلطان بتجهيز الأمير علم الدين سَنَجَر الحاولى والأمير أَرْقُطَاى والأمير قُأَرى الأستاذار وعشرين أمير طبلخاناه وثلاثين مقدم حلقة فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال في أَلْفى فارس إلى الكرك وهى التجريدة السادسة وتوجه معهم أيضا عِدَّةُ حَجَّارين ونقابين ونفطبة وغير ذلك .

- (٣) وفي مستهل شهر رمضان قَرَعَتِ عمارة السلطان الملك الصالح إسماعيل صاحب الترجمة من القاعة التى أنشأها المعروفة الآن بالدهيشة الملاصقة للدور السلطانية المِطْلَّة على الحوش وقُرِشتْ بأنواع البُسُط والمقاعد الزركش .

(١) كذا في الأصلين . وفي السلوك للقرىزى : « وفي يوم الأحد سابع عشرين جمادى الأولى قدم الأمير أصلم ... الخ » . (٢) الحكمة من السلوك .

- (٣) كذا في الأصلين والسلوك للقرىزى . ومن الحاشية التالية يتضح أن هذا الخبر سابق لأوانه ، وقد جرت عادة المؤلف أن ينقل عن السلوك للقرىزى وقد ورد فيه ذكر شهر رمضان بعد شهر شوال سنة ٧٤٤هـ (٤) هى قاعة كبيرة مرتفعة البناء ، تدهش كل من نظر إليها بفخيم بناؤها وحسن زخرفها وجمال فراشها الفانى ، ذكرها القرىزى في خطه (ص ٢١٢ ج ٢) فقال : إن الدهيشة عمرها الملك الصالح عماد الدين =

قلت : هي الآن مجازاً لأوباش الرعية لمن له حاجة عند السلطان من التزكُّن والأعراب والأوغاد والأتباع . والله درّ القائل :

وإذا تأملتَ البقاعَ وجدتها • تشقى كما تشقى الرجالُ وتَسعدُ

وجلس السلطان الملك الصالح فيها، وبين يديه جواريه وخدمته وحُرَّمه، وأكثر السلطان في ذلك اليوم من الخلع والعطاء، وكان السلطان قد اختص ببيغاً الصالحية وأمره وخوله في النعم وزوجه بأبنة الأمير أرغون العلاني مدبر مملكة السلطان وزوج أمه، والبنيت المذكورة أخت السلطان لأتفه، وكثُر في هذه الأيام استيلاء الجوارى والخُدام على الدولة وعارضوا النائب في أمور كثيرة حتى صار النائب يقول لمن يسأله شيئاً : رُوح إلى الطواشي فلان فينقضي شُغلك . واستمر السلطان يكثر من الجلوس في الدهشة بأبهة عظيمة إلى الغاية .

ثم رَسَم السلطان بإحضار المحردين إلى الكرك وعين عوصهم تجريدة أخرى إلى الكرك وهي التجريدة السابعة، فيها الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكاي وعشرون أميراً بطلخاناه وستة عشر أمير عشرة، وكتب بخروج عسكر أيضاً من دمشق ومعهم المنجنيق والزحافات، وحمل إلى الأحمدي مبلغ ألفي دينار، وكذلك

= إسماعيل بن محمد بن قلاوون في سنة ٧٤٥ هـ بإشراف أبيج المهندس، و جلب لبنانها من دمشق وحلب أربعة آلاف قطعة من الحجر الأبيض والأحمر نقلت على ظهور الجمال حتى وصلت إلى قلعة الجبل ، ونقل إليها الرخام من بيوت الأمراء، والكتاب حتى تمت في شهر رمضان من تلك السنة ، وعمل لها من الفرش والبسط والآلات ما يجبل وصفه .

و يلاحظ أن المؤلف ذكر أنها عمارة هذه الدهشة في مستهل رمضان سنة ٧٤٤ هـ، والأرجح أنها تمت في الشهر المذكور من سنة ٧٤٥ هـ كما ذكر المقرئ .

وبما أن الدهشة المذكورة كانت ملاصقة للدور السلطانية من جهة ومطلية على الحوش من أخرى فبالبحث عن مكانها تبين أنها أُنشئت وكانت تقع في الجهة الشرقية القبلية من جامع مجد على بالقلعة بالقاهرة .

(١) في السلوك : « ولكوكاي ألف دينار » .

للكوكاي ، ولكل أمير طبلخاناه نسمائه دينار ، ولكل أمير عشرة مائتي دينار ، وأرسل أيضا مع الأحمدي أربعة آلاف دينار لمن عساه ينزل إليه من قلعة الكرك ظائما ، وجّهز معه تشاريف كثيرة ، وعيّنت لهم الإقامات ، وكان الوقت شتاء ففاسوا من الأمطار مشقات كثيرة ، وأقاموا نحو شهرين وخرج معهم ستة آلاف رأس من البقر ومائتي رأس جاموس ونحو ألفي راجل فاستعدّ لهم الملك الناصر ، وجمع الرجال وأنفق فيهم مالا كثيرا ، وفرّق فيهم الأسلحة المرصدة بقلعة الكرك . وركّب المتجنّيق الذي بها ، ووقع بينهم القتال والحصار إلى ما سيأتي ذكره .

ثم رَسَم السلطان بالقبض على الأمير آقبا عبد الواحد فقُبِض عليه بِدِمَشَق في عِدَّة من أمرائها وَتَجَنُّوا بها لملهم لالك الناصر أحمد ، وأشدّت الحصار على الملك الناصر بالكرك وضائق عليه هو ومن معه لقلّة القوت ، وتخلّى عنه أهل الكرك ، وصيّروا من طول الحصار ، وعدّوا الأمراء بالمساعدة عليه ، فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم . هذا وقد آسَتهم السلطان في أوّل سنة خمس وأربعين وسبعائة بتجريدة ثامنة إلى الكرك ، وعيّن فيها الأمير منكي بغا الفخرى والأمير قماري والأمير طشتمر طاليه ، ولم يجد السلطان في بيت المال ما يُنفقه عليهم فأخذ مالا من تجار العجم ومن بنت الأمير بكتمر الساق على سبيل القرض وأنفق فيهم ، وخرج المجرّدون في يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم سنة خمس وأربعين وسبعائة ، وهؤلاء نجدة لمن توجه قبلهم خوفاً أن يملّ من كان توجه من القتال . فوجد الناصر فرجا بمودهم عنه ، وقطعت الميرة عن الملك الناصر ، ونفدت أمواله من كثرة نفقاته فوقع الطمع فيه وأخذ بالغ ، وكان أجل نقاته في العمل عليه وكاتب الأمراء ووعدهم بأنه يُسلم إليهم الكرك وسأل الأمان فكتب إليه من السلطان أماناً وقدم إلى القاهرة .

ومعه مسعود وآبن أبي الليث وهما أعيان مشايخ الكرك فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم،
وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات والأراضي، وكان من جملة ما طلبه
بالغ وحده [نحو] ^(١) أربعمائة وخمسين ألف درهم في السنة، وكذلك أصحابه .

ثم ركب العسكر للحرب وخرج الكركيون فلم يكن غير ساعة حتى أنهزموا منهم
إلى داخل المدينة، فدخل العسكر أفواجا وأستوطنوها، وجدوا في قتال أهل القلعة
عدة أيام، والنامس تنزل إليهم منها شيئا بعد شيء، حتى لم يبق عند الملك الناصر أحمد
بقلعة الكرك سوى عشرة أنفس فأقام يرعى بهم على العسكر وهو يُحَدِّثُ القتال ويرى
بنفسه وكان قوى الرمي شجاعا إلى أن جرح في ثلاثة مواضع وتمكنت النقابة من
البرج وعلقوه وأضرموا النار تحته، حتى وقع . وكان الأمير سنجار الجاولي قد بالغ
أشد مبالغة في الحصار وبذل فيه مالا كثيرا .

ثم هجم العسكر على القلعة في يوم الاثنين ثاني عشرين صفر سنة خمس وأربعين
وسبعمائة فوجدوا الناصر قد خرج من موضع وعليه زردية وقد تنكب قوسه وشهر
سيفه فوقفوا ، وسلموا عليه فرد عليهم وهو متجهم ^(٢) وفي وجهه جرح، وكتفه
أيضا يسيل دما ، فتقدم إليه الأمير أرقطاي والأمير قاري في آخرين ،
وأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذي كان به وأجلسوه، وطببوا قلبه وهو
ساكت لا يجهيهم ، فقيده ووكّلوا به جماعة ، ورثبوا له طعاما ، فأقام يومه
وليته ، ومن باكرا الغد يُقدّم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئا إلى أن سأله أن يأكل
فأبى أن يأكل ، حتى يأتوه بشاب يقال له : عثمان ، كان يهواه فأتوه به فأكل

(١) في السلوك : «ومعه مسعود بن أبي الليث»

(٢) زيادة عن السلوك يقتضها السياق .

(٣) في الأصلين : « متحمم » . وما أتبعناه عن السلوك . والمتجهم من تجهمه إذا استقبله بوجه

- عند ذلك ، وخرج الأمير آبن بَيْفًا حارس طَيْرَ الْبِشَارَةِ إلى السلطان الملك الصالح وعلى يده كُتِبَ الأُمراءُ فَقَدِمَ قلعة الجبل في يوم السبت سابع من عشرين صفر، فدَقَّتْ البشائرُ سبعة أيام . وأخرج السلطانَ مَنبَجَ الْيُوسُفِيِّ الناصريّ السلاح دار ليلًا من القاهرة على البُخْت لقتل الملك الناصر أحمد من غير مشاورة الأُمراء في ذلك، فوصل إلى الكرك وأدخل عليه من أخرج الشاب من عنده، ثم خفّفه في ليلة رابع شهر ربيع الأول، وقطع رأسه وسار من ليلته ولم يُعلم الأُمراء ولا السكر بشيء من ذلك، حتى أصبحوا وقد قَطَعَ مَنبَجَ مسافة بعيدة، وقَدِمَ بعد ثلاثة أيام قلعة الجبل ليلًا، وقَدَّمَ الرأس بين يدي السلطان، وكان ضخمًا مهولًا، له شعر طويل، فأقشعر السلطان عند رؤيته وبات مرجوفًا، وطلب الأمير قُبْلَايَ الحاجب، ورسم له أن يتوجه لحفظ الكرك إلى أن يأتيه نائب لها، وكتب السلطان بعود الأُمراء والمساكر المجزدين إلى الكرك، فكانت مدة حصار الملك الناصر بالكرك ستين شهرًا وثلاثة أيام^(١). ثم قَدِمَ الأُمراء المجردون إلى الكرك فَنَقَلَ السلطان على الجميع وشكرهم وأكثر من الثناء عليهم. ثم خلع على الأمير مَلِكْتُمُ السَّرْجَوَانِيّ بآستقراره في نيابة الكرك على ما كان عليه قديمًا، وجَهَّزَ معه عدة صناعات لعمارة ما تهدم من قلعة الكرك وإعادة البرج على ما كان عليه، ورسم بأن يخرج مائة مملوك معه من ممالك قَوْصُون و بَسْتَك الذين كان الملك الناصر قد أسكنهم بالقلعة، ورتب لهم الرواتب ويخرج منهم مائتان إلى دِمَشْق وحماة وحمص وطرابلس وصفد وحلب فأخرجوا جميعًا في يوم واحد، ونساؤهم وأولادهم في بكاء وعويل، وسخروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها .

٢٠ (١) في الأصلين: « ثامن عشرين صفر » . وما أثبتناه عن التوقيفات الإلهامية وما يقتضيه السياق .

(٢) في السلوك : « وثمالة أيام » .

ثم وقعت الوحشة بين الأمير أرغون العلّائي والأمير ملكتمر المجازي وبين الحاج آل ملك نائب السلطنة وصار المجازي والعلّائي معاً على آل ملك النائب، ووقع بين آل ملك والمجازي أمور يطول شرحها، وكان المجازي مولعاً بالنخر وآل الملك ينهى عن شربها، فكان كلما ظفر بأحد من حواشي المجازي مثل به فتقوم قيامة المجازي لذلك، وتفاوضا غير مرة بسبب هذا في مجالس السلطان، وأرغون العلّائي يميل مع المجازي لما في نفسه من آل ملك وداما على ذلك مدة .

وأما السلطان فإنه بعد مدة نزل إلى سرياقوس بتجمل زائد على العادة في كل سنة . ثم عاد إلى القلعة بعد أيام، فورد عليه قُصّاد صاحب الروم وقُصّاد صاحب الغرب . ثم بدا للسلطان الحج قهناً لذلك وأرسل يطالب العُربان وأعطاهم الأموال بسبب كراء الجبال، فتغير مزاجه في مستهل شهر ربيع الأول ولزم الفراش ولم يخرج إلى الخدمة أياماً، وكثرت القالة بسبب ضعفه، وتحسنت الأسعار . ثم أُرِجِف بموت السلطان في بعض الأيام، فأغلقت الأسواق حتى ركب الوالي والمُخَنَسِب وضربوا جماعة وشهروهم، ثم اجتمعوا الأمراء ودخلوا على السلطان وتلطّفوا به حتى أبطل حركة الحج، وكتب بمؤد طُفَّتَمَر من الشام، واستعادة الأموال من العُربان، وما زال السلطان يتعلّل إلى أن تحرك أخوه شعبان وأتفق مع عِدّة ممالك وقد انقطع خبر السلطان عن الأمراء، وكتب السلطان بالإفراج عن المسجونين من الأمراء وغيرهم بالأعمال، وفُرِّقت صدقات كثيرة، ورُتبت جماعة لقراءة «صحيح البخاري» فقوى أمر شعبان، وعزم أن يقبض على النائب فأحترز النائب منه، وأخذ أكابر الأمراء في توزيع أموالهم وحريمهم في الأماكن، ودخلوا على السلطان وسألوه أن يعهد لأحد من إخوته، فطلب النائب وبقية الأمراء فلم يحضر إليه أحد منهم، وقد اتفق الأمير أرغون العلّائي مع جماعة على إقامة شعبان في الملك، وفرق فيهم

مالا كبيرا ، فإنه كان أيضا ابن زوجته شقيق الملك الصالح إسماعيل لأبيه وأمه ، وأقام مع أرغون غُرْلُو وتمرَّ الموساوى وأمنع النائب من إقامته وصاروا حزينين ، فقام النائب آل مَلَك في الإنكار على سلطنة شعبان ، وقد أجمع مع الأمراء بباب القلعة وقبض على غُرْلُو وسجنه وتحالف هو وأرغون العلاني وبقية الأمراء على عمل مصالح المسلمين .

ومات السلطان الملك الصالح إسماعيل في ليلة الخميس^(١) رابع شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعائة ، وقد بلغ من العمر نحو عشرين سنة ، فكنم موته ، وقام شعبان إلى أمه ومنع من إشاعة موت أخيه ، وخرج إلى أصحابه وفقر معهم أمره ، فخرج طشتمر ورسلان بصل إلى منكلي بغا ليستعطوا الأمير أرقطاي والأمير أصلم ، وكان النائب والأمراء علموا من العصر أن السلطان في التزع وأنفقوا على النزول من القلعة إلى بيوتهم بالقاهرة ، فدخل الجماعة على أرقطاي ليستميلوه لشعبان فوعدهم بذلك ، ثم دخلوا على أصلم فأجابهم وعادوا إلى شعبان ، وقد ظنوا أن أمرهم تم ، فلما أصبحوا نهار الخميس خرج الأمير أرغون العلاني والأمير ملكشمر المجازي وتمرَّ الموساوى وطشتمر طَلَّيه ومنكلي بغا الفخرى وأسندمر وجلسوا بباب القلعة فأتاهم الأمير أرقطاي والأمير أصلم والوزير نجم الدين محمود والأمير قماري الأستاذار وطلبوا النائب فلم يحضر إليهم ، فضوا كلهم إلى عنده وأستدعوا الأمير چنگلي بن البابا وأشثوروا فيمن يولوه السلطنة فأشار چنگلي أن يرسل إلى المالك السلطانية ويسألهم من يختاروه فلان من اختاروه رضيناه سلطانا ، فصاد جوابهم مع الحاجب أنهم رضوا بشعبان سلطانا ، فقاموا جميعا ومعهم النائب إلى داخل باب القلعة . وكان

(١) كذا في الأصلين والسلوك . وفي المنهل الصافي : «رتوف في العشرين من ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبعائة» . وفي آين إيباس : « مات يوم الخميس حادي عشر ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبعائة » .

شعبان تخيل من دخولهم عليه وجمع المالِك وقال . من دخل على وجلس على
الكُرسي قتلته بسيفي هذا ! وأنا أجلس على الكرسي حتى أبصر من يقمى عنه .
فسير أرغون العلائى [إليه ^(١)] وبشره وطيب خاطره ، ودخل الأمراء إليه وسلطنوه
ولُقب بالملك الكامل سيف الدين شعبان حسب ما يأتى ذكره فى أول ترجمته .
ولنرجع إلى بقية ترجمة الملك الصالح إسماعيل .

وكان الملك الصالح سلطاناً سائكاً عاقلاً قليل الشر كثير الخير ، هيناً ليناً بشوشاً ،
وكان شكلاً حسناً حلواً الوجه أبيض بصفرة وعلى خده شامة . ولم يكن فى أولاد
الملك الناصر خيراً منه . رتب دروساً بمدرسة جدّه المنصور قلاوون . وجدّد جماعة
من الخُدّام بالحرم النبوى ، حسب ما ذكرناه فى وقته . وله مآثر كثيرة بمكة وآسمه
مكتوب على رباط السُدرة بحرم مكة ، ولم يزل منابراً على فعل الخير حتى توفى .
ولما مات رثاه الشيخ صلاح الدين الصفدى بقوله

مضى الصالح المرجو للبأس والندى * ومن لم يزل يلقى المني بالمناجيع ^(٢)
فيا مُلك مصر كيف حالك بعده * إذا نحن أشتينا عليك بصالح

وكان الملك الصالح محبباً للرعية على مشقة كانت فى أيامه من كثرة التجاريد إلى قتال
أخيه الملك الناصر أحمد بالكرك وكانت السبل مخيطة . وشغف مع ذلك بالحوارى السود ،
وأفرط فى محبة إتفاق العوادة ^(٣) وفى العطاء لها ، وقرب أرباب الملاهى ، وأعرض

(١) تكله عن السلوك . (٢) بمكة ربط موقوفة على الفقراء ، منها الرباط المعروف برياط
السُدرة بالخلف الشرق من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب بنى شيبه ، لا أدرى
من وقفه ولا متى وقف إلا أنه كان موقوفاً قبل سنة أربع مائة . وموضعه هو دار القوارير التى بنيت فى زمن
الرشيد ، على ما ذكره الأزرقى . انظر كتاب تواريخ مكة (ج ٢ ص ١٠٨ طبع أوردبا) فى الجزء المنقول
من شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . (٣) جمع منيحة ، وهى العطية .

(٤) ذكرها صاحب الدرر الكامنة ترجمه طويلة فقال : « إتفاق المولدة الجنس ، نشأت عند
ضامة المغانى ييليس . ثم انتقلت إلى ضامة المغانى بمصر ، فعلمتها عند على العجمى ضرب المود ، فقدّمها
لضامة لبنت الناصر فخلعت عند الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ... الخ »

عن تدير الملك بإقباله على النساء والمطيرين ، حتى كان إذا ركب إلى سرحة سر ياقوس
أو سرحة الأهرام ركب^(١) أمه في مائتي امرأة الأكاديش بنباب الأطلس الملوّن
وعلى رؤوسهن الطرايطر الجلد البرغالي^(٢) المرصعة بالجوهر واللائق وبين أيديهن الخدام
الطواشية من القلعة إلى السرحة . ثم تركب حظاياها الخيول العربية ويتسابقن
ويركبن تارة بالكاملات الحرير ويلعبن بالكرة ، وكانت هن في المواسم والأعياد
وأوقات التزهة أمور من هذا النموذج . وأستولى الخدام والطواشية في أيامه على
أحوال الدولة ، وعظم أمرهم بتحكم كبيرهم عتبر السحرقى لالة السلطان ، وأقننى
عتبر السحرقى البراة والسناقر ، وصار يركب إلى المظم ويتصيد بنباب الحرير^(٣)
المزركشة ، وأخذ له كفا للصيد مرصعا بالجوهر . وعمل له خاصكية وخداما
ومالك تركب في خدمته ، حتى ثقل أمره على أكابر أمراء الدولة ، فإنه أكثر
من شراء الأملاك والتجارة في البضائع ، كل ذلك لكونه لالا السلطان . وأورد
له ميدانا يلعب فيه بالكرة ، وتصدى لقضاء الأشغال وقصده الناس فصارت
الإقطاعات والرّزق والوظائف لا تقضى إلا بالخدام والنساء .

وكان متحصّل الدولة في أيام الملك الصالح قليلا ومصرف الهارة كثيرا .
وكان مغرما بالجلوس بقاعة الدهيشة ، لاسيما لما ولدت منه إتفاق العوادة ولذا
ذكرنا ، عمل لها فيه مئمتا بلغ الغاية التي لا توصف ، ومع هذا كانت حياته منقصة
وعيشته منكدة لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠ من هذا الجزء . (٣) اللالا : كلمة فارسية معناها :

المرجى الأول . وفي بعض المصادر تأتي بالباء المربوطة وفي بعضها بدون تاء .

(٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٥) أطلنا البحث عن هذا الميدان فلم نهند إليه في مظانه .

ثم قَدِمَ عليه مَنَجَّك السلاح دار برأس أخيه الملك الناصر أحمد من الكرك ،
فلما قدم بين يديه ورآه بعد غسله آهتَّ وتغيَّرَ لونه وذِعِرَ ، حتَّى إنه بات تلك الليلة
يراه في نومه ويُفزع فزعاً شديداً ، وتعلَّلَ من رؤيته ، وما بَرِحَ يعتريه الأرق ورؤية
الأحلام المزعجة ، وتماذَى مرضه وكثر إرجافه ، حتَّى اعتراه القولنج ، وقوى
عليه حتَّى مات منه في يوم الخميس المذكور . ودُفِنَ عند أبيه وجده الملك المنصور^(١)
قلاوون بالقبة المنصورية في ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر ، فكانت مدة ملكه^(٢)
بالديار المصرية ثلاث سنين وشهرين وأحد عشر يوماً . وقال الصفدى :
ثلاث سنين وشهراً وثمانية عشر يوماً . وتسلمن من بعده أخوه شقيقه شعبان ولُقِّبَ
بالكامل . وعُمِّلَ للكل الصالح العزاء بالديار المصرية أياماً كثيرة ، ودارت الجوارى
بالملاهي يضربن بالدقوف ، والمختبرات حواسر يبيكين ويلطمن ، وكثُرَ حزن الناس
عليه ووجدوا عليه وجداً عظيماً .



السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح إسماعيل على مصر ، وهى سنة
ثلاث وأربعين وسبعمائة .
فيها تُوِّفِيَ الشَّيْخُ الإمام بُرْهَانُ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّفَّاقِينِ^(٣)
المالِكِيَّ في ذِي الْحِجَّةِ . وكان إماماً فقيهاً بارعاً أفقياً ودزساً سنين ، وله مصنفات
مفيدة ، منها : « إعراب القرآن »^(٤) « وشرح ابن الحاحب في الفقه » وغير ذلك .
وكان معلوداً من علماء المالكية .

(١) تقدم قبل ذلك بخليل أنه توفى ليلة الخميس . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من
الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) في الدرر الكامنة أنه توفى سنة ٧٤٢ هـ . (٤) ويسمى
« المجيد في إعراب القرآن المجيد » . توجد منه نسختان مخطوطتان محفوظتان بدار الكتب المصرية
والجزء الأول من نسخة أخرى تحت أرقام : [٢٢٢ ، ٦١٣ ، ٧٣٦] . (فهرس التفسير) .

وتوفي الأمير سيف الدين أرتغر^(١) بن عبد الله الناصري ناظر طرابلس بها .
وكان من أجل أمراء الدولة ومن أعيان ممالك الناصر محمد وخاصكيته وتنقل
في عدة ولايات . وكان معدودا من الشجعان .

- وتوفي الأمير الكبير علاء الدين أيدغمش^(٢) بن عبد الله الناصري الأمير آخور ،
ثم نائب حلب ثم نائب الشام بغزة في بكرة يوم الأربعاء رابع جمادى الآخرة ، ودُفن
في آرميدان الحصى في تربة عُمرت له هناك . وكانت مدة نيابته بحلب والشام
نصف سنة ، وكانت موته غريبة وهو أنه ركب في بكرة ثالث جمادى الآخرة وخرج
ظاهر دمشق وأطعم طيور الصيد وعاد إلى دار السعادة وقُرئت عليه قصص يسيرة ،
ثم أكل السَّماط . ثم عَرَضَ طُلبه والمُضامين إليه ، وقدم جماعة وأنرجاعة ثم دخل
إليه ديوانه وقرأ عليه مخازيم وحساب ومصروف ديوانه . ثم قال أيدغمش : هؤلاء
الذين تزوجوا من ممالك أقطعوا مرتبهم . ثم أكل الطَّارِي^(٣) ، وقعد هو وآبن جمَّاز
يتحدثان فسمع حَسَّ جماعة من جواريه يتخاضعن ، فقام وأخذ عصاه ودخل
إليهن وضرب واحدة منهن ضربتين وسقط ميتا لم يتنفس ، فتحير الناس في أمره
فأمهلوه إلى بكرة يوم الأربعاء فلم يتحرك ، ففسلوه وكفنوه ودفنوه .

- (١) ضبط في المجلد الصافي بالقلم : (بضم الألف والراء) . (٢) في الدرر الكامنة أنه توفي
يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٤) المخازيم ، يقصد بها هنا سجل القيد اليومي . وكانت هذه الوظيفة من اختصاص الصيارفة
والجهاز كنية أستخرج المال وقبضه (انظر قوانين الدواوين لابن مائ طبعة الجمعية الزراعية ص ٣٠٤
وصبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦) .

- (٥) ذكره المقرئ في خطه (ج ٢ ص ٢١٠) تحت عنوان : « الأسطة السلطانية » فقال :
« وكانت العادة أن يمد بالسماط في طرف النهار من كل يوم أسطة جليلة لعامة الأمراء خلا البرانيين وقليل
مأم ، فبكرة يمد سماط أول لا يأكل منه السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل منه السلطان وقد
لا يأكل . ثم ثالث بعده ويسمى الطاري ومنه ما كوال السلطان » .

وكان أصل أيدغمش هذا من مماليك الأمير بلبان الطَّبَّانِي، ثم اتصل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فجعله من جملة خاصتيه . ثم رقاؤه حتى جعله أمير آخور كبير بعد بيبرس الحاجب فدام في وظيفة الأمير آخورية نحو عشرين سنة . وقد استوعبنا من حاله مع قوصون وغيره قطعة جيدة في ترجمة الملك الناصر أحمد وغيره . وكان أميراً جليلاً عاقلاً مهاباً شجاعاً مدبراً مقداماً كريماً^(١)، قلَّ من دخل إليه للسلام إلا وأعطاه شيئاً . وكان مكيناً عند أستاذه الملك الناصر، على أنه أنهم على أولاده الثلاثة بإمرة، وهم أمير حاج ملك وأمير أحمد وأمير على . وكان أيدغمش يميل إلى فضل الخير، وله مآثر حميدة . وهو صاحب الحمام^(٢) والنخوة خارج بابي زويلة . رحمه الله . وتوفي الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الناصري^(٣) الحاجب بدمشق في شهر رجب وهو أيضاً من المماليك الناصرية ، رقاؤه أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار أمير مائة ومقدم ألف . ثم ولّاه أمير آخور مدة سنين . ثم عزله بالأمير أيدغمش المقدم ذكره، وولّاه المجوبية ثم جرّده إلى اليمن فبلغه عنه أنه أخذ برطيل^(٤)

(١) في أحد الأصلين « كبيراً » .

(٢) حمام أيدغمش ، هو بذاته حمام الدوب الأحمر الآن الواقع في شارع الدوب الأحمر على رأس حارة الروم . ونخوة أيدغمش هي بذاتها باب حارة الروم المذكورة ، وكانت هذه النخوة بلصق الحمام وهي في حكم أبواب القاهرة ، يخرج منها إلى ظاهر القاهرة عند إغلاق الأبواب في الليل أو حين الفتن . راجع خطط المقرئ (ج ٢ ص ١٤٥) وخطط على باشا مبارك (ج ٢ ص ٣٢) . (٢) عرف المقرئ في هذا النوع من الضرائب في خططه (ج ١ ص ١١١) في الكلام على ذكر أنعام مال مصر فقال : « وأما البراطيل ، وهي الأموال التي تؤخذ من ولاية البلاد ومحتسبها وقضاها وعمالها... الخ » . وفي هامش ص ٦٨ من كتاب المصرب من الكلام الأجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر المتوفى سنة ٥٤٠ هـ المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية في الكلام على « لبرطيل » أنه هو الذي تستعمله العامة في معنى الرشوة ، ولا يعرف في الكلام القديم ولبرطيل في كلام العرب حجر مستطيل ، تقول العامة « برطيل » يجوز أن يكون مأخوذاً من هذا اللفظ ، بر بدون أن الرشوة حجر قد رى به من يخاصمه .

صاحب اليمن وتراخى في أمر السلطان، فلما عاد قبض عليه وحسبه تسع سنين
وثمانية أشهر إلى أن أفرج عنه. في سنة خمس وثلاثين وسبعائة وأخرجه إلى حلب
أميرا بها . ثم نُقِلَ إلى إمرة بدمشق ، فما زال بها حتى مات في التاريخ المذكور .
وكان له ثروة كبيرة وأملاك كثيرة وله دار عند باب الزهومة .^(١)

- ٥ . وتوفي الأمير سيف الدين قماري بن عبدالله الناصري أمير شكار في يوم الأحد
خامس جمادى الأولى . وكان خَصِيصًا عند أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون ،
وهو أحد من زوجه الملك الناصر بإحدى بناته ، بعدما أنعم عليه بإمرة مائة وقدمه
ألف بالديار المصرية وجعله أمير شكار .

- وتوفي سيف الدين طشتمر بن عبدالله الساقى الناصري المعروف بمجس أخضر
مقتولا بسيف الملك الناصر أحمد بالكرك ، وكان أيضا أحد مماليك الملك الناصر
١٠ محمد بن قلاوون وخواصه ، رقا وأمره وولاه نيابة صفد وهو الذى توجه من

- (١) قال المقرئ في خطه (ص ٤٩ ج ٢) عند الكلام على الرحاب : « رحبة ببيرس الحاجب
بخط حارة العدوية من خط باب سر المارستان ، عرفت بالأمير ببيرس الحاجب لأن داره بها . وقال
المرحوم على باشا مبارك في خطه (ج ٢ ص ٢١) : « وهذه الدار باقية على أصلها تجاه من يسلك من
باب المارستان المنصوري طالبا سوق الصبارة أو القصاص ، لأنها فاصلة بين السوقين . ويوجد بهذه
١٥ الدار اليوم مقعد عظيم جدا وقاعة أرضية كبيرة ، وهى متشعبة متخربة ، يسكنها من يسلك النحاس من
صناع الأهوان والخفيايات وصنع الموازين وغير ذلك . وقال على باشا : ويقال إن دار الشيخ الجهرى
الذى يدرب شمس الدولة من حقوقها ، وأشتهرت دار ببيرس فى زماننا هذا بأسم دار المراجنى ، وهو
إسرائيل سكنها مدة طويلة . ثم لما دخلت فى رفق الملا عرفت بدار الملا فهى الآن تعرف بدار الملا
بقسم الجالية بالقاهرة .

- ٢٠ راقول : إن القاعة الأرضية هى الباقية من إنشاء ببيرس الحاجب ، كما تدل بقاياها المعمورة . أما المقعد
فهو من إنشاء الأمير محمد بن طوران سنة ١٠٦٥ هـ كما هو مكتوب على إزار سقفه .

- (٢) فى النبل الصافى : « جمادى الآخرة » . وفى السلوك : « يوم الاثنين خامس جمادى الأولى » .
وفى الدرر : « مات فى أواخر سنة خمس وأربعين أو أوائل سنة ٥٧٤٦ هـ » .

صفد وقبض على تنكير نائب الشام حسب ما تقدم ذكره . ثم نقله إلى نيابة حلب عوضا عن طوغان الناصري في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، فدام بحلب حتى خرج منها إلى الروم ، وقد مر ذكر ذلك كله إلى أن قديم الديار المصرية محبة الأمراء الشاميين ، وولاه الملك الناصر أحمد نيابة السلطنة . ثم قبض عليه بعد أن باشر النيابة خمسة وثلاثين يوما وأخرجه معه إلى الكرك ، فقتله هناك وقتل الأمير قطلوبغا الفخري الآتي ذكره . ولمّا قُتل طشتمر قال فيه الصلاح الصفدى :

طوى الردى طشتمرا بعد ما * بالغ في دفع الأذى وأحترس
عهدي به كان شديد القوى * أنشجع من ركب ظهر القرس
ألم يقولوا حمصا أخضرا * فأعجب له يصاح كيف أندرس

١٠

قلت : وهو صاحب الدار العظيمة والربع الذى يجانبها بحجرة البقر خارج القاهرة والجامع بالصحرى والمثذنة الحلزون والجامعين بالزربية والربع الذى بالحرييين داخل القاهرة . وكان شجاعا كريما كثير الإنعام والصدقات

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

١٥

(٣) يقصد بالزربية زربية قوصون التوسيق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وبما أن زربية قوصون قد زالت ولم يكن لها أثر اليوم فقد زال جامعا طشتمر حمص أعرضت بها لذلك .

(٤) كان ربع طشتمر الذى بسوق الحريريين يعلو قيساريته فيها . وقد خرب الربع وبعت أبقاضة في حوادث سنة ٨٠٦ هـ . وكانت القيسارية بسوق الحريريين ، أنشأها الأمير طشتمر في أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة ، وكان سوق الحريريين الشارع المزدلين الله (الأشرقية) عند مدرسة الأشرف برسبى . راجع الخطط المقرزية (ج ٢ ص ٩١) . وخطط على باشا مبارك (ج ٢ ص ٢١) . والحاشية رقم ٥ ص ٦٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

٢٠

وَتُوِّقَ الْأَمِيرُ سَلِيمَانُ بْنُ مُهَنَّأَ بْنِ عَيْسَى بْنِ مَهْنَأَ مَلِكِ الْعَرَبِ وَأَمِيرَ آلِ فَضْلٍ
بِظَاهِرِ سَلْمِيَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِ مُلُوكِ الْعَرَبِ .

وَتُوِّقَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طَيْئَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِ نَائِبُ غَزَةِ وَنَائِبُ صَفَدٍ
ثُمَّ نَائِبُ طَرَابُلُسَ، وَمَاتَ وَهُوَ عَلَى نِيَابَةِ صَفَدٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَابِعِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .
وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ النَّاصِرِيَّةِ .

وَتُوِّقَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطْلُوبُغَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَخْرِيُّ السَّاقِي النَّاصِرِ نَائِبُ
الشَّامِ، مَقْتُولًا بِسَيْفِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ بْنِ كَرْكَ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ مَمَالِكِ النَّاصِرِ
مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ مِنْ طَبَقَةِ أَرْغُونِ الدَّوَادَارِ . قَالَ الصَّفْدِيُّ : لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ
الْخَاصِكِيَّةِ وَلَا غَيْرِهِمْ إِدْلَالُهُ عَلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ وَلَا مِنْ يُكَلِّمُهُ بِكَلَامِهِ ، وَكَانَ
يُفَحِّشُ فِي كَلَامِهِ لَهُ وَيُرَدِّ عَلَيْهِ الْأَجُوبَةَ الْحَادَّةَ الْمُرَّةَ وَهُوَ يَحْتَمِلُهُ ، وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ
السُّلْطَانِ أَتِيئًا إِلَى أَنْ أَمْسَكَهُ فِي نَوْبَةِ إِخْرَاجِ أَرْغُونِ إِلَى حَلَبٍ نَائِبًا ، فَلَمَّا دَخَلَ
تَنَكَّرَ عَقِيبَ ذَلِكَ إِلَى الْقَاهِرَةِ أَخْرَجَهُ السُّلْطَانُ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ . اِنْتَهَى

قُلْتُ : وَقَدْ سَقْنَا مِنْ ذِكْرِهِ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ عَنْ
ذِكْرِهِ هُنَا ثَانِيًا .

وَلَمَّا أَمْسَكَ وَقُتِلَ قَالَ الْأَدِيبُ الْبَارِعُ خَلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصَّفْدِيُّ شِعْرًا :
سَمَتْ هِمَّةُ الْفَخْرِيِّ حَتَّى تَرَفَعَتْ * عَلَى هَامَةِ الْجُوزَاءِ وَالنَّسْرِ بِالنَّصْرِ
وَكَانَ بِهِ لَلْمَلِكِ نَفْخَانُ الزَّمَانِ فَاحْضَى مُلْكُ مِصْرَ بِلَا نَفْخَرِ

(١) اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ، ففى الدرر الكامنة : « أنه مات في ربيع الأول سنة ٧٤٤هـ »
وقال ابن حبيب : مات في سنة ٧٤٥هـ . وفى المنهل الصافي : « قتل في ربيع الأول سنة ٧٤٤هـ »
وقيل في سنة ٧٤٣هـ ، كما أفاضوا في أخبار أولاد آل مهنا وأولاد أخيه فضل وأعقابهما في القرن
الثامن والعرون التي تلت . وقد تغير اسم آل مهنا بعد حين كما هي عادة أهل البادية وجاء من أعقابهم
فرع يدعى بابي ريشة هم الآن أمراء عشيرة الموالى في سلبية وضواحيها (من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق
مجلة ١٣ ص ١٦٧) . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٩ من الجزء الثاني من هذه الطبعة .

وَتُوِّفَى الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله الجوباني رأس توبة .
 وَتُوِّفَى الأمير سيف الدين بكَّا الحُضْرِيُّ^(١) الناصري مَوْسَطًا بسوق الخيل في رابع^(٢)
 شهر رجب ، وقد مرَّ من ذكره نبذة في ترجمة الملك الصالح إسماعيل .

وَتُوِّفَى الشيخ الإمام تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد البيماني^(٣)
 الخزومي الشافعي الأديب الكاتب بالقدس الشريف في هذه السنة عن ثلاث
 وستين سنة .

وَتُوِّفَى الشيخ الإمام الخطيب محي الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب
 ابن علي بن أحمد أبو المعالي السلمي الشافعي خطيب بعلبك في ليلة الأربعاء تاسع
 شهر رمضان . ومولده في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة . وكان فاضلا
 عالما خطيبا فصيحاً ، وكتب الخط المنسوب .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وإصبعان . مبلغ الزيادة
 سبع عشرة ذراعا سواء . والله تعالى أعلم .

♦ ♦
 السنة الثانية من ولاية الملك الصالح إسماعيل على مصر ، وهي سنة أربع
 وأربعين وسبعمائة .

فيها تُوِّفَى قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي
 ابن عبد الحق قاضي القضاة الحنفية بالديار المصرية وهو مقيم بدمشق . وكان إماما
 عالما بارعا أفقي ودرّس ستين وناب في الحكم ، ثم استقلَّ بقضاء القضاة بالديار
 المصرية وحسنت سيرته .

(١) في الأصلين : « تكا » بالثاء . وما أثبتناه من المثل الصافي والدرر الكامنة وتاريخ سلاطين
 المماليك . وفي المثل الصافي : « بكَّا لحضري » بالحاء المهملة والضاد المعجمة وهو تحريف .
 (٢) في السلوك : « في رابع عشرين شهر رجب » .

وَتُوِّقِي الأمير سيف الدين وقيل شمس الدين آق سُنْقُر بن عبد الله السَّلَارِي نائب السلطنة بالديار المصرية قتيلاً بغير الإسكندرية في السجن . وكان أصله من ممالك الأمير سَلَارٍ وَاتَّصَلَ بعده بخدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون فرَّقه إلى أن ولَّاه نيابة غَزَّة ثم صَفَد . ثم ولي بعد موت الملك الناصر نيابة السلطنة بالديار المصرية . وقد تقدَّم ذكره في ترجمة الملك الصالح هذا والتعريف بأحواله وكرمه إلى أن قبض عليه وسُجِّن ، ثم قُتِل . وكان من الكرماء الشُّجعان .

وَتُوِّقِي الأمير علاء الدين الطُّنْبُغَا بن عبد الله المَارِدَانِي الناصري السَّاقِي نائب حلب بها . وكان الطنبغا أحد ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصيته وأحد من شَغِف بحبته ورقاه في مدة يسيرة ، حتَّى جعله أميراً مائة ومُقَدِّم ألف ، وزوجه بَابْنَتِهِ . ثم وَقَعَ له أمور بعد موته ذكرناها في تراجم : المنصور والأشرف والناصر والصالح أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن وَلِي نيابة حماة ، ثم حلب بعد الأمير طُغْرُكْ دُور فباشر نيابة حلب نصف سنة ، وتُوِّقِي ولم يبلغ من العمر نحساً وعشرين سنة . وكان أميراً شاباً لطيف الذات ، حسن الشكل ، كريم الأخلاق مشهوراً بالشجاعة والكرم . وهو صاحب الجامع المعروف به خارج باب زويلة . وقد تقدَّم ذكر بناءه في ترجمة أستاذه الملك الناصر محمد .

وَتُوِّقِي الأمير الأديب الشاعر علاء الدين الطُّنْبُغَا بن عبد الله الجَلَاوَلِي . أصله من ممالك بن باخُل^(١) . ثم صار إلى الأمير عَلَم الدين سَنَجَر الجَلَاوَلِي فجعله دَوَّادَرَهُ لَمَّا كَانَ نائب غَزَّة فَعَرِفَ به ، ثم تنقلت به الأحوال حتَّى صار من جملة أمراء دِمَشْق إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول .

(١) في أحد الأصلين : « حسن الشكالة » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) هو عماد الدين أحمد بن باخُل (عن السلوك الجزء الأول من القسم الثالث ص ٧٢٢ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) والمنهل الصافي .

قلت : وهو أحد فحول الشعراء من الأتراك لا أعلم أحدا من أبناء جنسه
في رتبته في نظم القريض ، اللهم إلا إن كان أيدمر المحيوى فيمكن . ومن شعر
الطنبغا المذكور :

رَدْفُهُ زَادَ فِي الثَّقَالَةِ حَتَّى * أَقْعَدَ الْخَصْرَ وَالْقَوَامَ سَوِيًّا
نَهَضَ الْخَصْرُ وَالْقَوَامَ وَقَامَا * وَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَيَوِيًّا
وله :

وَبَارِدِ النَّفْرِ حُلُو * بِمَرْشِفٍ فِيهِ حُسُو
وَوَخَصْرُهُ فِي أَتْحَالِ * يُبِيدِي مِنَ الضَّعْفِ قُوَّةَ
وله :

وَصَالُكَ وَالثَّرِيَّا فِي قِرَانِ * وَهَجْرُكَ وَالْجَقَا قَرَسَا رِهَانِ
فَدَيْتُكَ مَا حَفِظْتُ لَشُؤْمٍ بَحْتِي * مِنْ الْقِرَانِ إِلَّا لَنْ تَرَانِي
وله :

يَقُولُ لِي الْعَاذِلُ فِي لَوْمَةٍ * وَقَوْلُهُ زُورٌ وَهَيْثَانُ
مَا وَجَهُ مِنْ أَحِبَّتِهِ قِبَلَةً * قُلْتُ وَلَا قَوْلُكَ قُرْآنُ

وقد سُقْنَا مِنْ شعره قطعةٌ جَيِّدةٌ في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفي

بعد الوافي » .

وتوفى القاضي شرف الدين أبو بكر بن محمد ابن الشهاب محمود كاتب سر مصر
ثم دمشق في شهر ربيع الأول . وكان فاضلا بارعا في صناعته ، وهو من بيت علم
وفضل ورياسة وإنشاء . وكان فاضلا مترسلا رئيسا نبیلا ، وله نظم رائع ونثر
فائق . ومن شعره .

(١) رواية المنهل الصافي : « ... حطى » .

بَعَثْتُ رَسُولًا لِلْغَيْبِ لَعَلَّهُ * يُبْرِئُنِي عَنْ وَجْدِي لَهُ وَيُزَيِّجُنِي
فَلَمَّا رَأَاهُ حَارًّا مِنْ قَرْطِ حُسْنِهِ * وَمَا عَادَ إِلَّا وَهُوَ فِيهِ مُتَمِّمٌ

وَتُوْفِيَ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُرْغَايَ^(١) الْجَاشَنَكِيرُ النَّاصِرِيُّ نَائِبُ حَلَبٍ وَطَرَابُلُسَ
فِي شَهْرِ رَمَضَانَ . وَكَانَ مِنْ أَتْيَانِ مَمَالِكِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ وَأَصْرَائِهِ . وَكَانَ شَجَاعًا
مُقَدِّمًا سَيُوسًا . وَلِيَ الْوَلَايَاتِ وَالْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ .

وَتُوْفِيَ الأَمِيرُ علاءُ الدِّينِ آقْبَا عَبدُ الْوَاحِدِ النَّاصِرِيِّ بِمَحْبَسِهِ بِشَقْرِ الإسْكَندَرِيَّةِ ،
وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي تَرْجُمَةِ أَسَاتِذِهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وَفِي أَوَّلِ تَرْجُمَةِ
الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ أَبِي بَكْرٍ أَيْضًا ، وَكَيْفَ كَانَ الْفُبُضُ عَلَيْهِ ، وَمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْمَصَادِرَةِ
وغير ذلك إِلَى أَنْ وَلِيَ نِيَابَةَ يَحْصَ ثُمَّ عَزِلَ وَقُبِضَ عَلَيْهِ وَحُبِسَ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَكَانَ أَصْلُهُ مِنْ مَمَالِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ وَأَخَا زَوْجَتِهِ خَوْنَدُ طُغْغَايَ ، وَتَوَلَّى فِي أَيَّامِ
أَسَاتِذِهِ عِدَّةَ وَظَائِفَ وَوَلَايَاتٍ ، مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ جَمَلَةِ مُقَدِّمِي الْأُلُوفِ ثُمَّ أَسْتَادَارَ .
ثُمَّ مُقَدِّمَ الْمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَشَلَّةَ الْعَائِزِ وَكَانَ يَنْدُبُهُ لِكُلِّ أَمْرٍ مُهِمٍّ فِيهِ الْعَجَلَةُ لِمَعْرِفَتِهِ
بِسَدَّةِ بَأْسِهِ وَقِسَاوَةِ قَلْبِهِ . وَكَثْرَةِ ظُلْمِهِ . وَكَانَ مِنْ أَقْبَحِ الْمَالِكِ النَّاصِرِيَّةِ سِيرَةٍ .
وَهُوَ صَاحِبُ الْمَدْرَسَةِ^(٢) عَلَى يَسَارِ الدَّخْلِ إِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَالْدارِ بِالْقَرْبِ مِنْ
الْجَامِعِ الْمَذْكَورِ .

وَتُوْفِيَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ تَمْرَنْتَاشَ بْنِ جُوبَانَ مَمْلُوكَ تَيْرَازَ وَالْعِرَاقَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ .
وَكَانَ مِنْ أَكْثَمِ الْمُلُوكِ ، وَكَانَ دَاهِيَةً صَاحِبَ حَيْلٍ وَمَكْرٍ وَخَدِيصَةٍ . وَكَانَ كَثِيرَ
الْعَسَاكِرِ مِنَ التُّرْكِ وَغَيْرِهَا .

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ هُنَا « طُوغَان » وَتَصْحِيحُهُ عَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمُ ٤ ص ٢٧٧ مِنْ

الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٢) وَاجْعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمُ ١ ص ١٤٣ مِنْ الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . وَأَمَّا دَارُهُ فَقَدْ انْدَثَرَتْ .

وتُوفِّي القاضي زين الدين إبراهيم بن عرفات بن صالح بن أبي المنى القناني الشافعي قاضي قنّا . كان فقيها رئيسا كثير الأموال . كان يتصدق في كل سنة بالف دينار في يوم واحد مع مكارم وإنعام .

وتُوفِّي الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن علي بن أبيك السروجي . مولده بمصر في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة ، ومات بحلب في الثامن من شهر ربيع الأول .
وتُوفِّي المحدث شهاب الدين أحمد بن أبي الفرج الحلبي بمصر بعد أن حدث عن النجيب والأبرقوهي^(١) والرّشيد بن علّان^(٢) وغيرهم^(٣) . ومولده في شهر رمضان سنة خمسين وسبعمائة .

وتُوفِّي القاضي علم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف بابن المستوفي المصري ناظر الخاّص بدمشق في جمادى الآخرة . وله فضيلة وشعر جيد ، وكان يُعرف بكتاب قرأ سُقُرُ ، فإنه كان بخدمته . وبأشرِ صِدّة وظائف بدمشق : نظر البيوت ثم نظر الخاّص ثم صحابة الديوان . وكان بارعا في صناعة الحساب ويكتب الخط المليح . وله يد في النظم وقدرة على الارتجال ، وكان يتكلم فصيحاً باللغة التركية . ومن شعره :

غرامى فيك قد أضى غريمي * وهجرك والتجنى مُستطاب
وبلّواى مَلالُك لا لذنب * وقولك ساعة التسليم طابوا

- (١) هو نجيب الدين عبد اللطيف بن أبي محمد عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله أبي الفرج بن الصبيل الحزاني الحنبلي . تقدّمت وفاته سنة ٦٧٢ هـ فيمن ذكر الذهي وفاتهم .
(٢) هو أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوهي . تقدّمت وفاته سنة ٧٠١ هـ .
(ج ٨ ص ١٨٩) من هذه الطبعة . وفي الأصلين هنا : (الأبرقوهي) . وتصحيحه عما تقدّم ذكره .
(٣) كذا في الأصلين والسلوك . ولعلها : « الشمس بن علّان » ، وهو شمس الدين أبو الفناثم المسلم ابن محمد بن المسلم بن علّان . تقدّمت وفاته سنة ٦٨١ هـ (ج ٧ ص ٢٥٣) .
(٤) في أحد الأصلين : « وغيرهما » . والسياق يأباه .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا .
بلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا . والله تعالى أعلم .



السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح إسماعيل على مصر ، وهى
سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

فيها تُوِّفَى قاضى القضاة العلامة جلال الدين [أحمد] ^(١) ابن القاضى حسام الدين
أبى الفضائل حسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الأنكورى الحنفى قاضى قضاة
دمشق وعلمها في يوم الجمعة تاسع عشر رجب ، ومولده بمدينة أنكورية ببلاد الروم
في سنة إحدى وخمسين وستمائة . وكان إماما عالما دينيا عارفا بالمذهب وأصوله ،
محققا إماما في العلوم العقلية ، وأفتى ودرس وتصدر للإقراء في حياة والده . وولى قضاء
نخربت وعمره سبع عشرة سنة ، وحُدث سيرته . ثم انتقل إلى البلاد الشامية حتى
كان من أمره ما كان . ^(٤)

وتُوِّفَى الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، أحد أعيان أمراء الديار المصرية في يوم
الخميس ثامن شهر رمضان ، ودُفِنَ بمدرسته فوق جبل الكبش . وكان أصله من ^(٥)

(١) تكملة عن السلوك والمنهل الصافي والدرر الكاشفة . (٢) رواية المنهل الصافي :
« ابن أبى ثروان » بالثاء المتلثة . (٣) تسميها العرب أنكورية ، ضبطها أبو الفداء إسماعيل
في تقويم البلدان فقال : (يفتح الهززة وسكون النون وضم الكاف وسكون الواو وكسر الراء المهملة ثم ياء .
مشاة متحبة مكسورة وهاء في الآخر) . وأنفرة كانت بإقليم غالاطية القديمة بآسيا الصغرى (الأناضول) .
وفىها دفن أمرؤ القيس الشاعر المشهور سنة ٥٦٥ م وأفتتحها المنصم الخليفة العباسى سنة ٢٢٣ هـ =
٨٣٧ م . وعندها أسر تيجورنك السلطان يلدرم بإزيد العثمانى سنة ١١١٧ هـ = ١٤٠١ م . وهى
الآن مقر الحكومة التركية . (٤) هى مدينة خر بوط الحالية في مقاطعة إزمينية من ولايات شرق
الأناضول تبعد عن ديار بكر مائة كيلو متر في الجهة الشمالية الشرقية ، وهى على نجد مخصب يسقيه الفرات
يسكنها ٣٠٠٠٠ ألف نسمة أغلبهم مسلمون (عن دائرة المعارف الإسلامية) .

(٥) في المنهل الصافي : « في يوم الجمعة تاسع شهر رمضان » .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ممالك جاول أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس . ثم اتصل بعده إلى بيت السلطان ،
وأخرج أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك ، واستقر في حملة بحريتها . ثم
قدم في أيام العادل كُتُبًا إلى مصر بحال زري ، فقدمه الأمير سلار ونوه بذكره إلى
أن ولي نيابة غزة ، ثم عدة ولايات بعد ذلك بمصر والبلاد الشامية ، وطالت أيامه
في السعادة وعمر . وقد مر من ذكره أشياء فما تقدم . وهو صاحب الجامع ^(١) ، بغزة
والخليل عليه السلام وخان ^(٢) بيتان ^(٣) وخان قاقون ^(٤) . وكان فاضلا فقيها ، وله مصنفات
في الفقه وغيره .

(١) لا يزال هذا الجامع قائما بغزة إلى اليوم باسم الجاولية (راجع المختصر في جغرافية فلسطين لحسين
روحي ص ١٠٥) .

(٢) جاء في كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل لأبي التين محير الدين عبد الرحمن بن محمد
الخليل (ج ١ ص ٥٨) وما قبلها في الكلام على الحرم الخليلي أنه بظاهر السور السلطاني من جهة الشرق
مسجد في غاية الحسن ، وبين السور السلطاني وهذا المسجد الدهليز وهو معقود مستطيل عليه الأبهة
والفخار . والذي عمر هذا الدهليز والمسجد الأمير أبو سعيد سنجر الجاولي ناظر الحرمين الشريفين (القدس
والخليل) ونائب السلطنة فعرف هذا المسجد بالجاولية ، وهو من العجائب ، قطع في جبل ، ويقال إنه كان
مقبرة يهود على هذا الجبل فقطعه الجاولي وجوفه وبني السقف عليه والقبه وهو مرتفع على أثني عشرة سارية
قائمة في وسطه ، طوله من القبلة بشام ٤٣ ذراعا وعرضه شرقا بغرب ٢٥ ذراعا . وكان الابتداء في عمارته
في ربيع الآخر سنة ٧١٨ هـ وأتمت العمارة في ربيع الآخر سنة ٧٢٠ هـ في دولة الناصر محمد بن قلاوون .
ومكتوب على حائطه : أن سنجر عمل ذلك من خالص ماله ، ولم ينفق عليه شيئا من مال الحرمين الشريفين .
(٣) في الأصلين : « وخان السبيل » . وما أثبتناه عن السلوك ، وهي الرواية الصحيحة ، أمها
القديم : « بيت شان » هي في الجنوب الشرق من برج آبن عامر على نحو ستة كيلو مترات من ضفة الأردن
الغربية وتمتد من أراضي النور ، وهي قائمة على منحدر وادي جالود وتنخفض ١٣١ مترا من سطح البحر ،
يحيط بها الأشجار من جميع أطرافها . وفيها من الآثار القيمة القديمة ما يشهد لها بسالف عزاها ، ويبلغ
عدد سكانها ١٩٤١ نسمة .

(٤) وقاقون : قرية في الشمال الغربي من طولكرم من أعمال فلسطين . يبلغ تعداد سكانها ١٩٢٦

نفسا (عن المختصر في جغرافية فلسطين) .

وتوفى الأمير سيف الدين طَقْصُبا بن عبد الله الظاهري، وقد أناف على مائة
(١) [وعشرين] سنة . وكان أصله من ممالك الظاهر بيبرس البندقداري .

وتوفى [إبراهيم القاضي] جمال الكُفَاة الرئيس جمال الدين ناظر الخاص ثم
(٢) الجيش ثم المشقة تحت العقوبة في ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول . وكان ابن
خاله النشو ناظر الخاص ، وهو الذي آستسلمه وأستخدمه مستوفياً في الدولة ،

ثم عند بَشْتَك ثم وقع بينهما المعادة الصعبة على سوء ظن من النشو ، ولم يزل على
ذلك حتى مات النشو تحت العقوبة ، وولى جمال الكُفَاة هذا مكانه ، وطالت أيامه
ونالته السعادة . قال الصفدى : وكان شكلاً حسناً ظريفاً مليحاً يكتب خطاً

قوياً جيداً ، ويتحدث بالتركي ، وفيه ذوقٌ للعانى الأدبية ومحبة للفضلاء ولطف
عشرة وكرم أخلاق وُمرُوءة . وكان أولاً عند الأمير طيِّباً القاسمى . ومدة مباشرته
الخاص ست سنين تقريباً . انتهى كلام الصفدى باختصار . وقال غيره : وكان أولاً

يباشر في بعض البساتين على بيع ثمرته ، وتنقل في خدمة ابن هلال الدولة ، ثم خدَم
بيدُصر البدرى . وهو خاصىكى خبزه بمحلة منوف ، فكتب على بابهِ إلى أن تأمر .
ثم أنتقل بعد ذلك حتى كان من أمره ما ذكرناه . ولمَّا صُوِّدَ أخذ منه أموال كثيرة .

وتوفى الشيخ الإمام العلامة فريد عصره أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف
(٥) ابن على [بن يوسف] بن حيان الغرناطى - المغربى - المالكى ثم الشافعى . مولده

(١) الزيادة عن السلوك . (٢) التكلة عن المهمل الصافى . (٣) كذا في الأصلين

والسلوك . وفي المهمل الصافى والدرر الكامنة أنه توفى في أوائل صفر من هذه السنة .

(٤) لازال هذه القرية باقية إلى اليوم باسم محلة منوف . وهى تابعة لمركز طنطا بمديرية الغربية .
(راجع الدليل الجغرافى) لأسماء المدن والنواحي المصرية الذى أصدرته مصلحة المساحة سنة ١٩٤١ .

(٥) التكلة عن الدرر الكامنة والمهمل الصافى وبغية الوعاة للسيوطى والوافى بالوفيات للصفدى ونقح

الطيب للقرى طبع أوروبا (ج ١ ص ٨٤٢) .

بِفَرَاطَةِ^(١) فِي أُثْرِيَّاتِ شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرَّوَايَاتِ ،
وَأَسْتَفَلَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ بِالْأَنْدَلُسِ وَإِفْرِيقِيَّةِ وَإِسْكَندَرِيَّةِ وَالْقَاهِرَةِ وَالْمَجَازِ ، وَحَصَلَ
الإِجَازَاتُ مِنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَاجْتَهَدَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، حَتَّى بَرَعَ فِي النُّحُوِّ وَالتَّصْرِيفِ
وَصَارَ فِيهِمَا إِمَامًا عَصْرُهُ ، وَشَارَكَ فِيهِ ، عُلُومَ كَثِيرَةً . وَكَانَ لَهُ الْبَدُ الطُّوْلَى فِي التَّفْسِيرِ
وَالْحَدِيثِ وَالشُّرُوطِ وَالْفُرُوعِ وَتَرَاجِمِ النَّاسِ وَطَبَقَاتِهِمْ وَتَوَارِيخِهِمْ خُصُوصًا الْمَغَارِبَةَ ،
وَهُوَ الَّذِي جَسَّرَ النَّاسَ عَلَى مَصْنُفَاتِ ابْنِ مَالِكٍ ، وَرَغَّبَهُمْ فِي قِرَائَتِهَا ، وَشَرَحَ لَهُمْ
غَوَامِضَهَا ، وَقَدْ سُقْنَا مِنْ أَخْبَارِهِ وَسَمَاعَاتِهِ وَمَشَائِخِهِ وَمَصْنُفَاتِهِ وَشِعْرِهِ فِي تَرْجُمَتِهِ
فِي تَارِيخِنَا « الْمَنْهَلِ الصَّافِي » مَا يَطُولُ الشَّرْحُ فِي ذِكْرِهِ هُنَا ؛ وَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ
فَلْيَنْظُرْهُ هُنَاكَ . وَلَنَذْكُرْهُ هُنَا مِنْ شِعْرِهِ نَبْذَةً يَسِيرَةً بِسَنَدِنَا إِلَيْهِ : أَنَشَدَنَا الْقَاضِي
عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْفَرَّاتِ إِجَازَةً ، أَنَشَدَنَا الشَّيْخُ صِلَاحُ الدِّينِ خَلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصَّفْدِيُّ
إِجَازَةً ، قَالَ : أَنَشَدَنِي الْعَلَّامَةُ أَبُوهُ الدِّينَ أَبُو حَيَّانَ مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

سَبَقَ الدَّمْعُ بِالْمَسِيرِ الْمَطَّابَا * إِذْ نَوَى مَنْ أُحِبَّ عَنِّي ثَقْلَهُ
وَأَجَادَ السُّطُورُ فِي صَفْحَةِ الْخُلْدِ^(٢) وَلَمْ لَا يُجِيدُ وَهُوَ ابْنُ مُقْلَهُ
وَلَهُ بِالسَّنَدِ :

رَاضٍ حَبِيبِي عَارِضٌ قَدْ بَدَا * يَا حُسْنَهُ مِنْ عَارِضٍ رَائِيضٍ
فَقَطَّنْ قَوْمُ أَنْ قَلْبِي سَلَا * وَالْأَصْلَ لَا يُعْتَدُّ بِالْعَارِضِ
وَلَهُ مَوْجَعَةٌ ، أَوْهَلَا :

إِنْ كَانَ لَيْلٌ دَاجٌ ، وَخَانَتَا الْإِصْبَاحُ^(٣) ، فَنُورُهَا الْوَهَاجُ ، يُفْنِي عَنِ الْمِصْبَاحِ^(٤)

(١) فِي نَقْعِ الطَّيْبِ : « وَلَدٌ فِي مَطْلَخِ الشَّارِشِ ، مَوْضِعُ بَفَرَاطَةِ » .

(٢) رَوَايَةُ نَقْعِ الطَّيْبِ لِلْقُرَى : « وَأَجَادَ الْخَطُوطُ ... الْخُ » . (٣) فِي أَحَدِ الْأَصْلِينَ :

« الصَّبَاحِ » . وَمَا أُجْتَنَاءُ عَنِ الْأَصْلِ الْآخَرِ وَنَقَعَ الطَّيْبُ وَالْوَاقُ بِالْوَفَايَاتِ لِلصَّفْدِيِّ وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي .

(٤) فِي الْأَصْلِينَ : « عَنِ الْمِصْبَاحِ » . وَمَا أُجْتَنَاءُ عَنِ الْوَفَايَاتِ وَنَقَعَ الطَّيْبُ وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي .

سُلَافَةً تَبْدُو * كَالنَّوْكَبِ الْأَزْهَرِ

مِرْأَجُهَا شَهْدُ * وَعَرَفُهَا عَنَبَرُ

يَا حَبِذَا الْيُورْدُ * مِنْهَا وَإِنْ أَسْكُرَ

قَلْبِي بِهَا قَدْ هَاجَ ، فَاتَرَانِي صَاحَ ، عَنْ ذَلِكَ الْمَنَاهِجَ ، وَعَنْ هَوَى يَاصَاحَ

وَبِي رَشَا أَهَيْفُ * قَدْ لَجَّ فِي بُعْدِي

بَدْرٌ فَلَا يُخَسِّفُ * مِنْهُ سَنَا الْخَلَدِ

بَلَحِظِهِ الْمُرْهَقُ * يَسْطُو عَلَى الْأَسَدِ

كَسَطَوَ الْجَحَّاجُ ، فِي النَّاسِ وَالسَّفَاحِ ، فَاتَرَى مِنْ نَاجٍ ، مِنْ لَحْظَةِ السَّفَاحِ

عَلَّلَ بِالْمَسْكِ * قَلْبِي رَشَا أَحْوَرُ^(١)

مُنْعَمُ الْمَسِكِ * ذُو مَبِيمٍ أَعْطَرُ^(٢)

رِيَاءُ كَالْمَسِكِ * وَرَيْقُهُ كَوَثَرُ

غُصْنٌ عَلَى رَجْرَاجٍ ، طَاعَتْ لَهُ الْأُرُوحَ ، فَحَبِذَا الْآرَاجُ ، إِنْ هَبَّتِ الْأُرُوحُ

مَهَلًا أَبَا الْقَاسِمِ * عَلَى أَبِي حَيَّانَ

مَا إِنْ لَهُ عَاصِمٌ * مِنْ لَحْظِكَ الْفَتَّانِ

وَهَجْرَكَ الدَّائِمِ * قَدْ طَالَ بِالْمَيَّانِ^(٣)

قَدَمُهُ أَمْوَاجَ ، وَسِرُّهُ قَدْ بَاحَ ، لَكِنَّهُ مَا عَاجَ ، وَلَا أَطَاعَ الْآلَاحَ

(١) في نصح الطيب (ص ٨٤١ ج ٢) : « قلب رشا أحور » -

(٢) في الأصلين : « ذى مبسم أعطر » . وما أثبتناه عن نصح الطيب وهو ما يقتضيه السياق .

(٣) كذا في نصح الطيب . وفي الأصلين : « وسره قد لاح » .

يَارْبُ ذِي بُهْتَان * يَعْذِلْنِي فِي الرَّاحِ^(١)
 وَفِي هَوَى الْغَزْلَانِ * دَافَعْتُ بِالرَّاحِ^(٢)
 وَقُلْتُ لَا سُلْوَانَ * عَنْ ذَاكَ يَا لَاحِي^(٣)
 سُبُغُ الْوُجُوهِ وَالنَّاجِ، هِيَ مُنْيَةُ الْأُرْوَاحِ^(٤)، فَأَخْتَرَنِي يَا زَجَّاجُ، فُقُصَالُ وَزُوجُ أَقْدَاحِ^(٥)
 قُلْتُ : ومذهبي في أبي حيان أنه عالم لا شاعر .

ولم أذكر هذه الموشحة هنا لحسنها ؛ بل قصدتُ التعريف بنظمه بذكر هذه الموشحة ، لأنه أخل شعراء المغاربة في هذا الشأن ، وأما الشاعر العالم هو الأَرَجَانِي^(٦)

(١) هذه رواية سكردان السلطان لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى الشهير بأبن حجلة المغربي طبع بولاق (ص ١٤٥) وفي الأصلين : « يعذل في الراح » . (٢) في المثل الصافي وسكردان السلطان : « دافعه بالراح » . (٣) ذكرها المقرئ في خطه (ج ١ ص ٤٨١) تحت عنوان : « منظره الخمس وجوه » فقال : هي من المناظر التي كانت الخلفاء تنزل إليها للتزود . أنشأها الأفضل بن أمير الجيوش ، وكان لها قرش ممد ، ومن منها آكلوا بناء جليل على بئر متسعة ، كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التي تنقل الماء لسق البستان العظيم الوصف السديع الزبي البهيح الهينة . والسامة تقول : « الناج والسبع وجوه إلى الآن » . وقال المرحوم علي باشا مبارك في خطه (ج ١ ص ١٥) : « وأنشأ الأفضل أيضا بظاهر القاهرة من جهتها البحرية بجماب الخليج الغربي منظره للبقل ، وكانت في المحل الكائن تجاه قطرة الإوز ، وأغلبها دخل الآن في القرعة الإسماعيلية ، وباقها صار بعضه بركة وبعضه تلاء ، وبعدها كانت منظره الناج ، ثم فية الهواء ، ثم منظره الخمس وجوه وهي الأرض التي يسد الأمير إبراهيم باشا أديم الآن من أرض مهمشة ، وكان لكل منها بستان أنيق يحل على النيل .

وتقع هذه الأماكن اليوم على الشاطئ الغربي للخليج المصري في المسافة ما بين كوبري غمرة وشارع الملكة نازلي وما بين الوائلي الكبرى على القرعة الإسماعيلية (راجع مذكره ببيان الأغلاط التي وقعت من مصلحة التنظيم في تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها وضع المرحوم محمد رمزي بك) .
 (٤) كذا في سكردان السلطان وفي الأصلين : « هي منية الأفراح » .

(٥) في الأصلين وسكردان السلطان والواق بالوفيات : « بمصال » بيمين . وتصحيحه عن قمع الطب . والقمصال كلمة مغربية ، لا تينية الأصل معناها : وعاء كان يستعمل في الأندلس والمغرب الشراب (عن دوزي) . (٦) هو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأَرَجَانِي قاضي تستر . تقدمت وقافته في سنة ٥٤١ هـ . راجع صفحة ٢٨٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وأبو العلاء المعزى وأبن سناء الملك^(٢) . انتهى . وكانت وفاته بالقاهرة في ثامن
عشرين صفر .

وتوفي الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدوادار الناصري بطرابلس
وكان من أكابر الأمراء ، وفي الدوادارية الكبرى في أيام الناصر محمد ، ثم ولي
نيابة الإسكندرية ، ثم أُخرج إلى البلاد الشامية إلى أن مات بطرابلس . وكان
كاتباً شاعراً .

وتوفي الأمير علم الدين سنجر بن عبدالله البشمقدار المنصوري^(٣) ، كان من ممالك
المنصور قلاوون .

وتوفي الأمير سيف الدين طرنتاي المنصوري المحمدي بدمشق ، وكان من
جيلة من وافق على قتل الأشرف خليل ، فسجنه الملك الناصر سبعاً وعشرين سنة ،
ثم أفرج عنه وأخرجه إلى طرابلس أمير عشرة .

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان المنصوري الشمسي بمدينة حلب . وكان الناصر
أيضاً حبسه سنين ثم أخرجه إلى حلب .

وتوفي سيف الدين كندغدي بن عبدالله المنصوري بحلب أيضاً وهو رأس
المبصرة ومقدم المساكر المجردة إلى سيس^(٥) . وكان من كبار الأمراء بالديار المصرية .

(١) هو أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن دارد بن المطهر بن زياد .
تقدّمت وفاته في سنة ٤٤٩ هـ . راجع صفحة ٦١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) هو القاضي أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك . تقدّمت وفاته سنة ٦٠٨ هـ . راجع
صفحة ٢٠٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) في السلوك والدرر الكامنة : « الجفدار »
وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) ضبطه المؤلف — رحمه الله — في المنهل الصافي بالعبرة فقال : « يضم الكاف وسكون النون
وضم الدال وسكون الفين المعجمة ودال مكسورة وياء . متناه باللغة التركية : « يوم ولد » .

(٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم سبع أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا^(١) .

ذكر سلطنة الملك الكامل شعبان على مصر

السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان آبن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد آبن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجى .
والكامل هذا هو السابع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والخامس من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . جلس على تخت الملك بعد موت أخيه وشقيقه الملك الصالح إسماعيل في يوم الخميس الرابع^(٢) من شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة ، ولُقّب بالملك الكامل . وفيه يقول الأديب البارح جمال الدين بن نباتة^(٣) .

رحمه الله تعالى . [مخلف البسيط] ١٠

جَيْنُ سُلْطَانِنا الْمُرْجَى * مُبَارَكُ الطالِعِ البديع^(٤)

(١) صورة ما جاء في آخر الأصل الفوتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة أيا صوفيا بالآستانة :

« تم الجزء الرابع من النجوم الزاهرة ، ويشلوه في الخامس من أول ترجمة الكامل شعبان في سابع المحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة على يد فقير رحمة ربه محمد القادري . وحسبنا الله ونعم الوكيل » .
تنبيهه — إلى هنا انتهى الأصل الفوتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس ، ولم يبق تحت يدينا بعد هذا إلا الأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا بأمريكا ، والأصل الموضح ذكره في الحاشية رقم ١ إلى آخر الكتاب . وقد رمزنا للأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا بحرف : « م » وللأصل الفوتوغرافى بحرف : « ف » .

(٢) في تاريخ آبن إياس (ج ١ ص ١٨٣) : « في يوم الخميس حادى عشر من ربيع الأول » .
(٣) في نسخة « ف » : « ول الدين » وتصحيحه عن نسخة : « م » والمهل الصافى .
(٤) رواية هذين البيتين في تاريخ آبن إياس :

طلعة سلطاننا تبتت * بكامل السعد في الطلوع

وأعجب لها نيك كيف أبدت * هلال شعبان في ربيع

يا بهجة الدهر إذ تبدى * هلال شعبان في ربيع

- وكان سبب سلطنة الملك الكامل هذا أنه لما آشتد مرض أخيه الملك الصالح إسماعيل دخل عليه زوج أمه ومدبر مملكته الأمير أرغون العلاني في عدة من الأمراء ليعهد الملك الصالح إسماعيل بالملك لأحد من إخوته . وكان أرغون العلاني المذكور غرضه عند شعبان كونه أيضا ربيبه آبن زوجته ، فعارضه في شعبان الأمير آل ملك نائب السلطنة حسب ما ذكرنا طرقا من ذلك في مرض الملك الصالح المذكور . ثم وقع ما ذكرناه إلى أن اتفق الممالك والأمراء على توليته ، وحضروا إلى باب القلعة^(١) واستدعوا شعبان المذكور ، وألبسوه أبهة السلطنة وأركبوه بشعار الملك ومشت الأمراء بخدمته ، والحاوشية تصيح بين يديه على العادة ، حتى قرب من الإيوان لعب الفرس تحته وجعل من صباح الناس ، فزل عنه ومشى خطوات بسرعة إلى أن طلع إلى الإيوان فتفاعل الناس بتزوله عن فرسه أنه لا يقيم في السلطنة إلا يسيرا . ولما طلع إلى الإيوان وجلس على الكرسي وباسوا الأمراء له الأرض وأحضروا المصحف ليحلفوا له ، فحلف هو أولا أنه لا يؤذيهم ، ثم حلفوا له بعد ذلك على العادة . ودقت البشائر بسلطته بمصر والقاهرة ، وخُطب له من الغد على منابر مصر والقاهرة ، وكتب بسلطته إلى الأقطار .

١٥

ثم في يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الآخر المذكور جلس الملك الكامل بدار العدل^(٢) ، وجدد له العهد من الخليفة بمحضرة القضاة والأمراء ، وخلع على الخليفة وعلى القضاة والأمراء ، وكتب بطلب الأمير آق سنقر الناصري من طرابلس وسأل

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية

رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

٢٠

الأمير قنارى الأستاذار أن يستقر عوضه في نيابة طرابلس ، فتشفع قنارى المذكور بأرغون العلاني ومليكتمر المجرى فأجيب إلى ذلك ؛ ثم تغير ذلك وخلع عليه في يوم الخميس حادى عشره بناية طرابلس نخرج من قوره على البريد . وخلع على الأمير أرقطاي^(١) واستقر في نيابة حلب عوضا عن يلبغا اليحياوى ، وخرج أيضا على البريد ، وكتب يطلب اليحياوى ، ثم طلب الأمير آل ملك نائب السلطنة الإغفاء من النيابة وقبل الأرض ، وسأل في نيابة الشام عوضا عن طقزدمر الحموى وأن ينتقل طقزدمر إلى مصر فاجيب إلى ذلك ، وكتب بعزل طقزدمر عن نيابة الشام وإحضاره إلى الديار المصرية .

وفي يوم السبت ثالث عشره خلع السلطان الملك الكامل على الأمير الحاج آل ملك نائب السلطنة باستقراره في نيابة الشام عوضا عن طقزدمر ، وأخرج من يومه على البريد ، فلم يدخل مدينة غزة لسرعة توجهه ، وبينما هو سائر إلى دمشق لحقه البريد بتقليده نيابة صفد ، وسبب ذلك أن أرغون العلاني لما قام في أمر الملك الكامل شعبان هذا وفي سلطته قال له الحاج آل ملك : بشرط ألا يلعب بالحماء ، فلما بلغ ذلك شعبان فقم عليه ، فلما ولى دمشق استكثرها عليه وحوله إلى نيابة صفد . ورسم للأمير يلبغا اليحياوى نائب حلب كان ، باستقراره في نيابة الشام .

ثم أخذ السلطان الملك الكامل في تدبير مملكته والنظر في أمور الدولة فأنعم بإقطاع أرقطاي على الأمير أرغون شاه ، واستقر أستاذارا عوضا عن قنارى المستقر في نيابة طرابلس . وأخرج السلطان الأمير أحمد شاذ الشرايخانة هو وإخوته من

(١) هو الأمير سيف الدين أرقطاي بن عبد الملك المنصورى . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث

سنة ٨٧٥ . (٢) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى رأس نوبة الجدارة . سيذكر

المؤلف وفاته في حوادث سنة ٨٧٥ .

أجل أنهم كانوا ممن قام مع الأمير آل ملكهم وقبارى الأستادار في منع سلطنة الملك الكامل هذا . ثم خلع السلطان على علم الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور باستقراره ناظر الخواص عوضا عن الموفق عبد الله بن إبراهيم ، وعي الأمير أرغون العلاني بالموفق حتى نزل إلى داره بغير مصادرة .

- ثم قديم الأمير آق سنقر الناصري المعزول عن نيابة طرابلس نفع السلطان عليه ، وسأله بنبابة السلطنة بالديار المصرية فأمتنع أشد أمتناع ، وحلف أيمانا مغلفة أنه لا يليها فأعفاه السلطان في ذلك اليوم .

- ثم بدا للسلطان أن يضطرب بنت بكتمر الساق فأمتنت أمها من إجابته واحتجبت عليه بأن آبتها تحته ولا يجتمع بين أختين وأنه بتقدير أن يفارق أختها ، فإنه أيضا قد شفي باتفاق العوادة جارية أخيه الملك الصالح شقفا زائدا ، ثم قالت : ومع ذلك فقد ضعف حال المخطوبة من شدة الحزن ، فإنه أول من أعرض عليها آنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان لها ذلك الميهم العظيم ، ومات آنوك عنها وهي بكر فتزوجها من بعده أخوه الملك المنصور أبو بكر ، فقُتل فتزوجها بعد الملك المنصور أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل ومات عنها أيضا ، فحصل لها حزن شديد من كونه تغير عليها عدة أزواج في هذه المدة اليسيرة ، فلم يلفت الملك الكامل إلى كلامها وطلق أختها ، وأخرج جميع قواشها من عنده في ليلة ، ثم عقد عليها ودخل بها .

ثم أنعم السلطان على ابن طشتمر حمص أخضر بإمرة مائة وقدمه ألف بالديار المصرية ، وعلى ابن أصلم بإمرة طبلخاناه .

- ٢٠ (١) سيد كراؤلف وفاته في حوادث سنة ٨٧٥٥ . (٢) كاليسى « هبة الله » . ثم سمى نفسه : « عبده »
خين ترجموا له باسمه الأصلي . سيد كراؤلف وفاته في حوادث سنة ٨٧٥٥ .

ثم في مستهل جُمَادَى الأولى خَلَعَ السلطان الملك الكامل على جميع الأمراء ^(١) المقدمين والطلبانات ، وأنعم على ستين مملوكا بستين قَبَاءَ بطُرُز زُرْكَش وستين جِيَاصَةً ذهب ، وفتق الخيول على الأمراء برسم نزول المبدان ^(٢) .

ثم رَمَمَ السلطان ان يتوقَّر إقطاع النيابة للنَّاصِ ، وخَلَعَ على الأمير بَيْفَرَا وأستقَرَّ حاجباً كبيراً . ثم نزل السلطان إلى المبدان على العادة ، فكان لنزوله يوم مشهود . وخلع على الشريف عَمَلَانَ بن رُمَيْثَةَ بن أَبِي مُنَى الحُسَيْنِيَّ ^(٣) باستقراره أمير مكة . ثم عاد السلطان إلى القلعة ^(٤) .

وفي يوم السبت خامس عشرين جُمَادَى الأولى قَدِمَ الأمير طُقُزْدُمَر من الشام إلى القاهرة مريضاً في حِقْفَةٍ بعد أن خرج الأمير أرغون العلائي ومحبته الأمراء إلى لقائه ، فوجدوه غيرَ وَاِجٍ ، ودَخَلَ عليه الأمراء وقد أَشْفَى على الموت ، ولَمَّا دخل طُقُزْدُمَر إلى القاهرة على تلك الحالة أخذ أولاده في تجهيز تَقْدِيمَةِ جَلِيلَةٍ للسلطان تشتمل على خيول ، مُخَفَّ وجواهر فَقَبِلَهَا السلطان منهم ووعدهم بكل خير .

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرغون الصالحى بتقدمة ألف ، ورَمَمَ أن يُقال له : أرغون الكامل ، ووهب له في أسبوع ثلثمائة ألف درهم وعشرة آلاف ^(٥) لِرَدِّب من الأَهْرَاءَ ، ورَمَمَ له بدار أحمد شاذ الشَّرْبُخَانَاه ، وأن يُعَمَّرَ له

(١) في السلوك : « المقدمين في التلبانات » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ .

من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) كذا في « م » وهو الصحيح وفي « ف » : « الحسينى » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٥) يستفاد مما ذكره المؤلف بعاليه أن هذه الدار كانت تجاه الكيش ، وأنها كانت بجوار القصر الذى أنشأه أرغون الكامل بالجسر الأعظم على حافة بركة القيل تجاه الكيش أيضا .

ويستفاد كذلك من عبارة المؤلف أن الدار المذكورة التى نزل بها أرغون لما رسم له الملك الكامل شعبان بنزوله فيها فى سنة ٥٧٤٦ (قبل بناء قصره) . أنشئت فى القرن الثامن الهجرى ، ثم بقيت إلى القرن التاسع =

بحواره من مال السلطان قصرًا على بركة الفيصل^(١١)، ويُطل على الشارع فيميل له ذلك .

قلت : والبيت المذكور هو الذى كان يسكنه الملك الظاهر جقمق وتسلطن منه، ثم سكنه الملك الأشرف إينال وتسلطن منه وهو نُجَّاه الكُش^(١٢) . انتهى .

- وفي يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة ركب السلطان الملك الكامل لمرحلة سرياقوس ومعه عساكره على العادة وأخذ حريمه صحبته، فنصب لمن أحسن الحِم في البساتين .

- ثم في يوم الجمعة قَدِم أولاد طُغْزُدُر على السلطان سرياقوس بنجر وفاة أبيهم طغزدر، فلم يُمكن السلطان الأمراء من العود إلى القاهرة للصلاة عليه، ورسم بإخراجه فأنجرح ودُفِن بِخَانَقَاتِهِ بِالْقِرَافَةِ^(١٣)، وأخذت خيله وحملته وهجنه إلى الإسطبل السلطاني .

= حيث سكنها الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ثم الملك الأشرف إينال العلاءي قبل أن توليا السلطة وكانت تولية الأول سنة ٨٤٢ هـ والثاني ٨٥٧ هـ .

- وبما أن الكُش الذى كانت تقع بجواره هذه الدار هو الجزء الشمالى الغربى من جبل يشكر، ويعرف اليوم بقلعة الكُش التى تشرف على شارعى مراسينا والخضيرى بقسم السيدة زينب بالقاهرة، فقد بحثت عن مكان تلك الدار بالجهة المذكورة فبين لى أنها أندثرت . ومكانها اليوم أرض فضاء بشوارع مراسينا .

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة
(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة
(٤) ذكر المقرئى في خطه (جزء ٢ ص ٩٣) في الكلام على فندق دار الضاح : « وأما هذه الدار الأمير طغزدر بعد ستة أربعين وسبعائة، ووقفها على خانقائه بالقرافة » . وقد أطلنا البحث عن موضع هذه الخانقاه بالقرافة فلم نجد لها أثرًا، وبتعذر الآن تعيين موقعها بين المقابر الكثيرة التى أنشئت بعدها على أرض هذه القرافة .

- (٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم خلع السلطان على الأمير أرسلان بصل، وأستقر حاجباً ثانياً مع بيغرا، ورسم له أن يحكم بين الناس، ولم تكن العادة جرت بذلك أن يحكم الحجاب بين الناس غير حاجب الحجاب.

قلت : كان الحجاب يوم ذاك كهيئة رموس النوب الصغار الآن . انتهى .
 وخلع على الأمير ملكشمر السرجواني^(١) بأستقراره في نيابة الكرك وأنهم بتقدمته على الأمير طشتمر طليله وأنهم بطبخانة طشتمر طليله على الأمير قبلاى^(٢).

ثم قدم على السلطان الخبر بموت أخيه الملك الأشرف بكك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون عن آتت عشرة سنة ، وأتهم السلطان أنه بعث من سرياقوس من قتله في مضجعه على يد أربعة خدام طواشية ، فعظم ذلك على الناس قاطبة .

ثم عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة بعد ما تهتكت الممالك السلطانية من شرب الخمر والإعلان بالفواحش وركبوا في الليل وقطعوا الطريق على المسافرين واغتصبوا حريم الناس . ثم أخذ السلطان الملك الكامل في تجديد المظالم والمصادرات .

ثم قدم البريد على السلطان بأن الشيخ حسنا صاحب بغداد واقع سلطان شاه وأولاد تيمرداش وأنصر الشيخ حسن وحصر سلطان شاه بمباردين وأخذ ضياعها .

ثم إن السلطان الملك الكامل بدا له أن يئشني مدرسته موضع خان الزكاة ، ونزل الأمير أرغون الملاى والوزير لنظره ، وكان أبوه الملك الناصر محمد قد وقفه فلم يوافق القضاة على حله .

(١) في السلوك : « وأنهم بإقطاعه على الأمير طشتمر طليله » .

(٢) في السلوك : « وأنهم بإقطاع طشتمر على الأمير قبلاى » .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٤) لما تكلم المقرئ في خطه على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) قال عند كلامه على قضية القاهرة : « ويجد السالك على يسره المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية ، وكانت =

وفي مستهل شعبان عَمِلَ السلطانُ مِهْمَةً على بنت الأمير طُقُزْدُمَرِ الحَمَوِي سبعة أيام . وفي مستهل شوال رَسَمَ السلطانُ للأُمير أَرْغُونُ الكَامِلِي بِزِيَارَةِ الْقُدُسِ وَأَنعم عليه بمائة ألف درهم ، وَكَتَبَ إلى ثَوَابِ الشَّامِ بِالرُّكُوبِ لخدمته ، وَحَمَلَ التَّقَادِمَ وَتَجْهِيْرَ الْإِقَامَاتِ لَهُ فِي الْمَنَازِلِ إِلَى حِينَ عَوْدِهِ ؛ وَرَسَمَ لَهُ أَنْ يُنَادَى بِمَدِينَةِ بَلْبَيسِ وَأَعْمَالِهَا أَنَّهُ مَنْ قَالَ عَنْهُ : أَرْغُونُ الصَّغِيرُ شُنِقُ ، وَالْأَيُّ قَالَ لَهُ إِلَّا أَرْغُونُ الْكَامِلِي ، فَشَهَرَ النَّدَاءَ بِذَلِكَ فِي الْأَعْمَالِ .

وفي هذه الأيام كَثُرَ لَعِبُ النَّاسِ بِالْحَمَامِ وَكَثُرَ جَرَى السُّعَاةِ ، وَتَزَايَدَ شُلَاقُ الزَّرْعِ^(٢) وَتَسَلَّطَ عَيْدُ الطَّوَاشِيَةِ عَلَى النَّاسِ ، وَصَارُوا كُلُّ يَوْمٍ يَقْفُونَ لِلضَّرَابِ قُسْفَكَ بَيْنَهُمْ دُمَاءٌ كَثِيرَةٌ . وَنُهِيتِ الْحَوَانِيتُ بِالصَّلَيبَةِ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ ، وَإِذَا رَكِبَ إِلَيْهِمُ الْوَالِي لَا يَبْعَثُونَ بِهِ ، وَإِنْ قَبِضَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ أُخِذَ مِنْ يَدِهِ سَرِيعًا ، فَاشْتَدَّ قَلَقُ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ .

ثم أَخْتَرَعَ السلطانُ شَيْئًا لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَنَّهُ أَعْرَسَ السُّلْطَانُ بَعْضَ الطَّوَاشِيَةِ بِبَعْضِ سَرَارِيهِ بَعْدَ عَقْدِهِ عَلَيْهَا ، وَعَمِلَ لَهُ السُّلْطَانُ مِهْمًا حَضَرَهُ جَمِيعُ جَوَارِي بَيْتِ السُّلْطَانِ ، وَجُلِيتِ الْعُرُوسُ عَلَى الطَّوَاشِيِ ، وَتَرَّ السُّلْطَانُ عَلَيْهَا وَقَتَ

١٥ — قَبْلَ إِنْشَائِهَا مَدْرَسَةً — فَهَذَا يَعْرِفُ بَحْانُ الزَّكَاةِ . وَلَمَّا تَكَلَّمَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى تَارِيخِ السُّلْطَانِ بَرْقُوقِ ذَكَرَ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٧٨٦ هـ أَنَّ السُّلْطَانَ بَرْقُوقَ أَنْشَأَ الْمَدْرَسَةَ الظَّاهِرِيَّةَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ مَوْضِعَ خَانَ الزَّكَاةِ .

وَمَا ذَكَرَ يَتَضَحُّ أَنَّ خَانَ الزَّكَاةِ مَكَانَهُ الْيَوْمَ جَامِعُ السُّلْطَانِ بَرْقُوقِ الْجَاهُورِ لِجَامِعِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاطُونَ شَارِعَ الْمَغْزَلِينَ لِلَّهِ (شَارِعَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ سَابِقًا) بِالْقَاهِرَةِ .

٢٠ (١) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ ص ٣٤٧ . مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٢) شُلَاقُ الزَّرْعِ : سَيْتُو الْخَلْقِ . وَالشَّلَاقُ : جَمْعُ شَلَقٍ وَهُوَ مُرَادِفُ الزَّرْعِ . وَالْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا مَنْ يَدْخُلُونَ الْخُوفَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ .

(٣) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٤ ص ١٦٣ مِنَ الْجُزْءِ الْتَّاسِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

الجلاء الذهب بيده ، فكانت هذه الحادثة من أشنع ما يكون ، وعظم ذلك على سائر أحيان الدولة .

وفي ذى الحجة كثرت الإشاعة^(١) باتفاق الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير بلبغا البجياوى نائب الشام لورود بعض مماليك آل ملك هارباً منه كونه شرب الخمر وأشاع هذا الخبر فوسم السلطان بإخراج منجك^(٢) اليوسفى السلاح دار على البريد لكشف الخبر فلما توجه منجك إلى الشام حلف له نائب الشام أنه رىء مما قيل عنه ، وأنهم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش .

ثم نودى بالقاهرة بالآي عارض أحد من لعاب الحمام وأرباب الملاهيبي والسعاة ، فترايد الفساد وشنع الأمر ، كَلَّ ذلك لمحبة السلطان في هذه الأمور .

ثم ندب السلطان الأمير طقتمر الصالحى للتوجه إلى الشام على البريد ليوقع الحوطة على جميع أرباب المعاملات ، وأصحاب الرزق^(٣) والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غزّة وألاً يصير لأحد منهم شيئاً وأن يستخرج منهم ومن الأوقاف وأرباب الجوامك ألف ألف درهم يرسم سفر السلطان إلى الحجاز ، ويستترى بذلك الجبال ونحوها ، فكثرت الدعاء على السلطان من أجل ذلك ، وتغيرت الخواطر .

(١) هذه رواية الأصلين وفيها غموض وغفاه . وبالرجوع إلى السلوك للقرىزى وجدناها راقية واضحة فاثبتناها بنصها لأنها الرواية الصحيحة وهى : « وفيه (أى ذى الحجة) كثرت الإشاعة باتفاق الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير بلبغا البجياوى نائب الشام على المخامرة ، فجهز آل ملك محضراً ثابتاً على قاضى صفد بالبراءة مما رى به ، فأذكر السلطان عليه هذا وجه منجك السلاح دار للكشف عما ذكره ، فاتفق قدوم بعض مماليك آل ملك فأذا منه خوفاً أن يضربه على شربه الخمر ، وذكره للسلطان أنه يريد التوجه إلى بلاد العدو فزاد هذا السلطان كراهة فيه ، وأخرج منجك على البريد إلى بلخ قدم عليه حلف أنه رىء مما قيل عنه ، وأنهم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش » .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٧٦ هـ .

(٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٥٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وفي هذه الأيام كَتَبَ بإحضار الأمير آل ملك نائب صفد إلى القاهرة لِيَسْتَقِرَّ
على إقطاع الأمير جَنْكِي بن البابا بعد موته وتَوَجَّه لإحضاره الأمير مَنجَك السلاح دار.
ثم في يوم السبت تاسع عشرين ذى الحجة أَمْسَكَ أَيْبَك أخو قُمَارِي ثم عُفِيَ عنه من
يومه . ثم كَتَبَ باستقرار الأمير أَرَأَقُ الْفَتَّاحُ^(١) نائب غَزَّة في نيابة صفد بعد عزل
آل ملك . وأما الأمير منجك فإنه وصل إلى صفد في أول المحرم من سنة سبع
وأربعين وسبعائة، وأستدعى آل ملك فخرج معه إلى غَزَّة ، فقبض عليه بها في اليوم
المذكور، وقيل بل في سادس عشرين ذى الحجة من سنة ست وأربعين . انتهى .
ثم في أول المحرم المذكور قَدِمَ إلى جهة القاهرة الأمير مَلِكْتَمُرُ السَّرْجَوَانِي^(٢)
من نيابة الكرك فأت بمسجد التبن خارج القاهرة ودُفِنَ بقرته . ثم قَدِمَ إلى القاهرة
الأمير أحمد بن آل ملك فقبض عليه ويُحِبُّ من ساعته . وخَلَعَ السلطان على الأمير
أَسَدْمَرُ الْعُمَرِي باستقراره في نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قُمَارِي .

وفي يوم الاثنين سادس المحرم قَدِمَ الأمير آل ملك والأمير قُمَارِي نائب طرابلس
مقيدين إلى قُليوب وركبا النيل إلى الإسكندرية فاعتُقِلَا بها . وكان الأمير طَقْتَمُرُ
الصِّلَاحِي قَبَضَ على قُمَارِي لما توجه للحوطة على أملاك الشام ، وقيده وبعثه
على البريد . ثم ندب السلطان الأمير مُغَلَطَاي الأستادار لإيقاع الحوطة على موجود
آل ملك ، وندب الطواشي مُقْبِلًا التَّقْوَى لإيقاع الحوطة على موجود قُمَارِي نائب
طرابلس ، وألزم مباشريهما بحمل جميع أموالهما ، فوجد لآل ملك قريب ثلاثين

(١) في السلوك للقرنزي : « سيف الدين أوراق الفلاح » بوابعد الالف .

(٢) هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم بقرب سراي القبة بضواحي القاهرة ، ويعرف الآن بزاوية

محمد التبري . وقد تكلمنا عليه في الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) بحثنا عن موضع هذه التربة في الكتب التي تحت يدينا فلم نجف لها على أثر .

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ألف إردب غلة، وألزم ولده بمائة ألف درهم، وأخذ زوجته خيبة فيها أشياء جليلة، وأخذ أيضا لزوجته قمارى صندوقا فيه مالٌ جليل .

ثم خلع السلطان على الأمير أرسلان بصل الحاجب الثانى فى نيابة حماة عوضا عن أرقطاي وكتب بقدم أرقطاي، فقدم أرقطاي إلى القاهرة فأنعم عليه السلطان بإقطاع جنكلى بن البابا بعد وفاته، واستقر رأس الميمنة مكان جنكلى . ثم خلع السلطان على زوج أمه الأمير أرغون العلاني واستقر فى نظر البيارستان المنصوري عوضا عن الأمير جنكلى بن البابا فنزل إليه أرغون العلاني وأصلح أموره، وأنشأ بجوار باب البيارستان المذكور سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة الأيتام، ووقف عليه وقفا .

(١) هكذا ورد فى الأصلين . ومبارة السلوك : « وفى هذا الشهر (المحرم) استقر الأمير رسلان بصل فى نيابة حماة عوضا عن طغتمر الأمدى ونقل طغتمر من نيابة حماة إلى نيابة حلب عوضا عن الأمير أرقطاي وكتب بقدم أرقطاي ... الخ » .

(٢) فى السلوك : « رسلان بصل » بدون ألف .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٤) ذكر المؤلف أن أرغون العلاني لما ولد نظر البيارستان (المستشفى) المنصوري أصلح أموره وأنشأ بجوار باب سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة الأيتام . وبما أن للبيارستان أكثر من باب وجب أن أبين للقارئ أن باب البيارستان المنصوري الذى بنى بجواره السبيل والمكتب هو الباب الكبير الأصل الذى يشرف على شارع المعز لدين الله ويؤدى إلى الدهليز الفاصل بين قبة ربه الملك المنصوري قلاوون وبين المدرسة المنصورية، ثم يوصل إلى مكان البيارستان

ذكر المؤلف أن أرغون أنشأ بجوار الباب المذكور سبيلا ومكتبا، والصواب أن السبيل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون بمباشرة الأمير آقوش نائب الكرك، ولا يزال هذا السبيل موجودا وعليه اسم الملك الناصر . وأما أرغون فقد أنشأ فقط المكتب، كما ورد فى ترجمته فى كتاب الدرر الكامنة لأبن حجر، وكان هذا المكتب على يسار الداخل إلى باب البيارستان بينه وبين السبيل القائم فى الناصية البارزة من المدرسة المنصورية المعروفة الآن بجامع السلطان قلاوون بشارع المعز لدين الله بالقاهرة . وقد تهدم المكتب المذكور ولم يبق منه غير الأعمدة التى كانت محمله، وهى لا تزال قائمة على يسار باب البيارستان إلى اليوم .

ثم خلع السلطان على الأمير نجم الدين محمود [بن علي^(١)] بن شروين وزير بغداد وأعيد إلى الوزارة بالديار المصرية ، وكان لها مدة شاذرة ، وخلع على علم الدين عبد الله ابن زنبور وأستقرت الدولة عوضا عن ابن مراجل .

وفي هذه الأيام آتته عمارة قصر الأمير أرغون الكامل بالجسر الأعظم تجاه الكباش^(٢) ، بعد أن صرف عليه مالا عظيما ، وأخذ فيه من بركة الفيل نحو العشرين ذراعا ، فلما عزم أرغون إلى التزول إليه مريض فقلق السلطان لمرضه وبعث إليه بفرس وثلاثين ألف درهم يصدق بها عنه . وأفرج عن أهل السجون ، وركب السلطان لميادته بالميدان .

(١) تكملة عن الدرر الكامنة .

(٢) كذا في الدرر الكامنة والمثل « ابن مراجل » بالجم وهو الرواية الصحيحة وهو صاحب تقى الدين سليمان بن علاء الدين علي بن عبد الرحيم بن أبي سالم بن مراجل الدمشقي . ونظر الدولة بمصر ثم واصل الوزارة بدمشق سيد المماليك وقاته في حوادث سنة ٧٦٤ هـ . وفي الأصلين : « ابن مراجل » بالخاء المعجمة . (٣) هذا القصر ذكره المقرئ في خطه باسم دار أرغون الكامل (ص ٧٣ ج ٢) قال : إن هذه الدار بالجسر الأعظم على بركة الفيل . أنشأها الأمير أرغون الكامل في سنة ٧٤٧ هـ وأدخل فيها قطعة من أرض بركة الفيل .

وذكر على باشا مبارك في الخطط التوفيقية (ص ١١٩ ج ٢) أن هذه الدار عملها الحوض المقابل لجامع الجاولي المعروف بحوش إبراهيم شركن وما جاوره إلى الحوض المرصود . وبما أن الجسر الأعظم الذي كان عليه هذا القصر هو الذي يعرف اليوم باسم شارع مراينا بقسم السيدة زينب بالقاهرة ، وأن جامع الجاولي يشرف على هذا الشارع بجوار الكباش ، وأن بركة الفيل كانت تنهى قديما إلى أرض الحوض المرصود التي بها اليوم منزه الحوض المرصود بشارع مراسينا . وقد بحثت عن مكان ذلك القصر تلك الجهة فبين لي أنه زال وأندثر .

(٤) سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٥) سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم أهتم السلطان بسفره إلى الججاز وأخذ في تجهيز أحواله . وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر ولد للسلطان ولدٌ ذكرٌ من بنت الأمير بكتمر الساقى .
ثم في يوم السبت ثانى عشرين صفر أفرج السلطان عن الأمير أحمد بن آل ملك وعن أنى قسارى وأمرهما بلزوم بيتهما .

وفي أول شهر ربيع الأول توجه السلطان إلى سيرا قوس وأحضر الأوباش فلبّوا قدّامه باللّبة^(١) وهى عصيٌ يكار، حدث اللعب بها في هذه الأيام، ولما لعبوا بها بين يديه قتل رجلٌ رفيقه ، فخلع السلطان على بعضهم وأنعم على كبيرهم بجُز في الحلقة، واستمر السلطان يلعب بالكرة في كلّ يوم وأعرض عن تدبير الأمور ، فتمزدت الممالك وأخذوا حرم الناس وقطعوا الطريق وقسدت عدّة من الجوارى ، وكثرت الفتن حتّى بلغ السلطان فلم يعبأ بما قيل له ، بل قال : خلّوا كلّ أحد يعمل ما يريد . فلما لحش الأمر قام الأمير أرغون العلانى فيه مع السلطان حتّى عاد إلى القلعة وقد تظاهر الناس بكلّ قبيح ونصبوا أخصاصاً بالجزيرة الوسطانية وجزيرة

(١) اللّبة : لعبة تسمى عند عامة مصر بالتحطيط (أى اللعب بالنوت) وهى مأخوذة من الحطب . وهى هنا من حطب اللبخ . واللبخ : شجر عظام كانت تنشر الألواح ويجعله أصحاب المراكب في بناء السفن فتلثم بعد عام وتصير لوحا واحدا ، وكان هذا اللبخ له ثمرا خضر يشبه التمر حلوا جدا إلا أنه كره وهو جيد لوجع الأضراس .

وقد وصف اللّبة المشرقة عبد اللطيف البغدادى في رحلته إلى مصر وراها أبن مكرم صاحب لسان العرب بجزيرة مصر (الروضة) وشهد بها المقرزى مثرة . ولم نعد نسمع عنها شيئا بعد ذلك ، وهو غير اللبخ المعروف لنا . قال الشيخ الشعالى في الطبقات الكبرى في ترجمة هئات الخطاب المتوفى سنة نيف ومائتين : « وكان شجاعا يلعب اللّبة فيخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويرد الجميع فلا تصبه واحدة » . انظر لعب العرب للرحوم تيمور باشا . ورحلة البغدادى عبد اللطيف . والمقرزى في الخطوط . واللسان مادة « لبخ » . (٢) هى بذاتها جزيرة بولاق التى كانت تسمى جزيرة أروى . سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

بولاق سَمَّوْهَا حَلِيمَةً ، بلغ مصروفُ كُلِّ حُصٍّ منها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم ، وكان هذا المبلغ يوم ذاك بحقِّ ملك هائل . وعُمِلَ في الأخصاص الرُّخام والدهان البديع ، وزُرِعَ حوله المقائى والرياحين وأقام بالأخصاص المذكورة معظمُ الناس من الباعة والتُّجار وغيرهم ، وكشفوا سِترَ الحياء ، وما كَفَّوْا في التَّهْتِكِ في حَلِيمَةِ والطمية وتنافسوا في أرضها ، حتَّى كان كُلُّ قِصْبَةٍ قِياسُ تُوجَّرُ بعشرين درهماً ،

(١) ذكرها المقرئ في خطه (ص ١٨٦ ج ٢) فقال : إن الجزيرة التي عرفت بحليمه خرجت أى ظهرت في مجرى النيل في سنة ٧٤٧ هـ بين بولاق والجزيرة الوسطى ستمها العامة بحليمه ، وقد ذكر المقرئ ارتفاع إيجار أرض هذه الجزيرة ، وما أقيم فيها من الأخصاص ، وما يجذب فيها أهل الخلاعة والمجون والتَهْتِكِ بأنواع المحرمات حتَّى بلغ إيجار الفدان الواحد مدة الانتفاع بأرضه فيما ذكر نحو ستة أشهر من السنة بمبلغ ستة عشر ألف درهم ؛ ومن أراد زيادة البيان في هذا الموضوع فليرجع إلى المخطط المقرئ .
وبالبحث عن موضع هذه الجزيرة تبين لى أنها كانت مجاورة للجزيرة الوسطى تجاه بولاق ثم اتصلت بها بواسطة طرَحِ البحر ، وأصبحت الجزيرتان جزيرة واحدة هي الجزيرة الكبيرة الواقعة الآن تجاه بولاق ، وكانت جزيرة حليمه تشغل في أرض الجزيرة الحالية المنطقه التى تحده اليوم تقريباً من الشرق يجرى النيل ومن الشمال شارع فؤاد الأول ، ومن الغرب شارع الأمير فؤاد وما فى امتداده إلى أرض نادى الألعاب الرياضية . ثم سِيرَ الحَدُّ إلى الجنوب مخترقاً أرض ذلك النادى ، وفيها يميل الحَدُّ إلى جهة الشرق بدوران خفيف حتَّى يتقابل بالنيل عند النقطة التى يتلاقى فيها شارع الجزيرة بشارع سراى الجزيرة .

(٢) لما تكلم المقرئ في خطه على الجزيرة التى عرفت بحليمه (ص ١٨٦ ج ٢) قال : وبلغ أجرة كل قصبة مربعة فى هذه الجزيرة وفى جزيرة الطمية التى بين مصر والجزيرة مبلغ عشرين درهماً نقرة . ثم لما تكلم على جزيرة الصابونى (ص ١٨٥ ج ٢) قال : إن هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها . وقفها أبو الملوك نجم الدين بن شادى هى قطعة من بركة الحبش ، فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية خاتناه الصابونى المجاورة لقبه الإمام الشافعى ، وبذلك عرفت بجزيرة الصابونى .

ورود فى كتاب وقف السلطان قصوه النورى المحرز فى سنة ٩١٦ هـ وكذلك فى دليل أسماء البلاد المحرز فى سنة ١٢٢٤ هـ أن جزيرة الطمية هى جزيرة الصابونى ومذكور فى كتاب الوقف المذكور أن هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار الشريفة وجامع أبى اللبان ، وبناء على ما ذكر بحثنا عن موقع جزيرة الصابونى التى تعرف بجزيرة الطمية فتبين لنا أنها لا تزال موجودة إلى اليوم باسم جزيرة دير العاين ، لأن معظم أراضيها واقعة تجاه أراضي ناحية دير النضين ، والقسم الشمال منها يقع تجاه ناحية أنزال النبل التى بها رباط الآثار .

فبلغ أجرة الفدان الواحد ثمانية آلاف درهم ، فأقاموا على ذلك ستة أشهر ، حتى زاد الماء وغرقت الجزيرة ، وقبل مجيء الماء بقليل قام الأمير أرغون العلاني في هدمها قياماً عظيماً ، وحق الأخصاص على حين غفلة وضرب جماعة وشهرهم فتلف بها مالٌ عظيم جداً .

وفي هذه الأيام قل ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يُحاض ، وصار من بولاق إلى منشأة المهراني طريقاً يمتد فيهِ ، ومن بولاق إلى جزيرة الفيصل وإلى المنية طريقاً واحداً . وبعد الماء على السقائين وصاروا يأخذون الماء من عُجها قرية مُتباعدة ، وبلغت راوية الماء إلى درهين بعدما كانت بنصف درهم وربع درهم . فشكا الناس ذلك إلى أرغون العلاني فبلغ السلطان غلاء الماء بالمدينة واكتشاف ما تحت بيوت البحر ، فركب السلطان ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة ، حتى كُشف ذلك ، فوجدوا الوقت فيه قد فات لزيادة النيل ، وأقتضى

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة

(٢) هي مدينة بولاق الواقعة على النيل وأحد أقسام مدينة القاهرة . سبق التطبيق عليها في الحاشية

رقم ٢ ص ٣٠٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هي المنطقة الواقعة على النيل بين مستشفى قصر العيني وميدان تم الخليج بالقاهرة . سبق التطبيق

عليها في الحاشية رقم ٣ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) هي المنطقة الواقعة فيها اليوم قسماً شيراً وروض الفرج بمدينة القاهرة . سبق التطبيق عليها في الحاشية

رقم ٣ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة

(٥) المقصود بها منية الشرج الداخلة في حدود قسم شبرا بالقاهرة . سبق التطبيق عليها في الحاشية

رقم ١ ص ١٨٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وأما الطريق التي كانت بين هذه الأماكن فهي التي

ذكرها المقرئ في خطه بأسم الجسر من بولاق إلى منية الشرج . سبق التطبيق عليه في الحاشية رقم ١

ص ١٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٦) راجع الاستدراكات الواردة في ص ٣٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الرأى أن يُنقل التراب والشقاف من مطابخ السكر بمدينة مصر وترقى من برّ الجيزة إلى المقياس حتى يصير جسراً يُعمل عليه العمل، حتى يدفع الماء إلى الجهة التي يُحسّر عنها، فنُقلت الأتربة في المراكب وأُلقيت هناك إلى أن بقي جسراً ظاهراً وتراجع الماء قليلاً إلى برّ مصر، فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر وأخذته ومحا أثره.

(١) المقصود مقياس النيل الواقع في الطرف الجنوبي من جزيرة الروضة تجاه مصر القديمة . سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٤ ص ١٥٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . وأضيف هنا إلى ما سبق ذكره أن هذا المقياس قد بطل استعماله في مقياس ماء النيل من سنة ١٨٨٧ بسبب ما طرأ على عموده من الخلل، فأنشأت نظارة الأشغال في تلك السنة مقياساً من الرخام مثبتاً على حائط مبنية على حافة الشاطئ الشرقي لجزيرة الروضة تجاه المقياس الأصلي من الجهة الشرقية .

ومن سنة ١٩٣٥ بدأت وزارة الأشغال العمومية في ترميم العمود وإصلاحه هو والبئر التي فيها ذلك العمود . وفي سنة ١٩٣٨ أقامت الوزارة المذكورة حول البئر حافظاً من الأسمت المسلح لمنع دخول الماء إلى المقياس . ثم أقامت فوق البئر القبة الحالية وهي على طراز القبة التي كانت مركبة عليه في عهد السلطان سليمان الأول الغنائى ونقلت صورتها من كتاب السيور نوردن الدانماركي . وقد بلغ مجموع ما صرف في ترميم وعمارة هذا المقياس من سنة ١٩٣٥ إلى اليوم حوالى خمسة وخمسين ألف جنيه، وبصد ذلك انتهى به الأمر فنع تسرب ماء النيل إليه وبطل استعماله في الغرض الذي أنشئ من أجله، واحتفظت به وزارة الأشغال باعتباره أثراً من الآثار ذات القيمة التاريخية في مصر .

(٢) في مدة تحاريق النيل في الزمن الماضي كان البحر يحف ماؤه تحت شاطئ القاهرة في المسافة الواقعة بين مصر القديمة وبولاق، وبذلك يصبح الماء تحت شاطئ الجزيرة بعيداً عن سكان القاهرة فيصعب عليهم نقله من تحت برّ الجزيرة، لذلك كان الملوك السابقون يقيمون مدة التحاريق في مجرى النيل الحالي جسراً مؤقتاً من التراب بدعائم من الخشب، وكان ذلك الجسر يمتد في النيل ما بين سكن مدينة الجيزة وما بين الطرف الجنوبي لجزيرة الروضة عند المقياس لغرض تحويل ماء النيل من الغرب إلى الشرق، وبذلك تتوفر المياه تحت مصر القديمة وبولاق وتصبح قريبة من القاهرة فيأخذ منها الناس ما يلزم لشربهم ومصالحهم مدة التحاريق، وبعد ذلك يزول الجسر بقوة أندفاع ماء النيل أثناء الفيضان ويبتعد عند الحاجة إليه .

وهذا الجسر ذكره المقرئ في خطه بأسم الجسر فيما بين الروضة والجزيرة (ص ١٦٧ ج ٢) وتكلم عليه بالتحويل، ومن أراد الوقوف على تاريخ الجسر المذكور فليراجع المخطط المقرئ .

وفي هذه الأيام لعب السلطان الكرة مع الأمراء في الميدان من القلعة فأصطدم الأمير ^(١) يلبنغا الصالحى مع آخر سقطا معا عن فرسيهما إلى الأرض، ووقع فرس يلبنغا على صدره فأقطع نخاعه ومات لوقته فأنعم السلطان بإقطاعه على قُطْلُوبغا الكركى.

ثم في هذه الأيام اشتدت المطالبة على أهل النواحي بالجمال والشعير والأعدال والأخراج لسبب سفر السلطان إلى الحجاز وكثرت مغارمهم إلى الولاة وشكا أرباب الإقطاعات ضررهم للسلطان فلم يلتفت لهم، فقام في ذلك الأمير أرغون شاه الأستاذار مع الأمير أرغون العلائى في التحدث مع السلطان في إبطال حركة السفر فلم يُصِغ لقولهم، وكتب باستعجال العربان بالجمال واستحثات طَقْتُمُر الصلاحى فيما هو فيه بصدد السفر.

ثم أوقع السلطان الحوطة على أموال الطواشى عَرَفات وأخرج عَرَفات إلى الشام منفياً. ثم قصد السلطان أخذ أموال الطواشى كافور الهندى، فشَقَمَتْ فيه خوند طغاي زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ وكان كافور المذكور من خواص خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون فأخرج كافور إلى القدس، وكافور المذكور هو صاحب التربة بقرافة مصر، ثم تقي السلطان أيضاً ياقوتا الكبير الخادم، وكافورا المحرم وسرورا الدماينى، ثم تقي ديتارا الصواف ومُخْتَصِماً الخطائى.

ثم في أول شهر ربيع الآخر مات وَلَدُ السلطان من بنت بَكْتُمُر الساقى وَوُلِدَ له من إِمْتِاقِ الْعَوَادَةِ حَفِيَّةُ أَخِيهِ وَلَدَ سَتْمَاءَ شَاهِنْشَاهٍ وَسُرَّ بِهِ سُرُورًا عَظِيمًا زَائِدًا، وَعَمِلَ

(١) هكذا ورد في الأصلين . وفي السلوك : « يلبنغا الصالحى » ولم نهند الى وجه الصواب فيه .

(٢) ذكرت كل المصادر التى تحت يدا هذه التربة أنها بقرافة مصر وبالبحت عن معرفة موقعها بذلك

القراءة فلم تقف لها على أثر . (٣) في أحد الأصلين والسلوك : « المحرم » بالميم . وما أنبتناه عن

الأصل الآخر وهو ما يقتضيه السياق . (٤) في السلوك : « مات ولد السلطان من أبة الأمير توكو »

مُهْمًا عَظِيمًا مَدَّةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ . ثُمَّ مَاتَ أَخُوهُ يُوسُفُ بْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ وَأَتَاهُمُ السُّلْطَانُ أَيْضًا بِقَتْلِهِ .

- ثُمَّ قَدِمَ طُقُتْمُشُ الصَّلَاحِيُّ مِنَ الشَّامِ بِالْقَاشِ الْمُسْتَعْمَلِ بِرِسْمِ الْجِجَازِ . ثُمَّ قَدِمَ كِتَابُ يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِيِّ نَائِبِ الشَّامِ يَتَضَمَّنُ خَرَابَ بِلَادِ الشَّامِ مِمَّا أُتِفِقَ^(١) بِهَا مِنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ وَاقْتِطَاعِ الْجَالِبِ إِلَيْهَا ، وَالرَّأْيُ تَأْخِيرُ سَفَرِ السُّلْطَانِ إِلَى الْجِجَازِ الشَّرِيفِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَنَاقَمَ الْأَمِيرُ أَرْغُونُ الْعِلَانِيُّ وَمِلِكْتُمُرُ الْجِجَازِيِّ فِي تَصْوِيبِ رَأْيِ نَائِبِ الشَّامِ وَذَكَرَا لِلْسُّلْطَانِ أَيْضًا مَا حَدَّثَ بِلَادَ مِصْرَ مِنْ نِقَاقِ الْعُرْبَانِ وَضَرَرِ الزَّرْعِ وَكَثْرَةِ مَغَارِمِ الْبِلَادِ ، وَمَا زَالَا بِهِ حَتَّى رَجَعَ عَنْ سَفَرِ الْجِجَازِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكُتِبَ إِلَى نَائِبِ الشَّامِ بِقَبُولِ رَأْيِهِ ، وَكُتِبَ لِلْأَعْمَالِ بِاسْتِرْجَاعِ مَا قَبَضَهُ الْعَرَبُ مِنْ يَكْرَاءِ الْأَحْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُوَافَقْ هَذَا غَرَضَ نِسَاءِ السُّلْطَانِ وَوَالِدَتِهِ ، وَأَخَذَتْ فِي تَقْوِيَةِ عِزِّهِ عَلَى السَّفَرِ لِلْجِجَازِ حَتَّى مَالَ الْيَهْمُ ، وَكُتِبَ لِنَائِبِ الشَّامِ وَحُلِبَ وَغَيْرَهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ سَفَرِ السُّلْطَانِ إِلَى الْجِجَازِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَمَرَهُمْ بِجَلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ الْأَهْتَامُ ، وَتَجَدَّدَ الطَّلَبُ عَلَى النَّاسِ وَغَلَاءُ الْأَسْعَارِ ، وَتَوَقَّفَتِ الْأَحْوَالُ وَقَلَّ الْوَاصِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَأَخَذَ الْأَمْرَاءُ فِي أَهْبَةِ السَّفَرِ مُنْجِبَةَ السُّلْطَانِ إِلَى الْجِجَازِ ، وَقَلِّقُوا لِذَلِكَ ، وَسَالُوا أَرْغُونُ الْعِلَانِيَّ وَمِلِكْتُمُرَ الْجِجَازِيَّ فِي الْكَلَامِ مَعَ السُّلْطَانِ فِي إِبْطَالِ السَّفَرِ وَمَعْرِفَةِ رِقَّةِ^(٢) حَالِهِمْ مِنْ حِينَ تَجَارَ بِدِهِمْ إِلَى الْكَرْكِ فِي نَوْبَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ ، فَكَلَّمَا السُّلْطَانُ فِي ذَلِكَ فَأَشْتَدَّ غَضَبُهُ وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ ، فَا زَالَا بِهِ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ . وَرَسَمَ مِنَ الْقَدِّ لَجَمِيعِ الْأَمْرَاءِ بِالسَّفَرِ ، وَمَنْ عَجَزَ عَنِ السَّفَرِ يُقِيمُ

(١) فِي « م » : « مَا اتَّفَقَ بِهَا ... الخ » .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ ، وَرَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ ص ١٥ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

(٣) فِي السُّلُوكِ : « وَتَرَفُّهُ ... الخ »

بالقاهرة ، فاشتد الأمر على الناس بمصر والشام من كثرة السحر ، وكثر دعاؤهم على السلطان ، وتكررت قلوبُ الأمراء ، وكثرت الإشاعة بتكر السلطان على نائب الشام ، وأنه يريد مسكه حتى يلقه ذلك ، فاحترز على نفسه ، وبلغه قتل يوسف ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقوة عزيم السلطان على سفر الحجاز موافقة لأغراض نسائه ، فجمع أمراء دمشق ، وحلفهم على القيام معه ، وبرز إلى ظاهر دمشق في نصف جمادى الأولى وأقام هناك وحضر إليه الأمير طرطفاى الشمقدار نائب حمص والأمير أراق الفتاح نائب صفد والأمير أسدصر نائب حماة والأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس ، فاجتمعوا جميعا بظاهر دمشق مع عسكر دمشق لخلع الملك الكامل شعبان هذا ، وظاهروا بالخروج عن طاعته ، وكتب الأمير يلبغا الجياوى نائب الشام إلى السلطان : بأنى أحد الأوصياء عليك ، وأن مما قاله السلطان السعيد الشهيد ، رحمه الله تعالى ، (يعني من الملك الناصر) لى وللأمراء فى وصيته : إذا ألقم أحدًا من أولادى ولم ترضوا بسيرته جروا برجله وأخرجوه وأقيموا غيره أحدًا ، وأنت أفسدت الملكة وأفقرت الأمراء والأجناد ، وقتلت أخاك وقبضت على أكابر أمراء السلطان وأستقلت عن المسك والتهيت بالنساء وشرب الخمر ، وصرت تبغ أخبار الأجناد بالفضة ، وذكر له أمورًا فاحشة عملها ، فقدم كتابه إلى القاهرة فى يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى فلما قرأه السلطان تغير تغيرًا كبيرًا ، وأوقف أرغون العلاءى عليه بمفرده ، فقال له أرغون العلاءى : والله لقد كنت أحسب هذا ! وقلت لك فلم تسمع قولى ، وأشار عليه بكتان هذا ، وكتب الجواب يتضمن التلطف فى القول : وأخرج الأمير منجك اليوسفى على البريد

(١) هذه الكلمة غير موجودة فى « م » .

(٢) فى الأصلين : « يوم الخميس » . والتصويب عن السلوك والتوفيقات الإلهامية .

إليه في ثاني عشرينه ، ليرجعه عما عزم عليه ، ويكشف أحوال الأمراء . وكتب السلطان إلى أعمال مصر بإبطال السلطان سقر المجاز فكثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة ، حتى بلغ ذلك الأمراء والممالك ، فأشار أرغون العلاء على السلطان بإعلام الأمراء الخبر ، فطلبوا إلى القلعة ، وأخذ رأيهم فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرقطاي ، ومعه من الأمراء ^(١) [منكيغا] الفخري أمير جاندار وآق سقر الناصري وطينغا المجدي وأرغون الكامل وأمير علي ابن طغريل الطوغاني وابن طقزدمر وابن طشتمر وأربعون أمير طبلخاناه ، وأربعون أمير عشرة وأربعون مقدم حلقة ، وحملت الثقة إليهم لكل مقدم ألف ألف دينار ، ماعدا ثلاثة مقدمين ، لكل مقدم ثلاثة آلاف دينار . وكتب بإحضار الأجناد من البلاد ، فقدم كتاب منجك من الفور بموافقة ^(٢) قواب الشام إلى نائب الشام ، وأن التجربة إليه لا تفيد ، فإنه يقول : إن أمراء مصر معه .

ثم قدم كتاب نائب الشام ثانيا ، وفيه خط الأمير مسعود بن خضير وأمير علي بن قرأسقر وقلاوون وحسام الدين البشمقدار يتضمن أنك لا تصلح لللك ، وإنما أخذته

(١) تكة عن السلوك .

(٢) هو غور فلسطين ، وهو حوض نهر الشريعة الكبير المسمى نهر الأردن ، وهو ثالث أقسام فلسطين : السهل الساحلي فالقسم الجبل فالغور ، وهو المنخفض العظيم من الأرض الذي لا توجد بقعة أبلغ منه انخفاضاً على سطح الكرة الأرضية ، لهذا كان موضوع عناية علماء الجغرافيا وعلم طبقات الأرض . يبلغ انخفاضه في الشمال عند مجرى الحولة وطبرية ٨٦ متراً في الجنوب عند البحر الميت ٣٩٤ متراً عن سطح البحر الأبيض المتوسط .

ومعظم وادي الغور غير ملائم للصحة لعظم انخفاضه وارتفاع الجبال من غربيه ومجاورة الصحراء من شرقيه . والقسم العظيم منه قفر لا نبات فيه لانخفاض مجرى النهر عن الأراضي المجاورة ، لكن القسم . . . من منه يزرع لخصب تربته ولكثرة الروافد العديدة التي تصب فيه . راجع ولاية بيروت (ج ١ ص ٤٠)

نصر الحسين روي (ص ١٢) . (٣) في السلوك : « بمرافعة التواب لنائب الشام » .

(١) بالقلبة من غير رضا الأمراء — ثم عدد ما فعله — ونحن ما بقينا نصفي لك وأنت ما تصفي لنا، والمصلحة أن تعزل نفسك من الملك ليتولى غيرك، فلما سمع السلطان ذلك استدعى الأمراء وحلفهم على طاعته ثم أمرهم بالسفر فخرجوا من القد وخرج طلب منكمي بغا وبعده أرغون الكامل، فعند ما وصل طلب أرغون إلى تحت القلعة خرجت ريج شديدة ألقت شاليش أرغون الكامل على الأرض، فصاحت العاقبة: راحت عليكم يا كاملية وتطيروا بأنهم غير منصورين. ثم أخذ الأمراء المجردون في الخروج شيئا بعد شيء. وقدم حلاوة الأوجاق يُخبر بأن منبج ساعة وصوله إلى دمشق قبض عليه الأمير يلبغا نائب الشام وحبسه بقلعة دمشق، فبعث السلطان بالطواشي سرور الزيني لإحضار أخوى السلطان، وهما أمير حاج وأمير حسين فأعتذرا بوعكهما وبعث أمهاتهما إلى العلائي والمجازي تسألانها في التلطف مع السلطان في أمرهما، وبلغت العلائي بعض جوارى زوجته أم السلطان بأنها سمعت السلطان وقد سكر وكشف رأسه وهو يقول: «يا إلهي أعطيتني الملك وملكتني آل ملك

(١) رواية السلوك: « ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت ما تصلح لنا ».

(٢) الطلب: لفظ كردى معناه الأمير. ثم عدل مدلوله فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش،

وكان أول استعمال هذا اللفظ بمصر والشام أيام صلاح الدين الكبير. (انظر تكملة المعجم العربية لعدوي).

(٣) الشاليش (الجاليش): اسم لعلم من الأعلام التي كانت يحملها جيوش المماليك في الحروب.

وكان من الحسري الأبيض المطرز، تعلق في أعلاه خصلة من الشعر. والجاليش كلمة تركية معناها مقدمة

القلب، وسمى بذلك لأن ترتيب جاليش السلطان في المواقع التي يحضرها يكون عادة في قلب الجيش.

(٤) هكذا في الأصلين والسلوك. وفي الدرر الكامنة والمنهل الصافي أنه يسمى: « بها در حلاوة

الأوجاق » كان مقدم البريدية. توفي سنة ٧٤٤ هـ. ومن هذا لا يتسنى لنا الجزم بأن حلاوة الأوجاق

هذا هو بهادر حلاوة الأوجاق المتقدم، بل هو بردي آخر سمي بهذا الاسم مع العلم بأن الكلام هنا

في حوادث سنة ٧٤٦ هـ.

(٥) في الأصلين: « لإحضار إخوة السلطان... إلخ ». وما أبتناه من السلوك وهو ما يقتضيه السياق.

وَلَسَارِي ، وَبَقِيَ مِنْ أَعْدَائِ أَرْغُونِ الْمَلَائِي وَمَلِكْتُمُ الْمَجَازِي فَكُنِّي مِنْهُمَا حَتَّى
أَبْلَغَ غَرَضِي مِنْهُمَا « ، فَأَقْلَقَ أَرْغُونُ الْمَلَائِي هَذَا الْكَلَامَ . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى السُّلْطَانِ
فِي خَلْوَةٍ فَإِذَا هُوَ مُتَغَيِّرُ الْوَجْهِ مُفَكَّرٌ ، فَبَدَّرَهُ بِأَنْ قَالَ لَهُ : مَنْ جَاءَكَ مِنْ جِهَةِ إِخْوَتِي ،
أَنْتَ وَالْمَجَازِي ؟ فَعَرَفَهُ أَنَّ النِّسَاءَ دَخَلْنَ عَلَيْهِمَا [وَطَلَبَيْنِ^(١)] أَنْ يَكُونَ السُّلْطَانُ طَيْبَ الْخُلَاطَرِ
عَلَيْهِمَا وَيُؤْمِنَهُمَا ، فَإِنَّمَا خَائِفَانِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ جَوَابًا جَافِيًا ، وَوَضَعَ يَدَهُ
فِي السِّيفِ لِيَضْرِبَهُ بِهِ ، فَقَامَ أَرْغُونُ عَنْهُ لِيَنْجُو بِنَفْسِهِ ، وَعَرَفَ الْمَجَازِي مَا جَرَى لَهُ
مَعَ السُّلْطَانِ وَشَكَاهُ مِنْ فُسَادِ السُّلْطَنَةِ ، فَتَوَحَّشَ خَاطِرُهُمَا ، وَأَقْطَعَ أَرْغُونُ الْمَلَائِي
عَنِ الْخِدْمَةِ وَتَعَلَّى ، وَأَخَذَتْ الْمَالِكُ أَيْضًا فِي التَّنَكُّرِ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَكَاتَبَ بَعْضُهُمْ
نَائِبَ الشَّامِ ، وَأَتَفَقَوْا بِأَجْمَعِهِمْ ، حَتَّى أَشْتَهَرُ أَمْرُهُمْ ، وَتَحَدَّثَ بِهِ الْعَامَّةُ وَأَخَّرَ
السُّلْطَانُ فِي طَلَبِ أَخُوهِ ، وَبَعَثَ قَطْلُوبَغَا الْكَرْكِيَّ فِي جَمَاعَةٍ حَتَّى هَجَمُوا عَلَيْهِمَا
لَيْلًا ، فَقَامَتِ النِّسَاءُ وَمِنْهُمْ مِنْهُمَا فَهَمَّ أَنْ يَقُومَ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَأْخُذَهُمَا ، فَبَغَى
بِهِمَا إِلَيْهِ وَقْتُ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ السَّبْتِ تَاسِعَ عَشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى فَأَدْخَلَهُمَا إِلَى
مَوْضِعٍ وَوَكَّلَ بِهِمَا ، وَقَامَ الْعَزَاءُ فِي الدُّورِ السُّلْطَانِي عَلَيْهِمَا ، وَاجْتَمَعَتْ جَوَارِي الْمَلِكِ
النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَافُونَ وَأَوْلَادُهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمَالِكُ صِيَاحَهُنَّ هُمَا بِالثَّوَرَةِ
وَالرُّكُوبِ لِلْحَرْبِ وَتَعَبُوا .

١٥

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مَسْتَهْلَ جُمَادَى الْآخِرَةِ خَرَجَ طَلَبُ أَرْقُطَايَ مُقَدِّمِ
السَّائِرِ الْمَجْرُودِينَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَابِ زَوِيلَةَ وَوَقَفَ هُوَ مَعَ الْأَمْرَاءِ

(١) زيادة مقتضيا السياق . (٢) في ف : « إخوته » ونصحيه عما تقدم قبل ذلك
بقيل . وقد توسع ابن إياس في أخبار أولاد الناصر محمد بن قلاوون فراجع الجزء الأول منه .
(٣) في ف « التركي » . (٤) في ف : « ومنعهم » . (٥) في ف : « منهم » .
ونصحيه عن « م » وما تقدم ذكره . (٦) في ف : « أخذهما » .
(٧) هو أحد أبواب القاهرة للندبة في سورها القبيل ، ويسمى العامة : « بوابة المتولى » . سبق
التعليق عليه في الحاشية رقم ٣٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

٢٠

في الموكب تحت القلعة ، وإذا بالناس قد اضطربوا ، ونزل المجازي سائقاً يريد إسطنبول^(١) ، وسبب ذلك أن السلطان الملك الكامل جلس بالإيوان على العادة ، وقد ثبتت مع ثقاته القبض على المجازي وأرغون شاه إذا دخلا ، وكافا جالسين ينتظران الإذن على العادة ، فخرج طُفَيْمَر الدَّوَادَر في الإذن لها فأشار لها بعينه أن أذهب ، وكانا قد بلغهما أن السلطان قد تنكر عليهما ، فقاما من فورهما ونزلا إلى إسطنبولهما ولبساً بمالكهما وحواشيهما ورجا وتوجها إلى قبة النصر ، وبست المجازي يستدعي آق سُقُر من سرياقوس ، لما تفضي النهار حتى اجتمعت أطلاب الأمراء بقبة النصر ، فطلب السلطان عند ذلك أرغون العلاني واستشاره فيما يعمل ، فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم ، فركب السلطان بماليكه وخاصيكته ومعه زوج أمه الأمير

(١) استفاد عما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على قصر المجازية (ص ٧١ ج ٢) أن هذا الإسطبل كان تحت القصر المذكور ، فانه قال : إن خوند تتر المجازية آبة الملك الناصر محمد بن علاون وزوج الأمير ملكنجر المجازي لما اشترت قصر قوصون بخط رجة باب العيد بجوار المدرسة المجازية عمرته عمارة ملكية وتأثقت فيه وأجرت الماء إلى أعلاه وعملت تحت القصر إسطبلا كبيرا لخيول خدامها وساحة كبيرة يشرف عليها ، وأنشأت بجواره مدرستها التي تعرف إلى اليوم بالمدرسة المجازية . ولما ماتت سكة الأمراء بالأجرة إلى أن تولى الأمير جمال الدين يوسف أستاذارية الملك الناصر فرج بن برقوق صار يجلس بالعقد الذي كان رجة هذا القصر . وأما القصر فعلمه بجنا يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والأعيان ، ثم صار بجنا حاما يعرف بحبس الرجة .

وبما أن رجة باب العيد كانت تنتهي من الجهة الغربية بالطريق التي تعرف اليوم باسم شارع بيت المال ، وأن المدرسة المجازية التي كانت مجاورة لقصرها من الجهة البحرية لا تزال قائمة إلى اليوم ، وتعرف بجامع المجازية بطبقة القصاصين من شارع حبس الرجة بقسم الجمالية بالقاهرة ، فقد بحثت عن مكان ذلك القصر الذي كان تحته إسطبل ملكنجر المجازي زوج تتر المجازية في تلك الجهة فبين لي أنه أندثر . ومكانه اليوم الأرض القائم عليها الآن مباني إدارة تممة المصاغات والموازين والمكايل وبيت المال ومركز بوليس قسم الجمالية وزاوية بدر الدين القرافي وما جاورها ، وتحده هذه المنطقة اليوم من الشرق شارع بيت المال وشارع حبس الرجة ، ومن الشمال حارة القصاصين ومن الغرب ميدان بيت القاضي بالقاهرة .

- أَرْغُونُ العَلاَئِي المَذْكُورَ وَتَمْرَ المَوْسَاوِيَّ وَعِدَّةَ آخَرٍ مِنَ الأَمْرَاءِ ، وَالْقُلُوبَ مَتَغَيَّرَةً ، وَدَقَّتِ الكُوسَاتُ حَرْبِيًا ، وَدَارَتِ النِّقْبَاءُ عَلَى أَجْنَادِ الحَلْفَةِ وَالمَالِكِ لِيَرْكَبُوا فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ وَتَحَاذَلَ بَعْضُهُمْ ؛ وَسَارَ السُّلْطَانُ فِي جَمْعٍ كَبِيرٍ مِنَ الْعَامَةِ وَهُوَ بِسَالِمِ الدَّعَاءِ فَاسْمَعُوهُ مَا لَا يَلِيقُ ، وَدَعَّوْا عَلَيْهِ ، وَسَارَ فِي نَحْوِ أَلْفِ فَارَسٍ لَا غَيْرَ حَتَّى قَابَلَ مَلِكُكُمْ الْجَازِيَّ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الأَمْرَاءِ وَالمَالِكِ ، فَعِنْدَ المَوَاجِهَةِ أَنْسَلَ عَنْ السُّلْطَانِ أَصْحَابُهُ ، وَبَقِيَ فِي أَرْبَعَانَةِ فَارَسٍ ، فَبَرَزَ لَهُ آقُ سَنْقَرُ ، وَسَاقَ حَتَّى قَارَبَ السُّلْطَانُ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنْ يَخْلُصَ مِنَ السُّلْطَانَةِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَبَكَى ، فَتَرَكَهُ آقُ سَنْقَرُ وَعَادَ إِلَى الأَمْرَاءِ وَعَرَّفَهُمْ بِأَنَّهُ أَجَابَ أَنْ يَخْلُصَ نَفْسَهُ ، فَلَمْ يَرْضَ أَرْغُونُ شَاهًا ، وَبَدَّرَ مَعَهُ الأَمِيرُ قَرَابُغَا وَالأَمِيرُ صَهْمَقَارُ وَالأَمِيرُ بَزَلَارُ وَالأَمِيرُ غُرْلُو فِي أَصْحَابِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى السُّلْطَانِ وَسَمِعُوا إِلَى أَرْغُونِ العَلاَئِي لِأَيَّتِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ إِلَى عِنْدِ الأَمْرَاءِ فَلَمْ يُوَافَقِ ١٠ العَلاَئِي عَلَى ذَلِكَ ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ وَمَرَقُوا مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ مَمَالِكِهِ وَأَصْحَابِهِ ثُمَّ ضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَرْغُونَ العَلاَئِي بِدُبُوسٍ حَتَّى أَرْمَاهُ عَنْ فَرْسِهِ إِلَى الأَرْضِ ، فَضَرَبَهُ الأَمِيرُ بِيَنْبَغَا أَرُوسَ بِسَيْفٍ قَطَعَ خَدَّهُ ، فَانْهَزَمَ عِنْدَ ذَلِكَ عَسْكَرُ السُّلْطَانِ ، وَفَزَّ الْمَلِكُ الْكَامِلُ شَعْبَانَ إِلَى القَلْعَةِ وَأَخْتَفَى عِنْدَ امَةِ رُوحَةِ الأَمِيرِ أَرْغُونِ العَلاَئِي ، فَسَارَ الأَمْرَاءُ إِلَى القَلْعَةِ فِي جَمْعٍ هَائِلٍ وَأَخْرَجُوا أَمِيرَ حَاجٍ وَأَمِيرَ حَسِينٍ مِنْ سِجْنِهِمَا ، وَقَبَلُوا يَدَ أَمِيرِ حَاجٍ ١٥ وَخَاطَبُوهُ بِالسُّلْطَانَةِ . ثُمَّ طَلَبُوا الْمَلِكَ الْكَامِلَ شَعْبَانَ مِنْ عِنْدِ امَتِهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَخَرَضُوا فِي طَلْبِهِ حَتَّى وَجَدُوهُ مُخْتَفِيًا بَيْنَ الأَزْيَارِ ، وَقَدْ أَنْسَخَتْ ثِيَابُهُ مِنْ وَسَخِ الأَزْيَارِ ، فَأَخْرَجُوهُ بَيْتُهُ إِلَى الرِّحَةِ ثُمَّ أَدْخَلُوهُ إِلَى الدَّهْشَةِ فَقَبَضُوهُ وَسَجَنُوهُ حَيْثُ كَانَ أَخُوهُ مَسْجُونِينَ وَوَكَّلَ بِهِ قَرَابُغَا القَاسِمِيَّ وَالأَمِيرَ صَهْمَقَارَ .

(١) في ف : « وساروا إليه أَرْغُونُ العَلاَئِي » . (٢) في أعيان مصر لصفدي : « بينغا روس » بدون همزة ، وفي كثير من المصادر وردت همزة وبغيرها . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨٩ من هذا الجزء . (٤) في ف : « إخوته » .

ومن غريب الاتفاق أنه كان يحمل طعاما لأخويه : أمير حاج وحسين حتى يكون
غذاءهما في السجن ، وحمل سباط السلطان على العادة فوقعت الضربة ، وقد مدَّ السَّباط ،
فركب السلطان من غير أكل ، فلما أنهزم وقُبِض عليه ، وأُقيم بدله أخوه أمير حاج
مدَّ السَّباط ^(١) [بينه له] فأكل منه ، وأُدْخِلَ بطعامه وطعام أخيه أمير حسين إلى
الملك الكامل فأكله في السجن . واستمرَّ الملك الكامل المذكور في السجن إلى
يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة قُتِل وقت الظهر ودُفِنَ ^(٢)
عند أخيه يوسف ليلة الخميس ، فكانت مدة سلطته على مصر سنة واحدة وثمانية
ونخسين يوما ؛ وقال الصَّفْدِي : سنة وسبعة عشر يوما ^(٣) .

وكان من أشرَّ الملوك ظلما وعسقا وفسقا . وفي أيامه — مع قصر مدته —
خربت بلاد كثيرة لشغفه باللهو وعكوفه على معاورة الخمر ، وسمع الأغاني وبيع
الإقطاعات بالبذل ، وكذلك الولايات ، حتى إن الإقطاع كان يخرج عن صاحبه ^(٤)
وهو حيَّ بمال آخر ، فإذا وقف من خرج إقطاعه قيل له نعوِّض عليك قد أخرجناه
لفلان الفلاني . وكان مع هذا كله سقاكا للدماء ، ولو طالت يده لأتلف خلائق
كثيرة ، وكان سيئ التدبير ، يُمكن النساء والطواشيَّة من التصرف في المملكة والتهتك

(١) تكلية عن السلوك .

(٢) يستفاد مما ذكره ابن إياس في تاريخ مصر (ص ١٨٦ ج ١) أن الملك الكامل شعبان دفن مع
والده في القبة التي بشارع المنصور لدين الله (بين القصرين سابقا) ، وبما أن والده الملك الناصر محمد بن
قلاوون دفن مع والده السلطان المنصور قلاوون في القبة المنصورية بشارع المنصور لدين الله فيكون الملك
الكامل معها في القبة المذكورة مع أخيه يوسف الذي لم يتول السلطة .

وقد تكلنا على هذه القبة في الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) رواية ابن إياس (ج ١ ص ١٨٦) : « فكانت مدة سلطته بالديار المصرية ستة وعشرين

ونصفا » . (٤) في ف : « بالبذل » بالبدال المهملة .

- في التَّزْه والصيد ولعب الكُرَّة بالهيئات الجميلة وركوب الخيول المستومة ، مع عدم الاحتشام من غير حجاب من الأمير آخورية والعلمان ، ويعجبه ذلك من تهتكهن على الرجال ، فشَفِفَ لذلك جماعة كثيرة من الجند بحُرْمه بما يفعلن من ركوب الخيول وغيرها . وكان حريمه إذا نزلن إلى نزهة بلغت الحُرَّة الخمر إلى ثلاثين درهما ، وهذا كله مع شَرِّه وشَرِّه حواشيه ونسائه إلى ما في أيدي الناس من البساتين والرِّزْق والدوايب ونحوها ، فأخذت أمه معصرة وزير بغداد ومنظرته على بركة الفيل ، وأشياء غير ذلك . وحدث في أيامه أخذُ خراج الرِّزْق وزيادة القانون ونقص الأجار ، وأعيدت في أيامه ضَمَانُ أرباب الملاعب وعدة مكوس ، وكان يحب لعب الحمام ، فلما تسلطن تغالَى في ذلك وقرب من يكون من أرباب هذا الشأن ، ومع هذا الظلم والطمع لم يوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار وخمسمائة ألف درهم ، إلا أنه كان مُهايا شجاعا سيوسا مُتَفَقِّدا لأحوال مملكته ، لا يشغله لهوهُ عن الجلوس في المواكب والحكم بين الناس . ولما أُمِسِكَ وقِيلَ قال فيه الصَفْدَى :
- يَتُ قِلَاوُونَ سَعَادَاتُهُ * فِي عَاجِلٍ كَانَتْ فِي أَجَلٍ [السريع]
- حَلَّ عَلَى أَمْلَاكِهِ لِلنَّوْدَى * دَيْنٌ قَدِ اسْتَوْفَاهُ بِالْكَامِلِ

١٥

* *

السنة الأولى من سلطنة الملك الكامل شعبان على مصر وهي سنة ست وأربعين وسبعمئة ، على أن أخاه الملك الصالح إسماعيل حكم منها إلى رابع

(١) في ف : « إلى ثلاثين ألف درهم » والسياق يأباه .

(٢) كذا في الأصلين . ورواية المنهل الصافي والسلوك وابن إياس وأعيان العصر وأعوان النصر

لأبي الصفا صلاح الدين خليل بن أبيك الصغدِي — نسخة في ستة أجزاء مأخوذة بالنصوير الشمسي عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أفندي بالآستانة وهي غير كاملة — :

* في عاجل كانت بلا أجل *

شهر ربيع الآخر، ثم حَكَّم الملك الكامل هذا في باقيها وفي أشهر من سنة سبع كما سيأتي ذكره .

فيها (أعنى سنة ست وأربعين) تُوِفِّي السلطان الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون حسب ما تقدم ذكره في ترجمته . وفيها أيضا تُوِفِّي السلطان الملك الأشرف مُلْكُ ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد خَلْعِهِ من السلطنة بسنين ، وقد تقدم ذكر سلطته أيضا ووفاته في ترجمته .

وتُوِفِّي الأمير سيف الدين طُغْرُكْ دُمَرْ بن عبد الله الحَمَوِيّ الناصريّ الساقى بالقاهرة في مُسْتَهْلُ جُمَادَى الآخِرَةِ ، وكان أصله من ممالك الملك المؤيد حماد الدين إسماعيل الأيوبيّ صاحب حمّاه ، ثم انتقل إلى مَلِكِ الملك الناصر محمد بن قلاوون وَحِطَى عنده وجعله ساقياً ، ثم رَقَاه حتى صار أميراً مائة ومقدم ألف بالديار المصرية ، ثم جعله أمير مجلس وزوجه بإحدى بناته ، وصار من عظماء أمراءه إلى أن مات .
و[لما] ^(١) قسطنطين أنه الملك المنصور أبو بكر استقر طُغْرُكْ دُمَرْ هذا نائب السلطنة بديار مصر ، ووقع له أمور حكمتها في تراجم السلاطين من بنى الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن أخرج إلى نيابة حمّاه . ثم قِيلَ إلى نيابة حلب ، ثم إلى نيابة الشام ، ثم طُلِبَ إلى القاهرة في سلطنة الملك الكامل هذا فحضر إليها مريضاً في حِفْة ومات بعد أيام حسب ما تقدم . وكان من أجل ^(٢) الأمراء وأحسنهم سيرة . كان عاقلاً ديناً سيّوفاً ، عارفاً ، وهو صاحب الخانقاه بالقرافة والقنطرة خارج القاهرة على الخليج وغير ذلك مما هو مشهور به .

(١) تكله يقتضيه السياق . (٢) في الأصلين : « من أجل الملوك » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) أطلنا البحث عن موضع هذه الخانقاه فلم نقف لها على أثر .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتوفى القاضي بدر الدين محمد ابن القاضي محي الدين [يحيى] ^(١١) بن فضل الله العمري الدمشقي، كاتب سِرِّ دِمَشْق في سادس عشرين شهر رجب بِدِمَشْق. وكان كاتباً فاضلاً من بيت فضل ورياسة، وقد تقدّم ذكر جماعة من آباءه وأقاربه، ويأتى ذكر جماعة آخر من أقاربه في محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وتوفى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الأحمدي المنصوري أمير جَانْدَار في يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم، وهو في عشر الثمانين. وكان أصله من ممالك الملك المنصور قلاوون، وأحد أعيان أمراء الديار المصرية. وهو الذي قوى عزم قوَّصون على سلطنة الملك المنصور أبي بكر، وكان جَارَ كَيْسٍ الجلس، تنقل إلى أن صار من أعيان الأمراء بمصر، ثم ولي نيابة صفد وطرابلس، ثم قَدِمَ القاهرة وتوفى أمير جَانْدَار. وكان كريماً شجاعاً ديناً قوى النفس، لم يركب قط إلا فخلاً، ولم يركب خِجْرَةً ^(١٢) ولا إكديشاً في عُمره. وكان له ثروة كبيرة، وطالت أيامه في السعادة، وخلف أملاً كثيرة، أذهب غالبها جماعة من أوباش ذريته بالاستبدال والبيع إلى يومنا هذا.

وتوفى الأمير بدر الدين چَنَكَلِي [بن محمد بن البابا بن چَنَكَلِي] ^(١٣) بن خليل ابن عبد الله المعروف بابن البابا العجلي أتابك العساكر بالديار المصرية في عصر يوم الاثنين سابع [عشر] ^(١٤) ذي الحجة. وكان أصله من بلاد الروم، طلبه الملك الأشرف خليل بن قلاوون وكتب له منشوراً بالإقطاع الذي عينه إليه فلم يتفق حضوره إلا في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة أربع وسبعمائة فأمره وأكرمه،

(١) النكته عن المنهل الصافي والدرر الكامنة والسلوك. (٢) في السلوك: « في يوم

٢٠ للثلاثاء ثالث عشر المحرم. » (٣) الصواب فيها « حجر » بدون ها. كما في اللسان.

(٤) النكته عن الدرر الكامنة. (٥) النكته عن الدرر الكامنة والمخطوط القرظية (ج ٢ ص ١٣٥).

ولا زال يُرَقِّبه حتى صار يجلس ثاني آقوش نائب الكرك . ثم بعد آقوش جلس
جَنَكَلِي هذا رأس الميمنة .

قال الشيخ صلاح الدين : وهو من الحشمة والذين والوقار وعِفَّة الفرج
في المحل الأقصى ، ولم يزل معظماً من حين ورد إلى أن مات . وكان ركناً من أركان
المسلمين ينفع العلماء والصلحاء والفقراء بماله وجاهه ، وكان يتفقه ، ويحفظ رُبَّع
العبادات . ويقال : إن نَسَبه يتصل بإبراهيم بن آدم رضي الله عنه ، قال : وقلت
فيه ولم أكتب به إليه :

[السريح]

لا تَنسَ لي يا قاتلي في الهوى * حُشاشة من حرق تَنسلي

لا تُرْسَ لي أَلقَى به في الهوى * سِهام عينك متى تُرْسلي

لا تُنَحِّتَ لي يَشْرَفُ قَدْرِي به * إلا إذا ما كنتَ بي تُنَحِّلي

لا جَنَكَ لي تُضَرِّبُ أوتارُهُ * إلا تَنًا يُنَمَلُ على جَنَكَلِي

وَوُفِّ رُؤْيَا^(١) وأسمه مُنْجِد بن أبي نُمَيَّ محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قنادة

أَبْن أبي غرير إدريس بن مُطاع بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي^(٢)

ابن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المُخَضَّب بن موسى [بن عبد الله] بن الحسن^(٣)

ابن الحسن بن علي بن أبي طالب الحَسَنِي المَكِّي أمير مكة بها في يوم الجمعة

ثامن ذي القعدة .

(١) الجنك ، معرب جنك : آلة موسيقية على شكل رباعي (عن القاموس الفارسي الإنجليزى

لاستيعاس) . (٢) ضبط المؤلف في التهل بالصاق بالعبارة فقال : « برا . مهمله مضمونة

وبعدها ميم مفتوحة وبأ . آخر الحروف ساكنة ثم ثاء . مثناة مفتوحة وهاء . ساكنة » . وفي الدرر الكامنة

أنه توفي سنة ٧٤٨ هـ (٣) التكلة عن شجرة نسب أشرف مكة من عمل وسفلة في الجزء الرابع

من كتاب تواريخ مكة طبع ليزج سنة ١٨٦١ (٤) في ف : « ابن الحسين » .

(١) وتوفي الشيخ الإمام نضر الدين أحمد بن الحسين الحارَ بَرْدِي شارح «البيضاوي» .
 (٢) وتوفي الشيخ الإمام العلامة تاج الدين أبو الحسن علي بن عبد الله [أبن أبي الحسن]
 (٣) ابن أبي بكر الأَرْدَبِيلِي الشافعي ، مدرّس مدرسة الأمير حُسام الدين طرُفَاطي
 (٤) المنصوري بالقاهرة . كان فقيهاً عالماً بارعاً أفتى ودرّس سنين .

- (١) ضبط في لب الباب للسيوطي بالعبارة (فتح الرء والموحدة وسكون الرء ومهمله) : نسبة إلى
 « جارد : قرية من قرى قارس » . (٢) هو منهاج الوصول إلى علم الأصول لأحمد الدين
 البيضاوي . وأما شرحه فغير موجود . (٣) زيادة عن الدرر الكامنة .
 (٤) هذه المدرسة ذكرها المقرئ في خطه بأسم المدرسة الحسامية (ص ٣٨٦ ج ٢) . فقال : إن هذه
 المدرسة بنحط المسطاح تجاه سوق الرقيق ، ويسلك منها إلى درب المداس وإلى حارة الوزيرية من القاهرة .
 بنها الأمير حسام الدين طرفطاي المنصوري نائب السلطة بمصر إلى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء
 الشافعية ، ولم يذكر المقرئ تاريخ إنشائها .

- وبالبحث تبين لي (أولاً) أن هذه المدرسة أنشئت في سنة ٦٨٤ هـ . (ثانياً) أن خط المسطاح
 يشمل اليوم المنطقة التي يتوسطها عطفة الصاوي المتفرعة من شارع درب سعادة . (ثالثاً) أن سوق الرقيق
 مكانه بيت محمد بن سويدان وهو من البيوت الأثرية ، يملكه الآن ورثة علي باشا برهام بعطفة الصاوي
 تجاه جامع أبي الفضل . (رابعاً) أن درب العَدَّاس هو الطريق التي يشغلها اليوم القسم البحري من شارع
 ١٥ درب سعادة في المسافة بين شارع الأزهر ومدخل حارة الصاوي . (خامساً) حارة الوزيرية تشمل
 المنطقة التي تشرف على القسم الأوسط من شارع درب سعادة فيما بين مدخل حارة الصاوي وسكة
 النبوية . (سادساً) أن المدرسة الحسامية حل محلها جامع أبي الفضل بعطفة الصاوي بالقاهرة ،
 يؤيد ذلك أنه يوجد بجوار هذا الجامع تربة الأمير طرفطاي منشي المدرسة الحسامية ، وبها تابوت عليه
 بعد البسلة : « هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى الأمير حسام الدين طرفطاي الملكي المنصوري . توفي يوم
 الخميس ٢٤ من شهر ذي القعدة سنة ٦٨٩ هـ » . وقد سبقت الإشارة في هذا الكتاب ص ٢٨٤ ج ٧
 أنه بعد أن دفن بجوار زاوية الشيخ عمر السعدي بن أبي العثاثر بالقراة نقلت جثته إلى المدرسة الحسامية
 بالقاهرة . ويوجد بجوار قبر الأمير طرفطاي قبر آخر بأسم الشيخ أبي الفضل ، ولهذا عرفت المدرسة
 بأسم جامع أبي الفضل . ومكتوب بآثار سقف الجامع ما يبين أن الأمير عثمان جاويز تابع المرحوم
 ٢٥ حسن كشتخدا الفصغل جده في سنة ١١٤٠ هـ . وهي الآن جامع صغير قديم . والظاهر أن =

وَتَوَفَّى الشَّيْخُ الْمُقَرَّبِيُّ تَقَى الدِّينِ مُحَمَّدٌ^(١) [بن محمد بن علي] بن هُمام
ابن راجي الشافعي، إمام جامع الصالح خارج باب زويلة، ومُصَنِّف «كتاب

» على باشا مبارك لم يوصله بحثه إلى الحقيقة بدليل أن ما ذكره في الخطط التوفيقية عن المدرسة الحسامية وعن جامع أبي الفضل لا يتفق والواقع، فإنه لما تكلم عن المدرسة المذكورة (ص ٦٦ ج ٦) قال :
إن هذه المدرسة قد تحجرت ولم يبق منها إلا الحراب، وأخذ منها قطعة في طاهرة جامع المغربي الذي كان
يعرف قديماً بالمدرسة الزمامية بسوق النمارسة (تجار الصبني) .

وأقول : إن سوق النمارسة هو الذي يعرف اليوم بشوارع السلطان صاحب وشارع البوذية المتفرعين
من شارع الأزهر، وفصلاً عن أن جامع المغربي هو جامع آخر غير المدرسة الزمامية فإن ما ذكره مبارك باشا
لا ينطبق على مكان المدرسة الحسامية، بل ينطبق على مكان المدرسة صاحبة التي تكلمنا عليها في الحاشية
رقم (٤ ص ٢٨٠) من الجزء السادس من هذه الطبعة .

ولما تكلم مبارك باشا على جامع أبي الفضل (ص ٥٣ ج ٤) قال : إن هذا الجامع هو المدرسة
القطبية التي ذكرها المقرئ، وقال : إنها في خط سويقة صاحب داخل درب الحريري .
وأقول : إن المدرسة القطبية قد خربت من قديم وزال أثرها ، وليس لها أية علاقة بجامع أبي الفضل
الذي هو المدرسة الحسامية كما ذكرنا . وقد تكلمنا عن المدرسة القطبية في الحاشية رقم ٧ ص ١٦ من
الجزء السادس من هذه الطبعة .

(١) وافق المؤلف هنا المقرئ حيث ذكر تقى الدين هذا ضمن من توفوا سنة ٧٤٦ هـ . ولما
أردنا تحقيق نسبه وتاريخ وفاته في السيرة المذكورة فلم نهند إلى وجه الصواب فيه ، فتأبنا البحث عنه
في المصادر التي تحت يدا حتى ينسنا ، وأخيراً رجعنا إلى كشف الظنون لتحقيق مصنفه « كتابه سلاح
المؤمن » فوجدنا أن نسبه ناقص وأن ذكره في وفيات سنة ٧٤٦ هـ خطأ صوابه سنة ٧٤٥ هـ (انظر كشف
الظنون ج ٢ ص ٢٨ وغاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ٣٤٥ وشذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٤
والدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٣) .

(٢) هذا الجامع من المساجد الكبيرة في القاهرة وهو آخر مسجد أنشئ في عهد الدولة الفاطمية بمصر .
أنشأه الصالح طلائع بن رزيق ، وكان يلقب بالملك الصالح ، وذلك في سنة ٥٥٥ هـ خارج باب زويلة ،
وكان الصالح وقتئذ وزيراً للخليفة الفاطمي بنصر الله عيسى بن الظاهر إسماعيل ، ولم يذكر المقرئ تاريخ إنشاء
هذا الجامع في حين أن ذلك ثابت في الكتابة التي بأعلى الوجهة الغربية . وقال : إن صلاة الجمعة
لم تقم في هذا المسجد إلا في سنة ٦٥٢ هـ . ولعل تعطيل صلاة الجمعة في هذا المسجد طوال هذه المدة
يرجع إلى كراهة الأيوبيين للذهب الشيعي .

(١) سلاح المؤمن » . رحمه الله .

§ — أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا .

- = وكتب الأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش إدارة حفظ الآثار العربية في مصر في مذكراته عن هذا الجامع قال : إنه من المساجد الكبيرة ، إذ تبلغ مساحته ١٥٢٢ مترا مربعا ، وله أربع وجهات مبنية كلها بالحجر ، وأهمها الوجهة الغربية وبها الباب العموى المشرف على شارع قصبة وضوان وباب زويلة ، ويتكون الجامع من الداخل من أربعة إيوانات ، أكبرها الإيوان الشرقى الذى به المحراب ، ويتوسطها صحن كبير به صهريج كان يملأ وقت الفيضان من الخليج . وكانت المنارة الأصلية تعلو الباب الغربى ، ثم هدمت ، وتجدد في مكانها منارة بسيطة أزيلت كذلك في سنة ١٩٢٦ م خلال حدث بها .
- ١٠ وقد حليت الوجهات الغربية والبحرية والقبلى للجامع من أعلاها بأفاريز كتب عليها آيات قرآنية بالخط الكوفى المزخرف ، وحليت عقود الشبايك بزخارف هندسية جميلة ، ويتوسط كل وجهة باب يوصل إلى صحن المسجد ، وبأسفل تلك الوجهات عدة دكاكين يعلوها كذلك إفريز حلى برأبع مزخرفة .
- وقد عمل في هذا الجامع عدة إصلاحات أهمها إصلاحان : أولها في سنة ٦٩٩ هـ ، ومن بقاياها المنبر الحالى ، وثانيهما في سنة ٨٨٢ هـ .
- ١٥ وفي عصرنا الحاضر كان هذا الجامع على حالة سيئة جدا من الخراب كما شاهده ، إذ أقيم بلصق وجهاته منازل ودكاكين أخفتها عن النظر ، واحتجبت الدكاكين التى تحت الجامع بأرتفاع الأرض عليها ، وكذلك تهدمت الأواوين التى حول الصحن ما عدا الإيوان الشرقى .
- وقد أدركت إدارة حفظ الآثار العربية هذه الحالة السيئة فبدأت من سنة ١٩٣١ فى تعمير هذا الجامع ، فأعادت بناء الدكاكين وعملت لها خندقا أمامها وسلام فأظهرتها ، ثم نزلت ملكية المنازل والدكاكين التى كانت بلصق الوجهات ، وقامت برميم وبناء تلك الوجهات وكشفها حتى عادت إلى حالتها الأولى ،
- ٢٠ وأصلحت الأواوين الثلاثة حول الصحن ، وأعيد بناء الإيوان الرابع الغربى ، وتم تعمير أكبر قسم من الجامع فى سنة ١٩٤٣ — وكان الغرض من المحافظة على غودج بناء هذا الجامع الفاطمى ، والارتفاع به فى إقامة الشعائر — وقد عاد هذا الأثر الجليل الى ما كان عليه صالحا للصلاة ، وهو اليوم عامر بإقامة الشعائر الدينية ، وأن تقوم لجنة حفظ الآثار العربية التى لها — أن نفتخر بإنجازها ، هذا الأثر — بإعادة بناء المنارة فى مكانها وبرسمها القديم .
- ٢٥

(١) هو كتاب منتخب من الكتب الستة . توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٧٥ حديث م]

ذكر سلطنة الملك المظفر حاجي على مصر

السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي المعروف بأمير حاج ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو السلطان الثامن عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والسادس من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الكامل شعبان والقبض عليه في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة . وكان يحبه أخوه الملك الكامل شعبان كما تقدم ذكره . فلما أنهزم الملك الكامل من الأمراء بقبة النصر ساق في أربعة ممالك إلى باب السر من القلعة ، فوجده مغلقا والمالك بأعلاه ، فتلطف بهم حتى فتحوه له ، ودخل إلى القلعة لقتل أخويه حاجي هذا ومعه حسين ، لأنهما كانا حبيسا معا ، فلم يفتح له الخدم الباب فضى إلى أمه فأختفى عندها وصعد الأمراء في أثره إلى القلعة بعد أن قبضوا على الأمير أرغون السلاقي وعلى اللطواشي جوهر السحري اللالا وأسندمير الكامل وقطلوبغا الكركي وجماعة أخر ، ودخل بزلار وضمفار راكبين إلى باب الستارة ^(١) وطلبا أمير حاج المذكور ، فأدخلهما الخدم إلى الدهشة حتى أخرجوه وأخاه من محبتهما ، وخطبا أمير حاج في الوقت بالملك المظفر . ثم دخل إليه الأمير أرغون شاه ، وقبل له الأرض وقال له : بسم الله أخرج أنت سلطاننا ، وساربه وبأخيه حسين إلى الرحبة وأجلسوه على باب الستارة .

(١) لما تكلم القرزي على باب النحاس الذي علقا عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة قال : إن باب النحاس كان من داخل باب الستارة ، والظاهر أن باب الستارة كان من أبواب القصور المخصصة لسكنى الملك وجرمه ، وقد زال الباب بزوال تلك القصور وحل مكانها السراي الكبرى التي أنشأها محمد علي باشا الكبير في سنة ١٢٤٣ هـ لسكناه هو وجرمه ، ولا تزال موجودة تعرف باسم قصر الحرم في القسم الشمالي الغربي من مباني القلعة أي في الجهة الغربية من جامع سليمان باشا الذي يعرف بجامع سيدى سارية ، وهذا القصر يشغل اليوم التحف الحربي .

ثم طُلب شعبان حتى وُجد بين الأزيار وحبسوه حيث كان أخواه ، وطلبوا الخليفة والقضاة وفوض عليه الخليفة الخليفة ، وركب من باب الستارة بأبهة السلطنة وشعار الملك من باب الستارة إلى الإيوان . وجلس على تخت الملك وحمل الممالك أخاه أمير حسين على أكتافهم إلى الإيوان . ولُقب بالملك المظفر وقبل الأمراء الأرض بين يديه وحلف لهم أنه لا يؤذى أحدا منهم ، ثم حَفُّوا له على طاعته ، وركب الأمير بَيْغرا البريد ونرج إلى الشام يُبَشِّرُ الأمير يَلْبُغا اليَحْيَاوِيَّ نائب الشام ويُحَلِّفه ويُحَلِّف أيضا أمراء الشام للملك المظفر .

ثم كتب إلى ولاية الأعمال بإعفاء النواحي من المغارم ورماية الشعير والبرسيم . ثم حُمل الأمير أَرْغُونُ العلائي إلى الإسكندرية . وفي يوم الأربعاء نالته قُتِلَ الملك الكامل شعبان وقُبِضَ على الشيخ علي الدوادار ، وعلى عشرة من الخدام الكاملة ، وسُلموا إلى شاذ الدواوين ، وسُلم أيضا جَوْهر السَّحَرِيَّ وقُطْلُوْبُغا الكَرَكِيَّ ، وأُزِموا بحمل الأموال التي أخذوها من الناس فَعَذِّبُوا بأنواع العذاب ، ووقعت الحوطة على موجودهم . ثم قُبِضَ على الأمير تَمْرُ الموساوي ، وأُخرج إلى الشام . وأمر بأم الملك الكامل وزوجاته فَأُتِرِلْنَ من القلعة إلى القاهرة ، وعُرضت جَوَارِي دار السلطان فبلفت عِدَّتُهُنَّ خمسمائة جارية ففُتِرِقْنَ على الأمراء ، وأُحِيط ١٥ بموجود حَفِيَّة الملك الكامل التي كانت أولا حَفِيَّة أخيه الملك الصالح إسماعيل المدعوة إتفاق وأُتِرِلَتْ من القلعة ، وكانت جارية سوداء حالكة السواد ، اشتريتها ضامنة المغاني بدين الأربعمائة درهم من ضامنة المغاني بمدينة بليس ، وعلَّمتها الضرب بالعود على الأستاذ صَبَد على الصَّوَاد ، فمَهَرَتْ فيه وكانت حسنة الصوت جيدة الفناء فقدمتها لبيت السلطان ، فأشتهرت فيه حتى شَغِفَ بها الملك الصالح ٢٠

(١) كذا في الأصلين . وفي الدور الكاتبة : « فلما عند على العجمي ضرب العود » .

إسماعيل ، فإنه كان يهوى الجوارى السودان وتزوج بها . ثم لما تسلطن أخوه الملك الكامل شعبان باتت عنده من ليلته ، لما كان في نفسه منها أيام أخيه ، ونالت عندهما من الحظ والسعادة ما لا عُرف في زمانها لأمرأة ، حتى إن الكامل عمّل لها دائر بيت طوله اثنتان وأربعون ذراعا وعرضه ست أذرع ، دخل فيه خمسة وتسعون ألف دينار مصرية ، وذلك خارج عن البشخانة والمحاذ والمساند ، وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصعة بالجواهر ، وستة عشر مقعد زركش ، وثمانون مقعة ، فيها ما قيمته عشرون ألف درهم وأشياء غير ذلك ، استولوا على الجميع . ثم أسترجع السلطان جميع الأملاك التي أخذتها حريم الكامل لأربابها . ثم نودي بالقاهرة ومصر برفع الظلمات ، ومنع أرباب الملايع جميعهم .

وخلع السلطان على علم الدين عبدالله [بن أحمد بن إبراهيم] بن زُنُور بآنتقاله من وظيفة نظر الدولة إلى نظر الخاص عوضا عن نغر الدين بن السعيد ، وقبض على

- (١) في الدرر الكامنة : « فبلغ جميع ذلك سنة ثمانين ألف دينار مصرية » . (٢) البشخانة : النكلة (الناموسية) . (٣) في السلوك : « وست عشرة بذلة حرير ثياب بدائر زركش » . (٤) النكلة عن الدرر الكامنة . (٥) نظر الدولة (نظر الدواوين) : موضوعها للحدث في كل ما يحدث فيه الوزير ، وكل ما كتب فيه الوزير كتب فيه هو (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١) . (٦) وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون — رحمه الله — حين أبطل الوزارة . وأصل موضوعها للحدث فيها هو خاص بحال السلطان . قال في مسالك الأبحار : « وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه » وصار إليه تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين (يعنى في زمن تعطيل الوزارة) . وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر [لا بمراجعة السلطان] . ولناظر الخاص أتباع من كتاب ديوان الخاص كستوفى الخاص ، ولناظر خزنة الخاص ونحو ذلك مما لا يسع استيعابه . (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٠) .

(٧) هو صاحب الوزير نغمر الدين عبدالله بن ناج الدين موسى بن أبي شاكر سعيد الدولة .

سبذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٧٦ هـ .

أَبْنُ السَّعِيدِ وَخَلَعَ عَلَى مَوْفَى الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِأَسْتِقْرَارِهِ نَاضِرَ الدَّوْلَةِ عَوْضًا عَنْ أَبْنِ زَنْبُورٍ ، وَخَلَعَ عَلَى سَعْدِ الدِّينِ حَرْبًا ، وَأَسْتَقَرَّ فِي أَسْتِفَاءِ الدَّوْلَةِ عَوْضًا عَنْ ابْنِ الرَّيْشَةِ ^(١) .

ثُمَّ قَدِمَ الْأَمِيرُ بَيْغَرًا مِنْ دِمَشْقَ بَعْدَ أَنْ لَقِيَ الْأَمِيرَ يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِي نَائِبَ الشَّامِ ، وَقَدْ بَرَزَ إِلَى ظَاهِرِ دِمَشْقَ يَرِيدُ السَّيْرَ إِلَى مِصْرَ بِالعَسَاكِرِ لِقَاتِلِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شُعْبَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَا وَقَعَ سَرَّ سُرُورًا عَظِيمًا زَائِدًا بِزَوَالِ دَوْلَةِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ ، وَإِقَامَةِ أَخِيهِ الْمَظْفَرِ حَاجَتِي فِي الْمَلِكِ ، وَعَادَ يَلْبَغَا إِلَى دِمَشْقَ وَحَلَفَ لِلْمَلِكِ الْمَظْفَرِ وَحَلَفَ الْأَمْرَاءُ عَلَى الْعَادَةِ ، وَأَقَامَ لَهُ الْخَطْبَةَ بِدِمَشْقَ ، وَضَرَبَ السَّكَّةَ بِاسْمِهِ ، وَسِيرَ إِلَى السُّلْطَانِ دَنَائِرَ وَدِرَاهِمَ ، وَكَتَبَ يَهَيِّ السُّلْطَانُ بِجُلُوسِهِ عَلَى تَحْتِ الْمَلِكِ ، وَشَكَمَنْ نَائِبَ حَلَبَ وَنَائِبَ غَزَةَ وَنَائِبَ قَلْعَةَ دِمَشْقَ مُغْلَطَايَ وَمَنْ نَائِبَ قَلْعَةَ صَفَدَ قُرْجِي ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُوَافِقُوهُ عَلَى خُرُوجِهِ عَنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شُعْبَانَ ، فَرَسَمَ السُّلْطَانُ بَعَزَلَ الْأَمِيرِ طُقْتُمُشَ الْأَحْمَدِي نَائِبَ حَلَبَ وَقَدُومَهُ إِلَى مِصْرَ ، وَكَتَبَ بِأَسْتِقْرَارِ الْأَمِيرِ بَيْدَمُرَ ^(٢) الْبَدْرِي نَائِبَ طَرَابُلُسَ عَوْضَهُ فِي نِيَابَةِ حَلَبَ ، وَأَسْتَقَرَّ الْأَمِيرُ أَسْنَدَمُرَ الْعُمَيْرِي نَائِبَ حِمَاةَ فِي نِيَابَةِ طَرَابُلُسَ ، وَهَذَا أَوَّلُ نَائِبٍ أَنْتَقَلَ مِنْ حِمَاةَ إِلَى طَرَابُلُسَ ، وَكَانَتْ قَدِيمًا حِمَاةَ أَكْبَرَ مِنْ طَرَابُلُسَ ، فَلَمَّا أُنْشِعَ أَعْمَالُهَا صَارَتْ أَكْبَرَ مِنْ حِمَاةَ .

ثُمَّ كَتَبَ السُّلْطَانُ بِالْقَبْضِ عَلَى الْأَمِيرِ مُغْلَطَايَ نَائِبَ قَلْعَةَ دِمَشْقَ وَعَلَى قُرْجِي نَائِبَ قَلْعَةَ صَفَدَ ، ثُمَّ كَتَبَ بَعَزَلَ نَائِبَ غَزَةَ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِي لَمَّا عَادَ إِلَى دِمَشْقَ بِغَيْرِ قِتَالِ عَمَرَ — مَوْضِعَ كَانَتْ خِيَمَتُهُ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقَدَمِ — قُبَّةَ سَمَاهَا قُبَّةُ النُّصْرِ ^(٣) .

(١) هو عبد الله بن ريشة أمين الدين القبلي الأسلي ناضر الدولة . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٩٠ هـ . (٢) في الأصلين : « أيدمر البدرى » . وما أثبتناه عن الدرر الكامنة والسلوك . (٣) رواية المنهل الصافي في الكلام على يلغا المذكور : « وعمر هو قبة النصر عند مسجد القدم » ولا يزال مسجد القدم قائما إلى الآن في الجنوب من دمشق (راجع دليل سوريا وفلسطين ليدكر)

التي تُعرف الآن بقبة يلغا . ثم خلع السلطان على الطواشي عتَب السَّحَرَتِي باستقراره
مقدّم الممالك السلطانية ، كما كان أولا في دولة الملك الصالح عوضا عن محسن
الشهابي . وخلع على مختص الرشوى باستقراره زمام دار ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه .
ثم أنعم السلطان بإقطاع الأمير أرغون الصلائي على الأمير أرغون شاه ، وأنعم على
كل من أصل وأرقطاي بزيادة على إقطاعه ، وأنعم على ابن تَكر بإمرة طبلخاناه ،
وعلى أخيه الصغير بإمرة عشرة .

ثم في يوم الاثنين خامس [عشر]^(١) جمادى الآخرة أمر السلطان ثمانية عشر أميراً
ونزلوا إلى قبة المنصورة^(٢) ولبسوا الخلع ، وشقوا القاهرة حتى بلغوا إلى القلعة فكان
لهم بالقاهرة يوم مشهود . ثم في يوم الخميس ثالث شهر رجب خلع السلطان على
الأمير أرقطاي باستقراره نائب السلطنة بديار مصر باتفاق الأمراء على ذلك بعد
ما أمتنع من ذلك تمنا زائدا ، حتى قام الجحازي بنفسه وأخذ السيف ، وأخذ
أرغون شاه الخلعة ودارت الأمراء حوله ، وألبسوه الخلعة على كره منه ، فخرج
في موكب عظيم ، حتى جلس في شبّاك دار النيابة ، وحكم بين الناس ، وأنعم السلطان
عليه — بزيادة على إقطاعه — ناحيتي المطرية والخصوص ، لأجل سباط النيابة . ثم
ركب السلطان بعد ذلك ونزل إلى سرياقوس على العادة كل سنة ، وخلع على الأمير
تَكرُبا العقيلي باستقراره في نيابة الكرك عوضا عن الأمير قبلاي . ثم عاد السلطان

(١) تكملة يقتضها السياق . (٢) هي القبة التي بها قبر السلطان المنصور قلاوون بشوارع
المزدين الله (بين القصرين سابقا) وتكلمنا عليها فيما سبق في الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من
هذه الطبعة . (٣) سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٤) هي قرية واقعة في شمال بلدة المطرية من ضواحي القاهرة على بعد أربعة كيلومترات منها ، وهي
الآن إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية ؛ وكانت تسمى قديما خصوص عين شمس لقربها
من مدينة عين شمس التي تقع أعلاها بأراضي ناحية المطرية . ومساحة أراضيها ١٩٨٧ فداناً . وعدد سكانها
حوالي ٤٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

إلى القلعة، وبعد عودته في أول شهر رمضان مريض السلطان عدة أيام . ثم في يوم الاثنين خامس عشرين شهر رمضان خرج الأمير أرغون شاه الأستاذار على البريد إلى نيابة صفد، وسبب ذلك تكبره على السلطان، وتعاظمه عليه وتحككه في الدولة، ومعارضته السلطان فيما يرسم به، وحششه في مخاطبة السلطان والأمراء حتى كرهته النفوس، وعزم السلطان على مسكه فتلطف به النائب حتى تركه، وخلع عليه باستقراره في نيابة صفد، وأخرجه من وقته خشية من فتنة يثيرها، فإنه كان قد اتفق مع عدة من الممالك على المخامرة، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير ملكتمر الجياري وأعطى ناحية بوتيغ زيادة عليه .

ثم في يوم الأحد أول شوال تزوج السلطان ببنت الأمير تثير زوجة أخيه الكامل . وفي آخر شوال طُلبت إتفاق المؤادة إلى القلعة فطلعت بجوارها مع الخدام وتزوجها السلطان خفية، وعقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجري

- (١) في السلوك : « في ثاني شهر رمضان » . (٢) في الأصلين : « خامس عشر » . وما أنشأه عن السلوك . (٣) هي من المدن المصرية القديمة في صعيد مصر، تعرف باسم « أبوتيج » . اسمها المصري القديم « باشنا » ومعناها الخزن أو الشون لأنها كانت في العهد القديم شونة لجميع الغلال التي تجمع من بلاد الصعيد وتنقل إلى الإسكندرية ، ثم تصدر إلى روما . وترجم الروم اسمها إلى بوتيكي ومنها اسمها العربي بوتيغ ثم أبوتيج . وذكرها ياقوت في معجمه فقال : « بوتيغ بلدة بالصعيد غربي النيل بمصر . وهي عامرة زهرة ذات نخيل كثير وشجر ونير » . ثم ذكرها ابن دقاق في كتاب الانتصار فقال : « بوتيغ من المدن المليحة بها جامع كبير قديم وبها مدارس وحمام مليحة وبها قيسارية وفنادق ولها سوق أسبوعي كبير ويقوم بها قاض » . ولما أنشئ قسم أبوتيج في سنة ١٨٣٣ جعلت مدينة أبوتيج قاعدة لها ، ولا زالت قاعدة لمركز أبوتيج أحد مراكز مديرية أسيوط ومن مدنها الشهيرة . ومساحة أراضيها ٢٥١٤ فداناً وعدد سكانها حوالي ١٨٠٠ نفس .

- (٤) الجوجري : نسبة إلى جوجر، وهي قرية قديمة وردت في قوانين الدواوين طبع الجمعية الزراعية ص ١٢٥ والتحفة السنبة ص ٧٥ طبع بولاق . وفي خطط المقرري في الكلام على كنائس اليهود ج ٢ ص ٤٧٠ وفي خطط على باشا ج ١٠ ص ٧٠، وهي تقع على الشاطئ الغربي لقرع دمياط . وفي مقابلتها منية بدرخيس على الشاطئ الشرقي وفي قلبها منية الفرق وإليها ينسب علماء مشاهير : وهي اليوم إحدى قرى مركز طلخا مديرية الغربية .

(١) شاهد الخزانة، وبنى عليها من ليلته، بعد ما جُليت عليه، وفُرش تحت رجلها ستون شقة أطلس، وبنى عليها الذهب. ثم ضربت بعودها وغنت فأنعم السلطان عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات، ثمنها أربعة آلاف دينار.^(٢)

قلت : وهذا ثالث سلطان من أولاد ابن قلاوون تزوج بهذه الجارية السوداء، وحظيت عنده، فهذا من الغرائب، على أنها كانت سوداء حالكة لا مولدة، فإن كان من أجل ضربها بالعود وغنائها فيمكن من تكون أعلى منها رتبة في ذلك وتكون بارعة الجمال بالنسبة إلى هذه. فسبحان المستخر.

(٣) وفي ثاني سؤال أنعم السلطان على الأمير طنيرق مملوك أخيه يوسف بتقدمة ألف بالديار المصرية دفعة واحدة، نقله من الجندية إلى التقدمة لجمال صورته، وكثرة كلام الممالك بسبب ذلك. ثم رسم السلطان بإعادة ما كان أخرج عن اتفاق العوادة من خدامها وجواربها، وغير ذلك من الرواتب، وطلب السلطان عبد على المواد المغنى معلّم اتفاق إلى القلعة وغنى السلطان فأنعم عليه بإقطاع في الحلقة زيادة على ما كان بيده وأعطاه مائتي دينار وكاملية حرير بفرو ستمور. وأنهمك أيضا الملك المظفر في اللذات، وشغف باتفاق حتى شغلته عن غيرها وملكت قلبه، وأفرط في حبها، فشقى ذلك على الأمراء والممالك وأكثروا من الكلام، حتى بلغ السلطان، وعزم على مسك جماعة منهم، فما زال به النائب حتى رجع عن ذلك.

(١) هي من الوظائف الديوانية. وفي دوزي بمعنى موظف المالية والجرك وأيضاً مفتش ومسجل.
(عن كتاب قوانين الدواوين لابن ماق فهرس الاصطلاحات ص ٤٥٦ من طبعة الجمعية الزراعية الملكية).
وفي صبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٦٦) هو الذي يشهد بتمتلكات الديوان نقياً وإيثاباً.

(٢) في السلوك : « أربعة آلاف درهم ».

(٣) في م رف : « ثاني ذى القعدة » وهو خطأ، صوابه ما أثبتناه عن السلوك وما يقتضيه السياق.

ثم خلع السلطان على قُطَيْبِجَا الحموي وأستقر في نيابة حماة عوضا عن طَيْبُغَا المجدى
 وخلع أيضا على أَيْتَمُش عبد الغنى وأستقر في نيابة غَزَّة ، وخرجا من وقتهما على
 البريد ، وكتب بإحضار المجدى ، فقدم بعد ذلك إلى القاهرة ، وخلع عليه
 بأستقراره أستاذارا عوضا عن أرغون شاه المتقل إلى نيابة صَفَد .^(١)

- وفي يوم أول محرم سنة ثمان وأربعين وسبعائة رَكِبَ السلطان في أمرائه
 الخاصية ونزل إلى الميدان وَلَبَّ بالكُرَّة فغلب الأمير مَلِكُتَمَرُ المَجَازِي في الكُرَّة ،
 فلَزِمَ المَجَازِي عَمَلَ وليمة فعملها في سِرْيَا قُوس ، ذبح فيها خمسمائة رأس من الغنم
 وعشرة أفراس ، وعَمِلَ أحواضا مملوءة بالسكر المُذَاب ، وجمع سائر أرباب الملاهي
 وحضرها السلطان والأمراء ، فكان يوما مشهودا . ثم رَكِبَ السلطان وعاد ، وبعد
 عوده قَدِمَ كَتَّابُ الأمير أَسَدُ مَرُ نائب طرَابُلُس يسأل الإعفاء فَأُعِفِيَ . وخلع على
 الأمير مَنَكَلِي بَغا أمير جَانْدَار وأستقر في نيابة طرَابُلُس .

- وفي هذا الشهر شكَا الناس للسلطان من بُعْدِ الماء عن بَرِّ مِصر والقاهرة ،
 حتى غلت روَايا الماء ، فرسم السلطان بَزُولَ المهندسين لكشف ذلك ، فكَتِبَ
 تقديرُ ما يُصَرَّفُ على الجسر مبلغ مائة وعشرين ألف درهم ، جُيِّتَ من أرباب
 الأملاك المطلَّة على النيل ، حسابا عن كل ذراع خمسة عشر درهما ، فبلغ قياسها
 سبعة آلاف ذراع وستائة ذراع ، وقام بأستخراج ذلك وقياسه مَحْتَسِبُ القاهرة
 ضياء الدين [يوسف بن أبي بكر محمد الشهير بـ] بن خطيب بِلَتِ الأَبَار .^(٢)

(١) ف : « بأستقراره وأستاذار » وهو خطأ تصحيحه عن م واللوكة .

(٢) ف : « وفي يوم الثلاثاء أول محرم ... إلخ » . وما أثبتناه عن السلوك وم .

- (٣) يريد بالميدان هنا الميدان الذي تحت القلعة وقد سبق التعليل عليه في الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ .
 من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) التكلفة عما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٦١ هـ
 وهي السنة التي توفي فيها . (٥) قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق ، فيها عدة قرى . نخرج
 منها غير واحد من رواة العلم (عن ياقوت) .

وفي هذه الأيام توقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدام والعجائز والحواري، وأخذهم الرزق بأرض بهتيم^(١) من الضواحي وأراضى الحيزة وغيرها، بحيث إنه أخذ مُقْبِلُ الرومى عشرة آلاف فدان .

وفي هذه الأيام رَسَمَ السلطان للطواشي مُقبِلُ الرومى أن يُخْرِجَ إِتِّفَاقَ العوادة وَسَلَسَى والكَرْكِيَّةَ حظايا السلطان من القلعة بما عليهن من الثياب ، من غير أن يَحْمِلْنَ شَيْئاً من الجوهر والزُّرْكَش ، وأن تُقْلَعَ عَصَبَةُ إِتِّفَاقٍ عن رأسها ويدعها عنده ، وكانت هذه العصبة قد آشهرت عند الأمراء ، وشُنَّتْ قائلها ، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك الإخوة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون : الملك الصالح إسماعيل والملك الكامل شعبان والملك للمظفر حاجى هذا ، وتنافسوا فيها وأعتنوا بجواهرها حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية .

وسبب إخراج إِتِّفَاقٍ وهؤلاء من الدور السلطانية أن الأمراء الخلاصية : قَرَابِئاً وصَمْفَارٍ وغيرهما بلغهما إنكار الأمراء الكبار والماليك السلطانية شدة شغل السلطان بالنسوة الثلاث المذكورات وأنهما كه على اللهو بهن ، وأتقطعا إليهن بقاعة الدهيشة عن الأمراء وإتلافه الأموال العظيمة فى العطاء لمن ولأمثالهن ، وإعراضه عن تدبير الملك ، وخوفوه عاقبة ذلك ، فتلطف بهم وصوب ما أشاروا

(١) أصلها من الممدن المصرية القديمة أسمها المصرى « حب حيم » والقبطى « بهتيم » وذكرها ابن دقاق فى كتاب الأنصار فقال : « بهتيم من الممدن القديمة وبها كيان وآثار قديمة ، وهى إلى جانب قرية الأبرية من ضواحي القاهرة » . وذكرها المقرئى فى خطه عند الكلام على ضواحي القاهرة (ص ١٢٩ ج ٢) باسم بهتين ثم حرف أسمها بعد ذلك من بهتيم وبهتين إلى بهتيم وهو أسمها الحالى ، وهى الآن قرية زراعية من قرى ضواحي القاهرة

وقد اتخذت الجمعية الزراعية الملكية جزءاً من أراضى هذه البلدة حقولاً للتجارب الزراعية وأنشأت بها مزرعة نموذجية كبيرة ، وحظائر لتربية الخيول العربية وأنواع البقر والجاموس والأغنام والدواجن وغيرها . وتقع بهتيم فى شمال القاهرة على بعد سبعة كيلومترات . ومساحة أراضيا ٢٦٣٢ فداناً . وسكانها حوالى ٦٠٠٠ نس بما فيهم سكان العزب التابعة لها وعددها ٣٣ عزبة .

به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء ، وأخرجهن السلطان وفي نفسه حَزَازَات
لفراقهن ، تمنعه من الهدوء والصبر عنهن ، فأحب أن يتعوض عنهن بما يُلْهِيه
ويُسْلِيه ، فأختار صنف الحمام ، وأنشأ حَضِيرًا ^(١) على الدهيشة رُكِبَه على صواري
وأخشاب عالية ، وملاه بأنواع الحمام ، فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعة آلاف ^(٢)
درهم ، وبينما السلطان في ذلك قَدِم جماعة من أعيان الحلبيين وشكوا من الأمير
يَدمر البدرى نائب حلب فعزله السلطان بأرغون شاه نائب صفد، ورسم ألا يكون
لنائب الشام عليه حُكْم ، وأن تكون مكاتباته للسلطان ، حمل إليه التقليد الأمير
طَنْبَرَق .

ثم وَرَدَ الخبَرُ باختلال مراكز البريد بطريق الشام ، فأخذ من كل أمير مقدم
الف أربعة أفراس ، ومن كل طبلخاناه فرسان ، ومن كل أمير عشرة فرس واحد ،
وَكُشِفَ عن البلاد المرصدة للبريد فوجد ثلاث بلاد منها وقف الملك الصالح إسماعيل ،
وقف بعضها وأخرج باقيها لإقطاعات ، فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجبان ^(٣)
بلدًا تعمل في كل سنة عشرين ألف درهم ، وثلاثة آلاف إردب غلَّة ، وجعلها
مرصدة لمراكز البريد .

وَأَسْتَمَرَ خاطر السلطان موغرا على الجماعة من الأمراء بسبب إلتفاق وغيرها ،
إلى أن كان يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ،
كانت الفتنة العظيمة التي قُتِلَ فيها مَلِكُكُمْ المِجَازِي وآق سنقر وأَمِسِك بَزْأَر

(١) في الدرر الكامنة : « حظير » بالطاء المعجمة

(٢) في السلوك والدرر الكامنة : « فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعين ألف درهم » .

(٣) هو عيسى بن حسن العائدي ، خدام الناصر أحمد وهو بالكرك فلما عاد إلى ملكه سلم إليه الهجبان
السلطانية وأُحْمِدَ عليه فظلمت مرتبته وكثرت أمواله ، وصارت الشرقية كلها في حكمه إلى أن ولي الحكم
السلطان حسن بن الناصر فقبض عليه في ربيع الآخر سنة ٧٥٤ هـ (عن الدرر الكامنة) .

وصَفَّارَ وَأَيْمَنُشَ عبد الغنى، وسبب ذلك أن السلطان لما أخرج إتفاق وغيرها،
وتشاغل بلعب الحمام صار يُحضِرُ إلى الدهيشة الأوباش، ويلعب بالعصا لعب صَبَّاح^(١)،
ويُحضِرُ الشيخ على بن الكسيح مع حظايه يَسْخَرُ له وينقل إليه أخبار الناس، فسُقِّ^(٢)
ذلك على الأمراء وحدثوا أُلْجِيْفًا وَطَنَرَقَ بأن الحال قد فسد، فمرقا السلطان ذلك،
فاشتدَّ حَنَقُه، وأطلق لسانه، وقام إلى السطع وذبح الحمام بيده بحضرتيها، وقال
لها: والله لأذبحنكم كما ذبحت هذه الطيور، وأغلق باب الدهيشة، وأقام غضبان
يومه وليته، وكان الأمير غُرْلُو قد تَمَكَّنَ من السلطان فأعلمه السلطان بما وقع،
فنال غُرْلُو من الأمراء وهون أمرهم عليه، وجسَّره على الفتك بهم والقبض على
آق سُتْقَر، فأخذ السلطان في تدبير ما يفعله، وقزَّر ذلك مع غرلو. ثم بعث طَنَرَقَ
في يوم الأربعاء خامس عشر شهر ربيع الآخر إلى النائب يُعزِّفه أن قَرَابَةً القاسمي
وصَفَّارَ وَبُزْلازَ وَأَيْمَنُشَ عبد الغنى قد آتَفَقُوا على عمل فتنة، وعزى أن أقبض عليهم
قبل ذلك، فوعده النائب برَدِّ الجواب غدًا على السلطان في الخدمة، فلما اجتمع
النائب بالسلطان أشار عليه النائب بالثبُّت في أمرهم حتى يَصْغَحَ له ما قيل عنهم.
ثم أصبح فعزَّفه السلطان في يوم الجمعة بأنه صمَّعَ عنده ما قيل بإخبار بَيْيغَا أُرُسَ أنهم
تحالفوا على قتله، فأشار عليه النائب أن يجمع بينهم وبين بَيْيغَا أُرُسَ، حتى يُحَاقِقَهُمْ بحضرة

(١) في الدرر الكامنة: «وصار يحضر الأوباش بين يديه يلعبون بالصراع». ولم تقف على معنى:

«لعب صباح». (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٣) تقدم ذكر هذا الأسم في الجزء التاسع من هذه الطبعة في غير موضع وضبطناه هناك بناء على ما ورد في المهمل الصافي؛ وحيث إن المؤلف نفسه قال هنا في أثناء ترجمة الملك المظفر حاجي: «وقد ذكرناه أيضا نحن في المهمل الصافي في حرف الهيمزة، غير أن جماعة كثيرة ذكروه «غرلو» فأقتدينا بهم هنا وخالفناهم هناك». ومنعتمد على ما ذكره المؤلف هنا. وقد ضبط بالقلم في غير موضع في تاريخ سلاطين المماليك (بضم الفين المعجمة وسكون الراء وضم اللام). انظر آبن إياس (ج ١ ص ١٨٧) وانظر السلوك طبعة زبادة (ص ٨٠٨ ج ١).

الأمراء يوم الأحد، وكان الأمر على خلاف هذا، فإن السلطان كان آتفق مع عُثْرُو
وعَبْرَ السَّحْرَى مقدم الممالك على مسك آق سُقْر ومَلِكْتَمَر المجازي في يوم الأحد.
فلما كان يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر المذكور حضر الأمراء والنائب^(١)
إلى الخدمة على العادة بعد العصر ومدَّ السباط ؛ وإذا بالقصر قد مُلِيَ بالسيوف
المسللة من خلف آق سُقْر والمجازي ، وأحيط بهما وبقرابغا، وأخذوا إلى قاعة
هناك ، فضُرب مَلِكْتَمَر المجازي بالسيوف وقُطِعَ هو وآق سُقْر قطعا ، وهرب
صَمْفَار وأَيْتَمَش عبد الغنى ، فركب صمفار فرسه من باب القلعة، وقرى إلى القاهرة ،
وأختفى أَيْتَمَش عند زوجته، وخرجت الخيل وراء صمفار حتى أدركوه خارج القاهرة ؛
وأخذ أَيْتَمَش من داره فأرتمت القاهرة ، وغُلِّقت الأسواق وأبواب القلعة ، وكثُر^(٢)
الإرجاف إلى أن خرج النائب والوزير قريب المغرب ، وطلبا والى ونُودى بالقاهرة ،
فاشتهر ما جرى بين الناس ، وخاف كلُّ أحد من الأمراء على نفسه .

ثم أمر السلطان بالقَبْض على مرزة على وعلى محمد بن بَكْتَمَر الحاجب وأخيه
وعلى أولاد أَيْدُعْمَش [وأولاد قُمَارَى ، وأُخرجوا الجميع إلى الإسكندرية هم وبُزْلاَر
وأَيْتَمَش] وصمفار ، لأنهم كانوا من أَلِزام المجازي ومعاشره ، فسُجِنوا بها ، وأُخرج
آق سُقْر ومَلِكْتَمَر المجازي في ليلة الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر على جَنَوِيَّات^(٣)
فَدَفِنَا بالقرافة . وأصبح الأمير شُجَاع الدين عُثْرُو وجلس في دَسْت عظيم ، ثم ركب^(٤)

(١) في الأصلين : « تاسع عشر شهر ربيع الأول » . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٢) في م والسلوك : « وبضع ... الخ » . (٣) في الأصلين : « وكثرت » . وما أثبتناه

عن السلوك . (٤) في م : « ثم رسم السلطان ... الخ » . (٥) العبارة المحصورة بين

المربعين [] غير موجودة في م . والتكلمة عن م والسلوك . (٦) الجنويات جمع جنوبية ،

وهي النفاة التي تستخدم لنقل الجرحى والموتى (انظر كترميرج ٣ ص ١١٣) .

(٧) في الأصلين : « فدنفوا » وما أثبتناه عن السلوك . هو ما يقتضيه السياق .

وأوقع الحوطة على بيوت الأمراء المقتولين والمسوكين وعلى أموالهم ، وطلع بجميع خيولهم إلى الإسطبل السلطاني ، وضرب عبد العزيز الجوهري صاحب آق سُنقر وعبد المؤمن أستاذاره بالمقارع ، وأخذ منهما مالا جزيلا ، فخلع السلطان على الأمير غُرْلُو قَبَاء من ملابسه بقرز زَرَكش عريض ، وأركبه فرسا من خاص خيل المجازي بسرجه ذهب وكنبوش زَرَكش .

ثم خلا به يأخذ رأيَه فيما يفعل فأشار عليه بأن يكتب إلى نواب الشام بما جرى ، ويُعَدِّد لهم ذنوباً كثيرة ، حتى قبض عليهم ، فكتب إلى الأمير يلبغا اليحيوي نائب الشام على يد الأمير آق سُنقر المظفري أمير جَانْدَار ، فلما بلغ يلبغا الخبر كتب الجواب يستصوب ما فعله في الظاهر ، وهو في الباطن غير ذلك ، وعظم عليه قتل المجازي وآق سُنقر إلى الغاية . ثم جمع يلبغا أمراء دِمَشق بعد يومين بدار السعادة وأعلمهم الخبر ، وكتب إلى النواب بذلك ، وبعث الأمير ملك آص إلى خُص وحمّة وحلب ، وبعث الأمير طيِّباً القاسمي إلى طرابُلس . ثم أنتقل في يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى إلى القصر بالميدان فنزل به ، ونزل أُلزامه حوله بالميدان ، وشرع في الاستعداد للخروج عن طاعة الملك المظفر هذا .

(١) المقصود بدار السعادة هنا دار الحكومة التي يقيم فيها الوالي أو الحاكم لإدارة شؤون الحكم . سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) يلاحظ أن تواريخ الحوادث ابتداء من جمادى الأولى سنة ٧٤٨ هـ فيها اختلافات كثيرة عما ورد في السلوك للقريزي ، وقد رجحنا إبقاؤها على ما هي عليه طبقاً للأصلين واعتاداً على ما ورد في أعيان العصر للصفدي (ج ٧ ص ٢٩٨) والمثل الصافي للؤلؤ . انظر ترجمة يلبغا اليحيوي الناصري في الخطط القرزية (ج ٢ ص ٤١ و ٤٤ و ٧١ و ٧٢ و ٣٠٥ و ٣٠٨) وانظروا في ابن إياس (ج ١ ص ١٧١ و ١٧٨ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٨) وانظروا في صبح الأعشى للقلقشندى (ج ١٢ ص ٢٠) وانظروا في الخطط النوفيقية في (ج ١ ص ٣٦ ، ج ٤ ص ٨٣) وانظروا في تاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤٠٧ و ٤٢٦) .

وأما السلطان الملك المظفر فإنه أخذ بعد ذلك يستميل أماليك السلطانية بتفرقة المال فيهم، وأمر منهم جماعة، وأنعم على غُرُلُو بإقطاع أَيْمَشْش عبد الغنى وأصبح غُرُلُو هو المشار إليه في المملكة، فعظمت نفسه إلى الغاية .

- ثم أخرج السلطان ابن طُقْرَدْمَرْ على إمرة طبلخاناه بحلب وأنعم بتقدمته على الأمير طاز، وتولى غُرُلُو بيع قماش الأمراء وخيولهم، وصار السلطان يخشع من الثواب بالبلاد الشامية إلى أن حضرت أجوبتهم بتصويب ما فعله، فلم يطمئن بذلك، ورسم بخروج تيجريدة إلى البلاد الشامية، فرسم في عاشر جمادى الأولى بسفر سبعة أمراء من المتقدمين بالديار المصرية، وهم الأمير طَيْيْفًا المَجْدِيَّ وَبُلَّك الجَمْدَار والوزير نجم الدين محمود بن شروين وطَنْفَرَا وَأَيْمَشْش الناصري الحاجب وَكُوكَاي والزَّزَاق ومعهم مضافوهم من الأجناد، وطلب الأجناد من النواحي، وكان وقت إدراك المغل، فصعب ذلك على الأمراء، وأرتجت القاهرة بأسرها لطلب السلاح وآلات السفر .

- ثم كتب السلطان إلى أمراء دِمَشْق مَلَطَفَات على أيدي النجابة بالتيقظ بحركات الأمير يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِي نائب الشام . ثم أشار النائب على السلطان بطلب يَلْبَغَا ليكون بمصر نائباً أو رأس مشورة فإن أجاب وإلا أعلم^(١) بأنه قد عُزِلَ عن نيابة الشام بَارْغُون شاه نائب حلب، فكتب السلطان في الحال يطلبه على يد أَرَامِي أمير آخُور، وعند سفر أَرَامِي قدمت كُتُبُ نَائِب طَرَابُلُس ونائب حماة ونائب صَقَد على السلطان بأن يلبغا دعاهم للقيام معه على السلطان لقتل الأمراء، وبعثوا بكتبه إليه فكتب السلطان لَأَرْغُون شاه نائب حلب أن يتقدم لعرب آل مُهَنَّا بمنسك الطرقات على يَلْبَغَا وأعلمه أنه ولأه نيابة الشام عوضه، فقام أَرْغُون شاه في ذلك أتم قيام ،

(١) في الأصلين: « وإلا فاعلم » . وما أثبتناه عن السلوك .

وأظهر لبلغا أنه معه ، ولما وصل إلى بلغا رأى أمير آخور في يوم الأربعاء
سادس جمادى الأولى ودعاه إلى مصر ليكون رأس أمراء المشورة ، وأن نيابة
الشام أنعم بها السلطان على الأمير أرغون شاه نائب حلب ، ظن بلغا أن امتدعاه
حقيقة ، وقرأ كتاب السلطان فاجاب بالسمع والطاعة ، وأنه إذا وصل أرغون
شاه إلى دمشق توجه هو إلى مصر ، وكتب الجواب بذلك ، وأعادته سريعاً ،
فتحللت عند ذلك عزائم أمراء دمشق وضيها عن بلغا ، وتجهز بلغا وخرج إلى الكسوة^(١)
ظاهر دمشق في خامس عشره ، وكانت ملطقات السلطان قد وردت إلى أمراء
دمشق بإمساكه ، فركبوا على حين غفلة وقصدوه ففتز منهم بماليكه وأهله وهم
في أثره إلى خلف ضمير^(٢) . ثم سار في البرية يريد أولاد تمر دأش ببلاد الشرق ، حتى
نزل على حماة بعد أربعة أيام ونحس ليل ، فركب الأمير قطيلجا نائب حماة بعسكره
فتلقاه ودخل به إلى المدينة وقبض عليه وعلى من كان معه من الأمراء ، وهم الأمير
قلاوون والأمير سيفه والأمير محمد بك بن جحق وأعيان مماليكه وكتب للسلطان
بذلك ، فقدم الخبر بذلك على السلطان في جمادى الأولى أيضاً ، فسر سروراً زائداً ،
ورسم في الوقت بإبطال التجريدة . ثم كتب بمهل بلغا اليحايوى المذكور إلى مصر .

ثم بدا للسلطان غير ذلك وهو أنه أخرج الأمير منجك اليوسفى السلاح دار
بقتله ، فسار منجك حتى لقي آجبباً^(٣) [المحوى] ومعه بلغا اليحايوى وأبوه بقاقون^(٤)
فنزّل منجك بقاقون ، وصعد ببلغا اليحايوى إلى قلعة قاقون وقتله بها في يوم الجمعة

(١) في السلوك : « وخرج إلى الجسورة » . وقد تقدّم الكلام على الجسورة في الحاشية رقم ٣
ص ٢٩٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة كما تقدّم الكلام على الكسوة في الجزء السابع أيضاً من هذه
الطبعة ص ٧٦ الحاشية رقم ٢ (٢) بالتصغير ، موضع قرب دمشق ، وقيل هي قرية وحصن في آخر
حدود دمشق مما يلي السهولة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) التكله عن السلوك والمنهل الصافي .
(٤) في م : « وافوه » . وفي ف : « أبوه » . وتصحيحه من السلوك والمنهل الصافي .

عشرين جمادى الأولى ، وحَزَّ رأسه وحَمَلَهُ إلى السلطان . قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : « وكان يلبغا حَسَنَ الوجهَ مَلِيحَ الثَّغْرِ أبيضَ اللون ، طويلَ القامة من أحسن الأشكال ، قلَّ أن ترى العيونُ مثله ، كان ساقياً ، وكانت الإنعامات التى تصل إليه من السلطان لم يَفْرَحْ بها أحدٌ قبله . كان يُطْلَقُ له الخيلُ بسرَّ وجها وعددها وآلاتها الزَّرَكَشُ والذهب المصوغ خمسة عشر فرسا والأكاديش ما بين مائتى رأس فيُنعم بها عليه ، ويُجهزُ إليه الخَلَعُ والحَوَائِصُ وغير ذلك من التَّشَارِيفِ التى يَرسُمُ له بها خارِجةٌ عن الحد . وب له الإسطبل الذى فى سوق الخيل تُجَاهَ القلعة . »

قلت : والإسطبل المذكور كان مكان مدرسة السلطان حسن الآن . اشتراه السلطان حسن وهدمه وبنى مكانه مدرسته المعروفة به . وقد سَقَنَّا ترجمته أى يلبغا اليَعْيَاوِيَّ بأوسع من هذا فى تاريخنا « المنهل الصافى » إذ هو كَاتب تراجم . انتهى . ١٠

وفى يوم الأحد خامس عشرين جمادى الأولى المذكور أُنْخَرَجَ السلطانُ الوزير نجم الدين محموداً والأمير بَيْدَمَرُ البَدْرِى نائب حلب كان ، والأمير طُفَيْتَمَرُ النجمى الدوادار إلى الشام ؛ وسببه أن الأمير نُجَاعَ الدين غُرُّو لما كان شاذَّ الدواوين قبل تاريخه حَقَّدَ على الوزير نجم الدين المذكور وعلى طُفَيْتَمَرُ الدوادار ، فحَسَنَ للسلطان أخذ أموالهما ، فقال السلطان للنائب عنهما وعن بَيْدَمَرُ أنهم كانوا يَكْتَبُونَ يَلْبَغاً فأشار عليه النائب بإبعادهم ، وأن يكون الوزير نجم الدين نائب غَزَّةَ وبَيْدَمَرُ نائب حِصْنِ وطُفَيْتَمَرُ نائب طرابُلس ، فأخرجهم السلطان على البريد ، فلم يُعِجِبْ غُرُّو ذلك ، وأكثر عند السلطان من الوقعة فى الأمير أَرْقُطَاى النائب حتى غَيَّرَ السلطان عليه . وما زال به حتى بعث السلطان بَارَغُونُ الإسماعيلى إلى نائب غَزَّةَ بقتلهم

فدخل أرغون معهم إلى غزاة بعد العصر وعرف النائب ما جاء بسببه ، فقبض عليهم
 نائب غزاة وقتلهم في ليلته ، وعاد أرغون وعرف السلطان الخبر ، فتغير قلب الأمراء
 ونفر خواطهم في الباطن من السلطان وميله إلى غرلو ، وتمكن غرلو من السلطان
 وأخذ أموال من قتل ، وتزايد أمره واشتدت وطائه ، وكثر إتهام السلطان عليه
 حتى إنه لم يكن يوم إلا وينعم عليه فيه بشيء . ثم أخذ غرلو في العمل على علم
 الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص^(١) وعلى القاضي علاء الدين على بن فضل الله
 العمري كاتب السر . وصار يحسن للسلطان القبض عليهما وأخذ أموالهما ، فتلطف
 النائب بالسلطان في أمرهما حتى كف عنهما ، فلم يبق بعد ذلك أحد من أهل الدولة
 حتى خاف من غرلو وصار يضامه بالمال حتى يسترضيه . ثم حسن غرلو^(٢)
 للسلطان قتل الأمراء المحبوسين بالإسكندرية ، فتوجه الطواشي مقبل الرومي بقتلهم
 فقتل الأمير أرغون العلاني وقرباغا القاسمي وتمر الموساوي وصمغار وأيتمش عبد الغني ،
 وأفرج عن أولاد قماري وأولاد أيدغمش وأخرجوا إلى الشام . واستمر السلطان على
 الكهناك في لهوه ، فصار يلعب في الميدان تحت القلعة بالكرة في يومى الأحد
 والثلاثاء ، ويركب إلى الميدان الذي على النيل في يوم السبت .

فلما كان آخر ركوبه إلى الميدان رسم السلطان بركوب الأمراء المقدمين
 بمضافهم ووقوفهم صفين من الصليبية إلى فوق القلعة ليرى السلطان عسكره ، فضاقت
 الموضوع ، فوقف كل مقدم بخمسة من مضافيه ، وجمعت أرباب الملاحى ، ورتبت

(١) في ف : « الخواص » والتصويب عن م والسلوك . (٢) في ف : « القبض
 على هؤلاء » والتصويب عن السلوك وم . (٣) في ف : « إلا خاف » . (٤) في ف :
 « حتى يستوصيه » . (٥) هو الميدان الناصري الذي كان على النيل بأرض القصر العالي
 (جاردن سى) بالقاهرة . سبى التعليق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
 (٦) في السلوك : « عصايمهم » . (٧) في السلوك : « الاصطبل »

في عدة أماكن من القلعة إلى الميدان . ثم رَكِبَت أُمُّ السُلْطَانِ فِي جَمْعِهَا ، وَأَقْبَلَ
النَّاسُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَبَلَغَ كِرَاءُ كُلِّ طَبَقَةٍ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، وَكُلُّ بَيْتٍ كَبِيرٍ لِنِسَاءِ الْأُمَرَاءِ
مِائَتِي دِرْهَمٍ ، وَكُلُّ حَانُوتٍ خَمْسِينَ دِرْهَمًا ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ لِنَسَانٍ بِدِرْهَمَيْنِ . فَكَانَ يَوْمٌ
لَمْ يَعْهَدْ فِي رُكُوبِ الْمِيدَانِ مِثْلَهُ .

- (١١) ثم في يوم الخميس خامس عشره قبضَ السُلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُّ هَذَا عَلَى أَكْثَرِ أَمْرَائِهِ
وَمَدَبَرِ مَمْلَكَتِهِ الْأَمِيرِ شُجَاعِ الدِّينِ غُرْلُو وَقَتْلَهُ ، وَسَبَبَ ذَلِكَ أُمُورٌ : مِنْهَا شِدَّةُ كِرَاهِيَةِ
الْأُمَرَاءِ لَهُ لِسُوءِ سِيرَتِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَخْلُو بِالسُّلْطَانِ ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِمَا يَشْتَبِيهِ ، فَمَا كَانَ السُّلْطَانُ
يُخَالِفُهُ فِي شَيْءٍ ، وَكَانَ عَمَلُهُ أَمِيرِ سِلَاحٍ نَخْرَجُ عَنْ الْحَدِّ فِي التَّعَاطُفِ ، وَجَسَّرَ السُّلْطَانُ
عَلَى قَتْلِ الْأُمَرَاءِ ، وَقَامَ فِي حَقِّ النَّائِبِ أَرْقُطَايَ يَرِيدُ الْقَبْضَ عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ ، وَاسْتِمَالِ
الْمَالِكِ النَّاصِرِيَّةِ وَالصَّالِحِيَّةِ وَالْمُظْفَرِيَّةِ بِكَأَلَمٍ ، وَأَخَذَ يُقَرِّرُ مَعَ السُّلْطَانِ ، أَنْ يُقَوِّضَ
إِلَيْهِ أُمُورَ الْمَمْلَكَةِ بِأَسْرَافِهَا لِيَقُومَ عَنْهُ بِتَدْيِيرِهَا ، وَيَتَوَقَّرَ السُّلْطَانُ عَلَى لَذَاتِهِ .

- ثم لم يكفِ ذلك ، حَتَّى أَخَذَ يُغَرِّى السُّلْطَانُ بِالْجُيُفَا وَطَنْبَرِقَ وَكَانَا أَخَصَّ النَّاسِ
بِالسُّلْطَانِ ، وَلَا زَالَ يُعْنِ فِي ذَلِكَ حَتَّى تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِمَا ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْجُيُفَا ،
وَتَنَاقَلَتْهُ الْمَالِكَةُ فَتَعَصَّبُوا عَلَيْهِ وَأَرْسَلُوا إِلَى الْأُمَرَاءِ الْبُكَارِ ، حَتَّى حَدَّثُوا السُّلْطَانُ
فِي أَمْرِهِ ، وَخَوَّفُوهُ عَاقِبَتَهُ ، فَلَمْ يَعْزَّأَ السُّلْطَانُ بِقَوْلِهِمْ ، فَتَنَكَّرُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى السُّلْطَانِ
بِسَبَبِ غُرْلُو إِلَى أَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ مِنْ بَعْضِ ثِقَاتِهِ ، فَأَسْتَشَارَ النَّائِبَ فِي أَمْرِ غُرْلُو
الْمَذْكُورِ ، فَلَمْ يُشِيرْ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ لِلْسُّلْطَانِ : لَعَلَّ الرَّجُلَ قَدْ كَثُرَتْ حُسَادُهُ
عَلَى تَقَرُّبِ السُّلْطَانِ لَهُ ، وَالْمَصْلَحَةُ التَّثْبُتُ فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ أَرْقُطَايَ النَّائِبُ عَاقِلًا
سَيَّوْسًا ، يَمْتَحَنِي مِنْ مَعَارَضَتِهِ غَرَضُ السُّلْطَانِ فِيهِ ، فَأَجْتَهَدَ الْجُيُفَا وَعَدَّةٌ مِنَ الْخَاصِيكَةِ
فِي التَّدْيِيرِ عَلَيْهِ وَتَخْوِيفِ السُّلْطَانِ مِنْهُ وَمِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ ، حَتَّى أَثَرَّ قَوْلُهُمْ فِي نَفْسِ

السلطان ، وأقاموا الأمير أحمد شاذ الشراينجناه ، وكان مزاحاً للوقعة فيه ،
 فأخذ أحمد لحاق الشراينجناه في خلوته مع السلطان يذكر كراهية الأمراء لغيره
 وموافقة المالك له ، وأنه يريد أن يدبر الملكة ويكون نائب السلطنة ليتوثب
 بذلك على الملكة ويصير سلطاناً ، ويخرج له قوله هذا في وجه المسخريه والضحك ،
 وصار أحمد المذكور يُبالغ في ذلك على عدة فنون من الهزل ، إلى أن قال
 السلطان : أنا الساعة أخرج وأعمله أمير آخور ، فعصى أحمد شاذ الشراينجناه
 إلى النائب وعرفه بما وقع في السر ، وأنه جسر السلطان على الوقعة في غرلوه ،
 فبعث السلطان وراء النائب أرطاي وأستشاره في أمر غرلوه نائباً فأنشئ عليه
 النائب وشكره ، فعرف السلطان كثرة وقعة الخاصكية فيه ، وأنه قصد أن يعمل
 أمير آخور ، فقال النائب : غرلوه رجل شجاع جسور لا يليق أن يعمل أمير آخور ،
 فكانه أيقظ السلطان من رقدته بحسن عبارة وألفاظ إشارة ، فأخذ السلطان
 في الكلام معه بعد ذلك فيما يوليه ! فأشار عليه النائب بتوليته نيابة غرة ، فقبل
 السلطان ذلك ، وقام عنه النائب ، فأصبح السلطان بكرة يوم الجمعة وبعث الأمير
 طنيرق إلى النائب أن يخرج غرلوه إلى نيابة غرة ، فلم يكن غير قليل حتى طلع غرلوه
 على عادته إلى القلعة وجلس على باب القلعة ، فبعث النائب يطلبه ، فقال : مالى عند
 النائب شغل وما لأحد معي حديث غير أستاذي ، فأرسل النائب يعرف السلطان
 جواب غرلوه فأمر السلطان مغلطاي أمير شكار وجماعة من الأمراء أن يعرفوا غرلوه
 عن السلطان أن يتوجه إلى غرة ، وإن أمتنع يسكوه ، فلما صار غرلوه بداخل
 القصر لم يتحدثوه بشئ - وقبضوا عليه وقيدوه وسلموه لألجبيغا فأدخله إلى بيته

(١) فم : « الدولة » (٢) رواية السلوك : « ويخرج قوله هذا في صورة المسخريه والضحك »

(٣) في الأصلين : « جسر » وما أمتنع عن السلوك

(١) بالأشرفية ، فلما خرج السلطان لصلاة الجمعة على المادة قتلوا غُرُلُو وهو في الصلاة ، وأخذ السلطان بعد عودته من الصلاة يسأل عنه ، فقتلوا عنه أنه قال : أنا ما أروح مكانا ، وأراد سَل سيفه وضرب الأمراء به فتكاثروا عليه فما سلم نفسه حتى قُتِل ، فمز قتلته على السلطان ، وحقد عليهم لأجل قتله ، ولم يُظهر لهم ذلك ، ورَمَمَ بإيقاع الحوطة على حواصله . وكان لموته يوم مشهود .

(٢) ثم أُخرج بُرُلُو المذكور ودُفِنَ بباب القرافة ، فأصبح وقد خرجت يده من القبر ، فأثاه الناس أفواجا ليروه ونبشوا عليه وجروه بحبل في رجله إلى تحت القلعة ، وأتوا بنار ليحرقوه وصار لهم صهييج عظيم ، فبعث السلطان عدة من الأوجاقية قبضوا على كثير من العامة ، فضربهم الوالى بالمقارع وأخذ منهم غُرُلُو المذكور ودفنه . ولم يظهر لغرلو المذكور كثير مال .

١٠

قلت : ومن الناس من يُسميه «أَغْرُلُو» بالف مهموزة وبهذا غين معجمة مكسورة وزاى ساكنة ولا مضمونة وو او ساكنة . ومعنى أَغْرُلُو باللغة التركية : «له فم» وقد ذكرناه نحن أيضا في المنهل الصافي في حرف الهمزة ، غير أن جماعة كثيرة ذكروه «غُرُلُو» فأقطينا بهم هنا وخالفناهم هناك ، وكلاهما أسم باللغة التركية . انتهى .

١٥

وكان غُرُلُو هذا أصله من ممالك الحاج بهادر العزى ، وخدم بعده عند بكتمر الساق وصار أمير آخوره ، ثم خدم بعد بكتمر عند بُشْتَك ، وصار أمير آخوره أيضا . ثم ولي بعد ذلك ناحية (أشمون) ، ثم ولي نيابة القلوبك . ثم ولي القاهرة ، وأظهر العفة

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) في السلوك : «من الأرض» .

(٣) المقصود هنا أشمون الزمان التي بمركز دكرنس بمديرية الدقهلية بمصر . سبق الطبق عليها في الحاشية رقم ٢

ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة ، وذكرنا في الحاشية المذكورة أن أسمها الروى «يانغوسوس» والصواب أن هذا الاسم الروى هو أسم بلدة المنزلة الواقعة مع أشمون على البحر الصغير بمديرية الدقهلية .

(٤) قلعة من قلاع الكرك : انظرها في ياقوت ج ٢ ص ٣٣٢ وصحح الأضج ج ٢ ص ١٥٦

٧٠

والأمانة، وحسنت سيرته، ثم تقرب عند الملك الكامل شعبان، وفتح له باب الأخذ
في الولايات والإقطاعات، وعمل لذلك ديوانا قائم الذات، سُمي ديوان البذل^(١)،
فلما تولى صاحب تقي الدين بن مراحيل الوزر شاحمه في الجلوس والعلامة، فترجى
الصاحب تقي الدين وعزل غرلوهذا عن شد الدواوين، ودام على ذلك إلى أن
كانت نوبة السلطان الملك المظفر كان غرلوهذا ممن قام معه، لما كان في نفسه
من الكامل من عزله عن شد الدواوين، وضرب في الوقعة أرغون العلاني
بالسيف في وجهه، وتقرب من يوم ذاك إلى الملك المظفر، حتى كان من
أمره ما حكيناه .

ثم خرج السلطان الملك المظفر بعد قتله إلى سرباقوس على العادة وأقام بها
أياما، ثم عاد وخلص على الأمير منجك اليوسفي السلاح دار باستقراره حاجبا يدمشق
عوضا عن أمير على بن طغرل . وأنعم السلطان على آثنى عشر من الممالك
السلطانية بإمرات ما بين طبلخاناه وعشرة وأنعم بتقدمة الأمير منجك السلاح دار
على بعض خواصه .

وفي يوم مستهل شعبان خرج الأمير طينغا المجدي والأمير أسندمر العمري
والأمير بنغرا والأمير أرغون الكامل والأمير بنبغا أرص والأمير بنبغا ططر إلى
الصيد . ثم خرج الأمير أرقطاي النائب بعدهم إلى الوجه القبلي بطيور السلطان،
ورسم السلطان لهم ألا يحضروا إلى العشر الأخير من شهر رمضان، فخلا الجو
للسلطان، وأعاد حضير الحما وأعاد أرباب الملاعب من الصراع والثقاف
والشباك، وجرى السعاة، ونطاح الكباش، ومناقرة الديوك، والقهار، وغير ذلك
من أنواع الفساد. ونودي بإطلاق اللعب بذلك بالقاهرة [ومصر]^(٢) وصار للسلطان

(١) في م : « البذل » . (٢) الزيادة عن السلوك .

اجتماع بالأوباش وأراذل الطوائف من الفراشين والباكية ومُطَيَّرى الحمام ، فكان السلطان يقف معهم ويُرَاهن على الطير الفلاني والطيرة الفلانية ؛ وبينما هو ذات يوم معهم عند حَضِيرِ الحمام ، وقد سَيَّهَا إِذْ أَذِنَ الْمَصْرَ بِالْقَلْعَةِ وَالْقِرَافَةِ بِحَفَلَتِ الْحَمَامُ عَنْ مَقَاصِيرِهَا وَتَطَارَتْ فَغَضِبَ وَبَعَثَ إِلَى الْمُؤَذِّنِينَ بِأَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا الْحَمَامَ لَا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ . ويلعب مع العَوَامَ بالعصى وكان السلطان إِذَا لَعِبَ مَعَ الْأَوْبَاشِ يَتَعَزَّى وَيَلْبَسُ ثُبَانًا جِلْدَ وَيُصَارِعُ مَعَهُمْ وَيَلْعَبُ بِالرُّمْحِ وَالْكُرَةِ ، فَيُظَلُّ نَهَارَهُ مَعَ الْعِلْمَانِ وَالْعَبِيدِ فِي الدَّهِيْشَةِ ، وَصَارَ يَتَجَاهَرُ بِمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ .

ثم أخذ مع ذلك كله في التديير على قتل أخيه حسين ، وأرصد له عِدَّةَ خُدَّامَ لِيَهْجُمُوا عَلَيْهِ عِنْدَ إِمْكَانِ الْفُرْصَةِ وَيَقْتَالُوهُ ، فَلَمَّحَ حُسَيْنًا ذَلِكَ فَمَارَصَ وَأَحْتَرَسَ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدُوا مِنْهُ غَفْلَةً .

١٠

ثم في سابع عشر شعبان تُوُفِّيَ الْخَلِيفَةُ أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ ، وَبُوِيَ بِالْخِلَافَةِ ابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ وَلُقِّبَ بِالْمُعْتَصِمِ بِاللهِ أَبِي الْفَتْحِ . وفي آخر شعبان قَدِمَ الْأَمْرَاءُ مِنَ الصَّيْدِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، وَقَدْ بَلَّغَهُمْ مَا فَعَلَهُ السُّلْطَانُ فِي غَيْبَتِهِمْ ، وَقَدِمَ أَبُو الْحَزَافِيِّ مِنْ دِمَشْقَ بِمَالٍ يَلْبِقُ الْيَحْيَاوِيَّ فَتَسَلَّمَهُ الْخُدَّامُ ، وَأَنْعَمَ السُّلْطَانُ مِنْ لَيْلَتِهِ عَلَى حَظِيَّتِهِ « كَيْدَا » مِنَ الْمَالِ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، سَوَى الْجَوَاهِرِ وَاللَّآلِيْ وَنَثَرَ الذَّهَبَ عَلَى الْخُدَّامِ وَالْجَوَارِي ، فَاخْتَطَفُوهُ وَهُوَ يَضْحَكُ ، وَفَرَّقَ عَلَى لُعَّابِ الْحَمَامِ وَالْفَرَاشِينَ وَالْعَبِيدِ الذَّهَبَ وَاللُّؤْلُؤَ ، وَهُوَ يَحْذِفُهُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَتَرَامُونَ عَلَيْهِ وَيَأْخُذْنَاهُ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَدَّعِ مِنْ مَالٍ يَلْبِقُ سَوَى

١٥

(١) البابية جمع بابا ، وهو حسب ماورد في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٧٠) لقب عام بجميع رجال الفسحت خاناه من يتعاضى الفسل والصقل وغير ذلك . وهو لفظ رومى ومعناه أبو الآباء ، وكأنه لقب بذلك نسأ تماطى ما فيه ترفه مخدومه من تنظيف قماشه ونحسين هيئته — أشبه الأب الشفيق فلقب بذلك .

(٢) في الأصلين : « ثياب جلد » والتصويب عن السلوك والبيان . (بالضم والتشديد) : سروال صغير مقدار شبر يستر العورة المخلطة يكون للآحين والمصارعين (عن لسان العرب) .

٢٠

القماش، فكان جملة التي فزقها ثلاثين ألف دينار وثلثمائة ألف درهم، وجواهر وحيًا
 ولؤلؤا وزركشا ومصاعا، قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار، فعظم ذلك على
 الأمراء، وأخذ ألبجيغا وطنيرق يعرفان السلطان ما ينكره عليه الأمراء من لعب الحمام
 وتقريب الأوباش، وخوفاه فساد الأمر، فغضب وأمر أجبأشاد والعمائر بخراب
 حَضِير الحمام، ثم أحضر الحمام وذبحهم واحدا بعد واحد بيده وقال لألبجيغا وطنيرق:
 والله لأذبحنكم كلُّكم كما ذبحتُ هذا الحمام وتركهم وقام، وفرق جماعة من خُشْدَاشِيَّة
 ألبجيغا طنيرق في البلاد الشامية، وأستمر على إغراضه عن الجميع، ثم قال لحظايه
 وعنده معهن الشيخ على بن الكسيح: والله ما بقيَ ههنا لى عيش وهذان الكذابان
 بالحياة (يعنى بذلك عن ألبجيغا وطنيرق) فقد فسدا على جميع ما كان لى فيه سرور،
 وأنفقا على، ولا بُد لى من ذبحهما، فنقل ذلك أبْن الكسيح لألبجيغا فإن ألبجيغا
 هو الذى أوصله إلى السلطان، وقال: مع ذلك خذ لنفسك فوالله لا يرجع عنك
 وعن طنيرق، فطلب ألبجيغا طنيرق وعرفه ذلك، فأخذا فى التدبير عليه فى الباطن
 [وأخذ فى التدبير عليهما]، وخرج الأمير بيغا أُرْس للصيد بالعباسة، فإنه كان
 صديقا لألبجيغا وتتمر السلطان على طنيرق وأشتد عليه وبالغ فى تهديده، فبعث طنيرق
 وألبجيغا إلى الأمير طَشْتَمَر طَلِيلِيه، وما زالا به حتى وافقهما ودارا على الأمراء،
 وما منهم إلا من نفرت نفسه من السلطان الملك المظفر، وتوقع به أنه يفتك به،
 فصاروا معهما يدا واحدة لى فى نفوسهم. ثم كَلَبُوا النَّائِب فى موافقتهم وأعلموه

(١) تمكلة من السلوك . (٢) هى الآن إحدى قرى مركز أبو حماد بمديرية الشرقية بمصر .
 وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٤١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة

(٣) ضبطه الصلاح الصفدى فى أعيان مصر بالعبارة فقال: « بالطاء المهمة وبعدد لآمان
 متحركان بالفتح وبعدد ياء آخر الحروف ساكنة وهاء . إنما عرف بهذا لأنه كان إذا تكلم بشئ قال
 فى آخره : طليله . انظره فى جزء ثالث قسم أول ص ١٣١ .

أنه يريد القبض عليه ، وكان عنده أيضا حُسٌّ من ذلك ، وأكثروا من تشجيعه .
حتى وافقهم وأجابهم ، وتواعدوا جميعا في يوم الخميس تاسع شهر رمضان على الركوب
على السلطان في يوم الأحد ثاني عشر شهر رمضان

- فبعث السلطان في يوم السبت يطلب بَيْبُغًا أُرُسَ من العباسية ، وقد قُتِرَ مع
الطواشي عَنَبَرٌ مقدّم الممالك أن يعزف الممالك السلاح دازية أن يلقوا خلفه
فإذا دخل بَيْبُغًا أُرُسَ ، وقبل الأرض ضربه بالسيوف وقطعوه قطعا ، فَعِلِمَ بذلك
أَلْحِيغًا ، وبعث إليه يُعلمه بما دبره السلطان عليه من قتله ويعزفه بما وقع اتفاق
الأمراء عليه ، وأنه يُوافيهم بكرة يوم الأحد على قُبَّة النصر ، فاستعدوا ليلتهم ونزل
أَلْحِيغًا من القلعة ، وتلاه بقية الأمراء ، حتى كان آخرهم ركو با الأمير أَرْقُطَاي نائب
السلطنة ، وتوافوا بأجمعهم عند مطعم الطير^(١) ، وإذا بَيْبُغًا أُرُسَ قد وصل إليهم ،
فعبوا أطلابهم ومماليكهم ميمنة وميسرة^(٢) ، وبعثوا في طلب بقية الأمراء ، فما أرتفع
النهار حتى وقفوا بأجمعهم ملبسين عند قُبَّة النصر^(٣) ، وبلغ السلطان ذلك ، فأمر
بضرب الكوسات فدقت ، وبعث الأوجاقية في طلب الأمراء بجاء طَنْيَرِق
وشيوخون وأرغون الكاملى وطاز ونحوهم من الأمراء الخاصية . ثم بعث المقدمين
في طلب أجناد الحلقة فحضروا .

١٥

- (١) تكلمنا على مطعم الطير وسبب إنشائه في الحاشية رقم ٥ ص ٢٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة ،
وذكرنا أنه كان واقعا في الجهة التي بها اليوم جبانة الباسية المعروفة بقراءة الخفير . وبإعادة البحث تبين
لنا أن مطعم الطير كان واقعا بالريمانية في المنطقة التي يتوسطها اليوم قبة الملك العادل طومانباى المعروفة
بقبة العادلى القائمة إلى اليوم بين تكات الجيش شرق سراى الزعفران التي بشارع الخليفة المأمون وعلى بعد
٤٠٠ متر منها ، يؤيد ذلك ما ورد في حوادث يوم ١٧ ربيع أول من سنة ٧٩٦ هـ الآتي ذكرهما في هذا
الكتاب ، وما ورد في (ص ١٧٦ ج ٢ و ص ١٥٥ و ٢٢٨ ج ٣ من كتاب تاريخ مصر لابن إياس) .
(٢) في ف : « قبضوا » . (٣) رواية السلوك : « حتى وقفوا بأجمعهم لابسين آلة
الحرب ... الخ » .

٢٠

ثم أرسل السلطان يعتب النائب على ركوبه فردّ جوابه بأن مملوكك الذي رَبَّيْتَهُ
رَكِبَ عليك (يعنى عن الجبغا) وأعلمنا فساد نيتك لنا، وقد قتلّت ممالك أبيك
وأخذت أموالهم، وهتكت حريمهم بغير موجب، وعزمت على الفتك بمن بقي،
وأنت أول من حلف أنك لا تخون الأمراء ولا تخزب بيت أحد، فردّ الرسول
إليه يَسْتَحْزِرُهُ عما يُريدوه الأمراء من السلطان حتى يفعله لهم، فعاد جوابهم أنه
لا بد أن يسلطونا غيره، فقال: ما أموت إلّا على ظهر فرسي، فقبضوا على رسوله
وهو بالزحف عليه، فمعه النائب أرقطاي من ذلك حتى يكون القتال أولاً من
السلطان، فبادر السلطان بالركوب إليهم وأقام أرغون الكامل وشيخون في الميمنة،
ثم أقام عدة أمراء آخر في الميسرة، وسار بماليكه حتى وصل إلى قريب قبة النصر،
فكان أول من تركه ومضى إلى القوم الأمير طاز ثم الأمير أرغون الكامل ثم الأمير
مَلِكْتَمُرُ السعدى ثم الأمير شيخون وأنضافوا الجميع إلى النائب أرقطاي والأمراء،
وتلاهم بقيتهم حتى جاء الأمير طنيرق والأمير لاجين أمير جانداز صهر السلطان آخرهم،
وبقي السلطان في نحو عشرين فارساً، فبرز له الأمير بيغا أُرُس والأمير أُلجَيُّغا فولّى
السلطان فرسه وأنهمز عنهم فتبعوه وأدركوه وأحاطوا به، فتقدم إليه بيغا أُرُس
فضربه السلطان بالطَّبر، فأخذ بيغا الضربة بترسه. ثم حمل عليه بالرمح وتكاثروا عليه
حتى قلعوه من سرجه وضربه طنيرق بالسيف جرح وجهه وأصابه. ثم ساروا به على
فرس غير فرسه محتفظين به إلى تربة آق سنقر الرومى تحت الجبل وذبحوه من ساعته قبيل
عصر يوم الأحد ثانی عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ودُفِنَ بتربة أمه،

(١) ورد في تاريخ مصر لابن إياس أن الأمير يلغا أرس (وهو الذى ذكره المؤلف باسم بيغا أرس
أخذ السلطان المظفر حاجى ومضى به إلى تربة في الباب المحروق نفقته هناك، والظاهر أن تربة آق سنقر
الرومى كانت خارج الباب المحروق تحت الجبل، وبما أن الجبانة الواقعة شرق الباب المحروق تعرف
بقراءة المجاورين فبحثنا عن تربة آق سنقر الرومى فلم نجد لها أثراً اليوم في تلك الجهة).

ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه قال لهم : بالله لا تستعجلوا علىّ ، خلوني ساعة ، فقالوا :
كيف أستعجلت أنت على قتل الناس ! لو صبرت عليهم صبرنا عليك فذبحوه .
وقيل : إنهم لما أنزلوه عن فرسه كتفوه وأحضره بين يدي النائب أرقطاي
ليقتله ، فلما رآه النائب نزل عن فرسه وترجل ورعى عليه قباه وقال : أعوذ بالله ،
هذا سلطان ابن سلطان ما أقتله ! فأخذوه ومضوا إلى الموضع الذي ذبحوه فيه ،
وفيه يقول الشيخ صلاح الدين الصفدى :

أيها العاقل الليبُ تَفَكَّرْ * في المليك المظفر الضرغام
كم تهادى في البنى والنبي حتى * كان لعب الحام جد الحام
وفيه يقول :

حان الردى للظفر * وفي التراب تعفر
كم قد أباد أميراً * على المعالي توفّر
وقاتل النفس ظلماً * ذنوبه ما تكفر

ثم صعد الأمراء القلعة من يومهم ، ونادوا في القاهرة بالأمان والأطمئنان
وباتوا بالقلعة ليلة الاثنين ، وقد اتفقوا على مكتبة نائب الشام والأمير أرغون شاه
بما وقع ، وأن يأخذوا رأيه فيمن يقيموه سلطاناً فأصبحوا وقد اجتمع المالِك
على إقامة حسين ابن الملك الناصر محمد عوضاً عن أخيه المظفر في السلطنة ووقعت
بين حسين وبينهم مراسلات فقام المالِك في أمره فقبضوا الأمراء على عدة منهم
ووكّلوا الأمير طاز بباب حسين ، حتى لا يجتمع به أحد من جهة المالِك ، وأغلقوا
باب القلعة ، واستمروا بألة الحرب يومهم ويلة الثلاثاء^(١) ، وقصد المالِك إقامة
الفتنة ، لخاف الأمراء تأخير السلطنة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من
المالِك ما لا يدرك فارطه ، فوقع اتفاقهم عند ذلك على حسن فسلطنوه فم أمره .

(١) في ف : « وليلهم » . وما أثبتناه عن السلوك وم .

وكانت مدة سلطنة الملك المظفر هذا على مصر سنة واحدة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما . وكان المظفر أهوج سريع الحركة ، عديم المداراة ، سيئ التدبير ، يُؤثر حجة الأوباش على أرباب الفضائل والأعيان ، وكان فيه ظلم وجبروت وسفك للدماء ، قتل في مدة سلطته مع قصرها خلائق كثيرة من الأمراء وغيرهم وكان مُسرِّفا على نفسه ، يُحبِّب لعب الحمايم وغيره ، ويُحسِّن فنونا كثيرة من الملاهيب ، كالرمح والكرة والصراع والثقاف وضرب السيف ، مع شجاعة وإقدام من غير تهتُّ في أموره .

قلت : وبالجمله هو أسوأ سيرة من جميع إخوته ممن تسلطن قبله من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، على أن الجميع غير نجباء وحالم كقول القائل : « عجيب نجيب من نجيب » ؛ اللهم إن كان السلطان حسن الآتى ذكره ، فهو لا بأس به . انتهى .



السنة التي حكم في أولها الملك الكامل شعبان إلى سلخ جمادى الأولى ، ثم حكم في باقيها الملك المظفر حاجى صاحب الترجمة وهى سنة سبع وأربعين وسبعمائة . فيها توفى الأمير بهاء الدين أصلم بن عبد الله الناصرى أحد أمراء الألوف بالديار المصرية في يوم السبت عاشور شعبان ؛ وإليه يُنسب جامع أصلم خارج القاهرة

(١) ذكر المؤلف أن هذا الجامع خارج القاهرة بسوق الغنم أى أنه خارج سور القاهرة القبل الذى فيه باب زويلة ، وذكر في كتاب المنهل الصافى وهو من مؤلفاته في ترجمة أصلم البهاى أنه عمر بالقاهرة بباب المحروق بالقرب من داره مدرسة تقام فيها الجمعة ، ومن هذا يفهم أن هذه المدرسة هى بذاتها هذا الجامع واقعة في القاهرة بالباب المحروق أى في داخل السور . ولما تكلم المقرئ فى خطاطه على جامع أصلم البهاى (ص ٣٠٩ ج ٢) قال : إن هذا الجامع داخل الباب المحروق أثناء الأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار في سنة ٧٤٦ هـ وأنشأ بجواره دارا سنة وحوض ماء للسبيل ، وهو من أحسن الجوامع .

بُسوق الغنم . وكان أصله من ممالك الملك المنصور قلاوون وكان من خواص
الملك الناصر محمد وقبض عليه وحبسه سنين ، ثم أطلقه ، وكان من أعيان الأمراء ،
وتولى عدة ولايات بالبلاد الشامية وغيرها حسب ماتقدم ذكره فيما مضى ، طالت
أيامه في السعادة والإمرة حتى صار من أمراء المشورة .

- وتوفي الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ، ثم نائب السلطنة
بالديار المصرية مقتولا بالإسكندرية في أيام الملك الكامل شعبان ، وأحضر ميتا
إلى القاهرة في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة . وأصله من كسب الأبلستين
في الأيام الظاهرية يبرس في سنة ست وسبعين وستمائة ، وأشتهر قلاوون وهو أمير
ومعه سائر النائب ، فأنعم يسار على ولده على ، وأنعم بآل ملك هذا على ولده الآخر .
وقيل قدمه ليهزبه الملك السعيد بركة خان ابن الملك الظاهر يبرس ، فأعطاه الملك
السعيد لكوندك^(٢) وقيل غير ذلك . وترقى آل ملك في الخدم إلى أن صار من جملة

== ولما تكلم على باشا مبارك في الخطط التوفيقية على هذا الجامع (ص ٥٩ ج ٤) نسب إلى المقرئ
أنه قال : إن هذا الجامع خارج الدرب المحروق في حين أن المقرئ لم يقل ذلك بل قال : إن الجامع
داخل الباب المحروق ، وهو أحد أبواب القاهرة في سورها الشرق .

- ولاختلاف الروايات في تعيين مكان الجامع عاينه فوجدته واقعا داخل الباب المحروق أي داخل
القاهرة وليس خارجها كما ذكر المؤلف هنا وكما قال على مبارك باشا في خطته . وهذا الجامع بدرب شغلان
عند تلاقيه بشارع النبوة بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، وهو على شكل المدارس بأربعة إيوانات صغيرة
وعلى بابه أسم منشئه وقاريخ إنشائه ، وتسميه العامة جامع أصيلان وهو عامر بالشعائر الدينية ، ولا يزال
يوجد أمام بابه رحبة صغيرة من بقايا سوق الغنم الذي كان في تلك الجهة .

- (١) في الأصلين : « وكان أصله من ممالك الناصر محمد بن قلاوون » . وتصحيحه عن السلوك والخطط
للقريزي (ج ٢ ص ٣٠٩) وأظن أنه في الخطط التوفيقية (ج ٤ ص ٥٩) . (٢) ورد في السلوك
في وفیات سنة ٥٧٤٧ : « أن آل ملك بعد كوندك صار لعل بن قلاوون . وورد في الخطط المقرئ
(ج ٢ ص ٣١٠) وفي الخطط التوفيقية (ج ٤ ص ٤٤) أنه أنعم بآل ملك هذا على ولده الأمير على ، وما زال
ترقى في الخدم إلى أن صار من كبار الأمراء المشايخ وروس المشورة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ... الخ » .
نظره أيضا في الخطط المقرئ (ج ١ ص ٤٢٥) وفي الجزء الثاني صفحات (٣٦ و ٤٧ و ١٣٩ و ١٨٨
٣٠٨ و ٣٩٢ و ٣٩٣) وأظن أنه في ابن إياس (ج ١ ص ١٤٨ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٤ و ٢١٠) .

أمرء الديار المصرية . وتردّد للسلك الناصر محمد بن قلاوون في الرسلية لما كان بالكرك من جهة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، فأعجب الملك الناصر عقله وكلامه . فلما أن عاد الملك الناصر إلى ملكه رقاؤه وولاه الأعمال الجلييلة إلى أن ولي نيابة السلطنة بديار مصر في دولة الملك الصالح إسماعيل . فلما ولي الملك الكامل شعبان أخرجه لنيابة صفد . ثم طلبه وقبض عليه وقتله بالإسكندرية، وقد ذكرنا من أحواله نبذة كبيرة في عدة تراجم فلا حاجة لتكرار ذلك ، إذ ليس هذا المحل محل الإطتاب إلا في تراجم ملوك مصر فقط ، ومن عداهم يكون على سبيل الاختصار . وآل ملك هذا هو صاحب الدار العظيمة بالقرب من باب مشهد الحسين - رضى الله عنه - وله هناك مدرسة أيضا تعرف به ، وهو صاحب الجامع بالحسينية . وكان

(١) يستفاد مما ذكره المقرئى عند الكلام على المدرسة الملكية (ص ٣٩٢ ج ٢) أن الدار المذكورة كانت واقعة تجاه المدرسة بخط المشهد الحسينى بالقاهرة . وبالبحت عن هذه الدار تبين أنها اندثرت وزالت معالمها . ومكانها اليوم المباني الواقعة تجاه مدرسة آل ملك وهى المدرسة الملكية التى تعرف اليوم بجامع حالومة بشارع أم الفلام بقسم الجمالية بالقاهرة .

(٢) هذه المدرسة هى التى سماها المقرئى فى خطه المدرسة الملكية (ص ٣٩٢ ج ٢) قال : إنها بخط المشهد الحسينى فى القاهرة . بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخرانة كتب معتبرة، وجعل لها عدة أوقاف . ثم قال : وهى الآن من المدارس المشهورة . وموضعها فى جملة رحبة قصر الشوك، وكان فى موضعها قبل إنشائها دار تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح نجم الدين أيوب . ولم يذكر المقرئى تاريخ إنشاء هذه المدرسة . وبمعانيها تبين لى أنها لا تزال باقية وعامرة الشعائر إلى اليوم باسم جامع آل ملك الجوكندار بشارع أم الفلام بالقاهرة . ومكتوب على جاني الباب بالخط النسخ بعد البسملة : « أنشأ هذا المسجد المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى آل ملك الجوكندار الناصر الراجى غفر الله تعالى ومفرقه . بتاريخ سنة تسع عشرة وسبعماية للهجرة النبوية على صاحبها السلام » .

ومن المعلوم أن كعبة مسجد يجوز إطلاقها على كل مكان خصص للصلاة سواء أكان جامعا أم مدرسة أم خانقاه . وهذا المسجد تسميه العامة بزاوية حالومة ، وهو رجل مقرئ طال خدمته لهذا المسجد فمصرف به .

(٣) هذا الجامع سنن التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

خيرا. دينا عفيفا مثريا ، كان يقول : كل أمير لا يقيم رحمه ويسكب الذهب حتى يساوي السنان ما هو أمير .

وتوفي الأمير سيف الدين قمارج بن عبد الله الناصري أخو بكتمر الساقى مقتولا ، وقد ولي نيابة طرابلس والأستادارية بديار مصر ، وكان من أعيان الأمراء الناصرية مشهورا بالشجاعة والإقدام ، وهو غير قماري أمير شكار ، وكلاهما من الأمراء الناصرية .

وتوفي الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد الله السرجواني نائب الكرك في يوم الاثنين مستهل المحرم خارج القاهرة ، وقد قدمها من الكرك مريضا ، وكان من أعيان الأمراء ، وتولى عدة ولايات ، لاسيما نيابة الكرك ، فإنه وليها غير مرة .

قلت : وغالب هؤلاء الأمراء ذكرنا من أحوالهم في عدة مواطن من تراجم ملوك مصر ما يستغنى عن ذكره ثانيا هنا .

وتوفي ملك تونس من بلاد الغرب أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى ابن عبد الواحد في ليلة الأربعاء ثامن شهر رجب ، بعد ما ملك تونس نحو من ثلاثين سنة ، وتولى بعده ابنه أبو حفص عمر ، وكان أبو بكر هذا من أجل ملوك الغرب ، وطالت أيامه في السلطنة ، وله مواقف في العدو مشهودة . رحمه الله تعالى .

وتوفي القاضي تاج الدين محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان المصري كاتب سر دمشق في ليلة الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر . وكان كاتباً فاضلاً باشر عدة وظائف .

(١) في م : « وكلاهما من المالكة الناصرية » . (٢) انظره في السلوك في وفيات هذه السنة . وانظره في دولة بني حفص وتصاريف أحوالهم في « حقائق الأخبار عن دول البحار » لأسماعيل سرهنك (ج ١ ص ٤١٥ — ٤١٦) . (٣) في م : « مع العدو » . (٤) انظره في الدرر الكامنة طبع الهند (ج ٣ ص ٤٣٢) .

وتُوفى الأمير سيف الدين طُغْتَمَرْ بن عبد الله الصلاحى نائبِ حِمص بها . وكان من أعيان أمراء مصر . وقد مرَّ ذكره أيضاً في تراجم أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون .

(٢) وتُوفى الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد [بن نعيم] بن السراج بن نعيم بن السراج في شعبان؛ وكان كاتباً فاضلاً مقرئاً، وعنده مشاركة في فنون .
§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وخمس أصابع . والله أعلم .



السنة الثانية من ولاية الملك المظفر حاجى على مصر، وهى سنة ثمان وأربعين وسبعائة، على أنه قُتِل في شهر رمضان منها، وحكم في باقيها أخوه السلطان الملك الناصر حسن .

ففيها تُوفى الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد الله الناصرى مقتولاً بقلعة الجبل، وقد تقدّم ذكر قتله أن الملك المظفر حاجياً أمر بالقبض على آق سنقر وعلى المجازى بالقصر، ثم قُتِلَا من ساعتها تهبيراً بالسيوف في يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر، وكان آق سنقر هذا آخِصَّ به أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوجه إحدى بناته وجعله أمير شكار، ثم أمير آخور، ثم نائب غزة، وأُعيد بعد موت الناصر في أيام الملك الصالح إسماعيل ثانياً واستقرَّ أمير آخور على عادته، ثم ولى نيابة طرابلس مدة، ثم أُحضر إلى مصر في أيام الملك الكامل

(١) انظره في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٢٣٥ ب) وانظره في الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٢٤) .

(٢) في الأصلين : «محمد بن محمد بن محمد» وانظره في حسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ٢٩١) وغاية النهاية في طبقات القراء لأبن الجزرى (ج ٢ ص ٢٥٦) طبعة الخانجي والسلوك والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٣٢) .

شعبان ، وعظم قدره ، ودبر الدولة في أيام الملك المظفر حاجي . ثم ثقل عليه
وعلى حواشيه فوشوا به وبمليكتهم حتى قبض عليهما وقتلها في يوم واحد .
وكان آق سنقر أميراً جليلاً كريماً شجاعاً عارفاً مدبراً . وإليه ينسب جامع آق سنقر^(١)

(١) هذا الجامع ذكره المقرئ في خطه بأسم جامع آق سنقر (ص ٣٠٩ ج ٢) فقال : إنه
قريب من قلعة الجبل فيما بين باب الوزير والنبانة ، كان موضعه في القديم مقابر القاهرة . أنشأه الأمير
آق سنقر الناصري و بناه بالحجر وجعل سقفه عقوداً من حجارة ورخى . وقرره درساً فيه عدة من الفقهاء ،
وبنى بجواره مكاناً ليدفن فيه . ثم قال : إن هذا الجامع من أجل جوامع مصر .

وأقول : إن هذا الجامع لا يزال باقياً إلى اليوم تقام فيه الشعائر ومعروف بجامع إبراهيم أغا مستحفظان
بشارع باب الوزير بالقاهرة . ولم يذكر المقرئ تاريخ إنشائه في حين أنه ثابت بالنقش على أبوابه أن
الأمير آق سنقر الناصري بدأ في بنائه في سنة ٧٤٧ هـ . وأتم عمارته في سنة ٧٤٨ هـ . وقد بنىه منشته جامع
النور ، كما ورد في كتاب وقفه وفيها هو ثابت بالنقش في اللوحة المثبتة على الجزء الذي خصص لبقرة في عمارة
إبراهيم أغا . ويوجد على يسار الداخل من الباب العمومي الغربي قبة أنشأها الملك الأشرف علاء الدين
بكك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ودفن فيها سنة ٧٤٦ هـ أى قبل بناء الجامع .

وفي سنتي ١٠٦١ هـ و ١٠٦٢ هـ أحدث إبراهيم أغا مستحفظان عمارة كبيرة هذا الجامع عند ما كان
ناظراً عليه ، فغير في عقود السقف التي كانت من الحجر وأستبدل ما أختل منها بسقوف من الخشب وكسا
الحائط الشرق الذي فيه المحراب إلى السقف بالقاشاني الأزرق الجليل .

ويوجد على يسار الداخل بمؤخر الإيوان القبلي حجرة أنشأها إبراهيم أغا المذكور وكسا جدرانها
بالقاشاني حتى السقف ويتوسطها قبر من الرخام أنشأه في حياته سنة ١٠٦٤ هـ . ثم دفن فيه بعد موته ،
لذلك عرف هذا الجامع بأسم إبراهيم أغا مستحفظان من ذلك الوقت ، ويعرف على السنة العامة وناسخة
عند الوائرين الأجانب بالجامع الأزرق ، نسبة إلى مجموعة القاشاني العظيمة ذات اللون الأزرق الموجودة فيه .

وفي سنة ١٣٠٧ هـ قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإجراء عمارة بهذا الجامع فأصلحت العقود
والقاشاني والمئبر الرخامي ورخام المحراب ، وأعادت بناء الدورة الثالثة للثقة بعد سقوطها ، وكشفت
وجهاً للجامع من الأبنية التي تحجبها حتى ظهر بمظهره الجليل .

وعما يلفت النظر بهذا الجامع منبره الرخامي المزخرف بالنقوش ومنذته التي تسترعى الأنظار بحسن
رسمها وتناسق أجزائها .

وقد لاحظت بعض أغلاط تاريخية في كتب الخطط ، خاصة بهذا الجامع ، أهمها : أن المقرئ
لما أراد الترجمة لمنشته أتى بترجمة آق سنقر السلاوي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ . في حين أن منشى الجامع هو
آق سنقر الناصري المتوفى سنة ٧٤٨ هـ . ولما تكلم على باشا مبارك في الخطط التوفيقية عن هذا الجامع
(ص ٤٤ ج ٤) ذكر أن البدء في عمارته كان في سنة ٧٢٧ هـ . والفراق منه في سنة ٧٢٨ هـ . وصواب
التاريخين هو ٧٤٧ هـ و ٧٤٨ هـ . ثم ذكر أن إبراهيم باشا أغا مستحفظان أنشأ قبره في سنة ١٠٢٣ هـ .
والصواب في سنة ١٠٦٤ هـ .

بُحْطُ التَّابَةِ خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير .^(٢)

وَتَوَقَّى الأمير سيف الدين بَيْدَمَرُ البدرى مقتولا بغزة في أول جمادى الآخرة ،^(٣)
وهو أيضا أحد المماليك الناصرية وترقى إلى أن ولى نيابة حلب . وقد تقدم ذكر
مقتله في ترجمة الملك المظفر حاجى . وإليه تُنسب المدرسة البيدمرية قريبا من
مشهد الحسين رضى الله عنه .

(١) يستفاد مما ذكره المؤلف أن خط التابة كان يشمل قديما المنطقة التى تمتد من باب الوزير إلى
الدرب الأحمر بالقاهرة . وهذه المنطقة يتوسطها اليوم شارع باب الوزير وشارع التابة بقسم الدرب
الأحمر ، وعرف بخط التابة لأنه كان فيه الأسواق التى يباع فيها التبن اللازم لمسئونة دراب القاهرة
في الزمن الماضى .

وأصبح الآن شارع التابة يطلق على الطريق الذى تمتد من شارع باب الوزير عند تلاقيه بشارع النبوة
وسوق السلاح إلى شارع الدرب الأحمر . ومن محاسن المصادقات أن يحتفظ بهذا الأسم عن عهد
المقرئى إلى اليوم .

(٢) هو أحد أبواب القاهرة الخارجة في سورها الشرق الذى أنشأه صلاح الدين في المسافة الواقعة
بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل .

وبالبحث تبين لى أن هذا الباب فتحه في السور المذكور الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروين
المعروف بوزير بغداد وقت أن كان وزيرا للوك الأشراف بكرك بن الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٤٢ هـ .
لمرور الناس منه بين المدينة وبين الجبابة الواقعة خارج السور ، وعلى الأخص بعد سد الباب المحروق ولهذا
عرف من ذلك الوقت إلى اليوم بأسم باب الوزير وإليه ينسب باب الوزير وقراة باب الوزير بالقاهرة .
وموقع هذا الباب لا يزال قائما إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع باب الوزير
بالقرب من جامع أيتش البجاسى . والباب الحالى جدداه الأمير طرباوى الأشرافى صاحب القبة المجاوزة لهذا
الباب في سنة ٨٩٠ هـ .

(٣) انظر أخباره في المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٧٧) والسلوك في حوادث سنة ٧٤٨ هـ . وخطط
المقرئى (ج ٢ ص ٤٨ و ٧٥ و ٤٢٥) وتاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤١٩ و ٤٢٢) والدور
للكتابة (ج ١ ص ٥١٢) .

(٤) هذه المدرسة ذكرها المقرئى في خططه باسم المدرسة البدرية (ج ٢ ص ٣٩١) فقال : إنها
رحبة الأيدمرى بالقرب من باب قصر الشوك فبا بينه وبين المشهد الحسينى ، بناها الأمير بيدم الأيدمرى
ولذلك سماها المقرئى المدرسة البيدمرية . ولما تكلم عن رحبة البدرى (ج ٢ ص ٤٨) قال : هذه الرحبة
يدخل إليها من رحبة الأيدمرى وهى من جملة القصر الكبير ، عرفت بالأمير بيدم البدرى صاحب المدرسة
البدرية . وهنا ذكر اسم منشأها صحيحا ، ثم نسب المدرسة إلى لقبه وهو البدرى ، وأما المؤلف فنسبها
إلى اسمها وهو بيدمر .

وتوفى قاضي القضاة عماد الدين علي بن محي الدين أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسى الحنفى الدمشقى قاضى قضاة دِمَشق بها، عن تسع وسبعين سنة تقريباً، بعد ما ترك القضاء لولده وأنقطع بداره للعبادة، إلى أن مات في يوم الاثنين ثامن عشرين ذى الحجة. وكان منشؤه بدمشق، وقرأ الخلاف على الشيخ بهاء الدين بن النحاس، والفرائض على أبي العلاء، وتفقه على جماعة من علماء عصره، وبرع في عدة علوم وأقنى ودّس يعدة مدارس. وكان كثيرة التلاوة سريع القراءة، قيل إنه كان يقرأ القرآن في التروايح كاملاً في أقل من ثلاث ساعات بحضور جماعة من القُراء. وتوفى قضاء دِمَشق بعد قاضى القضاة صدر الدين على الحنفى في سنة سبع وعشرين وسبعائة ومُحدث سيرته. وكان أولاً ينوب عنه في الحكم. رحمه الله تعالى.

١٠

وأقول: إن هذه المدرسة لا تزال باقية إلى اليوم وتعرف بمجامع البهلوان بشارع أم الغلام على رأس حارة الجماعية بضم الجمالية بالقاهرة. وهو جامع أثرى صغير، وله قبة، كما احتفظ بحجراه وشبابكه الخشبية الثائرة وله منقحة منقحة، ذكره على باشا مبارك في الخطط التوفيقية باسم زاوية اللبان (ج ٦ ص ٤٢) وقال: إن المتكلم عليها هو الحاج داود اللبان صاحب الدكان المجاورة لها، ولذلك عرفت بزاوية اللبان، وبعضهم يسميها زاوية أيدير أو جامع أيدير البهلوان.

١٥

(١) أنظره في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٣٨٤ ب) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٨) والسلوك.
(٢) هو بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبي النحوى المعروف بأبن النحاس تقدّم وفاته سنة ٦٩٨ هـ، وأنظره في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٨٧ ب) وتاريخ حلب للطباخ (ج ٤ ص ٥٣٣) ودائرة المعارف للبستاني في «بهاء الدين».

٢٠

(٣) هو الحافظ شمس الدين أبو العلاء محمود بن أبي بكر بن أنى العلاء البخارى الكلاباذى الحنفى الصوفى الفرضى. تقدّم وفاته فيمن ذكر الذهبي وفاتهم في سنة ٥٧٠ هـ (ج ٨ ص ١٩٧) وأنظره في شذرات الذهب لابن العماد (ج ٥ ص ٥٧) والمنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٣٦) وتاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطولبغا (ص ٥٢).

(٤) أنظره في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٣٨٣ و ص ٤٤٠ ب).

وتوفى قاضي قضاة المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبي بكر
ابن ظافر بن عبد الوهاب الهمداني^(١) في ثالث المحرم عن ثلاث وسبعين سنة . وكان
فقيها عالما صوفيا .

وتوفى الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ صاحب التصانيف المفيدة شمس الدين
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز^(٢) [بن عبد الله التركماني الأصل الفارقي]
الذهبي الشافعي - رحمه الله تعالى - أحد الحفاظ المشهورة في ثالث ذي القعدة .
ومولده في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وسمع الكثير ورحل البلاد ،
وكتب وألف وصنف وأرخ وصحح وبرع في الحديث وعلومه ، وحصل الأصول
وأنقى ، وقرأ القراءات السبع على جماعة من مشايخ القراءات . استوعبنا مشايخه
ومصنفاته في تاريخنا « المنهل الصافي » مستوفاة . ومن مصنفاته : « تاريخ الإسلام »
وهو أجل كتاب نقلت عنه في هذا التاريخ . وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي -
بعد ما أثنى عليه - قال : « وأخذتُ عنه وقرأتُ عليه كثيرا من تصانيفه ،
ولم أجد عنده بخودة المحدثين ، ولا كودنة النقلة^(٣) ، بل هو فقيه النظر ، له دُرْبة
بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات ، وأعجبتني منه ما يعينه
في تصانيفه ، ثم إنه لا يتعدى حديثا يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن ، أو ظلام
إسناد ، أو طعن في روايته ، وهذا لم أر غيره يرأى هذه الفائدة » . وأنشدني من
لقظه لنفسه مضمنا ، وهو تحمیل جيد إلى الغاية : [وافر]

(١) ضبطها المؤلف في المنهل الصافي بالمعجمة فقال : (يسكون الميم وبالذال المهملة) وقد ضبطت
أيضا بالمعجمة في الدرر الكامنة وأظهره في ابن كثير (ج ٤ من القسم الثالث ص ٢٤٤) .
(٢) التكلة من الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٣٦) والمنهل الصافي (ج ٣ ص ١٠٦ ب) وطبقات
الشافعية للسبكي (ج ٥ ص ٢١٦) . وأظهره أيضا في ابن كثير (ج ٤ قسم ثالث لوجه ٣٤٤) وشذرات
الذهب لابن العباد (ج ٦ ص ١٥٣) وصقد الجمان للبيهي (ج ٥ قسم أول لوجه ٨٤) .
(٣) الكودون : البرذون يوكف ريشه به البليد . راجع اللسان . مادة كدون ص ٢٣٧ ج ١٧ .

إذا قرأ الحديث على شخص * وأخلى موضعا لوفاة مثلى

فما جازى بإحسان لأتى * أريد حياته ويريد قتلى

- وتوفى الأمير الوزير نجم الدين محمود [بن على] ^(١) بن شروين المعروف بوزير بغداد مقتولا بغزة مع الأمير بيدمر البدرى فى جمادى الآخرة . وكان قديم من بغداد إلى القاهرة فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فلما سلم على السلطان وقبل الأرض ثم قبل يده حط فى يد السلطان حجر بلخش ^(٢) ، زنته أربعون درهما ، قوم بمائتى ألف درهم ، فأمره السلطان وأعطاه تقديم ألف بديار مصر . ثم ولى الوزر غير مرة إلى أن أخرجته الملك المظفر حاجتى إلى غزوة ، وقتله بها هو وبيدمر البدرى وطغيتهم الدوادار ، وكان — رحمه الله — عاقلا سيوسا كريما محسنا مدبرا ، محمود الاسم والسيرة فى ولاياته ، وهو ممن ولى الوزر شرقا وغربا ، وهو صاحب الخلقاء بالقرافة بجوار تربة كافور الهندى .

وتوفى الشيخ الإمام البارع المفتى قوام الدين مسعود بن محمد بن محمد بن سهل الكرماني الحنفى يدمشق ، وقد جاوز الثمانين سنة . وكان إماما بارعا فى الفقه والنحو

- (١) التكملة عن السلوك والدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٣١) والخطط المقرضية (ج ٢ ص ٦٠) وأنظره أيضا فى المقرضى فى صفحات ٥٠ و ٧٦ و ٣٠٥ و ٣٨٤ و ٤٢٥ من الجزء الثانى . وأنظره فى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ٢ ص ١٦٨) . (٢) كلمة فارسية أصلها : بدخش و بدخشان والأخيرة أكثر استعمالا ، وهى اسم لإقليم بين الهند وخراسان يستخرج من جباله حجر الياقوت الأحمر النفيس ذو اللون الجليل وقد سمى باسم الإقليم المستخرج منه (عن استينجاس والألفاظ الفارسية المعربة) .
- (٣) كذا فى الأصول والسلوك . وفى المنهل الصافى والدرر الكامنة : « مسعود بن إبراهيم » كما سماه الحافظ عبد القادر فى طبقاته ، وهو عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبى الوفاء القرشى محيى الدين الحنفى أبو محمد وأنظره فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٩٢) ولحظ الألفاظ بذيلى طبقات الحافظ للحافظ تقي الدين أبى الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمى المكي (ص ١٥٧) والفوائد البية فى تراجم الحنفية لأبى الحسنات محمد بن عبد الحى الكنتوى الهندى ص ٩٩

والأصليين واللغة ، وله شعر وتصانيف ، وسماه الحافظ عبد القادر في الطبقات مسعود بن إبراهيم .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين مَلِكْتَمَرُ بن عبد الله الحجازي الناصري قتيلا في تاسع عشر شهر ربيع الآخر مع الأمير آق سُتْقَرُ المَقْدَمُ ذكره . وكان أصل الحجازي من ممالك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشَّهْرَزُورِيّ البغدادى ، فَبَدَّل فيه الملك الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم ، حتى آتباعه له منه المجد السلامي بمكة لما حج الشَّهْرَزُورِيّ ، وقَدِم به على الناصر ، فلم يُرَ بمصر أحسن منه ولا أظرف فَعُرِف بالحجازي ، وَحَظِيَ عند الملك الناصر ، حتى جعله من أكابر الأمراء وزوجه بإحدى بناته . وكان فيه كُلُّ الحِصَالِ الحسنة ، غير أنه كان مُسْرِفا على نفسه مُنْهَمِكا في اللذات ، مدينا على شرب الخمر ، فكان مرتبه منه في كل يوم خمسين رطلا . ولم يسمع منه في سُكْرِهِ وَتَحْوِهِ كلمة فُحْش ، ولا تَوَسُّط بسوء أبدا ، هذا مع سماحة النفس والتواضع والشجاعة والكرم المُقَرَّط ، والتجَمُّل في ملبسه ومركبه وحواشيه . وقد تقدَّم كيفية قتله في ترجمة الملك المظفر هذا .

وتوفى الأمير طُغْتَمُشُ بن عبد الله النجمي الدوادار ، صاحب الخانقاة النجمية خارج باب المحروق من القاهرة مقتولا بفزة مع بيدمر البدرى وزير بغداد المقدم

(١) في الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٣٥) والسلوك في وفيات هذه السنة : أنه ولد سنة ٦٥٤ هـ ببغداد ، وتوفى سنة ٧٤١ هـ ببغداد أيضا . وتفقه للشافعي وأتقن الخط المنسوب والموسيقى ، وكان حَفِيّا عند الملوك . (٢) هي خوند قمر الحجازية أبة الملك الناصر محمد بن قلاوون وإبها تعب المدرسة الحجازية . انظر الحاشية رقم ١ ص ١٣٨ من هذا الجزء .

(٣) كان دوادار الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، قلبا مات الصالح استقر على حاله في أيام أخويه : الملك الكامل شيمان والملك المظفر حاجي ، وهو أول دوادار أخذ إمرة مائة ومقدَّم ألف وذلك في أول دولة المظفر حاجي . (٤) ذكرها المقرئ في خطه (ج ٢ ص ٤٣٥) فقال : « هذه الخانقاه بالصحره خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر . أنشأها الأمير طغتمش النجمي »

ذكرهما . وكان طغيت من أجل أمراء مصر ، وكان عارفا عاقلا كاتب وعنده فضيلة ومشاركة . وكان مليح الشكل .

- وتوفى الأمير سيف الدين يلبغا البُحَاوِيّ الناصريّ نائب الشام مقتولا بقلعة قاقون ، تقدم ذكر قتله في ترجمة الملك المظفر هذا . وكان يلبغا هذا أحد من شُفِّف به أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعمر له الدار العظيمة التي موضعها الآن مدرسة السلطان حسن تجاه القلعة . ثم جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية . ثم ولى بعد موت الملك الناصر حماة وحلب والشام . وعمر بالشام الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل ، ولم يكمله ، فحُكِّل بعد موته . وكان حسن الشكالة ، شجاعا كريما ، بلغ إتمامه في كل سنة على مماليكه فقط مائة وعشرين فرسا وثمانين حياصة ذهب . وعاش أبوه بعده ، وكان تركي الجنس ، وتقلب في هذه السعادة ، ومات وسنه نيف على عشرين سنة .

وتوفى الأمير أرغون بن عبد الله العلائي قتيلا بالإسكندرية ، وكان أرغون أحد المماليك الناصرية ، رقاها الملك الناصر محمد في خدمته ، وزوجه أم ولديه : الصالح إسماعيل والكامل شعبان ، وعمله لالا لأولاده ، فدبر الدولة في أيام ربيبه

- ١٥ = بقاء من المبانى الجليلة ، ورتب بها عدة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى وبني بجانها حماما وغرس في قبلها بستانا ، وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل زده الدواب ، ووقف على ذلك مدة أوقاف ، ثم إن الحمام والحوض تمطلا مدة ، فلما ماتت أربابى زوجة القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر في سنة ٨٠٨ هـ دفنها ، خارج باب النصر ثم بدا له فنقلها إلى خانقاة طيغتمر هذا ، ودفنها بالقبة التي فيها وأدار الساقية وملا الحوض ، ورتب لقراء هذه الخانقاة معلوما : وجدد ما تشعث من بنائها وأدار حمامها . ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاة تربة نقل إليها زوجته مرة ثالثة ، وجعل أملاكه وفقا على هذه التربة .

- ٢٠ وهي غير موجودة الآن . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) حدّ عمره صاحب الدرر الكامنة فقال : « وله قبيل ستة عشرين قليل وحق في آخر جمادى الأولى سنة ٧٤٨ » (انظر ج ٤ ص ٤٣٦ — ٤٣٧) .

- (٤) في الأصلين : « أم ولديه إسماعيل والصالح وشعبان الكامل » والباقي يقتضى ما أئبتناه .

الملك الصالح إسماعيل أحسن تدبير. ثم قام بتدبير يديه أيضا الملك الكامل شعبان، حتى قُتل شعبان لسوء سيرته وأرغون ملازمه، فقبض على أرغون المذكور بعد الهزيمة ونُجِن بالإسكندرية إلى أن قتله الملك المظفر حاجي^١، فمِن قُتل، وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلاً في وقته. وأرغون هذا هو صاحب الخلقاء بالقرافة. وكان عاقلاً عارفاً مدبراً سيّوساً كريماً، يُنعم في كل سنة بمائتين وثلاثين فرساً، ومبلغ أربعين ألف دينار. قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: وعظمت حرمة لما دبره الملكة وكثرت أرزاقه وأملاكه، وصار أكبر^(١) من الثواب بالديار المصرية، وهو باقٍ على وظيفته رأس نوبة الجندارية، وجنديته إلى آخر وقت.

قلت: وهذا الذي ذكره صلاح الدين من العجب، كونه يكون مدبراً مملكتي الصالح والكامل، وهو غير أمير. انتهى.

وتوفى جماعة من الأمراء بسبب السلطان الملك المظفر حاجي، منهم: الأمير أيتمش عبد الغني والأمير تمر الموساوي الساق والأمير قرابغا والأمير صمغفار، الجميع بسجن الإسكندرية، وهم من المماليك الناصرية محمد بن قلاوون، وقتل أيضاً بقلعة الجبل الأمير غرلو^(٢) في خامس عشرين جمادى الآخرة، وقد تقدم التعريف بحاله عند قتله في ترجمة الملك المظفر حاجي. وكان جرگسي الجنس، ولهذا كان جمع الجراكسة على الملك المظفر حاجي، لأنهم من جنسه.

§ أمر النيل في هذه السنة -- الماء القديم أربع أذرع وست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثمانى أصابع.

(١) في ف: «أكبر من الثواب... الخ».

(٢) في الأصلين والمنهمل الصافي أن قتله كان في شهر جمادى الآخرة سنة ٧٤٨ هـ. وفي الدرر

الكامة أنه قتل في مستهل شهر رجب من هذه السنة.

ذكر سلطنة الملك الناصر حسن الأولى على مصر

- السلطان الملك الناصر بدر الدين وقيل ناصر الدين أبو المعالي حسن . وألقب
 الثاني أصح ، لأنه أخذ كنية أبيه ، ولقبه وشهرته ، ابن السلطان الملك الناصر
 محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون ، وأمه أُم ولد مات عنه وهو صغير ،
 فتولى تربيته خَوْنَد أودو ، وكان أولاً يُدعى قُمَارِي واستمر بالدور السلطانية إلى
 أن كان من أمر أخيه الملك المظفر حاجي ما كان . وطلبت الممالك أخاه
 حَسِينًا للسلطنة : فقام الأمراء بسلطنة حسن هذا ، وأجلسوه على تخت الملك
 بالإيوان في يوم الثلاثاء . رابع عشر شهر رمضان سنة ثمانٍ وأربعين وسبعماية ،
 وركب بِشعار السلطنة وأبته الملك . ولما جلس على تخت الملك لقبوه بالملك
 الناصر سيف الدين قُمَارِي ، فقال السلطان حسن للنائب أَرْقُطَاي : يا أبيت
 ما أسمي قُمَارِي . إنما أسمي حسن ، فأستلفه الناس لِصَغَرِ سِنِّه ولذكائه ، فقال له :
 النائب : يا خَوْنَد — والله — إن هذا أسم حسن ، حسن على خيرة الله تعالى .
 فصاحت الجاووشية في الحال بأسمه وشهرته وتم أمره ، وحلف له الأمراء على
 العادة . وعمره يوم سلطته إحدى عشرة سنة ، وهو السلطان التاسع عشر من
 ملوك الترك بالديار المصرية ، والسابع من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون .
 وفي يوم الأربعاء خامس عشر اجتمع الأمراء بالقلعة وأخرج لهم الطواشي
 دينار الشَّيْلَ المال من الخزانة ، ثم طلب الأمراء خدام الملك المظفر وعبيده ، ومن
 كان يعاشره من الفُزَّاشين ولُعَاب الحَمَام ، وسلموا لشاد الدواوين على حَمَل ما أخذوه
 من الملك المظفر من الأموال ، فأظهر بعض الخُدَّام حاصلات تحت يده من الجوهر
 واللؤلؤ . ما قيمته زيادة على مائة ألف دينار ، وتفصيل حرير ، وبذلات زُرْكَش
 مائة ألف دينار أخرى

وفي يوم الخميس قبض على الأمير أيَّدُر الزقاق والأمير قُطُر أمير آخور والأمير
بُلك الجندار ، وأخرج قُطُر لنيابة صَفْد ، وقُطعت أخبازُ عشرين خادما وخُبُرُ
عبد على - العواد المغني وخُبُرُ إسكندر بن بدر الدين كُتَيْلَة الجُنَكِي ، ثم قبض أيضا
على الطواشي عَنَب السَّحَرَتِي مقدم الممالك ، وعلى الأمير آق سُتُقُر أمير جندار ،
ثم عَرَضت الممالكُ أربابُ الوظائف وأُخرج منهم جماعةٌ ، وأُحيط بِمال « كيدا »
حظية الملك المظفر التي أخذها بعد اتفاق السوداء العوادة وأموال بقية الحظايا
وأُزِلن من القلعة ، وكُتِبَت أوراق بمرتبات الخُدّام والعبيد والجواري فُقِطعت كلّها .
وكان أمرُ المشورة في الدولة والتدبير لتسعة أمراء : يَبِغَا أَرْمس القاسمي
والبُحَيْفَا المظفرى وشيخون العُمري وطاز الناصري وأحمد شاذ الشراب خانا
وَأَرْغُون الاسماعلي وثلاثة أُنَر ، فاستقر الأمير شيخون رأس نوبة كبيراً وشارك
في تدبير المملكة ، واستقر الأمير مُفَلطاي أمير آخور عِوَصَا عن الأمير قُطُر ، ثم
رسم بالإفراج عن الأمير بَزَلار من محبب الإسكندرية ، ثم جُهزت التشاريف لنواب
البلاد الشامية ، وكُتِبَ لهم بما وقع من أمر الملك المظفر وقاتله ، وسلطنة الملك
الناصر حسن وجلوسه على تخت الملك .

ثم اتَّفَقوا الأمراء على تخفيف الكُلف السلطانية ، وتقليل المصروف بسائر
الجهات ، وكُتِبَت أوراق بما على الدولة من الكُلف ، وأخذ الأمراء في بيع طائفة
الجرأكة من الممالك السلطانية ، وقد كان الملك المظفر حاجي قزهم إليه بواسطة
عُرُلُو وجلبهم من كلّ مكان ، وأراد أن يُنشئهم على الأتراك ، وأدناهم إليه حتى عُرِفوا
بين الأمراء بِكِبَر عمامتهم ، وقوى أمرهم وعملوا كَلَفَتَات خارجة عن الحد في الكِبَر ،
فطلبوا الجميع وأخرجوهم منغيزين خروجا فاحشا وقالوا : هؤلاء جيمة النفوس
كثيرو الفتن .

ثم قَدِمَ كَتَّابُ نَائِبِ الشَّامِ الْأَمِيرِ أَرْغُونُ شَاهٍ يَتَضَمَّنُ مُوَافَقَتَهُ لِلْأَمْرَاءِ وَرِضَاهُ
بِمَا وَقَعَ ، وَغَضَّ مِنَ الْأَمِيرِ نَخْرَ الدِّينِ إِيَّاسَ نَائِبِ حَلَبَ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ أَرْقُطَايَ
النَّائِبُ قَدْ طَلَبَ مِنَ الْأَمْرَاءِ أَنْ يُعْفَوْهُ مِنَ النِّيَابَةِ وَيُوَلَّوْهُ بِلَادَ مِنْ الْبِلَادِ فَلَمْ يُوَافِقُوهُ
الْأَمْرَاءُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا وَرَدَ كَتَّابُ نَائِبِ الشَّامِ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّ إِيَّاسَ يَصْفُرُ عَنْ
نِيَابَةِ حَلَبَ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَهَا إِلَّا رَجُلٌ شَيْخٌ كَبِيرُ الْقَدَرِ ، لَهُ ذِكْرٌ بَيْنَ النَّاسِ وَشُهْرَةٌ ،
فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَبَ الْأَمِيرُ أَرْقُطَايَ النَّائِبُ نِيَابَةَ حَلَبَ ، فَخُلِّعَ عَلَيْهِ بِنِيَابَةِ حَلَبَ فِي يَوْمِ
الْخَمِيسِ خَامِسِ شَوَّالَ ، وَأَسْتَقَرَّ عَوْضُهُ فِي نِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيَّةِ الْأَمِيرِ بَيْبَقَا
أُرْسَ الْأَمِيرُ مَجْلِسَ وَخُلِّعَ عَلَيْهِمَا مَعًا ، وَجَلَسَ بَيْبَقَا أُرْسَ فِي دَسْتِ النِّيَابَةِ وَجَلَسَ
أَرْقُطَايَ دُونَهُ بَعْدَ مَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ أَرْقُطَايَ فِي دَسْتِ النِّيَابَةِ وَبَيْبَقَا دُونَهُ .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ سَابِعِهِ قَدِمَ الْأَمِيرُ مَتْنَجُكَ الْيُوسُفِيَّ السَّلَاحِ دَارَ حَاجِبِ دِمَشْقَ
وَأَخُو بَيْبَقَا أُرْسَ مِنَ الشَّامِ ، فَرُسِمَ لَهُ بِتَقْدِيمِهِ أَلْفَ بَدْيَارٍ مَصْرَ وَخُلِّعَ عَلَيْهِ وَأَسْتَقَرَّ
وَزِيرًا وَأُسْتَادَارًا ، وَخَرَجَ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ وَالْأَمْرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَصَارَ حَكْمُ مَصْرَ
لِلْأَخْوَيْنِ : بَيْبَقَا أُرْسَ وَمَتْنَجُكَ السَّلَاحِ دَارَ .

ثُمَّ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ عَاشِرِ شَوَّالَ خَرَجَ الْأَمِيرُ أَرْقُطَايَ إِلَى نِيَابَةِ حَلَبَ ، وَصَحْبَتُهُ
الْأَمِيرُ كَشَلَى الْإِدْرِيْسِيَّ مَسْفَرًا .^(١)

١٥

ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ مَتْنَجُكَ اشْتَدَّ عَلَى الدَّوَاوِينِ ، وَتَكَلَّمَ فِيهِمْ حَتَّى خَافُوهُ بِأَسْرِهِمْ ،
وَقَامُوا لَهُ بِتَقَادُمِ هَائِلَةٍ ، فَلَمْ يَمُضْ شَهْرٌ حَتَّى أُرْسَ بِهِمْ ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِ
كُلِّهَا ، وَتَحَدَّثَ مَتْنَجُكَ فِي جَمِيعِ أَقَالِيمِ مَصْرَ وَمَهَّدَ أُمُورَهَا .

ثُمَّ قَدِمَ سَيِّفُ الْأَمِيرِ نَخْرَ الدِّينِ إِيَّاسَ نَائِبِ حَلَبَ بَعْدَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ نَخْرَجَ مَقِيدًا
وَحُبْسَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ .^(٢)

(١) كَذَا فِي مِ وَالسُّلُوكِ فِي أَحَدِي رَوَايَتِهِ . وَرَوَايَتُهُ الْآخَرَى : « كَشَلَى » « الْأَدْرَسِي » .
وَفِي ف : « كَشَلَى الْإِدْرِيْسِي » . (٢) كَذَا وَرَدَّ فِي الْأَحْلِينَ . وَلَمْ نَعْرِ عَلَى هَذَا الْخَطِّ فِي مَصْدَرِ أَنْوَاعٍ .

ثم ترأس المالِك الجراكسة مع الأمير حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على أن يُقيموه سلطانا فقبض على أربعين منهم، وأخرجوا على المُعجَن مفرقين الى البلاد الشامية . ثم قبض على ستة منهم وضربوا نُجَاح الإيوان من القلعة ضربا مبرحا، وقيدوا وحُبسوا بخزانة شمائل .

ثم عملت الخدمة بالإيوان ، واتفقوا على أن الأمراء إذا انفضوا من خدمة الإيوان ، دخل أمراء المشورة والتدبير إلى القصر دون غيرهم من بقية الأمراء ، ونفذوا الأمور على اختيارهم من غير أن يشاركهم أحد من الأمراء في ذلك، فكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج الأمير متكليا بفا الفخري والامير بغيرا والامير بنبغا ططر والامير طيبغا المجدي والامير أرلان وسائر الأمراء فيمضوا على حالهم، إلا أمراء المشورة وهم ، الأمير بنبغا أرس النائب والأمير شيخون العمري رأس نوبة التوب والأمير طاز والأمير الوزير متجك اليوسفي السلاح دار والأمير الجبغا المظفري والأمير طنيرق فإنهم يدخلون القصر، وينفذون أحوال المملكة بين يدي السلطان بمقتضى علمهم وحسب اختيارهم .

وفي هذه السنة استجدت بمدينة حلب قاض مالكي وقاض حنبلي، فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرباعي، وتولى قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن قياض، ولم يكن بها قبل ذلك مالكي ولا حنبلي، وذلك في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من هذا الجزء . (٢) غير موجود في الأصل الفوتوغرافي .

(٣) في ف والسلوك : « الرايحي » . بالياء، وتصويبه عن الدرر الكامنة وم وتاريخ حلب

للطباخ (ج ٥ ص ٣٨) وقد ضبط بالعبارة في الدرر وتاريخ حلب : « بضم الراء وتخفيف الموحدة » .

توفي سنة ٧٦٤ هـ . (٤) انظره في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٧٧) والدرر الكامنة

(ج ٤ ص ٣٧٩) وتاريخ حلب (ج ٥ ص ٦٣) وقد أجمعت هذه المصادر على أنه توفي سنة ٧٧٨ هـ .

وفي يوم الثلاثاء أول المحرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة، قُبِضَ على الشيخ
على الكسيح نديم الملك المظفر حاجي، وضُرب بالمقارع والكسارات ضرباً عظيماً،
وُقِلَّتْ أسنانه وأضرأسه شيئاً بعد شيء في عدة أيام، ونُوعَ له العذاب أنواعاً حتى
مهلك، وكان يَشَعُ المنظر، له حَذَبَةٌ في ظهره وحَذَبَةٌ في صدره، كَسِيحاً لا يستطيع
القيام، وإنما يُجَلُّ على ظهر غلامه، وكان يلوذ بأُجْيُفَا المظفرى، فعُرِفَ به أُلْجِيغَا
الملك المظفر حاجياً فصار يُضَحَّكُه، وأُخْرِجَ المظفرُ حُرْمَه عليه، وعاقره الشراب،
فوهبته الخطايا شيئاً كثيراً. ثم زوجه الملك المظفر بإحدى حظاياها، وصار يسأله عن
الناس فنقل له أخبارهم على ما يريد، وداخله في قضاء الأشغال، نخافه الأمراء
وغيرهم خشيةً لسانه، وصانعه بالمال حتى كثرت أمواله، بحيث إنه كان إذا دخل
خزانة الخالص، لا بد أن يُعْطِيَه ناظرُ الخالص منها له شيئاً له قدر، ويدخل عليه
ناظرُ الخالص حتى يَقْبَلَه منه، وإنه إذا دخل إلى النائب أرقطاي استعاذ أرقطاي
من شره، ثم قام له وترحب به وسقاه مشروباً، وقضى شغله الذي جاء بسببه
وأعطاه ألف درهم من يده وأعتذر له، فيقول للنائب: ها أنا داخل إلى أبي السلطان
وأعرفه إحسانك إلى، فلما دالت دولة الملك المظفر عني به أُلْجِيغَا، إلى أن شكاه
عبد العزيز العجمي أحد أصحاب الأمير آق سنقر على مال أخذه منه، لما قُبِضَ
عليه غُرُلُو بعد قتل آق سنقر حتى خلصه منه، فتذكره أهل الدولة وسلموه إلى
الوالى، فعاقبه وأشتد عليه الوزير منبجك حتى أهلكه.

وفي المحرم هذا وقعت الوحشة ما بين النائب بليغا أرس وبين شيخون، ثم دخل
بينهما منبجك الوزير حتى أصلح ما بينهما.

ثم في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول عُزِلَ الأمير منبجك عن الوزارة،
وسببه أن ابن زنبور قديم من الإسكندرية بالجمل على العادة، فوقع الاتفاق على

تفرقته على الأمراء، فحُمل إلى النائب منه ثلاثة آلاف دينار، وإلى شَيْخُون ثلاثة آلاف دينار، وللجماعة من الأمراء كُلُّ واحد ألف دينار، وهم بَقِيَّةُ أمراء المشورة، والجماعة الأمراء المقدمين كُلُّ واحد ألف دينار، فامتنع شيخون من الأخذ وقال: أنا ما يَحِلُّ لى أن آخذ من هذا شيئا. ثم قَدِمَ حِمْلُ قَطِيَا وهو مبلغ سبعين ألف درهم، وكانت قَطِيَا قد أُرْصِدَتْ لنفقة الممالك، فاخذ الوزير مِنْجَك منها أربعين ألف درهم، وزعم أنها كانت له قَرْضًا فى نفقة الممالك، فَوَقَّفت الممالك إلى الأمير شيخون وشكوا الوزير بسببها، فَخَدَّتْ الوزيرَ فى ردِّ ما أخذه فلم يفصل، وأخذ فى الحطِّ على آبن زُبُور ناظر الخواص، وأنه يأكل المال جميعه، وطلب إضافة نظير الخاص له مع الوزارة والأستادارية وألح فى ذلك عدَّة أيام، فغضب شيخون من ذلك، وشدَّ من آبن زنبور وقام بالمحافقة عنه، وغَضِبَ بحضرة الأمراء فى الخدمة، ففزع النائب منجك من التحدث فى الخاصِّ وأنقَضَ المجلس، وقد تنكَّر كُلُّ منهما [على الآخر]^(١) وكثُرَتِ القالة بالركوب على النائب ومنجك حتى بلغهما ذلك، فطلب النائب الإعفاء من النيابة وإخراج أخيه منجك من الوزارة، وأبدًا وأعاد حتى كثُرَ الكلام ووقع الاتفاق على عزل منجك من الوزارة، وأستقراره أستاذارًا على حاله وشادًا على عمل الجسور فى النيل. وطُلبَ أَسَدْمُرُ العمرى المعروف برسلان بَصَل من كشف الجسور ليتولَّى الوزارة، فحضر وخُلِعَ عليه فى يوم الاثنين رابع عشرينه.

[وفيه أُخْرِجَ]^(٢) الأمير أحمد شاد الشراب خاناه إلى نيابة صنفد؛ وسبب ذلك أنه كان كَبُرَ فى نفسه وقام مع الممالك على الملك المظفر حاججًا حتى قَتِلَ، ثم أخذ

(١) الكلمة عن السلوك. (٢) فى الأصلين: «ثم أخلع على الأمير أحمد شاد الشرايخاناه... إلخ»

وما أُنْبِتَاهُ عن السلوك، وهو ما يقتضيه السياق.

في تحريك الفتنة وأنفق مع ألبجيغا وطنيرق على الركوب فبلغ يديغا أرس النائب الخبر فطلب الإعفاء، وذكر ما بلغه وقال : إن أحمد صاحب قن ولا بد من إخراجهم من بيتنا فطلب أحمد وخلع عليه وأخرج من يومه .

- ثم في يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع الأول أنهم على الأمير متجك اليوسفى بتقدمة أحمد شاذ الشراب خاناه . ثم في الغد يوم الخميس أمتنع النائب من الركوب في الموكب وأجاب بأنه ترك النيابة ، فطلب إلى الخدمة وسئل عن سبب ذلك فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إقامة الفتنة وتبيت خيولهم في كل ليلة مشدودة، وقد أنفقوا على مسكه ، وأشار لألبجيغا وطنيرق فأنكروا ما ذكر النائب عنهما ، فحاققهما الأمير أرغون الكاملى أن ألبجيغا واعد بالأمس على الركوب في غد وقت الموكب ومسك النائب ومتجك ، فعتب عليهما الأمراء فاعتذرا بعذر غير مقبول ، وظهر صدق ما نقله النائب ، فخلع على ألبجيغا بناية طرابلس وعلى طنيرق بامرة في دمشق وأخرجوا من يومهما ، فقام في أمر طنيرق صهره الأمير طشتمر طلبه حتى أعفى من السفر وتوجه ألبجيغا إلى طرابلس في ثامن شهر ربيع الآخر من السنة بعد ما أمهل أياما ، واستمر منجك معزولا إلى أن أعيد إلى الوزير في يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر باستعفاء أسندمر العمرى لتوقف أحوال الوزارة .

وفيه أيضا أخرج من الأمراء المظفرية لاجين الصلاى وطبيغا المظفرى ومنكلى بقا المظفرى وفارقوا ببلاد الشام .

- ثم قدمت مقدمة الأمير أرغون شاه نائب الشام زيادة عما جرت به العادة ، وهى مائة وأربعون فرسا بعبى تدمرية فوقها أجلة^(٢) أطلس^(٣) ، ومقاود سلاسلها فضة ،

(١) في السلوك : « في ثاني ربيع الآخر » . (٢) في الأصلين : « بعبى تدمرى » وما أئنتاه عن السلوك . (٣) في الأصلين : « أجلية » . وما أئنتاه عن السلوك ولسان العرب مادة « جمل » .

(١) ولواوين بخلق فضة ، وأربعة قُطْرُهْنِ بمقاود حرير ، وسلاسل فضة وذهب ، وأكوارها ممشاة بذهب ، وأربعة كُتَيْش ذهب عليها ألقاب السلطان ، وتعاوي قماش مبقعة من كل صنف ؛ ولم يدع أحدا من الأمراء المقدمين ولا من أرباب الوظائف حتى الفزاش ومقدم الإسطبل ومقدم الطبلخانة والطباخ ، حتى يمض إليهم هدية ، فخلع على مملوكه عتة خلع وكتب إليه بزيادة على إقطاعه ، ورسم له بتفويض حكم الشام جميعه إليه ، يعزل ويولي من يختار .

وفيه أنعم على خليل بن قوصون بإمرة طبلخاناه ، وأنعم أيضا على آبن المجدي بإمرة طبلخاناه ، وأنعم على أحد أولاد منجك الوزير بإمرة مائة وتقدمة ألف ثم في ثالث ذي الحجة أخرج طشبقا الدوادار إلى الشام ، وسببه مفاوضة جرت بينه وبين القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر ، أفضت به إلى أن أخذ طشبقا بأطواق كاتب السر ودخلا على الأمير شيخون كذلك ، فأنكر شيخون على طشبقا ، ورسم بإخراجه ، وعمل مكانه قُطْلَيْجَا الأُرغُونِي دوادارا . ثم رسم للأمير بَيْقَرَا أمير جاندار أن يجلس رأس ميسرة ، وأستقر الأمير أَيْتَمُش الناصري حاجب الحجاب أمير جاندار عوضه ، وأستقر الأمير قُبْلَاي حاجب الحجاب عوضا عن أَيْتَمُش .

- (١) أصلها أوارين جمع إيوان وهو مقدم الحمام ثم حقت إلى لواوين جمع ليران .
 (٢) الأكوار جمع كور بالضم وهو الرجل وقيل الرجل بأداته (عن لسان العرب) .
 (٣) في قاموس دوزي : الكتبوش وهو الناشية تحت مرج الفرس ، وهي هنا للهجن أشبه ما تكون بالأجلة للجيل من حواشي الكور ، كان يكتب عليها بالزركش والحرير ألقاب السلطان في عصر المماليك .
 (انظر دوزي وقاموس الملايس العربية له ودرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المنظمة لابن عبد القادر الحنبلي) . (٤) في السلوك : «وتعابى قاش مفتخر» . (٥) في الأصلين : « الأمير جندر حاجب الحجاب ... الخ » والتصويب ما أبقناه عن السلوك والدرر الكامة لأن قبلاي المذكور ولي الجوبية في أيام الناصر حسن صاحب الترجمة في حين أننا لم نقف على اسم جندر في المصادر التي تحت يدينا .

وكانت هذه السنة (أثنى سنة تسع وأربعين وسبعمائة) كثيرة الوباء والفساد بمصر والشام من كثرة قطع الطريق لولاية الأمير منجك جميع أعمال المملكة بالمال، وأنفراده وأخيه بئبغا أُرْس بتدبير المملكة .

- ومع هذا كان فيها أيضا الوباء الذى لم يقع مثله في سالف الأعصار ، فإنه كان أبتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين ، فما أهل المحرم سنة تسع وأربعين حتى أشتهر وأشتد بديار مصر في شعبان ورمضان وشوّال ، وأرتفع في نصف ذى القعدة ، فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس [إلى عشرين ألف نفس ^(١)] في كل يوم ، وعملت الناس التوابيت والدّكك لتفصيل الموتى للسبيل بغير أجره ، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السلام والأبواب ، وحُفرت الحفائر وأُلقيت فيها الموتى ، فكانت الحفيرة يُدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر ، وكان الموت بالطاعون ، يئسّق الإنسان دما ثم يَصيح ويموت ، ومع هذا عمّ الغلاء الدنيا جميعها ، ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم ، بل عمّ أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بنى آدم وغيرهم ، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر .
- وكان أول أبتدائه من بلاد القن الكبير حيث الإقليم الأول ، وبعدها من ^(٢) تيريز إلى آخرها ستة أشهر وهى بلاد الخطا والمغل وأهلها يعبدون النار والشمس ^(٣)

- (١) تمكة عن السلوك . (٢) هى — كاري في أطلس (اسبروز) الألماني التاريخي — تمتد من أذربيجان الحالية غربا إلى بقية القسطنطينية ، وشرقا إلى مملكة الخطا وبلاد الصين . وأشهر مدنها تبريز . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٤) ضبطها الفقهشندى في صبح الأعشى (ج ٤ ص ٤٨٣) بالعارة فقال : « بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهمله وألف في الآخر . والخطا : اسم يطلق على بلاد متاخمة للصين ، يسكنها جنس من الترك ، ويطلق اسم الخطا على بلاد الصين جميعها في القرون الوسطى . (راجع السلوك طبع زيادة ج ١ قسم ١ صبح الأعشى) . وتحديد كاري من أطلس اسبروز الألماني التاريخي : « تمتد بلاد (الخطا) من البلاد التي كانت تسمى بما وراء النهر جنوبا إلى منابع نهري إردش وأوبى من أنهار سيبيريا الحالية شمالا .

والقمر، وتزيد عدتهم على ثلثائة جنس فهلكوا بأجهم من غير علة ، في مشاتهم ومصايفهم وعلى ظهور خيلهم ، وماتت خيولهم وصاروا جيفة مرمية فوق الأرض ؛ وكان ذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعائة . ثم حملت الريح نقتهم إلى البلاد ، فما مرت على بلد إلا وساعة شتمها إنسان أو حيوان مات لوقته فهلك من أجناد القان خلائق لا يُحصيها إلا الله تعالى . ثم هلك القان وأولاده الستة ولم يبق بذلك الإقليم من يحكه .

ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها : بلاد أذربك^(١) وبلاد إسطنبول^(٢) وقيصريّة^(٣) الروم ، ثم دخل أنطاكية حتى أفنى من بها ، وخرج جماعة من بلاد أنطاكية^(٤) فازين من الموت فأتوا بأجهم في طريقهم ، ثم عم جبال ابن قرمان وقيصريّة^(٥) ، فقبي أهلها ودوابهم ومواشيهم ، فرحلت الأكراد خوفا من الموت فلم يجدوا أرضا إلا وفيها الموت ، فعادوا إلى أرضهم وماتوا جميعا . ثم وقع ذلك ببلاد سيس فمات لصاحبها تكفور في يوم واحد بموضع مائة وثمانون نفسا وخلصت سيس . ثم وقع في بلاد الخطا مطر عظيم لم يُعهد مثله في غير أوانه ، فماتت دوابهم ومواشيهم

(١) كانت تطلق بلاد أذربك على ما كان يسمى ببلاد القفجاق وهي أرض القبائل الذهبية التي كانت تمتد (كما يرى في أطلس اسبروز الألماني التاريخي) شمالى بحر بنطس (البحر الأسود) وبحر قزوين إلى منابع نهري لارنس وأوب من سيبيريا .

(٢) هي بلاد إسطنبول الحالية .

(٣) يراد بها قيصريّة القسطنطينية أي بلاد الأناضول (كما يرى في أطلس سبروز الألماني التاريخي) .

(٤) في السلوك : « من جبال أنطاكية » .

(٥) تقع جبال ابن قرمان في وسط تركية آسيا اليسرى ، وهي إمارة كانت في وسط بلاد الأناضول محصورة ما بين إمارات العثمانيين وغيرها ، وما بين بحر الروم (البحر الأبيض) وما بين مملكة إرمينية ومملكة خانات العراق .

عقيب ذلك المطر حتى فَنِيَتْ . ثم مات الناس والوحوش والطيور حتى خلت بلاد الخطأ وهلك ستة عشر مَلِكًا في مدّة ثلاث أشهر ، وأُفْنِيَ أَهْلُ الصَّيْنِ حتى لم يبق منهم إلا القليل ، وكذلك بالهند .

ثم وَقَعَ ببغداد أيضا فكان الإنسان يُصْبِحُ وقد وَجَدَ بوجهه طُكُوعًا ، فما هو إلا أن يَمُدَّ يده على موضع الطلوع فيموت في الوقت . وكان أولاد دمرdash قد حَصَرُوا الشيخ حسناً صاحب بغداد ، فَفَجَّاهُم الموتُ في عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار إلى الغد ، فمات منهم عدد كثيرٌ نحو الألف ومائتي رجل وستة أمراء ودواب كثيرة ^(١) ، فكتب الشيخ صاحب بغداد بذلك إلى سلطان مصر .

ثم في أول جُمادى الأولى أبتدأ الوباء بمدينة حلب ثم بالبلاط الشامية كلها وبلاد مَآرِدِين وجبالها ، وجميع ديار بكر ، وأُفْنِيَ بلاد صَفَد والقُدُس والكَرْك وناَبْلُس والسواحل وعُربان البوادي حتى إنه لم يُبْقِ ببلد جينين غير عجوز واحدة خرجت منها فائزة ، وكذلك وقع بالزملة وغيرها ، وصارت الخانات ملائنة يَجِيْفُ الموتى ، ولم يدخل الوباء مَعْرَةَ النعمان من بلاد الشام ولا بَلَد شِيرز ولا حارما .

- (١) في الأصلين : « ودواب كثير » . وما أثبتناه من السلوك . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٦) هي قلعة تشتمل على كورة بالشام . وتقع قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم . في وسطها نهر الأزد . ولقلعة شيرز شهرة كبرى في التاريخ فقد كانت مقر إمامة بني منقذ الكاكانيين منذ ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) حتى سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) . وبها ولد أسامة بن منقذ الشاعر صاحب كتاب الاعتبار في ٢٧ من شهر جمادى الثانية سنة ٤٨٨ هـ (٤ يولييه سنة ١٠٩٥ م) أي قبل ابتداء الحروب الصليبية ببضع سنين . وكتابه الاعتبار المذكور ثبت المذكرات طيلة ضافية عن تلك الحروب . وقد وصف فيها ابن منقذ تجاربه وأعماله ، وملاحظاته عن عادات الفرنج وأزيائهم زمن الحروب الصليبية وهي فريدة في بابها . وقد انتهى ملك المناقذة لقلعة شيرز سنة ٥٥٢ هـ بوفاته أتمر أمراتها تاج الدولة ناصر الدين محمد . وفي نفس العام استولت الإسماعيلية على شيرز ، ثم أخذها منهم السلطان نور الدين محمود بن زنگي سنة ٥٦٤ هـ (انظر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٣٥٣) وكتاب الروضتين لأبي شامة (ص ٩٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠) والكامل لابن الأثير (ج ١١ ص ٢٢٠) .

- وأول ما بدأ يَدْمَشُقْ ، كان يخرج خلف أذن الإنسان برةً فيختر صريعا ،
ثم صار يخرج للإنسان^(١) كبة فيموت أيضا سريعا ، ثم خرجت بالناس خيارة فقتلت
خلفا كثيرا ، ثم صار الآدمي يبصق دما ويموت من وقته ، فأشدت الهول من كثرة
الموت ، حتى إنه أكثر من كان يعيش ممن يصيبه ذلك خمسين ساعة . وبلغ عتة^(٢)
من يموت في كل يوم بمدينة حلب خمسمائة إنسان ، ومات بمدينة غزّة في ثاني
المحرم الى رابع صفر — على ما ورد في كتاب نائها — زيادة على اثنين وعشرين
ألف إنسان ، حتى غلقت أسواقها ، وشمل الموت أهل الضياع بها ، وكان آخر
زمان الحرث ، فكان الرجل يوجد ميتا خلف محراثه ، ويوجد آخر قد مات
وفي يده ما يتذكره . ثم مات أبقارهم ، وخرج رجل بعشرين رأس بقر ، لإصلاح
أرضه فماتوا واحدا بعد واحد ، وهو يراهم يتساقطون قدامه ، فعاد إلى غزّة .
ودخل ستة نفر لسرقه دار بزة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا بأجمعهم ،
وفتر نائها الى ناحية بدّعرش^(٣) ، وترك غزّة خالية ، ومات أهل قطيا وصارت
جثثهم تحت النخل وعلى الحوانيت ، حتى لم يبق بها سوى الوالى وغلّامين وجارية
عجوز ، وبعث يستعفى ، فولّى عوضه مبارك ، أستاذار طنجي .
- ثم عم الوباء بلاد الفرنج ، وأبتدأ في الدواب ثم في الأطفال والشباب ، فلما
شنع الموت فيهم جمع أهل قبرس من في أيديهم من أسرى المسلمين وقتلهم جميعا
من بعد العصر إلى المغرب ، خوفا من أن تفرغ الفرنج فتملك المسلمون قبرس ،
فلما كان بعد العشاء الأخيرة هبت ريح شديدة ، وحدثت زلزلة عظيمة ، وأمتد البحر
(١) الكبة بالضم والتشديد : غدة شبه الخراج ، وأهل مصر يطلقونها على الطاعون (عز شرح القاموس) .
(٢) رواية م : « حتى إنه أكثر ما كان يعيش من يصيبه ذلك خمسين ساعة ... الخ » .
(٣) في الأصلين : « بدعوس » وما أثبتناه عن السلوك وما تقدم ذكره في الحاشية رقم ٢ ص ١٣١
من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

في المينة نحو مائة قصبة، ففرق كثير من مراكبهم وتكسرت، فظن أهل قبرس أن الساعة قامت. فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون. ثم عادوا إلى منازلهم، فإذا أهابهم قد ماتوا، وهلك لهم في هذا الوباء ثلاثة ملوك، وأستمر الوباء فيهم مدة أسبوع، فركب منهم ملكهم الذي ملكوه رابعا، في جماعة في المراكب يريدون جزيرة بالقرب منهم، فلم يمتص عليهم في البحر إلا يوم وليلة ومات أكثرهم في المراكب، ووصل باقيهم إلى الجزيرة فأتوا بها عن آخرهم، ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار فأتوا كلهم وبخارثهم إلا ثلاثة عشر رجلا، فزوا إلى قبرس فوصلوها، وقد بقوا أربعة نفر فلم يجدوا بها أحدا فساروا إلى طرابلس، وحدثوا بذلك فلم تطل مدتهم بها وماتوا

وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا تجد ركبها بها أحدا، وفي بعضها جماعة يدعونهم أن يأخذوا من أصناف البضائع ما أحبوا بغير ثمن لكثرة من كان يموت عندهم، وصاروا يلقون الأموات في البحر، وكان سبب الموت عندهم ريح تتمر على البحر فاسعا يشمها الإنسان مقط، ولا يزال يضرب برأسه إلى الأرض حتى يموت.

وقدِمَت مراكب إلى الإسكندرية، وكان فيها أثنان وثلاثون تاجرا وثلثمائة رجل ما بين تجار وعبيد، فأتوا كلهم ولم يصل منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد، ونحو أربعين من البحارة.

وعَمَ الموتُ جزيرة الأندلس بكاملها إلا جزيرة غرناطة، فانهم نجوا، ومات من عداهم حتى إنه لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم، فأتتهم العرب من إفريقية

(١) في ف: « ربح نهب »

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٥٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

تريد أخذ الأموال إلى ن صاروا على نصف يوم منها ، فزت بهم ربح فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة^(١) ودخلها باقيهم ، فأروا من الأموات ما هالم ، وأموالهم ليس لها من يحفظها ، فأخذوا ما قدرُوا عليه ، وهم يتساقطون موتى ، فنجنا من بقي منهم بنفسه ، وعادوا إلى بلادهم وقد هلك أكثرهم ، والموت قد فشا بأرضهم أيضا بحيث إنه مات منهم في ليلة واحدة عدد كثير ، وبقيت أموال العُربان سائبة لا تجد من يراها ، ثم أصاب الغم داءً ، فكانت الشاة إذا دُبحَتْ وجد لحمها مُنتنًا قد أسود وتغير ، ومات المواشي بأسرها .

ثم وقع الوباء بأرض بركة إلى الإسكندرية ، فصار يموت في كل يوم مائة . ثم صار يموت مائتان ، وعظم عندهم حتى إنه صُلِّي في اليوم الواحد بالجامع دفعة واحدة على سبعمائة جنازة ، وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح ، وغُلقت دار الطراز لعدم الصُناع ، وغُلقت دار الوكالة ، وغُلقت الأسواق وأُريق ما بها من الخجور . وقدمها مركب فيه إفرنج فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير تحوم في غاية الكثرة ، فقصدوه فإذا جميع من فيها ميت والطير يأكلهم ، وقد مات من الطير أيضا شيء كثير ، فتركهم ومروا فوصلوا إلى الإسكندرية حتى مات منهم زيادة على ثلثهم . ثم وصل إلى مدينة دمنهور

(١) في ف : « على ظهور خيلهم » . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٢ من الجزء

الثامن من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٩ من هذا الجزء .

(٤) في السلوك : « مات زيادة على ثلثهم » . (٥) قاعدة مديرية البحيرة إحدى مديريات

الوجه البحري بمصر ، وهي من المدن المصرية القديمة ، اسمها المصري القديم دمنهور وهو اسمها الحالي

الذي لم يطرأ عليه أي تحريف من العهد الفرعوني إلى اليوم . ومعناها مدينة الإله هوريس وهو الصقر الذي

يسميه اليونان : « أبولون » . ولما تولى البطالسة حكم مصر ، وجدوا أغلب سكان مدينة دمنهور معتنقين

عبادة الإله هرمس ، ولذلك سموها هرموبوليس بارقا أي مدينة الإله هرمس الصغيرة ، تمييزا لها من

هرموبوليس عجا ، أي الكبيرة وهي الأشمونين التي بمركز ملوى . واحتفظ القبط والعرب باسمها القديم

وهو دمنهور إلى اليوم .

٥

١٠

١٥

٢٠

(١) وتروجة بالبحيرة كلها حتى بم أهلها ، وماتت دوابهم ومواشيهم وبطل من البحيرة
سائر الضمائن ، وشمل الموت أهل البرلس (٣) ونستراوة وتعطل الصيد من البحيرة
بموت الصيادين فكان يخرج في المركب عدة صيادين فيموت أكثرهم ويمود من

= دمنهور هي قاعدة إقليم غربي الدلتا من عهد الفراعنة . ولما تولى العرب حكم مصر أطلقوا على
هذا الإقليم اسم الحوف الغربي ، وقسموا مدينة دمنهور إلى ست نواح ، وهي دمنهور الوحش واسكنيدة
(سكنيدة) وقرطسا وطاموس (أبو الريش) ونقرها وشبرينا (شبرا الدمنهورية) ، وجعلوا لكل ناحية من
هذه النواحي زماما خاصا بها من الأراضي الزراعية وسكنا معروفا باسمها ، وسكن هذه النواحي يجمعه الآن
سكن واحد يطلق عليه اسم دمنهور .

وفي أيام الدولة الفاطمية قسم الحوف الغربي إلى كورتين ، وهما كورة البحيرة وقاعدتها دمنهور ، وكورة
حوف رمسيس وقاعدته مدينة رمسيس ، وهذه اليوم إحدى قرى مركز إيتاي البارود .
وفي سنة ٧١٥ هـ أصدر الملك الناصر محمد بن قلاوون مرسوما بإلغاء حوف رمسيس ، وجعل البحيرة كلها
إقليما واحدا باسم البحيرة وقاعدته مدينة دمنهور .

وبسبب زيادة عدد سكان هذه المدينة وكثرة ما يقع فيها من مخالفات اللوائح العامة التي نشأ عنها كثرة
أعمال الضبط والأعمال الإدارية والمالية ، أصدر ناظر الداخلية قرارا في فبراير سنة ١٩١٢ بفصل مدينة
دمنهور عن بلاد مركز دمنهور ، وجعلها مأمورية قائمة بذاتها باسم بندر دمنهور .

ومدينة دمنهور هي اليوم من كبريات المدن المصرية يبلغ عدد سكانها حوالي ٦٦٠٠٠ نفس ، وبها كل
ما يلزم سكانها من معاهد العلم على اختلاف أنواعها ، وبها كلية الزراعة التابعة لجامعة فاروق الأول
بالاسكندرية ، وبها المساجد والمستشفيات والمصالح الأميرية والمحاكم ، ومحال القطن الكبيرة والمحال التجارية
التي يباع فيها كل ما يستحق حاجات الناس ، وكذلك بها الفنادق والأندية وأماكن الألعاب الرياضية ودور
السینما ، وهي بالإجمال من المدن المصرية الجامعة لأسباب الحضارة ووسائل المدنية .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) في السلوك :
« فبطل من الوجه البحري سائر الضمائن والموجبات السلطانية » . (٣) راجع الحاشية رقم ١
ص ٢٤٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) يستفاد مما ورد في معجم البلدان لياقوت
وفي الانتصار لابن دقاق ، أن نستراوة يقال لها نسترو : بلدة واقعة بين البحر الملح وهو البحر الأبيض
المتوسط وبين بحيرة نستراوة ، وهي بحيرة البرلس وليس بها زراعة ويشغل أهلها بصيد الأسماك ، وكانوا
يدفعون للحكومة ضريبة تختلف قيمتها بسبب قلة الصيد وكثرته من ١٧٥٠٠ دينار إلى ٥٠٠٠٠ دينار
سنويا ، وأغلب غذاء أهلها السمك وماء الشرب ينقل إليهم من النيل في المراكب .

وكانت نسترو قاعدة لبلاد القسم الواقع على البحر الأبيض ومنها البرلس وبلطيم . وبالبحث عن مكان
هذه البلدة تبين لي ، أنها اندثرت من القرن الثامن عشر الميلادي ، ومكانها اليوم يعرف بكمم مسطورة
في الساحل الريلي الممتد على شاطئ البحر الأبيض ، في المسافة بين فرع النيل الغربي وهو فرع رشيد وبين
البرلس . وكانت بحيرة البرلس تعرف قديما باسم بحيرة نسترو نسبة إلى تلك البلدة .

بقي منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله . ووُجِدَ في جِيتان البطارخ شيءٌ متن، وفيه على رأس البطارخة كُتِبَ ^(١) متنَةٌ قدر البُنْدَقَة قد أسودت . ووُجِدَ في جميع زراعات البُرْلُس وبلحها دُودٌ، وتَلَفَ أكثر تمر النخل عندهم ، وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري لا يوجد من يدفنها .

ثم عَظُمَ الوَبَاءُ بِالْحَلَّةِ حتى إن الوالى كان لا يجد من يشكو إليه ؛ وكان القاضى إذا أتاه من يُريد الإِشهاد على شخص لا يجد من العدول أحداً إلا بعد عناء لفلتهم . وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها ، وماتت الفلاحون بأسرهم إلا القليل ، فلم يوجد من يضمّ الزرع ، وزهد أربابُ الأموال في أموالهم وبذلوها للفقراء ، فبعث الوزير منبجك إلى الغربية ، كريم الدين ابن الشيخ مستوفى الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة ، فدخلوا على سُبَّاط وسمنود وبوصير وسنهور ونحوها من البلاد ، وأخذوا مالا كثيرا ، لم يُخَيِّضُوا منه سوى ستين ألف درهم .

(١) في السلوك : « البطرخة » . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٨ من هذا الجزء .

(٣) سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٨ ص ٣٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٥) سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٣١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٦) يوجد بمصر عدة قرى باسم « بوصير » والمقصودة هنا بوصير التي بمديرية الغربية ، وهى من المدن المصرية القديمة ، اسمها المصرى القديم « براوزا » ومعناها محل إقامة الإله « أوزيريس » واسمها الرومى « بوزريس » والقبطى « بوصير » ، وهو اسمها العربى الذى حُرف إلى أبو صير وهو اسمها الحالى ويقال لها صير بنا لمجاورتها لبلدة بنا أبو صير وتمييزا لها عن القرى الأخرى المسماة أبو صير بمصر . وكانت بوصير قاعدة القسم التاسع بالوجه البحرى قديما ، وكانت في عهد العرب قاعدة كورة (قسم) من كور بطن الريف ، وكانت بلدة كبيرة عامرة ؛ بها أسواق وحمامات ومتاجر ، وهى الآن بلدة زراعية ضمن قرى مركز سمنود بمديرية الغربية بمصر . تبلغ مساحة أراضيها ٤٤٣٢ فداناً ، وسكانها حوالى ٨٥٠٠ نفس بما فيهم سكان العرب التابعة لها .

(٧) يوجد بمصر عدة قرى باسم سنهور . والمقصود هنا سنهور المدينة التى بمديرية الغربية ، وهى من المدن المصرية القديمة ، ذكرها ابن حوقل في كتاب المسالك بأنها مدينة ذات إقليم كبير عليه عامل أى حاكم وبها أسواق وحمامات وفنادق ، ولها غلات كثيرة من القمح والكتان وقصب السكر . وتعرف اليوم باسم سنهور المدينة ، تمييزا لها عن القرى الأخرى التى باسم سنهور في مصر . وهى الآن من بلاد مركز دسوق بمديرية الغربية ، تبلغ مساحة أراضيها ٥٩٨٩ فداناً وعدد سكانها حوالى ١٢٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العرب التابعة لها .

- وعجز أهل بلبيس وسائر الشرقية عن صَمّ الزرع لكثرة موت الفلاحين . وكان
أبتداء الوباء عندهم من أول فصل الصيف الموافق لأثناء شهر ربيع الآخر من
سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ففاحت الطُّرُقَات بالموتى ، ومات سُكَّان بيسوت
الشَّعْر ودوائهم ومواشيهم ، وأمتلأت مساجد بلبيس وفناديقها وحوانيتها بالموتى ،
ولم يبق مؤذَنٌ ، وطُرحَت الموتى بجامعها ، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى . ٥
- ثم قَدِمَ الخبرُ من دِمَشق أن الوباء كان بها آخر ما كان بطرابلس وحمّة
وحلب ، فلما دَخَلَ شهر رجب والشمس في بُرْج المِيزَان أوائل فصل الخريف ،
هبت في نصف الليل ريحٌ شديدة جدًّا ، واستمرت حتى مَضَى من النهار قَدْرُ
ساعتين ، فأشدت الظُّلْمَة حتى كان الرجل لا يرى من بجانبه . ثم آنجَلَتْ وقد
عَلَتْ وجوه الناس صُفْرَةً ظاهرة في وادي دِمَشق كُلِّه ، وأخذ فيهم الموتُ مدّة ١٠
- شهر رجب فبلغ في اليوم ألفًا ومائتي إنسان ، وبَطَلَ إطلاق الموتى من الديوان ،
وصارت الأموات مطروحة في البساتين على الطُّرُقَات ، فقَدِمَ على قاضى القضاة
تَقَى الدين السُّبْكِيّ قاضى دِمَشق رجلٌ من جبال الرُّوم ، وأخبر أنه لما وَقَعَ الوباء
ببلاد الروم رأى في نومه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ما نَزَلَ بالناس من
الفناء فأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : « اقرءوا سورة نوح ثلاثة آلاف ١٥
- وثلاثمائة وستين مرّة ، وأسألوا الله في رفع ما أتم فيه » فعرّفهم ذلك فأجتمع الناس
في المساجد ، وفعلوا ما ذكر لهم ، وتضرّعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه من ذنوبهم .
وذبحوا أبقارًا وأغنامًا كثيرة للفقراء مدّة سبعة أيام ، والفناء يتناقص كل يوم
حتى زال . فلما سمع القاضي والنايب ذلك نُودِيَ بدِمَشق بأجتماع الناس بالجامع
لأُمّوى . فصاروا به جمعًا كبيرًا وقرءوا « صحيح البخارى » في ثلاثة أيام وثلاث ٢٠

ليال . ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلّى وكشفوا رؤوسهم وفتحوا بالدعاء ، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة .

وكان آبتداؤه بالقاهرة ومصر في النساء والأطفال ثم بالساعة حتى كثرت عدد الأموات ، فركب السلطان إلى سرياقوس ، وأقام بها من أول شهر رجب إلى العشرين منه ، وقصد العود إلى القلعة فأشير عليه بالإقامة في سرياقوس وصوم رمضان بها .

ثم قدّم كتاب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه فشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء ، فأمره صلى الله عليه وسلم بالتوبة ، والدعاء بهذا الدعاء المبارك وهو : « اللهم سكن هبة صدمة قهرمان الجبروت بالطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت ، حتى تنشبت بأذيال لطفك ، ونقصم بك عن إنزال قهرك ، إذا القوة والعظمة الشاملة ، والقُدرة الكاملة ، إذا الجلال والإكرام » . وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حمّة وطرابلس ودمشق .

وفي شعبان تزايد الوباء بديار مصر ، وعظم في شهر رمضان وقد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع في الجوامع للدعاء ، في يوم الجمعة سادس شهر رمضان ، فنودي أن يجتمع الناس بالصنائح الخليفية والمصاحف ، إلى قبة النصر خارج القاهرة ، فأجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة ، وخرج المصريون إلى مصلّى

(١) في العلوك : « اللهم سكن غيبة » . (٢) في السلوك وم « صدمة قهرمان الحروب » .

(٣) في هامش م عن نسخة أخرى : « اللهم سكن هبة صدمة قهرمان الجبروت ، بالطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت . حتى تنشبت بأذيال لطفك ، ونقصم بك عن إنزال قهرك ، إذا القوة الكاملة والقُدرة الشاملة . يا حي يا قيوم إذا الجلال والإكرام . اللهم يا أولي الولاء ، يا كاشف الضر والبلاء ، اصرف عنا القحط والنار والطاعون والوباء ، بحق آدم وحواء ، وبحق محمد المصطفى وآله المرتضى ، وما دميت إذ رميت ولكن الله رمى ، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين » . من كتاب « أعجب العجائب » لمحمود ابن قاضي مينا .

(١) خولان بالقصرافة ، واستمرت قراءة البخارى بالجامع الأزهر وغيره مدة أيام ، والناس يدعون إلى الله تعالى ويُقْتَتُونَ في صلواتهم . ثم خرجوا إلى قبة النصر وفيهم الأمير شيخون والسوزير مَنَجَك اليوسفى والأمراء بملبسهم الفاخرة من الذهب وغيره ، في يوم الأحد ثامن شهر رمضان .

(٢) ومات في ذلك اليوم الرجل الصالح . يدعى عبد الله المتوفى ، تغمده الله برحمته ، وأعاد علينا من بركاته ، فصلى عليه ذلك الجمع العظيم ، وعاد الأمراء إلى سرياقوس وأنفض الجمع ، وأشدت الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الموتى .

فلما آقضى شهر رمضان حضر السلطان من سرياقوس ، وحادث في الناس في شوال نفث الدم ، فكان الإنسان يحس في نفسه بحمارة ويمجد غثياناً فيصق دماً ويموت عقيبته ، ويتبعه أهل داره واحداً بعد واحد حتى يقفوا جميعاً بعد ليلة .

(١) تكلم عليه المقرئ في خطبة عند الكلام على المصليات والمحاريب التي بالقرافة الكبرى (ص ٤٥٤ ج ٢) فقال : إن هذا المصل عرف بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر يقال لهم خولان ، وهم من قبائل اليمن . ثم قال : إن موضعه يعرف بالمصل القديم عند درب السباع ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر سنة ٢١٠ هـ ، ثم بناه أحمد بن طولون في سنة ٢٥٦ هـ واسمه باق عليه إلى اليوم . ثم قال : ولما ضاق المصل بالناس ، في إمارة عنبسة بن إسحاق الضبي على مصر . بنى المصل الجديد في سنة ٢٤٠ هـ وهو الذي بالصحرى عند الجارودي ، ثم جددته الحاكم في سنة ٤٠٣ هـ .

و يستفاد مما ذكره ابن إياس في تاريخ مصر في حوادث سنة ٩٠٢ هـ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ من الجزء الثاني : أن مصل خولان كان بالقرافة الكبرى . بالجبهة الجنوبية لمشهد السيدة فغيسة رضى الله عنها . وبالبحت عن مكان هذا المصل تبين لي ، أنه كان واقفاً في النهاية الشمالية الشرقية من أرض القسرافة الكبرى . وفي شمال قبر القاضي بكارين فغيبه ، أى في أرض المثلث الذى يحده اليوم من الشرق ، جبانة الامام الشافعى ، والسور الذى أنشأه محمد على الكبير لنقل الماء عليه إلى الامام الشافعى ومن الشمال ، النقطة التى تلاقى فيها ذلك المجرى بمجرى العيون الموصل إلى القلعة ومن الغرب ، بقايا قديم من سور مدينة القسطنطين الذى يتفرغ من النقطة السالف ذكرها متجهاً إلى الجنوب ، ويفصل بين أطلال مدينة القسطنطين وبين القرافة الكبرى .

(٢) في الأصلين : « في يوم الاثنين ثامن شهر رمضان » والسباق بإياه لأن أول رمضان سنة ٧٤٩ هـ يوم الأحد ، كما ورد في التوقيعات الإلهامية والسلوك . (٣) سيذكر المؤلف وقائه في حوادث سنة ٧٤٩ هـ (٤) في الأصلين : « عن حضور الموتى » وتصحيحه عن السلوك وما يقتضيه السباق .

أو ليتين ، فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء، وأستعد الناس جميعا وأكثروا من الصدقات ، وتحالّوا وأقبلوا على العبادة، ولم يحتاج أحد في هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء لسرعة الموت ، فما أنتصف شوال إلا والطرق والأسواق قد امتلأت بالأموات ، فانتدب جماعة لمواراتهم وأقطع جماعة للصلاة عليهم ، وخرج الأمر عن الحد، ووقع العجز عن العدد، وهلك أكثر أجناد الحلقة وخلت الطباق بالقلمة من الممالك السلطانية لموتهم .

فما أهل ذو القعدة إلا والقاهرة خالية مقيمة^(١)، لا يوجد بشوارعها مأثر، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لا اشتغال الناس بالموثى، وعلت الأثرية على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلات الأماكن بالصياح، فلا تجد بيتا إلا وفيه صيحة، ولا تمر بشارع^(٢) إلا وترى فيه عدة أموات. وصل في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكى فصفت التوابيت آئين آئين من باب مقصورة الخطابة إلى باب الجامع، ووقف الإمام على القبة والناس خلفه خارج الجامع . وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة من الناس، وصار بحارة برجوان آئنتان وأربعون دارا خالية، وبقيت الأزقة والدروب المتعددة

(١) سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) هي من الحارات الكيرة القديمة بالقاهرة، تنسب إلى الأستاذ أبى الفتوح برجوان، كان من جملة خدام القصر في أيام الخليفة العزيز بالله نزار الفاطمى، ثم صار بعد ذلك مدير مملكة الحاكم بأمر الله . والحارة هنا ليس المقصود بها الطريق الذى يمر فيه الناس بين المساكن كما هو معروف اليوم ، بل إن الحارة هي كل محلة دنت منازلها، والمحلة منزل القوم ، وعندما بنى الفاطميون القاهرة جعلوها حارات، فالحارة كالخط، جزء من مجموع مباني القاهرة، تتخللها الطرق وفيها المساجد والمدارس . الأسواق والحمامات وغيرها ، وإلى اليوم يقال لشيخها شيخ حارة .

وحارة برجوان لا تزال من الحارات الشهيرة في القاهرة ، سفل المحطة التى يتوسطها اليوم شارع برجوان وحارة برجوان وما تنفرج منهما من العطف والأزقة بقسم الحامية بالقاهرة .

جالية، وصار أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها ، وإذا وِثَ إنسان شيئا أنقل
في يوم واحد [عنه^(١)] لربيع وخامس .

وحُصِرَت عِدَّة من صُلِّيَ عليه بالمصلّيات التي خارج باب النصر وباب زويلة
وباب المحروق وتحت القلعة ، ومصلّى قتال السبع تُجاه باب جامع قوصون^(٢)
في يومين فبلغت ثلاث عشرة ألفا وثمانمائة ، سوى من مات في الأسواق والأحكار ،
وخارج باب البحر وعلى الدكاكين وفي الحسينية وجامع ابن طولون^(٣) ، ومن يتأخر دفنه
في البيوت .

ويقال : بلغت عِدَّة الأموات في يوم واحد عشرين ألفا ، وحُصِرَت الجناز
بالقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان فكانت تسعمائة ألف ، سوى من مات

- ١٠ (١) تكملة عن السلوك يقتضيا السياق . (٢) يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام
على جامع قوصون (ص ٣٠٧ ج ٢) أن هذا الجامع أصله دار الأمير جمال الدين آقوش المنصوري المعروف
بقتال السبع الموصلي ثم أخذها قوصون من ولده وهدمها وأقام في مكانها جامع المعروف في شارع محمد علي بالقاهرة .
وبما أن المؤلف قال : إن مصلّى قتال السبع تُجاه باب جامع قوصون ، في حين أن لهذا الجامع ثلاثة
أبواب : أحدها البحري في درب الأغوات والثنائي الشرقي في شارع السروجية وهما بابان قديمان ،
والباب الثالث بشارع محمد علي وهو باب حديث أنثى بعد سنة ١٨٧٣ م التي فتح فيها شارع محمد علي .
وقد تكلمت على هذا الجامع في الحاشية رقم ١ ص ٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
- ١٥ وبالبحث عن مكان مصلّى قتال السبع عند الباحثين القديمين تبين لي أن هذا المصلّى يقع تُجاه الباب
الشرقي الذي بشارع السروجية ، ومكانه اليوم مدرسة الأمير جاثم البهلوان بشارع السروجية بالقاهرة .
- (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) يقصد بذلك المنطقة
التي بها اليوم ميدان محطة القاهرة وميدان باب الحديد وما جاورهما إلى بولاق . وقد سبق التطبيق على
باب البحر في الحاشية رقم ١ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٥) يقصد بذلك
حارة الحسينية السابق التطبيق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
- ٢٠ (٦) يقصد بذلك خط جامع ابن طولون . وأما الجامع ذاته فسبق التطبيق عليه في الحاشية رقم ١
ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٧) إن هذا العدد مبالغ فيه كثيرا ، ولعل المؤلف
يقصد تسعين ألفا ، لأن التاريخ دللنا على أن عدد سكان القاهرة وضواحيها لم يزد في أي سنة من السنين
السابقة للقرن الماضي عن خمسمائة ألف نفس على أكثر تقدير فكيف يكون عدد الموق تسعمائة ألف
في سنة ٧٤٩ هـ في المدينة الأصلية دون الضواحي .

بالأحكار والحسنية والصليبية وباقي الخطط خارج القاهرة وهم أضعاف ذلك،
وعُدَّت النعوش وكانت عدَّتْها ألفا وأربعائة نَعش، فحُمِلَت الأموات على الأقفاص
ودرَّأ ريب الحوانيت، وصار يُحمَل الأثنان والثلاثة في نعش واحد وعلى أوح واحد،
وطُلبت القزاء على الأموات فأبطل كثير من الناس صناعاتهم^(١)، وأنْتَدَبُوا للقراءة^(٢)
على الجنائز، وعَمِل جماعة مَدْرَاء وجماعة غَسَّالاً وجماعة تصدَّوا لحمل الأموات،
فقالوا بذلك جُملاً مستكثرة. وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم، وإذا وصل إلى
المصلاة تركه وأنصرف لآخر، ويأخذ الحمال ستة دراهم بعد الدخلة^(٣) [عليه]، وصار
الحفَّار يأخذ أجرة حفر كل قبر خمسين درهما، فلم يُمتنع أكثرهم بذلك وماتوا.

ودخلت امرأة غاسلة لتُغسل امرأة فلما جردتها من ثيابها، ومرت بيدها على
موضع الكبة صاحت الغاسلة وسقطت ميتة، فوجدوا في بعض أصابعها التي
لمست بها الكبة كبة قدر الفولة، وصار الناس يميِّتون بموتاهم في التُّرب لمعجزهم عن
تواربهم، وكان أهل البيت يموتون جميعاً وهم عشرات، فلا يوجد لهم سوى نعش
واحد يُنقلون فيه شيئاً بعد شيء، وأخذ كثير من الناس دُوراً وأموالاً بفقر استحقاق
لموت مُستحقها فلم يُحمَل أكثرهم بما أخذ حتى مات بعدهم بسرعة، ومن عاش منهم^(٤)
استغنى [به]، وأخذ كثير من العامة إقطاعات حلقه^(٥).

(١) درارب جمع درابة (فتح الدال وتشديد الراء) وهي أحد مصراعي باب الدكان الذين ينطبق
الأعلى منها على الأسفل مولدة (عن دوزي) . (٢) في الأصلين : « صناتهم » وما أثبتناه
عن السلوك . (٣) في السلوك : « وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز » . (٤) جمع مادر
وهو الذي يقدِّر القبر أى يصلحه بالمدر الذي هو قطع الطين اليابس . (د) زيادة عن هامش « م » .
(٦) في « م » : « فلم يجل » . وما أثبتناه عن « ف » والسلوك وهامش « م » ، وهو مشتق من
يل فلان عمره استغنى منه . (٧) زيادة عن السلوك . (٨) في م : « من العامات » .

وقام الأمير شيخون العمري والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الأموات وتكفينهم ودفنهم . وبطل الأذان من عدة مواضع ، وبقي في المواضع المشهورة يُؤذّن مؤذن واحد ، وبطلت أكثر طبليخانة الأمراء ، ٢٠ ار في طبليخانة الأمير شيخون ثلاثة نفر بعد خمسة عشر نفراً . وغُلقت أكثر المساجد والزوايا . وقيل إنه ما وُلِدَ لأحد في هذا الوباء إلا ومات الولد بعد يوم أو يومين ولحقته أمته .^(١) ثم شمل في آخر السنة الوباء بلاد الصعيد بأسرها ولم يدخل الوباء أرض أسوان ،^(٢) ولم يمت به سوى أحد عشر إنساناً . ووجدت طيور كثيرة ميتة في الزروع ما بين غريان وحداة وغيرها من سائر أصناف الطيور ، فكانت إذا أُتِفقت وُجد فيها أثر الكبة .

- ١٠ وتواترت الأخبار من الفور وبيسان وغير ذلك أنهم كانوا يمدون الأسود والذئاب وحمم الوحش ، وغيرها من الوحوش ميتة وفيها أثر الكبة . وكان ابتداء الوباء أول أيام التخضير ،^(٣) فما جاء أو أن الحصاد حتى فنوا الفلاحون ولم يبق منهم إلا القليل ، نخرج الأجناد بغلمانهم للصيد ونادوا : من يحصد يأخذ نصف ما حصد ، فلم يحدوا واحداً ، ودَرسوا غلاتهم على خيولهم وذروها بأيديهم ، وعجزوا عن غالب الزرع فتركوه ، وكان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى واحد حتى إلى السابع والثامن ، فأخذ إقطاع الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والأما كفة ، وركبوا الخيول ولبسوا الكفتاه والقباء . وكثير من الناس لم يتناول في هذه السنة من إقطاعه شيئاً ، فلما جاء النيل ووقع أو أن التخضير

(١) في الأصلين : « إلا ومات الوالد » والسياق يأباه .

(٢) في الأصلين : « ولم يدخل الوباء تفراسوان » وما أئتناء عن هاشم ف .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٥ من هذا الجزء . ورواية السلوك : « من الثور » .

(٤) في السلوك : « فإن الوباء ابتداء في آخر أيام التخضير » .

(١)
تعذر وجود الرجال فلم يُخَضَّر إلا نصف الأراضى، ولم يوجد أحدٌ ليشتري القُرط
الآخضر ولا من يربط عليه خيوله، وترك ألفاً وخمسمائة فدان بناحية ناي وطان،
(٢) وأنكسرت البلاد التي بالضواحي ونحريت. وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها،
بحيث كانت مكلفة مساحة أرض أسيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يؤخذ منها
الخراج، فصارت في سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفراً.

ومع ذلك كان الرخاء موجوداً وانحطَّ سعر القماش حتى أبيع بخمس ثمنه وأقل،
ولم يوجد من يشتريه، وصارت كُتُبُ العِلْم يُنادى عليها بالأحمال، فيباع الحِملُ
منها بأرخص ثمن. وانحطَّ قدر الذهب والفضة حتى صار الدينار بخمسة عشر درهماً،
بعد ما كان بعشرين. وعَدِمَت جميع الصناعات، فلم يوجد سقاء ولا باباً ولا غُلام. (٣)
وبلغت جَامِيَةُ الفِلاَم ثمانين درهماً، عنها خمس دنانير وثلاث دنانير، فُسِدِي
بالقاهرة: من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضُرب جماعة منهم، وبلغ ثمنُ
راوية الماء ثمانية دراهم لقلة الرجال والحمال، وبلغت أجرة طحن الإردب
القمح ديناراً (٤).

(١) القرط: هو النبات الذي يعرف اليوم باسم البرسيم وهو مخصص لغذاء الدواب على اختلاف أنواعها
في فصل الشتاء بمصر، وما يجفف منه يسمى الدريس. (٢) ناي: قرية من القرى المصرية
القديمة اسمها المصري «نانهاى» ثم حرف في العصر العربي إلى «ناى» وهى الآن قرية بمركز قليوب
بمديرية القليوبية. تبلغ مساحة أراضيها ١٧٦٨ فداناً وسكانها حوالى ٣٥٠٠ نفس بما فيهم سكان
العزب التابعة لها. (٣) هى من القرى المصرية القديمة، اسمها المصري «تانت» ثم حرف في عهد
العرب إلى «طان». ذكرها ياقوت في معجم البلدان فقال: إنها من أعيان قرى مصر ذات بساتين.
وهى الآن قرية بمركز قليوب بمديرية القليوبية. مساحة أراضيها ٢٥٤٠ فداناً وسكانها حوالى عشرة
آلاف نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها. (٤) فى السلوك: «وعدمت جميع الصناعات». (٥)
البابا، هو غاسل الثياب (عن معبد النعم وببئد النعم) طبع أوروبا ص ١٩٦ لتاج الدين السبكي.
وفي شفاء الغليل هو المزين. ورواية السلوك: «ولا يربوا». (٦) عبارة السلوك: «وبلغت
جَامِيَةُ غلام الخيل ثمانين درهماً في كل شهر بعد ثلاثين درهماً». (٧) فى السلوك «وبلغت
أجرة طحن الإردب القمح خمسة عشر درهماً».

ويقال : إن هذا الوباء أقام يدور على أهل الأرض مدة خمسة عشرة سنة .
قلت : ورأيت أنا من رأى هذا الوباء ، فكان يسمونه الفصل الكبير ،
ويسمونه أيضا بسنة الفناء ، ويتحاكون عنه أضعاف ما حكيناه ، يطول الشرح
في ذكره .

وقد أكثر الناس س ذكر هذا الوباء في أشعارهم فما قاله شاعر ذلك العصر
الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة :
[الخفيف]

سربنا عن دِمَشْق يا طالبَ العَيْدِ * يش فإ في المَقَامِ للرَّغْبَةِ
رَخِصَتْ أَنْفُسُ الْخَلَائِقِ بِالطَّأ * عَوْنِ فِيهَا فَكُلُّ نَفْسٍ بِجَبَّةٍ

وقال الشيخ صلاح الدين الصِّفْدِي وأكثر في هذا المعنى على عادة إخوانه ،
فما قاله في ذلك :
[الوافر]

رَعَى الرَّحْمَنُ دَهْرًا قَدْ تَوَلَّى * يُجَاوِزُ بِالسَّلَامَةِ كُلَّ شَرْطٍ
وَكَانَ النَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ أَمْرٍ * بِحَاطَعُوهُمْ مِنْ تَحْتِ إِبْطِ

وقال أيضا :
[الكامل]

قَدْ قُلْتُ لِلطَّاعُونَ وَهُوَ بَغْزَةٌ * قَدْ جَالَ^(١) مِنْ قَطْبًا إِلَى بَيْرُوتِ
أَخْلَيْتَ أَرْضَ الشَّامِ مِنْ سُكَّانِهَا * وَأَتَيْتَ^(٢) يَاطَاعُونَ بِالطَّاعُوتِ

وقال الشيخ بدر الدين حسن [بن عمر بن الحسن]^(٣) بن حبيب في المعنى من قصيدة
أولها :
[الخفيف]

(١) كذا في م والسلوك . وفي ف : « قد جاك » . (٢) كذا في م . وفي السلوك :
« وحسنت » ... الخ . وفي ف : « ربحت ... الخ » . (٣) التكلة عن الدرر الكامنة والمنهل
الصابي . وسيد ذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٠٩ هـ .

إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ يَفْتِكُ فِي الْعَا * لَمْ فَتَكَ امْرِئٌ ظَلُومٌ حَسُودٌ^(١)
وَيَطُوفُ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا * وَيَسُوقُ الْخُلُوقَ^(٢) نَحْوَ الْمُتَّوِدِ
وَلَا بَنَ الْوَرْدِي فِي الْمَعْنَى :

[البسيط]

قَالُوا فَسَادُ الْمَوَاءِ يُرْدِي * فَقُلْتُ يُرْدِي هَوَى الْفَسَادِ
كَمْ سَبَّاتٍ وَكَمْ خَطَايَا * نَادَى عَلَيْكُمْ بِهَا الْمُتَّادِي

وقال أيضا :

[الزمل]

حَلَبٌ - وَاللَّهُ يَكْفِي * شَرَّهَا - أَرْضُ مَشَقَّةٍ
أَصْبَحَتْ حَيَّةً سُوءٍ * تَقْتُلُ النَّاسَ بَرَقَّةٍ

ولابن الوردي أيضا :

[الرجز]

إِنَّ الْوَبَا قَدْ غَلَبَا * وَقَبْذُ بَدَا فِي حَلَبَا
قَالُوا لَهُ عَلَى الْوَرَى * كَأَنَّ وَرَا قُلْتُ وَبَا

وقال أيضا :

[الكامل]

سُكَّانَ سِيَسٍ يَسْرِهُمْ مَا سَاءَنَا * وَكَذَا الْعَوَائِدُ مِنْ عُدُوِّ الدِّينِ
اللَّهُ يُنْفِذُهُ إِلَيْهِمْ عَاجِلًا * لِيَمْزِقَ الطَّاغُوتَ بِالطَّاغُوتِ

وقال الأديب جمال الدين إبراهيم المعمار في المعنى :

[الزمل]

فُبِحَ الطَّاغُوتُ دَاءً * فَقَدْتُ فِيهِ الْأَجَّةَ
بِيعَتِ الْأَنْفُسُ فِيهِ * كُلُّ إِنْسَانٍ بِحَبَّةٍ

(١) رواية السلوك : « حقود » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ف . ورواية السلوك : « ويسوق العباد ... الخ » .

(٣) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٤٩ هـ .

(٤) هو إبراهيم بن علي المعمار المعروف بعلام النوري . مات في الطاعون سنة ٧٤٩ هـ .

(عن الدرر الكامنة) .

وله أيضا في المعنى :

[السريع]

يا طالب الموت أَفِئْ وَأَنْتِيَه * هذا أَوَانُ الموتِ ما فاتا
قد رَخَّصَ الموتُ على أهله * ومات مَنْ لا عُمْرُهُ مَاتَا

ثم أخذ الوباء يتناقص في أول المحرم من سنة خمسين وسبعائة .

- ثم في يوم الأربعاء تاسع عشر من ربيع الأول ، ورد الخبر بقتل الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام ، وأمره غريب ، وهو أنه لما كان نصف ليلة الخميس ثالث عشرينه وهو بالقصر الأبلق بالميدان خارج مدينة دمشق ومعه عياله ، وإذا بصوت قد وقع في الناس بدخول العسكر ، فثاروا بأجمعهم ودارت النقباء على الأمراء بالركوب ليقفوا على مرسوم السلطان ، فركبوا جميعا إلى سوق الخيل تحت القلعة ، فوجدوا الأمير أُلجِيغًا المظفرى نائب طرابُلُس وإذا بالأمير أرغون شاه نائب الشام مُكْتَفً بين ممالك الأمير إياس ؛ وخبر ذلك أن أُلجِيغًا لما ركب من طرابُلُس سار حتى طَرَقَ دِمَشْقَ على حين غَفْلَةٍ ، وركب معه الأمير نحر الدين إياس السَّلاح دار ، وأحاط إياس بالقصر الأبلق وطَرَقَ بابه ، وعلم الخدّام بأنه قد حَدَثَ أمر مهم فأيقظوا الأمير أرغون شاه ، فقام من قمره وخرج إليهم فقبضوا عليه ، وقالوا له : حضر مرسوم السلطان بالقبض عليك ، والعسكر واقف ، فلم يَجْسُرْ أحد أن يَدْفَعْ عنه ، وأخذ الأمير إياس وأتى به أُلجِيغًا فسَلَّمَ أمراء دِمَشْقَ على أُلجِيغًا ، وسألوه الخبر ، فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دِمَشْقَ بمسكّر طرابُلُس ، والقبض على أرغون شاه المذكور وقتله ، والحوطة على

(١) في الأصلين : « ثاني عشر المحرم المذكور » والتصويب من السلوك .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٧٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ماله وموجوده ، وأخرج لهم كتاب السلطان بذلك ، فاجابوا بالسمع والطاعة ،
وعادوا الى منازلهم ونزل الجبيغا الى الميدان ، وأصبح يوم الخميس فوقع الحوطة على
موجود أرغون شاه وأصبح يوم الجمعة رابع عشرين ربيع الأول أرغون شاه المذكور
مذبوحا ، فكتب الجبيغا محضرا أنه وجد مذبوحا والسكين في يده ، (يعنى أنه
ذبح نفسه) فانكر عليه كونه لما قبض أموال أرغون شاه ، لم يرفعها الى قلعة دمشق
على العادة ، وأتهموه فيما فعل ، وركبوا جميعا لقتاله في يوم الثلاثاء ثامن عشرينه
فقاتلهم الجبيغا المذكور وجرح الأمير مسعود بن خطير ، وقطعت يد الأمير الجبيغا
العادلى أحد أمراء دمشق ، وقد جاوز تسعين سنة ، فعند ذلك ولّى الجبيغا المظفرى
نائب طرابلس ، ومعه خيول أرغون شاه وأمواله ، وتوجه الى نحو المزة ومعه الأمير
إياس نائب حلب كان ، ومضى الى طرابلس .

وسبب هذه الواقعة أن إيаса لما عزل عن نيابة حلب وأخذت أمواله
وُجِن ، ثم أُفْرِج عنه وأستقر في جملة أمراء دمشق ، وعدّوه أرغون شاه الذى كان
سعى في عزله عن نيابة حلب نائبها ، فصار أرغون شاه يهينه ويحرق به ، وأنفق أيضا
إخراج الجبيغا من الديار المصرية الى دمشق أميرا بها ، فترفع عليه أيضا أرغون شاه
المذكور وأذله ، فأتفق الجبيغا وإياس على مكيدة ، فأخذ الجبيغا في السعى على خروجه
من دمشق عند أمراء مصر ، وبعث الى الأمير بييغا أُرْس نائب السلطنة بالديار
المصرية ، ولى أخيه الأمير منبجك الوزير هدية سنوية فولاه نيابة طرابلس ، وأقام
بها الى أن كتب يعزف السلطان والأمراء أن أكثر عسكر طرابلس مقيم بدمشق .
وطلب أن نائب الشام يردهم الى طرابلس ، فكتب له بذلك فشق على أرغون شاه

(١) في الأصلين : « رابع عشرين المحرم » وتصحيحه عن السلوك .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

نائب الشام كون ألبخيفا لم يكتب إليه ، وأرسل كاتب السلطان في ذلك فكتب إلى ألبخيفا بالإنكار عليه فيما فعل ، وأغلظ له في القول ، وحمل البريدي إليه مشافهة شنيعة ، فقامت قيامة ألبخيفا لما سمعها ، وفعل ما فعل ، بعد أن أوسع الحيلة في ذلك ، فاتفق مع إياس فوافقه إياس أيضا ، لما كان في نفسه من أرغون شاه حتى وقع ما ذكرناه .

- وأما أمراء الديار المصرية فإنهم لما سمعوا بقتل الأمير أرغون شاه ارتاعوا ، وأتهم بعضهم بعضا ، خلف كل من شيخون والنائب بيضا رأس على البراءة من قتله ، وكتبوا إلى ألبخيفا بأنه قتل أرغون شاه بمرسوم من ! وإعلامهم بمستنده في ذلك ، وكتب إلى أمراء دمشق بالفحص عن هذه الواقعة ، وكان ألبخيفا وإياس قد وصلا إلى طرابلس ، وخيا بظاهرها ، فقدم في غد ووصلهما كتب أمراء دمشق إلى أمراء طرابلس بالاحتراس على ألبخيفا حتى يرد مرسوم السلطان ، فإنه فعل فعلته بغير مرسوم السلطان ، ومشت حيلته علينا . ثم كتبوا إلى نائب حماة ونائب حلب وإلى العربان بمسك الطرقات عليه ، فركب عسكر طرابلس بالسلاح وأحاطوا به ، ثم وافاهم كتاب السلطان بمسكه ، وقد سار عن طرابلس وساروا خلفه إلى نهر الكلب عند بيروت فوقف قدامهم نهاره ، ثم كر راجعا عليهم ، فقاتله عسكر

(١) نهر لبنان عند الأقدمين باسم « ليكوس » أي الذئب . فعُرب نهر الكلب . وسبب تسميته بنهر الذئب أو الكلب هو على الأرجح للدوى العظيم الذي يسمع عند أنصبابه في البحر وأصطدام مياهه بالأموج المتلاطمة . يخرج هذا النهر من منارة في سفح جبل جعيتا تدعى منارة جعيتا وتبعد عن البحر نحو ٧ كيلو مترات فتجتمع مياهه بالمياه المنحدرة في الشتاء من أعالي لبنان من نبعي اللبن والمسل ومن وادي الصليب ، فتكون غزيرة في الشتاء قليلة في الصيف وهو كثير الصغور لا يتخلو من العقبات إلا عند مصبه ، تكتنفه شاهدة ولا ترى على جانبيه قرى مأهولة ، تؤدى مياه نهر الكلب خدمات عديدة كسقي البساتين الواقعة شمال النهر ، وتدوير الطواحين ، ومن أعظم فوائده رى مدينة بيروت وزرير أهلها بالمياه الطيبة بفضل شركة مياه بيروت (راجع جغرافية لبنان ص ٢٩ طبع بيروت) .

- طرابلس، حتى قبضوا عليه، وفز إياس، ووقعت الحوطة على ممالك ألبانيا وأمواله،
ومسك الذي كتب الكتاب بقتل أرغون شاه، فأعذر أنه مكره، وأنه غير القاب
أرغون شاه، وكتب أوصل الكتيب مقلوبة حتى يعرف أنه زور، وحمل ألبانيا
المذكور مقيدا إلى دمشق. ثم قبض نائب بعلبك على الأمير إياس، وقد حلق لحيته
ورأسه، وأختفى عند بعض النصارى، وبعث به إلى دمشق، فحسبها معا بقلعتها،
وكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فندب الأمير قنق الساق على البريد إلى دمشق
بقتل ألبانيا وإياس، فأخرجهما من حبس قلعة دمشق ووسطهما بسوق الخيل
بدمشق، وعلق إياس على خشب وقدامه ألبانيا على خشبة أخرى، وذلك
في يوم الخميس حادى عشرين شهر ربيع الآخر. وكان عمر ألبانيا المذكور
يوم قتل نحو تسع عشرة سنة وهو ماطر شاربه. ١٠
- ثم كتب السلطان باستقرار الأمير أرقطاي نائب حلب، في نيابة الشام عوضا
عن أرغون شاه المذكور، وأستقر الأمير قطليجا الحموي نائب حماة في نيابة حلب
عوضا عن أرقطاي، وأستقر أمير مسعود بن خطير في نيابة طرابلس عوضا عن
ألبانيا المظفرى المقدم ذكره. ثم قدم إلى مصر طلب أرغون شاه وماليكه وأمواله
وموجود ألبانيا أيضا، فتصرف الوزير منجك في الجميع. ١٥
- وبعد مدة يسيرة ورد الخبر أيضا بموت الأمير أرقطاي نائب دمشق، فكتب
بأستقرار قطليجا الحموي نائب حلب في نيابة دمشق، وتوجه الأمير ملكتمر^(١)
المحمدي بتقليده بناية الشام، وسار حتى وصل إليه فوجده قد أخرج طلبه إلى جهة
دمشق وهو ملازم الفراش، فمات قطليجا أيضا بعد أسبوع، ولما وصل الخبر إلى
مصر بموت قطليجا، أراد النائب بنبغا أرمن والوزير منجك إحراج طاز لنيابة الشام، ٢٠

(١) كذا في فالسلوك. وفي م: « تلكنمر المحمدي ».

والأمير مُغلطاي أمير آخور إلى نيابة حلب ، فلم يُوافقهما على ذلك ، وكادت الفتنة أن تقع ، فخلع على الأمير أَيْمَش الناصري نيابة الشام ، وأستقر بعد مدة الأمير أرغون الكامل في نيابة حلب .

- وفي محرم سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، ابتدأت الوحشة بين الأمير مُغلطاي أمير آخور وبين الوزير منجك اليوسفي ، بسبب الفار الضامن ، وقد شكاه ، فطلبه مُغلطاي من الوزير وقد آتحنى به ، فلم يُمكنه منه . وكان منجك لما فرغ صهر^(٢)يه الذي عمره ثمانية القلعة عند باب الوزير ، اشترى له من بيت المال ناحية بُلْقينة^(٣) بالفريفة بخمسة وعشرين ألف دينار ، وأنعم عليه بها ، فوقفها منجك على صهر^(٢)يه المذكور ، فأخذ مُغلطاي يعدد لمنجك تصرفه في المملكة ، وسكن الأمر فيما بينهما .
- ثم توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة في كل سنة وأنعم على الأمير ١٥ قُطلوبغا الذهبي بإقطاع الأمير لاجين أمير آخور بعد موته ، وأنعم بإمرته وتقدمته على الأمير عمر بن أرغون النائب . ثم استقر بكلمش أمير شكار في نيابة طرابلس ،

- (١) في ف : « فلم يوافقهما » . (٢) يقصد المؤلف أنه لما فرغ من بناء صهر^(٢)يه ، ذكر المقرئ هذا الصهرج في خطه عند الكلام على جامع منجك (ص ٣٢٠ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع يعرف موضعه بالثغرة تحت القلعة خارج باب الوزير ، أنشأه الأمير سيف الدين منجك اليوسفي في سنة ٥٧٥١ هـ . وبني فيه صهر^(٢)يجا (أى خزاناء) فصار يعرف بصهر^(٢)ج منجك . وأقول : إن هذا الصهرج لا يزال باقيا إلى اليوم في وسط جامع منجك اليوسفي ، وتعلوه فسقية من الرخام في وسطها فتحة الصهرج ، وهذا الجامع تسميه العامة المنشكية داخل درب المنشكية بشارع باب الوداع في شمال القلعة بالقاهرة . (٣) هي قرية من القرى المصرية القديمة ذكرها الإدريسي في نزهة المشتاق فقال : إنها قرية كثيرة البساتين والجنان ، متصلة بالمزارع والفلات ، وذكرها ياقوت في معجم البلدان فقال : إنها قرية في كورة بنا (بنا أبو صير) يقال لها البوب ، وهي الآن من قرى مركز المحلة الكبرى ب مديرية الغربية بمصر . مساحة أراضيها ٢٦٣٠ فداناً وسكانها حوالي ٥٠٠٠ نفس ، بما فيهم سكان الغزب التابعة لها .
- (٤) في الأصلين : « وأنعم على الأمير قُطليبا الذهبي بإقطاع الأمير لاجين أمير آخور بعد موته ، وأنعم بإقطاع قُطلوبغا وتقدمته على الأمير عمر بن أرغون النائب » . وتصحيحه عن السلوك .

عوضاً عن أمير مسعود بن خَيطير ، وكتب بإحضار أمير مسعود إلى القاهرة . ثم عاد السلطان من سَرَحة سِرْياقوس ، وكتب يعود أمير مسعود إلى دِمَشق بَطَّالاً ، حتى يَحْتَلَّ له ما يليق به ، وخلع على الأمير فارس الدين ألبكى باستقراره في نيابة غزّة بعد موت الأمير دَلنجي ، ودَلنجي باللغة التركية هو المُكْدَى (وهو بكسر الدال المهملة وفتح اللام وسكون النون وكسر الجيم) .

وفي هذه الأيام توجه الأمير طاز إلى سَرَحة البَحْرة^(١) ، وأنعم السلطان عليه بعشرة آلاف إردب شعير وخمسين ألف درهم وناحية طموه زيادة على إقطاعه . وفي خامس عشر شوال خرج أمير حاج المحمل الأمير بُزْلاز أمير سلاح . ثم خرج بعده طُلبُ الأمير بَيْيغا أُرْسُ النائب بتجمل زائد ، وفيه مائة ونمسون مملوكاً مُعَدَّةً بالسلاح^(٢) . ثم خرج طُلبُ الأمير طاز وفيه ستون فارساً ، فحل بَيْيغا أُرْسُ قبل طاز بيومين . ثم رحل طاز بعده . ثم رحل بُزْلاز بالحاج رَجَّاء ثالثاً في عشرين شوال من بركة الحاج^(٣) .

وفي يوم السبت رابع عشرينه عُزل الأمير مَنجك اليوسفى عن الوَزَر ، وقُبِض عليه ، وكان الأمير شَيْخون خرج إلى العباسية ؛ وسبب عزله أن السلطان بعد توجه شيخون طلب القضاة والأمراء ، فلما اجتمعوا بالخدمة ، قال لهم : يا أمراء

(١) هي قرية من القرى المصرية القديمة اسمها الأصل « طموى » وحرف إلى طمويه كما وردت في المشترك لياقوت . وفي التحفة السنية لأبن الجيعان من أفعال الجيزة . ثم حرف الاسم إلى طموه وهو اسمها الحالى . وطموه قرية بمركز الجيزة بمديرية الجيزة بمصر . ومساحة أراضيها ٨٦٠ فداناً وسكانها حوالى ٤٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها . (٢) في ف : « معه بالسلاح... الخ » . (٣) في م : « من البركة » والمقصود منها ناحية البركة إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية بمصر في شمال القاهرة ، وكانت تسمى بركة الجب أو بركة الحاج . وقد سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

هل لأحد على ولاية تحجر ، أو أنا حاكم نفسي ! فقال الجميع يا خوند : ما ثم أحد يحكم على مولانا السلطان ، وهو مالك رقابنا ، فقال : إذا قلت لكم شيئا ترجعوا إليه ؛ قالوا جميعهم : نحن تحت طاعة السلطان وممثلون ما يرسم به ، فالتفت إلى الحاجب وقال له : خذ سيف هذا ، وأشار إلى منجك الوزير ، فاحذ سيفه وأخرج وقيد ، ونزلت الخوطة على أمواله مع الأمير كشل السلاح دار ، فوجد له خمسون حمل زردخانا ، ولم يوجد له كبير مال ، فرسم بعقبته ، ثم أخرج إلى الإسكندرية فسجن بها ، وساعة القبض عليه رسم بإحضار الأمير شيخون من العباسية وإعلامه بمنك منجك الوزير ، فقام الأمير مغلطاي أمير آخور والأمير منكلي بقا في منعه من الحضور ، وما زالا يُخَيِّلَان السلطان منه حتى كتبت له مرسوم بنبابة طرابلس ، على يد طينال الجاشنكير ، فتوجه إليه فلقبه قريب بلبيس ، وقد عاد صحبة الجمدار الذي توجه بإحضاره من عند السلطان ، وأوقفه على المرسوم فأجاب بالسمع والطاعة ، وبعث يسأل في الإقامة بدمشق ، فكتب له بخبز الأمير تلك بدمشق ، وحضور تلك إلى مصر فتوجه شيخون إليها .

ثم قبض السلطان على الأمير عمر شاه الحاجب وأخرج إلى الإسكندرية ، وأستقر الأمير طنيرق رأس نوبة كبيرا عوضا عن شيخون . ثم قبض على حواشي منجك وعلى عبده عنبر البابا وصودر ، وكان عنبر قد أخش في سيرته منع الناس ، في قطع المصانع ، وترفع على الناس ترعفا زائدا ، فضرب ضربا مبرحا : ثم

(١) رواية ف : « ما ثم أحد يحكم عليك وأنت مالك رقابنا ... الخ » . (٢) هذه العبارة

غير موجودة في نسخة « ف » . (٣) في السنوك : « كشكل » . (٤) هو عمر شاه التركي ،

أزل ما تأمر بطلخانة ثم ولي نياة حماة ، ثم أمر مقدمة في دمشق وعمل حاجب الجباب إلى أن مات بها . سنة ٧٧١ هـ (عن الدرر الكامنة) .

ضُرِبَ بِكَتْمُرُشَادِ الْأَهْرَاءِ فَاعْتَرَفَ لِلْوَزِيرِ مِنْجَكَ بِأَنِّي عَشْرُ أَلْفٍ إِرْدَبَ غَلَّةً ،
أَشْتَرَاهَا مِنْ أَرْبَابِ الرَوَاتِبِ .

وَفِي مَسْتَهْلَ ذِي الْقَعْدَةِ قُبِضَ عَلَى نَاضِرِ الدَّوْلَةِ وَالْمُسْتَوَفِينَ ، وَأُزْمُوا بِخَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ
دِينَارٍ ، فَتَرَفَّقَ فِي أَمْرِهِمُ الْإِمِيرُ طَنْتِيقُ ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ خَمْسَمِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَوُزِعَتْهَا
الْمَوْفِقُ نَاضِرُ الدَّوْلَةِ عَلَى جَمِيعِ الْكُتَّابِ ، وَالتَّرَمَ عِلْمُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُبَيْرٍ نَاضِرُ
الْخِصَاصِ وَالْجَلِيشِ بِتَكْفِيَةِ جَمِيعِ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدِّمِينَ بِالْخَلْعِ مِنْ مَالِهِ ، وَقِيمَتِهَا
خَمْسَمِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَفَصَّلَهَا وَعَرَضَهَا عَلَى السُّلْطَانِ ، فَوَكَّبُوا الْأُمَرَاءَ بِهَا الْمَوْكِبَ ،
وَقَبَلُوا الْأَرْضَ وَكَانَ مَوْكِبًا جَلِيلًا .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَامِنِ ذِي الْقَعْدَةِ خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى الْإِمِيرِ بَيْبُغَا طَطَّرَ حَارِسَ
طَبْرٍ ، وَاسْتَقَرَّ فِي السُّلْطَنَةِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ عَوْضًا عَنْ بَيْبُغَا أُرْسَ الْمَتَوَجِّهِ إِلَى الْحِجَازِ ،
بَعْدَ أَنْ عُرِضَتْ النِّيَابَةُ عَلَى أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا أَحَدٌ ، وَتَمَنَّعَ بَيْبُغَا طَطَّرَ أَيْضًا
مِنْهَا تَمَنُّعًا كَبِيرًا ، ثُمَّ قَبِلَهَا . وَاسْتَقَرَّ الْإِمِيرُ مُغْلَطَايَ أَمِيرَ آخُورِ رَأْسِ نَوْبَةٍ كَبِيرًا ، عَوْضًا
عَنْ طَنْتِيقِ ، الَّذِي كَانَ وَلِيهَا عَنْ شَيْخُونِ ، وَأُطْلِقَ لَهُ التَّحَدُّثُ فِي أَمْرِ الدَّوْلَةِ كُلِّهَا
عَوْضًا عَنْ الْإِمِيرِ شَيْخُونِ ، مُضَافًا إِلَيْهَا بِيَدِهِ مِنَ الْأَمِيرِ خُورِيَّةٍ . وَاسْتَقَرَّ الْإِمِيرُ
مَنْكَلِي بُغَا الْفَخْرِي رَأْسَ مَشُورَةٍ وَأَتَابَكَ الْعَسَاكِرَ ، وَأُنْعِمَ عَلَى وَلَدِهِ بِأَمْرَةٍ ، وَدَقَّتْ
الْكُوسَاتُ وَطَبْلُخَانَاتُ الْأُمَرَاءِ بِأَجْمَعِهَا ، وَزُيِّنَتْ الْقَاهِرَةُ وَمِصْرُ ، فِي يَوْمِ الْأَحَدِ
تَاسِعِ ذِي الْقَعْدَةِ وَاسْتَمَرَّتْ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ .

(١) كَذَا فِي مِ وَالسُّلُوكِ . وَفِي ف : « خَمْسَمِائَةُ أَلْفٍ إِرْدَبَ » .

(٢) رَوَايَةُ السُّلُوكِ : « مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّحَدُّثِ فِي الْإِصْطِلَاقِ » .

وأما شيوخون فإنه لما وصل إلى دمشق، قدم بعده الأمير أرغون^(١) التاجي بإمساكه، فقبض عليه وقيد وأخرج من دمشق في البحر وتوجه إلى الطينة^(٢)، ثم أوصله إلى الإسكندرية فسجن بها .

وخلع على طشبقا الدوادار على عادته دوادارا، وتصلح هو والقاضي علاء الدين ابن فضل الله كاتب السر، فإنه كان نفى بسببه حسب ما تقدم ذكره، وأرسل كل منهما إلى صاحبه هدية .

وكان السلطان لما أمسك منجك، كتب إلى الأمير طاز وإلى الأمير بزلار على يد قردم، وأخبرهما بما وقع، وأنهما يحترسان على النائب ببيغا أرس، وقد نزل سطح العقبة^(٣)، فلما قرأ ببيغا الكتاب وجم وقال: كلنا ممالك السلطان . وخلع عليه، وكتب أنه ماض لقضاء الحج .

ثم إن السلطان عزل الأمير صرغتمش والأمير عليا من وظيفتي الجندارية، وكانا من جملة حاشية شيوخون، ورسم لصرغتمش أن يدخل الخدمة مع الأمراء، ثم أخرج أمير على إلى الشام، وأخرج صرغتمش لكشف الجسور بالوجه القبلي، وألزم أستاذار ببيغا أرس بكتب حواصل ببيغا، وندب السلطان الأمير آقبا الحموي لبيع حواصل منجك، وأخذت جوارى ببيغا أرس ومماليكه وجوارى منجك

(١) وردت في معجم البلدان لياقوت أنها بليدة بين القرماتين من أرض مصر . والبحث تبين لي أنها لم تكن بليدة، بل كانت نقطة عسكرية لحراسة الحدود، وكان بها قلعة لهذا الغرض، وسميت هذه النقطة بالطينة لوقوعها في أرض رخوة تعلوها مياه البحر في بعض الأوقات .

ولا تزال آثار قلعة الطينة ظاهرة بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط، في الشمال الغربي لأطلال مدينة القرمات، على بعد ثلاثة كيلومترات، وشرقي مدينة بور سعيد على بعد ٢٤ كيلومترا . وإليها تنسب محطة الطينة إحدى محطات السكة الحديدية بين بور سعيد والقنطرة .

(٢) العقبة بلدة كانت تسمى أيلة، وقد سنن الخطيب عليها في الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وماليكه ، الى القلعة ، فطَلَعَ لمنجك خمسة وسبعون مملوكا صفارا ، وطلع لببيغا أُرْس
نحس وأربعون جارية ، فلما وصلن نُجَاه دار النياية ، صَحْنُ صِيحَةٍ واحدة وبَكَيْنَ ،
فابْكَيْن من كان هناك .

ثم قَدِمَ الخبرُ على السلطان بأن الأمير أحمد الساقى نائب صفد ، خرج عن طاعة
السلطان ، وسببه أنه لما قبَضَ على منجك ، خرج الأمير قُمارى الحموى - وعلى يده
ملطقات لأمرء صفد بالقبض عليه ، فبلغه ذلك من هَجانَ جهزه له أخوه . فندَب
طائفة من مماليكه لتلقَى قُمارى . وطلب نائب قلعة صفد ودويانه ، وأمره أن
يقرأ عليه : كم له بالقلعة من الفسلة ، فأمر لماليكه منها بشيء فزقه طليهم إحانة لهم
على ما حصل من الخَل في البلاد ، وبعثهم ليأخذوا ذلك ، فعند ما طلعوا القلعة منهروا
سيوفهم وملكوها من نائب قلعة صفد ، وقبضوا على عِدَّة من الأمراء ، وطلّع بحريمه
الى القلعة وحصنها ، وأخذَ مماليكهُ قُمارى وأتوا به ، فأخذ مامعه من الملطقات
وحبسه . فلما بلغ السلطان ذلك كتب إلى نائب غَزَّة ونائب الشام بتجريد العسكر إليه .
هذا والأراجيف كثيرة ، بأن طاز تحالف هو وبيغا أُرْس بعقبه أيلة فخرج الأمير
فَيَاض^(١) والأمير عيسى بن حسن أمير العائذ ، فتفرقا على عقبه أيلة بسبب بيغا أُرْس ،
وكتب لعرب شَطَى^(٢) وبني عُقبة^(٣) وبني مهدي^(٤) ، بالقيام مع الأمير فضل ، وكتب لنائب
غَزَّة فأرسل السوقة الى العقبة .

ثم خَلَعَ السلطان على الأمير شهاب الدين أحمد بن قزمان ببنابة الإسكندرية^(٥)
عوضا عن بَكْتُمَر المؤمنى .

(١) هو فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا . توفي سنة ٧٦٠ هـ (عن الدرر الكامنة) .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية

رقم ٢ ص ٦٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) هو فضل بن عيسى بن مهنا . لم نقف له على

تاريخ وفاة . (٥) ف : «ثم أخذ... الخ» وهو تحريف . (٦) ف : «ابن قزمان» .

ثم في يوم الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة قَدِمَ سَيِّفُ الأمير بيبغا أُرُسَ،
وقد قبض عليه، وسبب ذلك، أنه لما ورد عليه كتاب السلطان بمسك أخيه منجك،
اشتد خوفه وطلع إلى العقبة ونزل إلى المتزلة، فبلغه أن الأمير طاز والأمير بزلار رجا
للقبض عليه، فركب بيبغا أُرُسَ بمن معه من الأمراء والمماليك بألة الحرب، فقام
الأمير عز الدين أزدُمَر الكاشف بملاطفته، وأشار عليه ألا يُعجِّل ويكشف الخبر،

- (١) هذه المتزلة هي بذاتها منزلة المويطة التي ذكرها المؤلف فيما بعد . وهي بلدة تعرف باسم المويطح
واقعة على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر جنوب بلدة العقبة على بعد ٢٣٠ كيلو مترا منها ، وتقع تجاهها على
الشاطئ الغربي في رادى النيل بلدة منفلوط بمصر .
- وقد دلت البحت على أن المويطح أقيمت على أطلال بلدة قديمة كانت تسمى مدين ذكرها المقرئى
في خطه باسم مدينة مدين (ص ١٨٦ ج ١) فقال : مدين أسم بلد وقطر، وقيل أسم قبيلة سميت باسم
أبيها مدين، ويقال له مديان بن إبراهيم الخليل واقعة على بحر القلزم تحاذى بلدة تبوك على نحوست مراحل
بين الحجاز والشام، وهي أكبر من تبوك، وبها إلى الآن آثار عجيبة وعمد عظيمة . ثم قال : إن مدين عمل
من أعمال مصر، يشمل مدينة مدين والقلزم والطور وفاران والرقه وأيلة .
- وأقول : إن مدين كانت عملا من أعمال مصر، وتابعة لها إلى أيام الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م
فالحققت ببلاد الحجاز، وبسبب خراب مدينة مدين اختفى اسمها ، وحل محلها بلدة المويطح ، وهذه تابعة
اليوم إلى المملكة السعودية العربية .
- وكانت المويطح كما كانت من قبلها مدين محطة من محطات الحج قديما ، في الطريق بين مصر وجدة ، وقت
أن كان الحجاج يسافرون للحج عن طريق البر . وذكر على باشا مبارك بلدة المويطح في الخطط التوفيقية
عند الكلام على محطات الحجاج (ص ٢٦ ج ٩) فقال : المويطح وهي بلدة بها قلعة حصينة ونخل وآبار
غذبة ، ويزرع في أرضها الدخان والبطيخ والقثاء ، ويبيع فيها السمك والتمر والدقيق والقمييط والبقول ،
وغير ذلك مما يلزم المسافرين .
- والقدي دلت على أن هذه البلدة هي في مكان مدينة مدين أن المقرئى قال : إنها تحاذى بلدة تبوك
على بعد ست مراحل ، ولا تزال تبوك قائمة إلى اليوم على السكة الحديدية الحجازية في محاذة المويطح ، وعلى
بعد ١٥٠ كيلو مترا منها إلى الشرق . يؤيد ذلك أنه باطلاعى على الخريطة الدولية للمملكة الرومانية التي
طبعت في مصلحة المساحة في سنة ١٩٣٤ نقلا عن الخريطة الأصلية ، وجدت أسم مدينة مدين واردا بها
ومذكورا تحته بين فوسين اسم المويطح والمسافة بينها وبين مدينة أيلة (العقبة) ٢٣٠ كيلو مترا كما ذكرنا .

فبعث نجاباً في الليل لذلك، فعاد وأخبر أن الأمير طاز مقيم بركيه، وأنه سار بهم وليس
 فيهم أحد ملبس، فقلع بيغل السلاح هو ومن معه، وتلق طاز وساله عما تخوف منه،
 فأوقفه على كتاب السلطان إليه، فلم ير فيه ما يكره. ثم رحل كل منهما بركيه من
 العقبة، وأنت الأخبار للأمراء بمصر باتفاق طاز وبيغا أُرُس فكتب السلطان
 للأمير طاز وللأمير بُزَلار عند ذلك القبض على بيغا أُرُس قبل دخوله مكة،
 وتوجه إليهما بذلك طيلان الجاشنكير، وقد رسم [له] أن يتوجه بيغا إلى الكرك،
 فلما قدم طيلان على طاز وُبُزَلار، ركبوا إلى أزدُمَر الكاشف فأعلمه بما رسم
 به إليهما من مسك بيغا أُرُس ووكداه عليه في استمالة الأمير فاضل، والأمير محمد بن
 بكتُمَر الحاجب، وبقية من مع بيغا أُرُس، فأخذ أزدُمَر في ذلك. ثم كتب
 لبيغا أُرُس أن يتأخر حتى يسمع مرسوم السلطان، [و] حتى يكون دخولهم لمكة
 جميعاً، فأحس بيغا بالشر، وهم أن يتوجه إلى الشام، فما زال أزدُمَر الكاشف به
 حتى رجمه عن ذلك. وعند نزول بيغا أُرُس إلى منزلة المويliche، قدم طاز وُبُزَلار
 فتلقاهما، وأسلم نفسه من غير ممانعة فأخذ سيفه، وأرادا تسليمه لطيلان حتى يحمله
 إلى الكرك، فرغب إلى طاز أن يجمع معه، فأخذه طاز محتفظاً به، وكتب طاز
 بذلك إلى السلطان، فتوهم مغلطاي والسلطان أن طاز وُبُزَلار قد مالا إلى
 بيغا أُرُس وتشوشا تشويشاً زائداً، ثم أكد ذلك ورود الخبر بعصيان أحمد

(١) ورواية السلوك: «وليس فيهم أحد لابسا عدة الحرب... الخ». (٢) كذا في الأصلين
 والسلوك. وفي الدرر الكامنة: «طيلان الجاشنكير» ويظهر من مراجعة السلوك أن طيلان وطيلان
 اسم واحد. (٣) زيادة عن السلوك. (٤) في ٣: «فضل». وما أثبتناه عن ف
 والسلوك والدرر الكامنة، لأن الأمير فاضلاً هذا أخو بيغا أُرُس. (٥) زيادة يقتضيا السياق.
 (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٢٣ من هذا الجزء. (٧) في ف: «وتلقاهم».

(١١)
الساق نائب صفد ، وظنوا أنه مباطن لبيغا أُرْس ، وأُخرج طينال يُقيم بالصفراء
حتى يرد الحاج إليها ، فيمضي ببيغا أُرْس إلى الكرك .

ثم في يوم الخميس سابع عشرين ذى القعدة خُلع على الأمير علم الدين عبد الله
ابن زنبور خُلة الوزارة ، مضافا لما بيده من نظر الخاص ونظر الجيش بمد
ما أمتنع وشرط شروطا كثيرة .

وفيه أيضا خُلع السلطان على الأمير طنيرق باستقراره في نيابة حماة ، عوضا عن
استدثر العمرى . ثم كَتَبَ القاضي ملاء الدين بن فضل الله كاتب السر تقليد
أبن زنبور الوزير ، وعتته فيه بالجناب العالى . وكان جمال الكفاة سعى أن يكتب
له ذلك ، فلم يرش كاتب السر ، وشع عليه بذلك ، ففرج الوزير وتلقى كاتب
السر ، وبالغ في إكرامه ، وبعث إليه بتقدمة سنية .

ثم قَدِمَ الخبر على السلطان بتزول عسكر الشام على محاصرة أحمد نائب صفد ،
وزحفهم على قلعة صفد عدة أيام ، جرح فيها كثير من الناس والأجناس ، ولم
ينالوا من القلعة غرضًا ، إلى أن بلغهم القبض على بيغا أُرْس ، وعلم أحمد بذلك
وانحلت عزيمته ، فبعث إليه الأمير بكتكش نائب طرابلس يرغبه في الطاعة ، ودس
على من معه بالقلعة ، حتى خاضعوا عليه وهُمُوا بمسكه ، فوافق على الطاعة ، وحلف
له نائب طرابلس ، فزُلَّ إليه بمن معه ، فسُرَّ السلطان بذلك ، وكتب بإهانتته
وحمله إلى السجن .

(١) الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع فوق ينبع مما على المدينة ، فسى باسمها وادى الصفراء
نجا بدر . كانت منازل من منازل الحاج في القديم . انظر خطط على بلشا مبارك (ج ١٤ ص ٣٢)
وانظر درر القرائد المنظمة (ج ٢ ص ٢٢٢ — ٢٢٣) وانظر معجم ياقوت (ص ٢٩٦) .

وفي عاشر ذي الحجة كانت الواقعة بمِثْنَى ، وقُبِضَ على الملك المجاهد صاحب
 اليمن ، وأُسمِيَ على بن داود ابن المظفر يوسف ابن المنصور عمر بن علي بن رسول ،
 وكان من خبره أن ثُقبَةً لما بلغه استقراً أخيه عجلان عوضه في إمرة مكة ، توجه
 إلى اليمن ، وأغرى صاحب اليمن بأخذ مكة وكُسوة الكعبة ، فتجهز الملك المجاهد
 صاحب اليمن ، وسار يريد الحج في حَفْلٍ كبير بأولاده وأئمه ، حتى قُرب من مكة
 وقد سبقه حاج مصر ، فلبس عجلان آلة الحرب ، وعزف أصراء مصر ماعزم
 عليه صاحب اليمن ، وحذرهم فائتته ، فبعثوا إليه بأن من يريد الحج إنما يدخل
 مكة بِنِزْلَةٍ ومَسْكَنَةٍ ، وقد أبتدعت من ركوبك بالسلح يدعة ، لا تُمكنك أن تدخل
 بها ، وأبعت إلينا ثُقبَةً ليكون عندنا ، حتى تنقضي أيام الحج فنرسله إليك ، فأجاب
 لذلك ، وبعث ثُقبَةً رهينة ، فأكرمه الأمراء . وركبوا الأمراء في جماعة إلى
 لقاء الملك المجاهد ، فتوجهوا إليه ومنعوا سلاح داريته بالمشي معه بالسلاح ، ولم
 يَمَكَّنُوهُ من حمل الفاشية ، ودخلوا به مكة فطاف وسعى ، وسلم على الأمراء واعتذر
 إليهم ، ومضى إلى منزله ، وصار كل منهم على حذر حتى وقفوا بعرفة ، وعادوا
 إلى الحَيْف من مِثْنَى ، وقد تقزز الحال بين الأمير ثُقبَةٍ وبين الملك المجاهد على
 أن الأمير طاز إذا سار من مكة أوقعا بأمر الحاج ومن معه ، وقبضا على عجلان ،
 ونسلم ثُقبَةَ مكة .

فاتفق أن الأمير بزلار رأى وقد عاد من مكة إلى مِثْنَى خادم الملك المجاهد
 سائراً ، فبعث يستدعيه فلم يأت ، وضرب مملوكه ، بعد مفاوضة جرت بينهما
 وجرحه في كَتِفِهِ ، فهاج الحاج ، وركب الأمير بزلار وقت الظهر إلى الأمير طاز ،
 فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلة ، مُخْبِرِينَ بركوب الملك المجاهد بمسكه للغرب ،

(١) رواية السلوك : « وأركبوا الأمير لقطاى في جماعة ... الخ » .

وظهرت لوايغ أسلحتهم، فركب طاز وبزلار وأكثر السكرك المصري بمكة ، فكان أول من صدم أهل اليمن بزلار وهو في ثلاثين فارسا ، فأخذوه في صدرهم إلى أن أرموه قريب خيمته ، ومضت فرقة إلى جهة طاز فأوسع لهم طاز ، ثم عاد عليهم . وركب الشريف عجّلان والناس ، فبعث الأمير طاز لعجلان : أن أحفظ الحاج ولا تدخل بيننا في حرب ، ودعنا مع غريمنا . واستمر القتال بينهم إلى بعد العصر ، فركب أهل اليمن مع كثرة عددهم واستعدادهم الدلة ، وألتجا الملك المجاهد إلى دهليزه ، وقد أحاط به السكرك وقطعوا أطنابه والقوة إلى الأرض ، فسر الملك المجاهد على وجهه منزما ، ومعه أولاده ، فلم يجد طريقا ، فسلم المجاهد ولديه لبعض الأعراب ، وعاد بمن معه من عسكره ، وهم في أقبح حال ، يصيحون الأمان يا مساكسون ! فأخذوا وزيره ، وتمزقت عساكره في تلك الجبال ، وقُتل منهم خلق كثير ، ونُهبت أموالهم وخيولهم عن آخرها ، وأنفصل الحال عند غروب الشمس ، وفر ثقبه بعبده وعمره ، فأخذ عبيد عجّلان جماعة من الحاج فيما بين مكة وميى ، وقتلوا جماعة .

قلت : هذا شأن عرب مكة وعبيدها ، وهذه فروسياتهم لا في لقاء العدو ، وكان حقهم يوم ذاك خفر الحاج ، كون الترك قاموا عنهم بدفع عدوهم ، وإلا كان المجاهد يستولى عليهم ، وعلى أموالهم وذرائعهم في أسرع وقت . انتهى .

ولما أراد طاز الرحيل من ميى ، سلم أمراء المجاهد وحرمة إلى الشريف عجّلان ، وأوصاه بهم ، وركب الأمير طاز ومعه المجاهد محتفظا به ، وبالغ في إكرامه يرشد الديار المصرية ، وصحب معه أيضا الأمير بيغا أرُس مقيدا ، وبعث

(١) في السلوك : « وسلم أم المجاهد وحرمة » .

بالأمير طُغْطَاي إلى السلطان يُبَشِّرُهُ بما وقع ، ولَمَّا قَدِمَ الأمير طاز إلى المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة ، قَبَضَ بها على الشريف طُفَيْل .

وأما الديار المصرية ، فإنه في يوم الجمعة خامس المحرم من سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، قَدِمَ الأمير أَرْغُونُ الكاملُ نائبُ حلب إلى الديار المصرية بغير إذن ، فُخِّلِعَ عليه وأُتِرِلَ بالقلمة ، وسبب حضوره أنه أشيع عنه بحلب القبض عليه ، ثم أشيع في مصر أنه خامر ، فَكَّرَهُ تَمَكُّنُ موسى حاجب حلب منه ، لِمَا كَانَ بينهما من العداوة . ورأى وقوعَ المكروه به في غير حلب أخف عليه ، فلما قَدِمَ مصر فَرِحَ السلطانُ به ، لِمَا كَانَ عنده من إشاعة عصيانه .

ثم قَدِمَ الخبِرُ على السلطان ، بأن طِيلَانَ تسَلَّمَ بيغا أُرْسُ من الأمير طاز ، وبوجه به إلى الكرك من بَدْر ، فسُرَّ السلطانُ أيضا بذلك .

ثم في يوم السبت عشرين المحرم قَدِمَ الأمير طاز بمن معه من الحجاز ، ووجهته الملك المجاهد ، والشريف طُفَيْلُ أميرُ المدينة ، فخرج الأمير مُغْلَطَاي إلى لقائه إلى البركة ، ومعه الأمراء ، ومَدَّ له سِمْطًا جليلا ، وقَبَضَ على من كان معه من الأمراء من أصحاب بيغا أُرْسَ وقيدهم وهم : الأمير فاضل أخو بيغا أُرْسَ ، وناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب .

وأما الأمير أَزْدَمَرُ الكاشف فإنه أخرج السلطانُ إقطاعه ولزِمَ داره .

ثم في يوم الاثنين ثاني عشرينه طَلَعَ الأمير طاز بالملك المجاهد إلى نحو القلعة ، حتى وصل إلى باب القلعة قيده ، ومشى الملك المجاهد بقيده حتى وقف — عند العمود بالدركاه تجاه الإيوان ، والأمراء جلوس — وقوفا طويلا . إلى أن خرج أميرُ جاندآر

يطلب الأمراء على العادة ، فدَخَلَ المجاهدُ على تلك الهيئة معهم ، وَخَلَعَ السلطانُ على الأمير طاز ، ثم تَقَدَّمَ الملك المجاهدُ وقَبِلَ الأرض ثلاث مرات ، وَطَلَبَ السلطانُ الأمير طاز وسأل عنه ، فما زال طاز يَشْفَعُ في المجاهد ، إلى أن أمر السلطان بِقَيْدِهِ فَفَكَ عَنْهُ ، وَأَنْزَلَ بالأشرافية من القلعة عند الأمير مُغَلَطَايَ ، وأَجْرَى له الرواتب السنية ، وأَقِيمَ له مَنْ يَخْدُمُهُ ، ثم أنعم السلطان على الأمير طاز بمائتي ألف درهم .
ثم خَلَعَ السلطان أيضا على الأمير أَرْغُونَ الكاملَ بِاستمراره على نيابة حلب ، ورسم أن يكون موسى حاجب حلب في نيابة قلعة الروم .

وفي يوم تاسع عشرين المحرم حضر الملك المجاهد الخُدَمة ، وأَجْلَسَ تحت الأمراء ، بعد أن أُلْزِمَ بحمل أربعمائة ألف دينار يَفْتَرِضُهُ من تجار الكاريم ، حتى يُنْعِمَ له السلطان بالسفر إلى بلاده .

ثم أَحْضَرَ الأمير أحمد الساق نائب صَفَدَ مَقِيْدًا إلى بين يدي السلطان ، فَأَرْسَلَ إلى بجن الاسكندرية .

ثم في آخر المحرم خَلَعَ السلطان على الأمراء المقدمين ، وعلى الملك المجاهد صاحب اليمن بالإيوان ، وقَبِلَ المجاهد الأرض غير مرة ، وكان الأمير طاز والأمير مُغَلَطَايَ تَطَلَّفاً في أمره ، حتى أَغْنَى من أجل المال ، وقَرَّبَهُ السلطانُ ، ووَعَدَهُ بالسفر إلى بلاده مَكْرَمًا ، فقبِلَ الأرض وسُرَّ بذلك ، وأَذِنَ له أن يَنْزِلَ من القلعة إلى إسطنبول الأمير مُغَلَطَايَ ويجهز للسفر . وأُفْرِجَ عن وزيره وخادمه وحواشييه ، وأنعم عليه بمال ، وَبَعَثَ له الأمراء مالا جزيلًا ، وشرع في القَرْض من [تجار] الكارم^(١) اليمن ومصر ، فبِعْتُوا له عِلَّةَ هدايا ، وصار يَرْكَبُ حيث يشاء .

(١) تكملة عن السلوك .

ثم في يوم الخميس ثاني صفر، ركب الملك المجاهد في الموكب بسوق الخيل تحت القلعة، وطلع مع النائب بيتقا ططر إلى القلعة، ودخل إلى الخدمة السلطانية بالإيوان مع الأمراء والنائب، وكان موكبا عظيما، ركب فيه جماعة من أجناد الحلقة مع مقدميهم، وخُلع على المقدمين وطلعوا إلى القلعة، واستمر المجاهد يركب في الخدمة مع النائب بسوق الخيل، ويطلع إلى القلعة ويحضر الخدمة .

ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش، وأسقر رأس نوبة على ما كان عليه أولا، بعناية الأمير طاز والأمير مقلطاي .

وفي يوم السبت ثامن عشر من صفر برز المجاهد صاحب اليمن بشقه من القاهرة إلى الريدانية متوجها إلى بلاده، وصحبته الأمير قشتمر شاذ الدواوين، وكتب للشرif عجلان أمير مكة تجهيزه إلى بلاده، وكتب لبني شعبة وغيرهم من العربان بالقيام في خدمته، وخُلع عليه، وقرر المجاهد على نفسه مالا يتمله في كل سنة، وأسر السلطان إلى قشتمر، إن رأى منه ما يريبه يمنعه من السفر، ويطالع السلطان في أمره، فرحل المجاهد من الريدانية في يوم الخميس ثالث عشرينه، ومعه عدة ممالك اشتراها وكثير من الخيل والجمال .

ثم في أوائل جمادى الآخرة توعك السلطان ولزم الفراش أياما، فبلغ طاز ومنكلى بفا ومقلطاي أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا عليه، وكان قد آتفق مع قشتمر وأطنبغا الزامر وملكتمر المارديني وتكر بفا على ذلك، وأنه ينعم عليهم بإقطاعاتهم وإمرياتهم، فواعدوا الأمراء أصحابهم، وآتفقوا مع الأمير بيتقا ططر النائب والأمير طيغا المجدى والأمير رسلان بصل، وركبوا يوم الأحد

- سابع عشرين جمادى الآخرة بأطلا بهم ، ووقفوا عند قبة النصر خارج القاهرة ،
 فخرج السلطان إلى القصر ، وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم ، فقالوا : أنت
 آتفت مع ممالكك على مسكننا ، ولا بد من إرسالهم إلينا ، فبعث تنكباً وقشتمراً^(١)
 وأطنباً الزامر وملكتهم ، فعندما وصلوا إليهم قيدوهم وبعثوهم إلى خزنة شمائل ،
 فسجنوا بها ، فشق ذلك على السلطان ، وبكى وقال : قد نزلت عن السلطنة ، وسير
 إليهم النجاة^(٢) ، فسلموها للأمر طيئفاً المجدي . وقام السلطان حسن إلى حريمه ،
 فبعثوا الأمراء الأمير صرغتمش ومعه الأمير قطلوبغا الذهبي ، ومعهم جماعة ليأخذوه
 ويحبسوه ، فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق ، ودخلوا إلى الملك
 الناصر حسن ، وأخذوه من بين حرمه ، فصرخ النساء صراحاً عظيماً ، وصاحت الست
 حديق على صرغتمش صياحاً منكراً ، وقالت له : هذا جزاؤه منك . وسبته سباً فاحشاً ،
 فلم يلتفت صرغتمش إلى كلامها ، وأخرجه وقد غطى وجهه إلى الرحبة ، فلما رآه
 لخدام والمالِك تباكروا عليه بكاءً كثيراً ، وطلع به إلى رواق فوق الإيوان ، ووكل
 به من يحفظه ، وعاد إلى الأمراء ، فاتفق الأمراء على خلعهم من السلطنة ، وسلطنة
 أخيه الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وتسلمن حسب ما يأتي ذكره .
- ولما تسلمن الملك الصالح صالح ، نقل أخاه الملك الناصر حسناً هذا إلى
 حيث كان هو ساكناً ، ورثب في خدمته جماعة ، وأجرى عليه من الرواتب
 ما يكفيه . ثم طلب الملك الصالح أخاه حسناً ، ووعدته أيضاً بزيادة على إقطاعه .
 وزاد راتبه . وزالت دولة الملك الناصر حسن .

(١) في السلوك : « وإقشتمر » . (٢) النجاة : كلمة فارسية معربة ومعناها السيف
 الصغير أو الخنجر أو السكين المنحنية وهي هنا آلة من آلات الملك (وانظر القاموس الفارسي الانجليزي
 لستنجاس) . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
 (٤) هي حديق القهرمانة الناصرية ، كان الناصر محمد جعل إليها أمور نسائه فتحكمت في داره
 تحكماً عظيماً ، حتى صارت لا يقال لها إلا الست حديق ويقال لها الست مسكة . (عن الدرر الكامنة) .

فكانت مدة سلطته هذه الأولى ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوما ،
 منها مدة التجبر عليه ثلاث سنين ، ومدة استبداده بالأمر نحو تسعة أشهر وأربعة
 عشر يوما ، وكان القائم بدولته في أيام التجبر عليه الأمير شَيْخُونُ العُمَرِيُّ رَأْسُ
 نَوْبَةِ الثُّوبِ ، وإليه كان أمر خزانة الخِلاص ، ومُرَجِّعُهُ لعِلمِ الدين ابن زُبَيْرٍ
 ناظر الخِلاص . وكان الأمير متجك اليوسفى الوزير والأستاذار ومقدم الممالك ،
 إليه التصرف في [أموال ^(١) الدولة . والأمير بَيْيُفَا أُرْسُ نائب السلطنة وإليه حُكْمُ
 السكرو تديرُهُ ، والحكم بين الناس . وكان المتولى تربية السلطان حسن
 خوندكفای زوجة أبيه ، ربته وتبنت به . وكانت الست حلق الناصرية دأدته .
 وكان الأمراء المذكورون رتبوا له في أيام سلطته ، في كل يوم مائة درهم ،
 يأخذها خادمه من خزانة الخِلاص ، وليس ينوبه سواها ، وذلك خارج عن مماطه
 وكلفة حريمه ، فكان ما ينعم به السلطان حسن في أيام سلطته ويتصلق به من
 هذه المائة درهما لا غير ، إلى أن هَجَرَ من التجبر ، وسافر النائب بَيْيُفَا أُرْسُ والأمير
 طاز إلى الحجاز ، وخرج شَيْخُونُ ، إلى العباسة للصيد ، وأتفق السلطان حسن مع
 مُغْلَطَاي الأمير أخور وغيره على ترشيده ، فقرشد حسب ما ذكرناه . واستبد بالدار
 المصرية . ثم قبض على متجك وشَيْخُونُ وبَيْيُفَا أُرْسُ ، إلى أن كان من أمره
 ما كان ، على أنه سار في سلطته بعد استبداده بالأمر مع الأمراء أحسن سيرة ،
 فإنه اختص بالأمير طاز بعد حضوره من الحجاز ، وبالح في الإنعام عليه .

وكانت أيامه شديدة ، كثرت فيها المفارم ، بما أحدثه الوزير متجك بالتواحي ،
 ونحريت عدة أملاك على النيل ، وأحترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر ، وخرجت

(١) زيادة من السلوك . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) في ف : « بما أحدثه الوزير متجك ... الخ » .

عمر بن العائد وتعلبة وعرب الشام وعرب الصعيد عن الطاعة، وأشدت فسادهم
لاختلاف كلمة مدبري المملكة .

وكان في أيامه الفناء العظيم المقدم ذكره، الذي لم يُعهد في الإسلام مثله . وتوالى
في أيامه شراقى البلاد وتلاف الجسور، وقيام ابن واصل الأحذب ببلاد الصعيد،
فأختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خلا فاحشا، كل ذلك من اضطراب
المملكة واختلاف الكلمة . وظلم الأمير منبجك وعسفه .

وأما الملك الناصر حسن المذكور كان في نفسه مُفْرِط الذكاء عاقلا ، وفيه
رَفْقٌ بالرعية ، ضابطا لما يدخل إليه وما يُصرفه كل يوم ، متدينا شهما ، لو وجد
ناصرا أو مُعينا ، لكان أجل الملوك ، يأتي بيان ذلك في سلطته الثانية ، إن شاء
الله تعالى .

وأما سلطته هذه المرة فلم يكن له من السلطنة إلا مجزء الاسم فقط ، وذلك
لِصَفَرِ سنه وعدم من يؤيده . انتهى .



السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد
ابن قلاوون الأولى على مصر . وهى سنة تسع وأربعين وسبعائة ، على أنه حكم
من الخالية من رابع عشر شهر رمضان .

فيها أعني (سنة تسع وأربعين) كان الوباء العظيم المقدم ذكره في هذه الترجمة ،
وعَمَّ الدنيا حتى دخل إلى مكة المشرقة ، ثم عمَّ شرق الأرض وغربها ، فأت بهذا
الطاعون بمصر والشام وغيرهما خلائق لا تُحصى .

(١) في السلوك : « عشر النام » . (٢) كذا في الأصلين والسلوك . تكررت هذه الكلمة
في كتاب النجوم الزاهرة والسلوك غير مرة فأقبتها على ما هي عليه .

فَمَن مات فيه من الأعيان الشيخ المحدث برهان الدين إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدى الشافعى^(١) فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين شوال . ومولده فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وكان أخذ القراءات عن التقي الصائغ ، وسمع من الأبرقوهي^(٢) وأخذ الفقه عن العلم العراقى^(٣) ، وبرع فى الفقه والأصول والنحو وغيره ، ودرس وأقرأ وخطب بجامع أمير حسين خارج القاهرة سنين .

وتوفى الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مسعد بن أحمد بن ممدود السنبورى المدايح الضرير . وكانت له قدرة زائدة على النظم ؛ ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بعدة قصائد . وشعره كثير إلى الغاية ، لا سيما قصائده النبوية^(٤) وهى مشهورة فى حفظ المدايح .

وتوفى القاضى الإمام البارع الكاتب المؤرخ المفتى شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضى محيى الدين محيى بن فضل الله بن المحلى بن دنجان القرشى العدوى العمرى^(٥) الدمشقى الشافعى فى تاسع ذى الحجة بدمشق . ومولده فى ثالث شوال سنة سبعمائة . وكان إماما بارعا وكاتباً فقيهاً نظم كثيراً من القصائد والأراجيز

(١) رواية السلوك : « رابع عشرين شوال » . (٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الخالق ابن على بن سالم بن مكى الشيخ تقي الدين أبو عبد الله الصائغ المصرى الشافعى ، سنده مصره . توفى سنة ٧٢٥ هـ عن غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٢٣ هـ (ج ٢ ص ٦٥ طبعة الخانجي) . (٣) هو شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسماعيل بن محمد بن المؤيد الأبرقوهي . تقدمت وفاته سنة ٧٠١ هـ فى الجزء الثامن من هذه الطبعة . وفى الأصلين هنا : « الأبرقوهي » وتصحيحه عما تقدم ذكره فى سنة وفاته . (٤) هو عبد الكريم ابن على بن عمر الأنصارى الشيخ علم الدين العراقى الضرير ، له فى التفسير اليد الباسطة . مولده سنة ٦٢٣ هـ وتوفى سنة ٧٠٤ هـ بالقاهرة (انظره فى طبقات الشافعية لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ج ٦ ص ١٧٩) . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) فى ف : « فى حفظ المدايح » وكذا فى الدرر الكامنة . (٧) فى تاريخ الإسلام للدهلي والمهل الصافى أن مولده سنة ٦٩٧ هـ .

- والمقطعات ودوبيت. وأنشأ كثيرا من التقاليد والمناشير والتواقيع، وكتب في الإنشاء
لمّا ولى والده كتابة سرّ دمشق، ثمّ لمّا ولى والده كتابة السرّ بمصر أيضا، صار
ولده أحمد هذا هو الذى يقرأ البريد على الملك الناصر محمد بن قلاوون، ويُنفذ
المهمات وأستمر كذلك في ولاية والده الأولى والثانية، حتى تغيّر السلطان عليه وصرفه
في سنة ثمان وثلاثين، وأقام أخاه علاء الدين عليّا، وكلاهما كانا يكتبان بمحضرة
والدهما ووجوده، نيابة عنه ليكبر سنّه؛ وتوجه شهاب الدين إلى دمشق، حتى مات
بها في التاريخ المذكور. وكان بارعا في فنون، وله مصنفات كثيرة، منها تاريخه:
«مسالك الأبصار»^(١) في ممالك الأمصار» في أكثر من عشرين مجلدا. وكتاب
«فواصل السمر»^(٢) في فضائل آل عمر» في أربع مجلدات. «والدعوة المستجابة»^(٣)،
«وصيابة المشتاق» في مجلّد، في مدح النّبىّ صلى الله وسلم و[دعّة الباكي]^(٤) وبقطة
الساهى» و«نفحة الرّوض».

- قال الشيخ صلاح الدين خليل الصّفديّ: وأنشدني القاضي شهاب الدين
أبن فضل الله لنفسه، ونحن على العاصي هذين البيتين: [البيسط]
لقد نزلنا على العاصي بمزلة * زانت محاسن شطّيه حدائقها
تبكي نواخيرها العبرى بأديمها * ليكونه بعد لقياها يفارقها
قال: فأنشدته لنفسى: [الطويل]
وناعورية في جانب النهر قد غلّت * تُعبّر عن شوقي الشّجيّ وتُعرب
فيرقص عطف الفصن تيمّا لأنّها * تُقنّى له طول الزمان وتُسرب

- (١) وتقوم دار الكتب الآن بتحقيقه ونشره. (٢) كذا في الأصلين
وكشف الظنون. وفي بعض المصادر: «فواصل» بالضاد. (٣) تكلمة عن المنبل الصافي
وفوات الوفيات لأبن شاكر. (٤) عن كشف الظنون وفي الأصلين: «وبقطة الساهر».
(٥) في المنبل الصافي: «تقنّى على ... الخ».

وَتُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَطْلَشُ الْجَمْدَارُ^(١)، كَانَ أَوَّلًا مِنْ أَمْرَاءِ مِصْرَ، ثُمَّ
مُحَوِّبِيَّةَ دِمَشْقَ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَكَانَ مُشْكُورَ السَّيْرِ .

وَتُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بُلَّكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُظْفَرِيُّ الْجَمْدَارُ، أَحَدُ أَمْرَاءِ
الْأُلُوفِ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ عَشْرِينَ شَوَّالَ . وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ
الْأَمْرَاءِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِيمَا مَرَّ .

وَتُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بُرْلُغِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ، قَرِيبُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ^(٢)
مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ صَحْبَةَ الْفَارَازِيَّةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ
الْمَلِكُ النَّاصِرُ بِإِمْرَةِ بَدْيَارِ مِصْرَ، وَتَزَوَّجَ بِأَسْنَةِ الْأَمِيرِ بَيْرَسِ الْجَاشَنَكِيرِ قَبْلَ سُلْطَنَتِهِ ،
وَعَمِلَ لَهُ مَهْمًا عَظِيمًا ، أَشْعَلَ فِيهِ ثَلَاثَةَ آلَافِ شَمْعَةٍ . ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ
بَعْدَ زَوَالِ دَوْلَةِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ ، وَأَمْتَحَنَ بِسَبَبِ صِهْرِهِ ، وَحَبَسَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ
عَشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ أَفْرَجَ عَنْهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ مِائَةٍ وَتَقْدِيمَةِ لُفٍّ ، فَدَامَ عَلَى ذَلِكَ
إِلَى أَنْ مَاتَ . وَبُرْلُغِيُّ هَذَا يَلْتَبِسُ بِبُرْلُغِيِّ الْأَشْرَفِ ، كِلَاهُمَا كَانَ عَضُدًا لِلْمَلِكِ الْمُظْفَرِ
بَيْرَسِ الْجَاشَنَكِيرِ وَكَانَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ .

- (١) كَذَا فِي مَوْفِي هَامِشِهَا : « أَكْلَشُ » : وَالْأَطْلَشُ وَالْأَطْلَسُ . وَفِي السُّلُوكِ : « الْاَشْ » .
وَفِي ف : « الْأَطْلَشُ » وَبَعْدَ بَحْثٍ طَوِيلٍ لَمْ نَقِفْ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ مِنْ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ .
(٢) فِي الْأَمْلِينَ وَالسُّلُوكِ هُنَا : « تُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بُرْلُغِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ قَرِيبُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ
الْمُصَوِّرِ قَلَاوُونَ » وَصَحِيحُهُ عَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي ص ٨٩ مِنْ الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ وَالذَّرَرِ الْكَامِنَةِ .
(٣) كَذَا فِي الْأَمْلِينَ وَالسُّلُوكِ . وَفِي الْإِعْلَامِ تَارِيخُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ : « وَحَبَسَهُ مِائَةً ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً »
وَهُوَ الْأَبُ بَكْرُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَمْرِى بْنِ مُحَمَّدِ تَقِىَ الدِّينِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ قَاضِي شَيْبَةَ الْأَسَدِىِّ الدِّمَشْقِىِّ الشَّافِئِىِّ .
سَيَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٥٨٥١ . وَهَذَا الْكِتَابُ ذَيْلٌ عَلَى كِتَابِ « الْعَرَبُ فِي خَيْرٍ مِنْ عَرَبٍ » لِمَوْلَانِهِ شَمْسِ الدِّينِ
الْقَاضِي الَّذِى اخْتَصَرَهُ مِنْ تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ ، تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَطَبَقَاتِ الْمَشَاهِيرِ الْأَعْلَامِ ، وَرَبَّهَ كَأَصْلِهِ عَلَى
السَّنَنِ . وَابْتَدَأَ حَيْثُ أَنْتَهَى مِنْ كِتَابِهِ أَيْ مِنْ سَنَةِ ٥٧٠٠ يَوْجَدُ مِنْهُ بَدَارُ الْكِتَابِ الْمِصْرِيَّةِ تَحْتَ رَقْمِ ٣٩٢
تَارِيخِ سَبْعَةِ أَجْزَاءَ مَا خُوِّذَ مِنَ التَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ عَنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ نَسْخَةٍ مَخْطُوطَةٍ مَحْفُوظَةٍ بِمَكْتَبَةِ
بَارِيسِ الْأَهْلِيَّةِ . وَصَلَّ فِي الْكَلَامِ فِيهَا عَلَى أَثْنَاءِ سَنَةِ ٨٠٦ هـ وَالْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهَا بِهِ نَقْصٌ مِنْ أَتْرَافِهِ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ^(١) الْمَنْصُورِيِّ - أَمِيرَ جَانْدَارٍ،
وقد أُنَافَ عَلَى ثَمَانِينَ سَنَةً ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ مَمَالِكِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَكْتُوتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَرْمَانِيِّ الْمَنْصُورِيِّ ، أَحَدَ
الْمَمَالِكِ الْمَنْصُورِيَّةِ قَلَاوُونَ أَيْضًا ، وَكَانَ أَحَدَ الْبُرْجِيَّةِ . ثُمَّ وَلِيَ شَدَّ الدَّوَابِينَ بِدَمَشْقَ
وَحَبَسَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ مَدَّةً ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْجَابِ الْمُظْفَرِ بَيْبَرَسَ ،
ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ طَبْلَخَانَاهُ بِمِصْرَ . وَكَانَتْ بِهِ حَدَبَةٌ فَاحِشَةٌ وَوَلَعٌ ، وَيتَنَبَّعُ
الْمُطَالِبُ وَالْكَيْمِيَاءُ ، وَضَاعَ عَمْرُهُ فِي الْبَطَالِ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَمْرُبُغَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعُقَيْلِيِّ^(٢) نَائِبِ الْكَرْكِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ،
وَكَانَ عَاقِلًا شَجَاعًا مَشْكُورًا فِي السَّيْرِ .

١٠ وَتُوِّفَى الشَّيْخُ الْإِمَامُ كَمَالُ الدِّينِ جَمْفَرُ [بْنِ تَعَلَّبَ بْنِ جَمْفَرٍ] بْنِ عَلِيٍّ الْأُدْفِيَّيِّ^(٣)
الْفَقِيهِ الْأَدِيبِ الشَّافِعِيِّ . كَانَ فَقِيهًا بَارِعًا أَهْلِيًا مُصَنِّفًا ، وَمِنْ مُصَنِّفَاتِهِ تَارِيخُ الصَّعِيدِ
الْمُسَمًّى « بِالطَّالِعِ السَّعِيدِ فِي تَارِيخِ الصَّعِيدِ »^(٤) وَلَهُ مُصَنِّفَاتٌ أُخْرَى وَشِعْرٌ كَثِيرٌ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طَشْتُمُرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ ، أَحَدَ أَمْرَاءِ الْأُلُوفِ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، الْمَعْرُوفُ بِطَلَّيْهِ فِي شَوَّالٍ بِالْقَاهِرَةِ ، وَقِيلَ لَهُ : طَلَّيْهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ
إِذَا تَكَلَّمَ قَالَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ : طَلَّيْهِ . وَهُوَ مِنْ مَمَالِكِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ
وخاصَّيَّكَيْتِهِ ، وَصَارَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَلَهُ تَرْبَةٌ بِالصَّحْرَاءِ^(٥)
مَعْرُوفَةٌ بِهِ ، وَكَانَ شَجَاعًا مُقَدِّمًا .

(١) كَذَا فِي فِ السُّلُوكِ . وَفِي « الْحُسَيْنِيِّ » . (٢) ذَكَرَ فِي عُنْوَانِ كِتَابِهِ « الطَّالِعِ
السَّعِيدِ » الْمَطْبُوعِ بِمِطْبَعَةِ الْإِمْلَاءِيَّةِ بِحَاجَةِ الرَّومِ سَنَةَ ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) أَنَّهُ تُوِّفِيَ سَنَةَ ٧٤٨ هـ وَهُوَ
خَطَأً صَوَابُهُ أَنَّهُ تُوِّفِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ (٧٤٩ هـ) . (٣) التَّكْلِفَةُ عَنِ السُّلُوكِ وَالدَّرَجَةِ الْكَامَةِ
٢٠ (٤) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَالسُّلُوكِ . وَالتَّسْمِيَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ : « الطَّالِعِ السَّعِيدِ الْجَامِعِ لِأَسْمَاءِ الْفَضْلَاءِ
وَالرَّوَاةِ بِأَعْلَى الصَّعِيدِ » . (٥) هَذِهِ التَّرْبَةُ سَبَقَ التَّطْلُقُ عَلَيْهَا فِي الْخَاشِيَةِ رَقْمُ ١ ص ١٨٨ مِنَ الْجُزْءِ
التَّاسِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

وَتُوِّقِيَتْ خَوْنُد طُغَايَ أُمَّ أَنْوَكِ زَوْجَةَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ،
وَتَرَكَتْ مَالًا كَثِيرًا جَدًّا، مِنْ ذَلِكَ أَلْفٌ جَارِيَةٌ، وَثَمَانُونَ طَوَاشِيًّا أَعْتَمَتْ الْجَمِيعَ
وَهِيَ صَاحِبَةُ التَّرْبَةِ^(١) بِالصَّحْرَاءِ مَعْرُوفَةٌ بِهَا . وَهِيَ الَّتِي تَوَلَّتْ تَرْبِيَةَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ
النَّاصِرِ حَسَنَ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ مِنْ أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ . وَكَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ نِسَاءِ
وَقْتِهَا وَأَحْسَنِهِنَّ وَأَسْعَدِهِنَّ .

وَتُوِّقِيَتْ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَدِيبُ الْبَارِعُ صَفَى الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَرَايَا بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
[أَبِي] الْقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ بْنِ أَبِي الْعَزِيزِ بْنِ سَرَايَا بْنِ بَاقِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّنِّيِّ
الْحَلِّيِّ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ فِي سُلْخِ ذِي الْجَمَّةِ . وَمَوْلَدُهُ فِي خَامِسِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ
سَنَةِ سَبْعٍ وَشَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةً ، وَقَدِيمُ الْقَاهِرَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَمَدَحُ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ
حِمَاةٍ ، وَمَدَحُ مُلُوكِ مَارِدِينَ بَنِي أَرْتُقٍ ، وَلَهُ فِيهِمْ غُرَرُ الْقَصَائِدِ ، وَتَقَدَّمَ فِي نَظْمِ الشُّعْرِ .
وَمَدَحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَصِيدَةِ الْمَعْرُوفَةِ . بِـ «الْبِدْعِيَّةِ» وَلَهُ « دِيْوَانُ شُعْرِ
كَبِيرٍ » ، وَشُعْرُهُ سَارٌ شَرْقًا وَغَرْبًا . وَهُوَ أَحَدُ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ . وَفِيهِ يَقُولُ الشَّيْخُ
جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ نُبَاتَةَ :

يَا سَائِلِي عَنْ رُبِّيَةِ الْحَلِّيِّ فِي * نَظْمِ الْقَرِيضِ رَاضِيًا بِي أَحْكُمُ
لِلشُّعْرِ حِلْيَانِ ذَلِكَ رَاجِحُ * ذَهَبَ الزَّمَانُ بِهِ وَهَذَا قِيمُ
وَمِنْ شُعْرِ الصَّنْفِيِّ الْحَلِّيِّ :

أَسْتَطْلِعُ الْأَخْبَارَ مِنْ تَحْوِيَّتِكُمْ * وَأَسْأَلُ الْأَرْوَاحَ حَمَلَ السَّلَامِ
وَكَلَّمَا جَاءَ غُلَامٌ لَكُمْ * أَقُولُ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) في ف :
« وَأَحْسَنُهُمْ وَأَسْعَدُهُمْ » . (٣) النكته عن السلوك والمنهل الصافي والدرر الكامنة .
(٤) كذا في « ف » والمنهل الصافي والدرر الكامنة . وفي السلوك : « بَاقِيًا » . وفي م : « بِكَافَا »
(٥) نسبة إلى منبس (بكسر أوله والموحدة) : قبيلة من طي . (٦) في المنهل الصافي :
« تُوِّقِيَتْ بِنْدَادُ فِي مَحْزَمِ سِتِّ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةً » .

ومن شعره قصيدته التي أولها ^(١) :

[الكامل]

كيف الضلال وصبيح وجهك مشرق * وشذاك في الأكران مسك يعبق
يا من إذا سمرت محاسن وجهه * ظلت به حدق الخلائق تحديق
أوصفت عذرى في هواك بواصح * ماء الحيا بأديمه يترقرق
فإذا المدول رأى جمالك قال لي * عجباً لقلبك كيف لا يتمزق
يا آسراً قلب المحب فدمعه * والنوم منه مطلق ومطلق
أغنيني بالفكر فيك عن الكرى * يا آسرى فأنا الفنى الملق
ومنها أيضا :

لم أنس ليلة زارني ورقيه * يُبدي الرضا وهو المفيظ المحق
حتى إذا عبث العكرى بجفونه * كان الوسادة ساعدي والمرفق
عائقته وضمته فكأنه * من ساعدي ممتطق ومطوق ^(٢)
حتى بدا فلق الصباح فراعته * إن الصباح هو العدو الأزرق ^(٣)

وقد استوعبنا من شعره وأحواله قطعة جيدة في تاريخنا « المنهل الصافي » .

رحمه الله تعالى إن كان مسينا .

١٥ ونوفى الشيخ الصالح المعتقد عبد الله المنوفى الفقيه المالكي ، في يوم الأحد ثامن شهر رمضان ودُفن بالصحراء ، وقبره بها معروف يقصد للزيارة والتبرك . ^(٤)

(١) هذه القصيدة واردة في ديوانه المطبوع بدمشق في مطبعة حبيب افندي خالده (ص ٨١) سنة ١٢٩٧ هـ . وتقع في نحو سبعين بيتا ، يمدح فيها السلطان الملك المنصور نجم الدين أبا الفتح غازي ابن أرتق حين قدومه إل بغداد . (٢) رواية ديوانه « ... من ساعدي مطوق وممتطق » . (٣) ورد هذا الشعر في كلا الأصلين هكذا : « حتى إذا بدا فلق الصباح فراعته » ولا يخفى ما فيه من اختلال في الوزن ، والصواب ما أنبأه . (٤) لا يزال قبر الشيخ عبد الله المنوفى باقيا تحت قبة معروفة به بمجانة قايتباي بالقاهرة ، وهذه القبة تقع شرق جامع وتربة السلطان الأشرف قايتباي ، وعلى بعد مائة متر تقريبا من الجامع المذكور .

وَوُتِّيَ الإمام العلامة شيخ الشيوخ بدمشق علاء الدين علي بن محمود بن حميد
القنوي الحنفي في ربيع شهر رمضان ، وكان إماما فقيها بارعا صوفيا صالحا .
رحمه الله .

وَوُتِّيَ الشيخ الإمام البارِع المُفَتِّنُ الأديب الفقيه ، زَيْنُ الدين عمر بن المظفر بن
عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي - المعزّي - الحلبي - الشلفي - المعروف بأبن الوردِي -
ناظم «الحاوي في الفقه» رحمه الله ؛ وقد جاوز الستين سنة بحلب ، في سابع عشرين
ذى الحجة . وقد استوعبنا من شعره ومشائخه نُبَّةٌ كبيرة في «المنهل الصافي» إذ هو كتاب
تراجم ، محلة الإطناب في مثل هؤلاء . ومن شعره ما قاله في مقرئ . [الكامل] :

(١) عقد لابن الوردی هذا ترجمة وافية الشيخ محمد راجب الطباخ الحلبي في مؤلفه : «أعلام النبلاء»
بتاريخ حلب النبلاء ، ذكر فيها نسبه وشيوخه ومؤلفاته الكثيرة ، نذكر منها أرجوزته التي سارت الزمان
بيلالة ارتجالها ولطف انسجامها وعذوبة ألفاظها ، لاسيما وقد نظمها وهو في حالة غضب من رقتته ،
وهذه الأرجوزة ارتجالها بدمشق عند الامتحان المقعم ، ذكر الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير ، أن
ابن الوردی قدم دمشق في أيام القاضي نهم الدين يحيى بن صمري : فأجلسه في الصفة المحروقة بالشباك
في جلسة الشهود ، وكان ابن الوردی زوى الحال فاستخف به الشهود ، لحضر كتاب مشرى ملك فقال
بعض الشهود : أعطوه لابن الوردی يكتبه ، على سبيل الاستزاء به ، فقال ابن الوردی : أكتبه ظنا
أوثرا ! فراد استزأهم به وقالوا : بل ظنا ، فتناول الطرس وكتب عقد المشتري ارتجالا ، فاعتزفوا
جميعا بفضل . وهذا أول عقد المشتري وهو يقع في عشرين بيتا :

باسم إله الخلق هذا ما أشتري * محمد بن يوسف بن مستقرا

(من المنهل الصافي)

ومن شعره قصيدته المشهورة بالامية التي مطلعها :

اعتزل ذكر الأطنى والفسزل * وقل الفصل وجانب من هزل

فإنها حوت من الحكم والآداب ما لم تحوه منظومة أخرى مثلها .

ومن مؤلفات ابن الوردی التي لم يذكرها مترجوه «تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة» وهو حل لألفية
جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك . نسخة خطية كتبت سنة ٩٧٤ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية
ضمن مجموعة تحت رقم [٣٣٥ نحو] . راجع أعلام النبلاء . بتاريخ حلب النبلاء ج ٥ ص ٣ وبابها ،
والمثل الصافي (ج ٢ ص ٤٩٠ ب) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٩٥) وشلرات الذهب (ج ٦ ص ١٦١)
وطبقات الشافعية (ج ٦ ص ٢٤٣) وفوات الوفيات لابن شاكر (ج ٢ ص ١٤٥) .
(٢) تكلية عن ديوانه المطبوع في مطبعة الجوانب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ (ص ٣٣٥) وتوجد
منه نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة مطبوعة تحت رقم [١١٤٥ أدب] .

ووعَدَتْ أَمِيسَ أَنْ تَرْوِرَ فَلَمْ تَرْزُ * ففَدَوْتُ^(١) مَسْلُوبَ^(٢) الْفَوَادِ مُشْتَتَا^(٣)
لِي مُهْجَةً فِي النَّازِعَاتِ وَعَبْرَةً * فِي الْمُرْسَلَاتِ وَفِكْرَةً فِي هَلِ اتَى

وله عفا الله عنه : [الوافر]

تَجَادَلْنَا : أَمَاءُ الزَّهْرِ أَذْكَى * أَمِ الْخِلَافُ أَمْ وَرْدُ الْقِطَافِ
وَعُقِبِي ذَلِكَ الْجَدَلِ أَصْطَلَحْنَا * وَقَدْ حَصَلَ الْوِثَاقُ عَلَى الْخِلَافِ
وَتُوِّقَ الْأَمِيرُ الطَّوَّاشِي عَنَبَ السَّحَرِيِّ لَأَلَاةُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شُعْبَانَ ،
وَمُقَدِّمِ الْمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ مَنِيًّا فِي الْقُدُسِ ، بَعْدَ أَنْ آمَتِحْنَ وَصُودِرَ . وَكَانَ رَأَى
مِنَ الْعَزْوَاجِ وَالْحُرَمَةِ ، فِي أَيَّامِ الْكَامِلِ شُعْبَانَ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، حَسَبَ مَا ذَكَرْنَا
مِنَهُ نُبْدَةً فِي تَرْجَمَةِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ الْمَذْكُورِ .

١٠ وَتُوِّقَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ كُوكَايَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِ السَّلَاحِ دَارَ ، أَحَدِ
أَعْيَانِ الْأَمْراءِ الْأُلُوفِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِ الْأَمْراءِ وَأَسْعِدِهِمْ ، خَلْفَ
أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ حِينَ . وَهُوَ صَاحِبُ الثَّرْبَةِ^(٤) وَالْمِثْدَنَةِ الَّتِي بِالصَّحْرَاءِ ،
عَلَى رَأْسِ الْمِثْدَنَةِ ، نَجَاهُ ثَرْبَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ . وَكَانَ شَجَاعًا مِقْدَامًا . طَالَتْ
أَيَّامُهُ فِي السَّعَادَةِ .

١٥ وَتُوِّقَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيرِ آخُورَ ، ثُمَّ نَائِبَ صَقْدَ بِيْدَمَشَقَ ،
وَهُوَ أَحَدُ أَمْراءِهَا ، فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ . وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَمْراءِ مِصْرَ ،
وَلِيَّ عِدَّةِ وَلَايَاتٍ جَلِيلَةٍ .

(١) رواية الديوان : « ففقدت » . (٢) رواية لديوان : « مشغول » .

(٣) رواية الديوان : « لي زفرة ... الخ » . (٤) بحثنا من موضع هذه التربة والمثدنة

٢٠ ظر نجد لها أثرًا . (٥) تربة الظاهر برقوق لا تزال باقية بحجامة المالك خارج باب النصر بالقاهرة ،

ولقد سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٥ ص ١٨٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوفِّي الأمير سيفُ الدين نُجَّاي بن عبد الله البريدى المنصورى . كان أحد ممالك الملك المنصور قلاوون ، وليَ قَطَا والاسكندرية ، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، واستقر مهمنداراً . وإليه تُنسب دار نُجَّاي خارج مدينة مصر على النيل ، وعُني بهارتها فلم يتمتع بها .

وتُوفِّي الأمير شرف الدين محمود [بن أوحى] بن خطير أخو الأمير مسعود . وأُظنه صاحب الجامع بالحُسَيْبِيَّة خارج القاهرة .

وتُوفِّي الشيخ المحدث الواعظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مَيْلَق الشاذلى . كان يجلس ويُدَكِّر الناس ويَحْظ ، وكان لوعظه تأثيرٌ فى النفوس .

وتُوفِّي الشيخ المُتَقَدِّز بن الدين أبو بكر بن النُشَاشِي (٤) . كان له قَدَمٌ للناس فيه محبةً واعتقاد . رحمه الله .

وتُوفِّي الرئيس شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمر الأسيوطى - ناظر بيت المال ، كان مقدوداً من أعيان الديار المصرية ، وله ثروة . وإليه يُنسب جامع الأسيوطى - بِحُطَّ جزيرة الفيل .

(١) بالبحث عن هذه الدارين أنها اندرست وليس لها أثر اليوم خارج مصر القديمة فى المنطقة الواقعة على النيل بين خط دير النحاس وبين حائط مجرى الماء جنوبى فم الخليج بالقاهرة .

(٢) التكلفة عن السلوك والمنهل الصافى والدرر الكامنة . (٣) لم يرد فى السلوك ولا فى المنهل الصافى ولا فى الدرر أنه صاحب جامع خارج الحسينية . وعلى هذا فلا معنى لظن المؤلف أن له جامعاً . (٤) نسبة إلى عمل الشاب . (٥) هذا الجامع ذكره المقرئ فى خطه باسم جامع الأسيوطى

(ص ٣١٥ ج ٢) فقال : إنه بطرف جزيرة الفيل بماء ناحية بولاق ، كان موضعه فى القديم غامراً بماء النيل ، فلما انحصر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق أنشأ هذا الجامع القاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم عمر السيوطى ناظر بيت المال ، ومات فى سنة ٧٤٩ هـ ، ثم جدد عمارته بعد ما تهتم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان المعروف بابن البارزى الحموى كاتب السر ، وأقام فيه الخطبة يوم الجمعة ٢٣ جمادى الأولى سنة ٨٢٢ هـ ، بقا . فى أحسن هندام ، وصلى فيه السلطان الملك المؤيد شيخ الجمعة فى أول جمادى الآخرة سنة ٨٢٣ هـ .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا . وحُولت هذه السنة إلى
سنة خمسين . والله أعلم .



السنة الثانية من ولاية السلطان الملك الناصر حسن الأولى .
على مصر وهي سنة خمسين وسبعائه .

فيها تُوِّفِّي مَكِين الدين إبراهيم بن قَرْوِينَة بطالا ، بعدما ولى استيفاء الصُّعْبَة ،
ونظَّر البيوت ، ثم نظَّر الجيش مرتين ثم تَعَطَّل إلى أن مات . وكان من أعيان
الْكُتَّاب ورؤسائهم .

- ١٠ . وتُوِّفِّي الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبد الله الناصري ، فائب الشام مذبوحا
في ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأول ، وكان من أعيان ممالك الملك الناصر
محمد بن قلاوون وخواصه ، رباه وجعله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجندارية .
ثم استقر بعد وفاته أستاذارا أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر ، فتحكم على الملك
الكامل شعبان ، حتى أخرجه لنيابة صقذ ، وولى بعدها نيابة حلب . ثم نيابة الشام .
وكان خفيفا قوى النفس شرس الأخلاق ، مهابا جبارا في أحكامه ، سقا كاللدماء
غليظا فاحشا ، كثير المال والحنم .

- ٢٠ . وبالحق من مكان هذا الجامع في الجهة التي أشار إليها المقرئ ، تبين لي أنه هو الذي يعرف اليوم
بجامع الأخرس ، نسبة إلى الشيخ محمد الأخرس المدفون فيه ، بشارع السبئية الجزا في جنوبي سائر السكة الحديثة
ببولاك . وأنه خرب فاعتصب بعض أصحاب الأملاك المجاورة له جزءا منه ، فأصبح مسجدا صغيرا قديما في حاجة
إلى التجديد ، وعتب بابه تحت منسوب أرض الشارع بدرجات . ولم يذكر المقرئ تاريخ إنشائه الذي
كان حوال سنة ٥٧٤ هـ ، والذي دلت على أن هذا الجامع هو بذاته جامع الأسيوطي أنه مبني على خريطة
القاهرة رسم الحملة الفرنسية في سنة ١٨٠٠ م باسم جامع البارزى ، وسبق أن ذكرنا أن ابن البارزى
جدده في سنة ٨٢٢ هـ ، صرف الجامع باسمه إلى وقت الحملة .

وكان أصله من بلاد الصين ^(١) حُل إلى بوسعيد بن نَرْبَند ملك التتار ، فأخذه دِمَشْقُ نَجْمَا بن جوبان . ثم أرتجعه بوسعيد بعد قتل [دِمَشْقُ نَجْمَا بن] جوبان ، وبعث به إلى الناصر هدية ومعه مَلِكْتَمُر السَّعْدِي ^(٢) . وقد تقدم من ذكر أَرْغُون شاه هذا نبذة كبيرة في عِدَّة تراجم من هذا الكتاب ، من أول ابتداء أمره حتى كيفية قتله ، في ترجمة الملك الناصر حسن هذا ، فليُنظر هناك .

وَوَفَّى الأمير الكبير سيف الدين أَرْقُطَاي بن عبد الله المنصوري ، نائب السلطنة بالديار المصرية ، ثم نائب حلب ثم ولي نيابة دِمَشْق ، فلما خرج منها متوجها إلى دِمَشْق ، مات بظاھرھا عن نحو ثمانين سنة ، في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى . وأصله من ممالك الملك المنصور قلاوون ، رباه الطوائشي فاجر أحسن تربية إلى أن توجه الملك الناصر إلى الكرك توجه معه ، فلما عاد الملك الناصر إلى ملكه جملة من جملة الأمراء . ثم سيره محبة الأمير تَنْكُر إلى الشام ، موأصى تَنْكُر ألا يخرج عن رأيه ، فأقام عنده مدة ، ثم ولّاه نيابة حمص سنتين ونصفا . ثم نقله إلى نيابة صَفَد ، فأقام بها ثمانى عشرة سنة . ثم قَدِم مصر ، فأقام بها خمس سنين وجرّد إلى آيَاس ^(٥) . ثم ولي نيابة طرابلس ، ومات الملك الناصر محمد ، ففقد مصر بعد موته

(١) في الأصلين : « بعد قتل جوبان » وهو خطأ حواه ما أئتمناه ، لأن جوبان هذا كان نائب بوسعيد ملك التتار ، فأراد قتله فلم يتمكن الظروف فأخذ ولده « دِمَشْقُ نَجْمَا » وقتله بدله . راجع ص ٢٧٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وراجع السلوك قسم سادس جزء أول الفتوغرافى لوصة (٦٠٣) . والدرر الكامنة (ج ١ ص ٥٤١) في الكلام على جوبان المذكور .
(٢) في بعض المصادر : « السعدى » . (٣) هو الطوائشي شهاب الدين فاجر المنصوري مقدم الممالك السلطانية . تَقَدَّم وفاته سنة ٥٧٠٧ . (ج ٨ ص ٢٨٨) من هذه الطبعة . وفي النبل الصاق أنه توفي سنة ٥٧٠٦ . وفي الدرر الكامنة أنه توفي سنة ٥٧٠٤ . (٤) في السلوك : « فأقام بها عدة سنين » . (٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة والحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء المتقدم .

فَقُضِيَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ ، وَبَعْدَ مَدَّةٍ وَلِيَ نِيَابَةَ حَلَب . ثُمَّ عُزِّلَ وَطُلِبَ إِلَى مِصْرَ
فَصَارَ يَجْلِسُ رَأْسَ الْمَجْمَعَةِ . ثُمَّ وَلِيَ نِيَابَةَ السُّلْطَانَةِ بِالْأَيْمَارِ الْمِصْرِيَّةِ نَحْوَ سِتِينَ .
ثُمَّ أُخْرِجَ لِنِيَابَةِ حَلَبَ ثَانِيًا ، بِحَسَبِ سُؤَالِهِ فِي ذَلِكَ ، فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً . ثُمَّ قِيلَ لَهُ نِيَابَةُ
الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِ أَرْغُونِ شَاهٍ ، فَهَاتَ خَارِجَ حَلَبَ قَبْلَ أَنْ يَبَاسِرَ دِمَشْقَ ، وَدُفِنَ
بِحَلَبَ . وَكَانَ أَمِيرًا جَلِيلًا عَظِيمًا مُهَابًا عَاقِلًا سَيَّوسًا ، مُشْكُورَ السَّيْرِ مُحِبًّا لِلرَّعِيَةِ .
وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يُغْنِي عَنْ الْإِعَادَةِ هُنَا .

وَتَوَفَّى الْأَمِيرَ سَيْفُ الدِّينِ أَبُلْجَيْفَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُظْفَرِي نَائِبَ طَرَابُلُسَ ، مُوسَطَا
بِسُوقِ خَيْلِ دِمَشْقَ ، فِي يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ ثَانِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ، بِمَقْتَضَى قَتْلِهِ الْأَمِيرَ
أَرْغُونِ شَاهٍ نَائِبَ الشَّامِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ كَيْفِيَّةَ قَتْلِهِ أَرْغُونِ شَاهٍ فِي تَرْجُمَةِ السُّلْطَانِ حَسَنِ
هَذَا ، وَأَيْضًا وَاقِعَةَ تَوْسِيطِهِ مَفْصَلًا هُنَاكَ . وَكَانَ أَبُلْجَيْفَا مِنْ مِمَالِكِ الْمُظْفَرِ حَاجِيًا
أَبْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ وَمِنْ خَوَاصِّهِ . وَقُتِلَ أَبُلْجَيْفَا وَسِنُهُ دُونَ الْعَشْرِينَ
سَنَةً ، بَعْدَ أَنْ صَارَ أَمِيرَ مِائَةِ وَمَقْدَمُ أَلْفَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَنَائِبَ طَرَابُلُسَ ، وَوُضِعَ
مَعَهُ إِيَّاسُ الْآتِي ذِكْرُهُ .

وَتَوَفَّى الْأَمِيرَ نَفَرَ الدِّينِ إِيَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِي ، مُوسَطَا أَيْضًا بِسُوقِ خَيْلِ
دِمَشْقَ لِمُوَافَقَتِهِ أَبُلْجَيْفَا الْمَقْدَمَ ذِكْرَهُ عَلَى قَتْلِ أَرْغُونِ شَاهٍ فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ أَعْلَاهُ .
وَكَانَ أَصْلُ إِيَّاسٍ هَذَا مِنَ الْأَرْمَنِ ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ ،
فَرَقَاهُ حَتَّى عَمِلَهُ شَادَّ الْعَاهَرِ . ثُمَّ أُخْرِجَ إِلَى الشَّامِ شَادَّ الدَّوَاوِينِ . ثُمَّ صَارَ حَاجِيًا
بِدِمَشْقَ . ثُمَّ نَائِبًا بِصَفَدَ . ثُمَّ نَائِبًا بِحَلَبَ . ثُمَّ عُزِّلَ بِسَعْيِ أَرْغُونِ شَاهٍ بِهِ ، وَقَدِمَ

(١) كَذَا فِي الْأَمَلِينَ . وَفِي السُّلُوكِ : « فِي يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ ثَامِنِ عَشْرِ رَجَبِ الْآخِرِ » . وَفِي النَّهْلِ

الصَّافِي : « فِي حَادِي عَشْرِينَ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ » .

(٢) تَقَدَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْكُتُبِ أَنَّهُ يُقَالُ فِيهِ : إِيَّازُ وَإِيَّاسُ بِالزَّيِّ وَالسَّيْنِ .

دِمَشْقُ أميرا في نيابة أرغون شاه لِدِمَشْق ، فصار أرغون شاه يَهْبِته ، وإياس يومئذ تحت حُكْمه ، فَحَقَّقَ عليه ، وَاتَّفَقَ مع أَلْحَيْفَا نائِب طرَابُلس حَتَّى قَتَلَاهُ ذُبْحًا ، حسب ما ذكرناه مفصلا ، في ترجمة السلطان الملك الناصر حسن .

- وَتُوِّقُ الإمام العلامة قاضي القضاة علاء الدين علي - ابن القاضي نغر الدين عثمان
- ٥ ابن إبراهيم بن مصطفى المَسَارِدِيخي الحنفي المعروف بالترَكاني - رحمه الله تعالى - في يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة . ومولده في سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وهو أخو الصِّلَمة تاج الدين أحمد ^(١) ، ووالد الإمامين العَالِمَيْن : عز الدين عبد العزيز وجمال الدين عبد الله ^(٢) ، وعم العلامة محمد بن أحمد ، يأتي ذكر كل واحد من هؤلاء في محله إن شاء الله تعالى . وكان قاضي القضاة علاء الدين إماما فقيها بارعا نحويا
- ١٠ أصوليا لغويا ، أفتى ودرس وأشغل وألف وصنف ، وكان له معرفة تامة بالأدب وأنواعه ، وله نظم وشعر : كان إمام عصره بلا مدافعة ، لا سيما في الصلوم العقلية والفقهاء أيضا والحديث ، وتصدى للإقرار عدة سنين . وتولى قضاء الحنفية بالديار المصرية في شوال سنة ثمان وأربعين وسبعائة ، عوضا عن قاضي القضاة زين الدين البَسْطَامِي ^(٣) ، وحسنت سيرته ، ودام قاضيا إلى أن مات . وتولى عوضه ولده جمال الدين عبد الله .
- ١٥

- (١) هو تاج الدين أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركاني . توفي سنة ٧٤٤ هـ عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . (٢) هو عز الدين عبد العزيز بن علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركاني توفي سنة ٧٤٩ هـ عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . (٣) هو جمال الدين عبد الله بن علي ابن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركاني . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٦٩ هـ .
- (٤) في الأصلين هنا : « البساطي » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عما تقدم ذكره في ص ١٢٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة والمنهل الصافي ، توفي سنة ٧٧١ هـ .
- ٢٠

ومن مصنفاته — رحمه الله — كتاب «بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب» و «المنتخب في علوم الحديث» و «المؤتلف والمختلف»^(١) و «الضعفاء والمتروكون» و «الدر النقي في الرد على البيهقي» وهو جليل في معناه، يدل على علم غزير، وأطلاع كثير، و «مختصر المحصل في الكلام» و «مقدمة في أصول الفقه» و «الكفاية في مختصر الهداية» و «مختصر رسالة القشيري»^(٢) وغير ذلك .

وتوفي قاضي القضاة تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي الإخنائي المالكي^(٣)، في ليلة الثالث من صفر، ومولده في شهر رجب سنة أربع وستين وستمائة، وكان فقيها فاضلا محدثا بارعا . ولي شهادة الحضانة . ثم تولى قضاء الإسكندرية . ثم قيل لقضاء دمشق بعد علاء الدين القوتوي . وحسنت سيرته . وتولى بعده جمال الدين يوسف [بن إبراهيم]^(٤) بن جملة .

وتوفيت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة الأمير طاز، وخلفت أموالا كثيرة، أبيع موجودها بباب القلعة من القلعة بمخيمات ألف درهم، من جملة ذلك قبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، عنها يوم دلك ألفا دينار مصرية .

- (١) في الأصلين : « بهجة الأديب ما في الكتاب العزيز من الغريب » . وما أثبتناه عن النسخة المخطوطة المحفوظة به دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ تفسير، المنقولة عن نسخة بخط المؤلف المذكور .
- (٢) ذكره ملا كاتب علي في كشف الظنون (ج ٢ ص ٨٤) مطبعة العالم، تحت عنوان : « علم الضعفاء والمتروكين في رواية الحديث » . (٣) في الأصلين : « والكفاية » وما أثبتناه عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . (٤) في الأصلين : « الشافي » وهو خطأ صوابه ما أثبتناه، وهذا اللبس حصل من أنه له أخا يلقب بعلم الدين ويسمى أيضا بمحمد وهو شافعي المذهب، أما تقي الدين هذا فهو مالكي المذهب . (انظره في رفع الإصر عن قضاة مصر لأبن حجر العسقلاني ص ٢٥٩ ب) .
- (٥) هو علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القوتوي الشافعي، تقدمت وقاؤه في حوادث سنة ٨٧٢٩ . (٦) التكلفة عما تقدم ذكره في سنة ٧٣٨ هـ وهي سنة وفاته .

وَوُفِّيَ شَيْخُ الْقُرَاءِ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَكَّارِيِّ ،
بِالْقَاهِرَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى . وَكَانَ إِمَامًا فِي الْقِرَاءَاتِ ، تَصَدَّقَ لِلْإِقْرَارِ عِدَّةَ سِنِينَ
وَأَنْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ .

وَوُفِّيَ الْأَمِيرُ طُقْتُخْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّرِيفِيِّ ، بَعْدَ مَا عَمِيَ وَلَزِمَ دَارَهُ وَكَانَ مِنْ
أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ .

وَوُفِّيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ نَجْمُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ الْقُرَشِيِّ الْأَصْفُوفِيِّ الشَّافِعِيِّ ، يَمْنَى ، فِي ثَلَاثِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ .
وَكَانَ فَقِيهًا عَالِمًا مُصَنِّفًا ، وَمِنْ مُصَنِّفَاتِهِ : « مَخْتَصَرُ الرُّوضَةِ فِي الْفَقْهِ » .

§ أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ — الْمَاءُ الْقَدِيمُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ وَأَرْبَعُ أَصَابِعَ . يَمْلِغُ
الزِّيَادَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَثَلَاثَ وَعِشْرُونَ إصْبَعًا .



السَّنَةُ الثَّلَاثَةُ مِنْ سُلْطَنَةِ النَّاصِرِ حَسَنِ الْأُولَى عَلَى مِصْرَ وَهِيَ سَنَةُ
إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسَبْعِينَ .

- (١) أَطْلَعْنَا الْبَحْثَ عَنْ مَعْرِفَةِ مَوْضِعِ هَذِهِ الدَّارِ فَلَمْ نَعْمُرْهَا عَلَى أَثَرِ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَحْتَ يَدِنَا .
- (٢) اِخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي هَذَا الْأَسْمِ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَصْلَيْنِ وَالسُّلُوكِ وَالْمَنْهَلِ الصَّافِيِّ وَالِدَرَرِ الْكَامِنَةِ
وَحَسَنِ الْمَخَاضَةِ لِلْسُّبُوطِيِّ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ : « نَجْمُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ يَوْسُفَ ... أَخْ » . وَفِي طَبَقَاتِ
الشَّافِعِيَّةِ وَبَعْضِ الْمَصَادِرِ : « عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَوْسُفَ ... أَخْ » . (٣) نَسَبُهُ إِلَى أَصْفُونٍ . ذَكَرَهَا
الْمَرْحُومُ عَلَى بَاشَا مَبَارَكٍ فِي خَطِّطِهِ (ج ٨ ص ٥٧) فَقَالَ : أَصْفُونُ بِالْسِّينِ أَوْ بِالضَّادِ بَعْدَ الْهَمْزَةِ ،
قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْمُطَاعَةِ بِمَدِيرَةِ إِسْنَا ، فِي بَحْرِهَا إِلَى الْغَرْبِ بِنَحْوِ عَشْرَةِ آلَافِ مِثْرَ ، وَفِي الْجَنُوبِ الْقَرْبَى لِلْكَيَّانِ
بِنَحْوِ ثَلَاثَةِ آلَافِ مِثْرَ . وَفِيهَا جَامِعُ بِنَارَةٍ مَبْنَى بِالْأَجْرِ ... ثُمَّ قَالَ : وَفِي خَطِّطِ الْمَقْرِزِيِّ ، أَنَّ أَصْفُونَ
كَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ بِلَادِ مِصْرَ وَأَكْثَرَ نَوَاحِي الصَّمِيدِ فَوَاكِهِ ، وَكَانَ فِيهَا ذِكْرٌ كَبِيرٌ ، رَهْبَانُهُ مَعْرُوفُونَ بِالْعِلْمِ
وَالْمَهَارَةِ ، نَفَرَتْ أَصْفُونُ وَخَرِبَ دِيرُهَا وَهَذَا آخِرُ أَدْرَةِ الصَّمِيدِ ... أَخْ » . وَبِالرُّجُوعِ إِلَى الْخَطِّطِ الْمَقْرِزِيَّةِ
لَمْ نَجِدْهَا ضَمِنَ الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ الَّتِي تَرْجِمُ لَهَا الْمَقْرِزِيُّ ، وَرَبَّمَا ذَكَرَهَا مَرَضًا ضَمِنَ كَلَامِهِ آخِرَ . وَهِيَ الْآنَ
أَصْفُونُ الْمُطَاعَةِ بِلَدَةِ بَصْعِيدِ مِصْرَ تَابِعَةٌ لِمَرْكَزِ إِسْنَا بِمَدِيرَةِ قَنَا . (٤) يَوْجَدُ مِنْهُ بَذَارُ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ
الْجُزْءِ الْآخِرِ ، مَخْطُوطٌ تَحْتَ رَقْمٍ [٣٦٧] فَقَدْ شَافَيْ .

فيها تُؤَقَّى الأمير سيف الدين دِلَنْجِي^(١) بن عبد الله (ودلنجي هو المكدي باللغة التركية) . كان أصله من الأتراك وقَدِم إلى الديار المصرية سنة ثلاثين وسبعائة، فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بإمرة عشرة . ثم إمرة طَبْلَخَانَاة . ثم ولي نيابة غَزَّة بعد الأمير تلجك، فأوقع بالمفسدين ببلاد غَزَّة وأبادهم، وقويت حُرْمَتُهُ . وكان شجاعاً مُهاباً

وَتُوُقَّى الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرَيْعِي الدَّمَشْقِي الحنبلي، المعروف بابن قِيمَ الجُوزِيَّة بِدِمَشْق، في ثالث عشر شهر رجب . ومولده سنة إحدى وتسعين وستائة . وكان بارعاً في عدة علوم، ما بين تفسير وفقه وعربية ونحو وحديث وأصول وفروع، ولَزِم شيخ الإسلام تقي الدين بن تَيْمِيَّة بعد عَوْدِهِ من القاهرة في سنة اثنتي عشرة وسبعائة، وأخذ منه علماً كثيراً، حتى صار أحد أفراد زمانه، وتصدَّى للإقراء والإفتاء سنين، وأنتفع به الناس قاطبةً، وصنَّف وألَّف وكتب . وقد استوعبنا أحواله ومصنفاته وبعض مشايخه في ترجمته في « المنهل الصافي » كما ذكرنا أمثاله .

وَتُوُقَّى الأمير حُسَام الدين لاجين بن عبد الله العَلَاثِي الناصري . أصله من مماليك الناصر محمد . ثم صار أمير جاندار في ولة الملك المظفر حاجي، فإنه كان رُوحاً أَمَةً . ثم ولي أمير آخور، فلما قُتِل الملك المظفر في سنة ثمان وأربعين وسبعائة، عُزِل وأُخْرِج إلى حلب، على إقطاع الأمير حسام الدين محمود بن داود الشيباني، فدام بحلب إلى أن مات بها، وقيل بغيرها .

(١) ضبطه صاحب الدرر الكامنة بالعبارة فقال: (بكر الأول وفتح اللام وسكون النون وكسر الحيم) .

(٢) هو آبن نَيْمِيَّة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله الحُرَّانِي الحنبلي، تَفَدَّت وفاته سنة ٧٢٨ هـ (ج ٩ ص ٢٧١) من هذه الطبعة .

وتوفّي الشيخ نحر الدين أبو عبد الله محمد بن عليّ بن إبراهيم بن عبد الكريم
المصريّ، الفقيه الشافعيّ يدْمَشْق، في سادس عشرين ذى القعدة، ومولده سنة
إحدى وتسعين وستائة . وكان فقيها عالما فاضلا بارعا في فنون .

وتوفّي ابن قَرَمَان صاحب جبال الروم بعد مرض طويل .
قلتُ : وبنو قَرَمَان هؤلاء هم من ذرية السلطان علاء الدين كَيْقَبَاد السَلْجُوقِيّ،
وهم ملوك تلك البلاد إلى يومنا هذا ، وقد تقدّم من ذكرهم جماعة كثيرة في هذا
الكتاب .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع ونصف، وقبل خمس
أذرع وسبع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا . ونزل في خامس توت
وشيرقت البلاد .



السنة الرابعة من سلطنة الملك الناصر حسن الأولى على مصر
وهي سنة اثنتين وخمسين وسبعائة، وهي التي خُلِع فيها السلطان حسن المذكور
في سابع وعشرين جمادى الآخرة، وحكّم في باقيها أخوه الملك الصالح صالح ابن
الملك الناصر محمد بن قلاوون .

فيها توفّي السيّد الشريف أدّي أمير المدينة النبويّة، على ساكنها أفضلُ
الصلاة والسلام، في السجن .

(١) في الدرر الكامنة أنه توفّي في سادس عشر ذى القعدة . (٢) راجع الحاشية رقم ١
ص ٢٩٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) يقال بالواو بدل الهزة . وهو أدّي بن
هبة الله بن حجاز بن منصور بن حجاز بن شعبة بن هاشم، يتصل نسبه بالحسين بن عليّ .

وَتُوِّفِيَ الأمير سيف الدين طَشْبُغَا بن عبد الله الناصري الدَّوَادَار . كان من جملة
الأمراء في الديار المصرية ، فلَمَّا أُخْرِجَ الأمير جُرْجِي الدَّوَادَار من القاهرة ، في أول
دولة الملك الناصر حسن ، استقرَّ طَشْبُغَا هذا دَوَادَارًا عِوَضَهُ ، في شهر رمضان
سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمائة ، واستمرَّ على ذلك إلى أن تُوِّفِيَ . وكان خيرًا دِينًا
فاضلاً عاقلاً .

وَتُوِّفِيَ قاضي القضاة الحنفية بجلب ناصر الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز
ابن محمد بن أبي الحسن بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله [بن أحمد ^(٣)] بن
يحيى بن أبي جَرَادَة ، المعروف بآبْن الْعَدِيم الحلبي بجلب ، عن ثلاث وستين سنة .
وقد تقدَّم ذكرُ جماعة من آبائه وأقاربه في هذا الكتاب ، وسيأتي ذكر جماعة آخر
من أقاربه ، كلُّ واحد في محله . إن شاء الله تعالى .

وَتُوِّفِيَ ملك الغرب أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق
ابن محيى بن أبي بكر بن حمامة في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع
الأول ، وقام في الملك من بعده أبْنُه أبو عنان فارس . وكانت مدة ملكه إحدى
وعشرين سنة .

- ١٥ (١) ضبطه بالعبارة الصلح الصفدى في كتابه أعيان مصر فقال : (يفتح الطاء المهمله وسكون الشين
المعجمة وباء موحدة وغين معجمة بعدها ألف) . (٢) كذا ورد في الأصلين والسلوك ولم ترد
هذه الكنية في المصادر التي ترجمت له ، كالدرر والمنهل الصافي وغيرهما . (٣) التكملة من الدرر
الكامة والسلوك . (٤) في الأصلين : «ابن حمامة» والتصويب عن السلوك والاستقصا لأخبار
دول المغرب الأقصى ، للشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوى طبع مصر سنة ٨١٣١٢ (ج ٢ ص ٣) .
٢٠ (٥) في الأصلين : «في ثالث عشر شهر ربيع الآخر» وفي السلوك : «في ثالث عشرين ربيع الآخر»
وهي رواية آبن الخطيب وآبن خلدون وغيرهما . وما أنبتناه عن الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
وهي الرواية الصحيحة ، حيث ورد في الكتاب المذكور (ج ٢ ص ٨٥) : «والذى رأيت مكتوبا بالنقش
على رخامة قبره بشالة أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة» .

وَتُوِّفَّ القاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد
 ابن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المعروف بأبن القيسراني ، مَوْقِع الدست
 وصاحب المدرسة بسُوَيْقَة الصاحب داخل القاهرة وبها دُفِنَ ، وكان معدودا من
 الرؤساء الأمثال .

(١) هذه المدرسة ذكرها المقرئ في خطه بأسم المدرسة القيسرانية (ص ٣٩٤ ج ٢) فقال :
 إنها بجوار المدرسة صاحبة بسويقة الصاحب ، فإيها وبين باب الخوخة ، كانت دارا يسكنها القاضى
 الرئيس شمس الدين محمد بن إبراهيم القيسراني ، أحد موقى الدست بالقاهرة ، لعلها مدرسة ووقفها
 في ربيع الأول سنة ٧٥١ هـ .

وبالبحث عن هذه المدرسة في الجهة التي أشار إليها المقرئ ، تبين لي أنها تحولت إلى دار كما كانت
 أولا ، وأن هذه الدار لم تكن بجوار المدرسة صاحبة ، أى ملاصقة لها كما يفهم من تعبير المقرئ ، بل
 إنها كانت مواجهة لها ، على الطريق بينها وبين باب الخوخة ، وكانت المدرسة المذكورة واقعة على يسار
 الداخل في سويقة الصاحب ، التي مكانها اليوم الطريق التي تسمى شارع اللبودية وشارع السلطان
 الصاحب ، على الناحية التي كان يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع حمام الثلاث ، حيث تجد على اليمين بقايا
 المدرسة صاحبة .

وقد أقتضى فتح شارع الأزهر بمرجب المرسوم الصادر في ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٣ إزالة كثير من
 لمبانى من ضمنها الدار التي حلت محل القيسرانية ، وبذلك زال أثرها .

والظاهر أن على باشا مبارك لم يوصله بحثه إلى أنها تحولت إلى دار ، فألتبس عليه الأمر في تحديد
 موضعها ، بدليل أنه لما تكلم في المخطط التوفيقية على المدرسة القيسرانية (ص ١٤ ج ٦) قال : لعلها
 المدرسة التي على يمين الداخل في أول درب سعادة من جهة الخزاوى ، في حين أن تلك المدرسة هي
 المدرسة الفخرية ، التي أنشأها نغرا الدين عثمان بن قزل الباروى في سنة ٦١٢ هـ ، وسميت فيما بعد الظاهرية ،
 لأنها جددت في عهد الملك الظاهر أبي سعيد جقمق ، ثم قال أيضا : ويحتمل أن تكون هذه هي المدرسة
 الزمامية ، في حين أن تلك المدرسة التي أنشأها زين الدين مقبل الطوائى الزمام هي التي تعرف اليوم
 بجامع الداودى بشارع اللبودية ، الذي كان متصلا بشارع الخزاوى ، وفصلهما عن بعضهما شارع الأزهر .
 ثم قال بعد ذلك : وقد تكون القيسرانية ، هي التي تعرف اليوم بجامع المغرب بجوار صاحبة ، في حين
 أن جامع المغرب المذكور هو مدرسة الجمال يوسف ، التي أنشأها جمال الدين يوسف بن كريم الدين
 عبد الكريم المعروف كاتب حكيم ناظر الخاص في سنة ٨٥٦ هـ ، بين داره وبين المدرسة صاحبة التي
 تكللت عليها في الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . وفوق ذلك ، فإن جامع
 المغرب لا يزال باقيا ، ويقع شرق المدرسة صاحبة ، في حين أن المدرسة القيسرانية زالت ، وكانت
 واقعة بجرى صاحبة ، بينها وبين باب الخوخة . كما ذكر المقرئ وحققه في هذا البحث .

وتُوفِّي الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير رُكن الدين بيبرس الأحمدي، أحد
أمراء الطُلُحَاة بالديار المصرية، وهو مجرّد ببلاد الصعيد، فحُمل إلى القاهرة
ميتاً في يوم الأحد ثاني عشرين شهر رمضان .

وتُوفِّي الشيخ الإمام تاج الدين أبو الفضل ^(١) محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي
الأصل الشافعي بدمشق في جمادى الآخرة . وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً معدوداً من
فقهاء الشافعية .

وتُوفِّي القاضي علاء الدين علي بن محمد بن مقاتل الحرّاني ثم الدمشقي ناظر
دمشق بالقدس الشريف . في عاشر شهر رمضان .

قلت : لعل علاء الدين هذا غير الأديب علاء الدين بن مقاتل الزجال الحموي .
لأنني أحفظ وفاة هاذك . في سنة إحدى وستين وسبعمائة، وهكنا أرخناه في « المنهل
الصابي والمستوفى بعد الوافي » .

§ أمر النيل في هذه السنة . المآن القديم ست أذرع ونحس أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإصبع واحدة . والله أعلم .

(١) في شذرات الذهب أنه يكنى بأبي عبد الله .

ذكر سلطنة الملك الصالح صالح

أبن السلطان الملك الناصر محمد آبن السلطان الملك المنصور قلاوون

هو المشرون من ملوك التُّرك بديار مصر، والثامن من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون. وأمه خَوْنَد قُطْلُو مَلَك بنت الأمير تَنْكِزِ الناصري^(١) نائب الشام، تسلمن بعد خلع أخيه الملك الناصر حسن في يوم الاثنين ثامن عشرين جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين وسبعائة، باتفاق الأمراء على ذلك، وأمره أن الأمراء لما حُملت لهم نِمْجاة الملك، وأخبروا بأن الناصر حسنا خلع نفسه، وهم وقوف بقُبَّة النصر خارج القاهرة، توجهوا الى بيوتهم، وباتوا تلك الليلة وهي ليلة الاثنين بإسطنبولهم، وأصبحوا بكرة يوم الاثنين طلَعوا إلى القلعة، واجتمعوا بالرُّحبة داخل باب النحاس، وطلبوا الخليفة والقضاة وسائر الأمراء وأرباب الدولة، وأستدعوا بالصالح هذا من الدور السلطانية، فأخرج لهم فقاموا له وأجلسوه وباعوه بالسلطنة، وألبسوه شعار المُلْك وأبته السلطنة، وأركبوه فرسَ التَّوْبَةِ من داخل باب السَّتارة، ورُفِعت الفاشية بين يديه ومشت الأمراء والأعيان بين يديه والأمير طاز والأمير منكلى بَغَا آخذان بِشِكِمة فرسه، وسار على ذلك حتى نزل وجلس على تخت المُلْك بالقصر، وقبِلَت الأمراء الأرض بين يديه، وحلقوا له [وحلقوه]^(٢) على العادة، ولقبوه بالملك الصالح، ونُودى بسلطنته بمصر

(١) اختف التورخون في تاريخ خلع، في السلوك كما ورد في الأصلين (وهي الرواية الصحيحة لأن أول جمادى الآخرة كان يوم الثلاثاء). وفي المنهل الصافي: «خلع من السلطنة في أوائل شهر رجب سنة اثنين وخمسين وسبعائة» وفي ابن إياس (ج ١ ص ١٩٤) والدور الكامنة. «يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين وسبعائة». (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة. (٣) تكملة عن السلوك.

والقاهرة ودُقَّت الكومات وزُيِّنَت القاهرة وسائر بيوت الأمراء . وقبل سلطنته كان النيل نقص عند ما كُنِيَ عليه ، فردَّ نقصه ونُودِيَ عليه بزيادة ثلاث أصابع من سبع عشرة ذراعا ، فتباشر الناس بسلطنته .

ثم توجه الأمير بُزْلا ر أمير سلاح إلى الشام ، ومعه التشاريف والبشارة بولاية السلطان الملك الصالح ، وتحليف المساكين الشامية له على العادة . ثم طلب الأمير طاز والأمير مُغلطاي مفتاح الذخيرة ليعتبرا^(١) ما فيها فوجدا شيئا يسيرا . ثم رُمِم للصاحب علم الدين عبد الله بن زُنُور ، بتجهيز تشاريف الأمراء وأرباب الوظائف على العادة ، فجَهِزها في أسرع وقت ، ووقف الأمير طاز سأل السلطان والأمراء الإِمْرَاج عن الأمير شَيْخُون العمري ، فرُسم بذلك ، وكتب كل من مُغلطاي وطاز كتابا ، وبعث مُغلطاي أخاه قُطَيْلِجَا رَأْس نُوْبَةٍ ، وبعث طاز الأمير طُفْقَاي صُهره ، وجهزت له الحُرَاقَةُ لإحضاره من الإسكندرية في يوم الثلاثاء تاسع عشرين جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وسبعماية المذكورة ، وكان ذلك بغير اختيار الأمير معلطاي ، إلا أن الأمير طاز دَخَلَ عليه وأخَّ عليه في ذلك ، حتى وافقه على مجيئه ، بعد أن قال له : أخشى على نفسي من مجيئ شَيْخُون إلى مصر ، لحلف له طاز أيمانا^(٢) مغلفة أنه معه على كل ما يريد ، ولا يصيبه من شَيْخُون ما يكره ، وأن شَيْخُون إذا حضر لا يعارضه في شيء من أمر المملكة ، وإني ضامن له في هذا ، وما زال به حتى أذعن ، وكتب له مع أخيه ، فشَقَّ ذلك على الأمير من كلِّ بَأْس الفخري ، وعُتِب مُغلطاي على موافقة طاز ، وعزَّفه أن يحضر شَيْخُون إلى مصر يزول عنهم

(١) كذا في الأصلين وهي كلمة اصطلاحية « معناها الجرد ، مأخوذة من « العبرة » وانظر الحاشية

رقم ١ ص ٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) في السلوك : « بعث مُغلطاي أخاه

قطلوفا ... الخ » . (٣) ف في : « الحرقاء » . (٤) في الأصلين : « في يوم

الأربعاء ... الخ » وتصحيحه عن السلوك وما يقتضيه السياق . (٥) ف م : « إلى أن قال ... الخ »

ما هم فيه ، فتَقَرَّر في ذهن مغلطاي ذلك ، وَنَدِم على ما كان منه ، إلى أن كان يوم الخميس أول شهر رجب ، وَرَكِب الأمراء في المَوْكَب على العادة ، أَخَذ منكلى بنا يُعْرِف النَّائِب والأمراء بِإِنكار ما دار بينه وبين مغلطاي ، وَحَدَّرهم من حضور شيخون إلى أن وافقوه ، وَطَلَعُوا إلى القلعة ودخلوا إلى الخدمة ، فَأَبْتَدَأ النَّائِب بِمَحْضُور شيخون وقال : لَأنه رجل كبير ويحتاج إلى إقطاع كبير وَكُلَّف كثيرة ، فَتَكَلَّمَ مغلطاي وَمَنَكَلَى بفا والأمراء وطاز ساكت ، قد أَخْبِطَ لِتَغْيِير مغلطاي وَرُجُوعه على ما وافقه عليه ، وَأَخَذ طاز يَتَلَطَّف بهم ، فَصَتَمَ مغلطاي على ما هو عليه وقال : مالى وَجْهٌ أَنظُرُ به شيخون ، وقد أَخَذْتُ مَنِصْبَه وَوِطِيقَتَه وَسَكَنْتُ في بيته ، فوافقه النَّائِب ، وقال لناظر الجيش : اكتب له مِثَالاً بِنِزَاة حَمَاة ، فَكَتَبَ لناظر الجيش ذلك في الوقت ، وتوجه به أَيَّدُم الدوادر في الحال في حَافَاة ، وَعَيَّنَ لِسَفَر شيخون عشرون هَيْمِناً ليركبها ويسير عليها إلى حَمَاة .

وَأَقْفَضُوا وفي نفس طاز ما لا يعبّر عنه من القهر ، وَنَزَلَ وَاتَّفَقَ هو والأمير صَرَفَتَمَش وَمَلِكَتَمَر وَجَمَاعَة ، وَأَتَفَقُوا جميعاً ، وَبَعَثُوا إلى مغلطاي ، بأن منكلى بنا رجل فَنِيٌّ ، وما دام بيننا لا تَتَّفَقُ أبداً ، فلم يَصْنَعْ مغلطاي إلى قولهم ، وَأَحْتِجُ بَأنه إن وافقهم لا يَأْمَنُ على نفسه ، فَدَخَلَ عليه طاز ليلاً بِالأشْرِيفَةِ من قلعة الجبل ، حيث هى مَسْكَنُ مُغْلَطَاي وخادمه ، حتى أَجابه إلى إخراج منكلى بنا وَتَحَالُفاً على ذلك ؛ فَبَا هو إلا أَن نَحْرَجَ عنه طاز ، أَخَذَ دَوَادِرَ مغلطاي يُقَبِّحُ على مغلطاي

(١) في السلوك : « والأمراء الكبار » . (٢) في السلوك : « بمحدث شيخون » .

(٣) المثال : وثيقة رسمية تصدر من ديوان الجيش إلى كل جندي أو عَمَلُوك ، فيها مقدار ما خصه من الإقطاع موضع الحدرد والمعالَم ، فإذا صدق عليها السلطان تحفظ لتسجيلها في ديوان النظر وأُنظِر الحاشية رقم ٢ من ص ٩١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة وأُنظِر الحاشية رقم ٢ من ص ١٠١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ من ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

- ما صدر منه ، ويهول عليه الأمر ، بأنه متى أبعد منكلي بفا وحضر شيخون أخذ لا محالة ، فقال إليه ، وبلغ الخبر منكلي بفا بكرة يوم الجمعة ثانيه . فواعد النائب والأمراء على الاجتماع في صلاة الجمعة ، ليقع الاتفاق على ما يكون ، فلم يخف عن طاز وصرغتمش رجوع مغلطاي عما تقرّر بينه وبين طاز ليلا ، فاستعدّا للحرب ، وواعدا الأمير ملكتمز المحمدي ، والأمير قردم الحموي ، ومن يهوى هواهم ، واستمالوا ممالكك ببيغا أرس وممالكك منجك حتى صاروا معهم رجاء لخلاص أستاذيهم ، وشذ الجميع خيولهم ، فلما دخل الأمراء لصلاة الجمعة ، اجتمع منكلي بفا بالنائب وجماعته ، وقرّر معهم أن يطلبوا طاز وصرغتمش الى عندهم في دار النيابة ، ويقبضوا عليهما ، فلما اتاهما الرسول من النائب يطلبهما ، أحسا بالشر وقاما ليتيها للخصور ، وصرفا الرسول على أنهما يكونان في أثره ، وبادرا الى باب الدور ونحوه من الأبواب فأغلقاها ، وأستدعوا من معهم من الممالك السلطانية وغيرها ، ولبسوا السلاح ، ونزل وصرغتمش بمن معه من باب السر ، لينمغ من يخرج من اسطبلات الأمراء ، ودخل طاز على السلطان الملك الصالح ، حتى يركب به للحرب ، فلقى الأمير وصرغتمش في نزوله الأمير أيدغددي أمير آخور ، فلم يطلق منعه ، وأخذ بعض الخيول من الاسطبل وخرج منه ، فوجد خيله وخيل من معه في أنتظارهم ، فركبوا الى الطبلخاناه ، فاذا طلب منكلي بفا مع ولده ومماليكه يريدون قبّة النصر ، فألقوا آبن منكلي بفا عن فرسه ، وجرّحوه في وجهه ، وقتلوا حامل الصنّجق وشنتوا شمل الجميع ، فما استم هذا ، حتى ظهر طلب مغلطاي مع ممالكك ، ولم يكن لهم علم بما وقع على طلب منكلي بفا ، فصدمهم وصرغتمش أيضا بمن معه صدمة بددتهم ،

(١) في م : « تلكنمر » . وما أثبتناه من ف والسلوك .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٥٧٥٦ هـ .

وَجَرَّحَ جماعة منهم وَهَزَمَ بَقِيَّتَهُمْ . ثم عاد صرغتمش لِيُدْرِكَ الأُمراء قبل نزولهم من القلعة ، وكانت خيولهم واقفة على باب السَّلْسَلَة تنتظرهم ، فإل عليها صرغتمش ليأخذها ، وامتدَّت أيدى أصحابه إليها وقتلوا الغلمان ، فعظُم الصَّياح وأنعقد الغبار ، وإذا بالنائب مِنكَلِي بُغَا ومُغلطاي وبيغرا ومن معهم قد نازوا وركبوا خيولهم ، وكانوا لما أبطأ عليهم حضور طاز وصرغتمش بشوا في استحثاثهم ، فإذا الأبواب مُغلقة ، والضَّجَّة داخل باب القلعة ، فقاموا من دار النياحة يريدون الركوب فلما توسطوا بالقلعة حتى سمعوا صَجَّة الغلمان وصياحهم ، فأسرعوا إليهم وركبوا ، فشهَر مغلطاي سيفه وهم بمن معه على صرغتمش ، وصرَّ النائب وبيغرا ورسلان بَصَل ، يريد كل منهم إسبطله ، فلم يكن غير ساعة حتى انكسر مغلطاي من صرغتمش كسرة قبيحة ، وجرح كثير من أصحابه ، وفز إلى جهة قبة النصر وهم في أثره ، وانهمز منكلي بغا أيضا .

وكان طاز لما دخل على السلطان عرفه ، أن النائب والأُمراء اتفقوا على إعادة الملك الناصر حسن إلى السلطنة ، فقال السلطان الملك الصالح إلى كلامه ، فقام معه في ممالكه ، ونزل إلى الإسطنبول واستدعى بالخيول ليركب ، ففعد به أَيْدُغْدِي أمير آخور واحتج بقلة السروج ، فانه كان من حزب مُغلطاي ، فآخذوا الممالك ما وجدوه من الخيول وركبوا بالسلطان ، ودقت الكوسات فاجتمع إليه الأُمراء والممالك والأجناد من كل جهة ، حتى عظم جمعه ، فلم تفرب الشمس إلا والمدينة قد أغلقت ، وأمتلات الرُّميلة بالعامه ، وسار طاز بالسلطان يريد قبة النصر ، حتى يعرف خبر صرغتمش ، فوافق قبة النصر بعد المغرب ، فوجد صرغتمش

(١) في الأصلين والسلوك : « ففتد به » والسياق يقتضى ما أثبتناه » .

(٢) في الأصلين : « بقلة السروج » وما أثبتناه عن السلوك وهو الصحيح .

قد تَمَادَى في طلب مُغَلَطَايَ وَمَنْكَلِي بَغَا حَتَّى أَظْلَمَ اللَّيْلُ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِمَمْلُوكٍ النَّاسِبِ
 قَدْ أَتَاهُ بِرِسَالَةِ النَّاسِبِ أَنَّ مُغَلَطَايَ عِنْدَهُ فِي بَيْتِ آلِ مَلِكٍ بِالْحُسَيْنِيَّةِ، فَجُمِعَتْ
 صَرِغْتَمِشُ جَمَاعَةٌ لِأَخْذِهِ، وَمَرَّ فِي طَلَبِ مَنْكَلِي بَغَا، فَلَقِيَهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْتَمُرَ
 الْحَاجِبِ وَعَرَفَهُ أَنَّ مَنْكَلِي بَغَا نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ قَنَاطِرِ الْأَمِيرِيَّةِ، وَوَقَفَ يَصِلُ، وَأَنَّ
 طُلُبَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدَ الدِّينِ مُوسَى بْنِ الْهَدْبَانِي، فَدَجَّاءَ مِنْ جِهَةِ كَوْمِ الزَّرِيشِ، وَلِحَقَّهُ
 الْأَمِيرُ أَرْغُونُ الْبَيْكِي فِي جَمَاعَةٍ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَهُوَ قَائِمٌ يَصِلُ، وَكَتَفُوهُ بِمَامَتِهِ، وَأَرْكَبُوهُ
 بَعْدَ مَا نَكَلُوا بِهِ، فَلَمْ يَكُنْ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى أَتَوْا بِهِمَا فَقِيدًا وَحُسْبَا بِمَخْزَانَةِ شِمَائِلَ،
 ثُمَّ أُخْرِجَا إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَمَعَهُمَا أَبْنَا مَنْكَلِي بَغَا فَسُجِنَا بِهِمَا .

وَأَمَّا صَرِغْتَمِشُ فَإِنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ أَمْرِ مُغَلَطَايَ وَمَنْكَلِي بَغَا وَقَبِضَ عَلَيْهِمَا،
 أَقْبَلَ عَلَى السُّلْطَانِ بِمَنْ مَعَهُ بَقْبَةُ النَّصْرِ، وَعَرَفَهُ بِمَسْكِ الْأَمِيرِينَ، فَسَرَّ السُّلْطَانُ سُرُورًا
 كَبِيرًا، وَنَزَلَ هُوَ وَالْأَمْرَاءُ وَبَاتُوا بِقُبَّةِ النَّصْرِ، وَرَكِبَ السُّلْطَانُ بُكْرَةً يَوْمَ السَّبْتِ
 ثَالِثَ شَهْرِ رَجَبٍ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَجَلَسَ بِالْإِيوَانِ وَهَتَّوهُ بِالسَّلَامَةِ وَالظَّفَرِ، وَفِي
 الْحَالِ كُتِبَ بِإِحْضَارِ الْأَمِيرِ شَيْخُونِ، وَخَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ بِمَالِكِهِمْ إِلَى لِقَائِهِ،
 وَنَزَلَتِ الْبَشَائِرُ إِلَى بَيْتِ شَيْخُونِ، وَبَيْتِ بَيْيَا أُرْسُ وَبَيْتِ مَنَجَكِ الْيُوسُفِيِّ الْوَزِيرِ،
 فَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا، وَبَاتَ الْأَمْرَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى تَخَوُّفٍ .

وَأَمَّا شَيْخُونُ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الرُّسُولُ بِإِطْلَاقِهِ أَوَّلًا، خَرَجَ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَهُوَ
 ضَعِيفٌ، وَرَكِبَ الْحَزَاقَةَ، وَفَرَّحَ أَهْلُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ لِحُلَاصِهِ، وَسَافَرُوا فَوَافَاهُ كِتَابُ

(١) بالبحث تبين لنا أن هذا البيت كان بجوار جامع آل ملك بالحسينية . وقد سبق التعليق عليه في الحاشية

رقم ٣ ص ٢٠٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) في السلوك «محمد بن ملكشتر الحاجب» .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٨٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية

رقم ٤ ص ٢٠٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٥) رواية السلوك : « وخرج جماعة من

الأمراء وعما ليك إلى لقائه ... الخ » .

الأمير صرغتمش بأنه إذا أتاك أيْدمر بناية حماة، لا ترجع وأقْبِل إلى القاهرة فانا
وطاز مملوك؛ فلما قرأ شيخون الكتاب تغير وجهه، وعَلِمَ أنه قد حدث في أمره شيء،
فلم يكن غير ساعة، حتى لاحت له حُرَاقَة أيْدمر، فتر شيخون وهو مُقْلِع وأيْدمر
مُنْعَدِر إلى أن تجاوزَه، وأيْدمر يصيح ويُشير بمُنْدِيلِه إليه فلا يلتفتون إليه، فأمر
أيْدمر بأن تُجَهَّز مَرْكَبُه بِالْقَلْع، وترجع خلف شيخون، فإِذَا تَجَهَّز قَلْع مَرْكَب أيْدمر
حتى قَطَعَ شيخون بلادا كثيرة، وصارت حُرَاقَتُه تسير وأيْدمر في أثرهم فلم يُدْرِكوه
إلا بُكَرَة يوم السبت، فعند ما طلع إليه أيْدمر وعِمرَه ما رُسم به، من عودِه إلى
حماة، وقرأ المرسوم الذي على يد أيْدمر برجوعه إلى نياحة حماة، وإذا بالخيل يتبع
بعضها بعضا، والمرابك قد ملأت وجه الماء تُبادر لِبِشارَتِه وإعلامه بما وَقَعَ
من الركوب ومسك مُقْلَطَاي ومَنكَلِي بُغَا، فسَرَّ شيخون بذلك سرورا عظيما، وسار
إلى أن أرسى بِسَاحِل بولاق في يوم الأحد رابع شهر رجب، بعد أن مشت له
الناس إلى مُنِيَة الشيرج، فلما رآوه صاحوا ودعوا له وتلقته المراكب، ونحج الناس
إلى الفُرجة عليه، حتى بلغ كراء المركب إلى مائة درهم، وما وصلت الحُرَاقَة
إلا وحولها فوق ألف مركب، وركبت الأمراء إلى لقائِه وزُيِّنَت الصليبة وأُشعلت
الشموع، ونحجت مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائِه، فسار في موكب لم يُرْمِثْ له
لأَمِير قبله، وسار حتى طلع القلعة وقبل الأرض بين يدي السلطان الملك الصالح،
فأقبل عليه السلطان وخلع عليه تشريفا جليلا، وقلع عنه ثياب السجن، وهي

(١) رواية السلوك: « فلم يكن غير ساعتين ... الخ » . (٢) في ف: « كثيرا » .

(٣) المقصود بهذا الساحل شاطئ النيل تجاه بولاق . ومكانه اليوم شارع المطبعة الأهلية ببولاق

أحد أقسام مدينة القاهرة . (٤) هكذا في الأصلين . وجارة السلوك: « وخلع عنه ثياب

السجن واللبسه تشريفا جليلا ونحج إلى منزله ... الخ » .

(١١)
ملوطة طرح محتر . ثم نزل إلى منزله والتهاني تتلقاه . ودام الأمر على ذلك إلى يوم
الأربعاء سابع شهر رجب رُسم ، بإخراج الأمير يُيُفَا أُرُس حارس طير نائب
السلطنة بالديار المصرية فالأمير يبقرا ، فنزل الحاجب إلى بيت آل ملك بالحسينية
وبه كان سكن بييغا المذكور ، وأُخرج منه ليسير من مصر إلى نيابة غزّة ، وأُخرج

- ٥ (١) الملوطة كسفودة : فباء واسع الكين طو بلهما عاية جمعه ملاليط وهى دخيلة على اللثة
العربية إذ أصلها اليوناني المنوت (Menoût) الذى ذكره ابن بطوطة فى رحلته لبلاد أربك خان ، فى الجزء
الثانى صفحة ٣٨٨ من رحلته طبع أوروبا ، وقد استعملت فى القبطية من زمن بعيد . وكانت لباسا قوميا
فى عصر المماليك تصنع من الحرير الخالص (المحتر) وتضرب وترزّز ، تلبس فوق الشاية على البدن
واللباس فى الأرجل ، وكانت قصيرة أشبه ما تكون بالنصف الأعلى من (البيجامة) المروفة اليوم .
- ١٠ وقد آخفت من الملابس الرسمية بدخول السلطان سليم مصر سنة ٩٢٢ هـ قال ابن إياس فى الجزء
الثالث من تاريخه ص ١١٤ : وقبض على طومان باى بالبحيرة وهو لا لبس لبس العسب الموزارة وعلى
رأسه زنط وعليه شاش وعلى بدنه ملوطة بأكام طوال ، وقال : وقد شق على باب زويلة وعلى بدنه شايبة
جوخ أحمر وفوقها ملوطة بيضاء بأكام كبار وفى رجله لباس من جوخ أزرق ، وقال فى صفحة ١٣٧
من الجزء نفسه : وظهر المماليك الشراكسة (أى بمسد الفتح العثماني) بلبسون الزنوط الحر والملايط على
عاداتهم ولا يتركون بزى العثمانية ، وطلع الأمير أربك الناشف أحد الأمراء المقدمين القلعة وعليه
١٥ مندبل الأمان ، وكان لما طلع لباسا زى العرب وعليه زنط وشاش وملوطة بأكام كبار ، فألبسه خاير بك
نقطانا نخلًا قناسيح وألبسه عمامة عثمانية ، إلى أن قال فى صفحة ١٤٢ : وقد صار الأمراء الشراكسة
الذين ظهروا كلهم بقفطانة مخملة وبعضهم بقفطانة جوخ أسود وطراير وعليهم عمامة مدورة ،
وفى أرجلهم سفماناب جلد فى زى العثمانية وأخطاط العثمانية مع الجراكسة حتى صار لا يعرف هذا من ذاك
إلا فى شىء واحد ، الجراكسة بدقون والعثمانية بغير دقون ... الخ .
- ٢٠

ولئن كانت الملوطة آخفت من الأزياء الرسمية فقد بقيت عند عامة أهل مصر لمهد السيد مرتضى
الزبيدي شارح القاموس المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ والذى عرفها بأنها فباء واسع الكين ، كما تقدّم فى أوّل
الكلام .

- وقد عرفها المرحوم أحمد تيمور باشا المتوفى فى نهاية سنة ١٣٤٨ هـ فى كتابه معجم الألفاظ العامية
المصرية بقوله : « الملوطة وقد يقولون القلوطة شىء كالقباء أو القميص لكنه قصير مسدود الصدر يلبسه
٢٥ نحو الخالين فى سكة الحديد وغيرها ليكون أخف لهم و يلبسونه على الجلباب » . انتهى بحروفه .
- انظر رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٣٨٨ طبع أوروبا . وانظر تاريخ ابن إياس ج ٢ ص ١٣٨ وما بعدها
رج ٣ ص ١١ وما بعدها طبع بولاق . وانظر شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي مادة « ملط » .
وانظر معجم الثياب ومعجم الألفاظ العامية المصرية للرحوم تيمور باشا .

بَيْتًا من التَّهَام إخراجا عنيفا لِيَتَوَجَّهَ إلى حلب ، فَرَجَا من فورهما وسارا . ثم رُسم بإخراج الأمير أَيْدُغْدَى الأمير آخور إلى طرَابُلُس بَطْلَا ، وكتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك .

وفي يوم السبت عاشره ركب السلطان والأمراء إلى الميدان على العادة ، وَلَبَّ فيه بالكرة ، فكان يوما مشهودا .

ووقف الناس للسلطان ، في الفار الضامن ، ورفعوا فيه مائة قَصَّة فُقِضَ عليه ، وضربه الوزير بالمقارع ضربا مبرِّحا وصادره ، وأخذ منه مالا كثيرا .
وفيه قُبِضَ على الأمير بَيْتُغَا^(١) طَطَّر المعروف بحارس طير نائب السلطنة المتوجه إلى نيابة غزّة في طريقه ، وسجن بالإسكندرية .

وفي يوم الأحد حادى عشره وصل الأمراء من سجن الإسكندرية وهم سبعة نفر : مَنجَك اليوسفى الوزير وفاضل أخو بَيْتُغَا أُرْس وأحمد الساقى نائب صَفْد وعمر شاه الحاجب وأمير حسين التترى وولده ، والأمير محمد بن بَكْتُمُر الحاجب . فركب الأمراء ومقدمهم الأمير طاز ، ومعه الخيول المجهزة لركوبهم ، حتى لقيهم وطلع بهم إلى القلعة ، فقبلوا الأرض وخلع السلطان عليهم ، ونزلوا إلى بيوتهم فأمتلأت التاهرة بالأفراح والتهاني ، ونزل الأمير شَيْخُون والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى السطبلاتهم ، وبعثوا إلى الأمراء القادمين من السجى التقادم السنية من الخيول والتعابى القماش والبُسْط وغيرها ، فكان الذى بعثه شَيْخُون لِمَنجَك خمسة أفراس ومبلغ ألفى دينار ، وقس على هذا .

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب خلع على الأمير قَبَلَاى الحاجب وأستقر فى نيابة السلطنة بالديار المصرية ، عوضا عن بَيْتُغَا طَطَّر حارس طير .

(١) رواية السلوك : « رقيه قبض على الفار بن بَيْتُغَا طَطَّر في طريقه وسجن بالإسكندرية » .

وفي يوم الخميس خامس عشر شهر رجب قدم الأمير ببيغا أرُس من سجين الكرك، فركب الأمراء إلى لقائه، وطلع إلى السلطان وقبل الأرض وخُلع عليه ونزل إلى بيته، فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له تَقْدِمة تليق به .

ثم في يوم الاثنين تاسع عشره خلع على الأمير ببيغا أرُس واستقر في نيابة حلب عوضا عن أرغون الكامل واستقر أرغون الكامل في نيابة الشام، عوضا عن أيتش الناصري، وخُلع على أحمد الساق شاذ الشراب خاناه كان، بناية حماة عوضا عن طنيرق، ورسم لطيرق أن يتوجه إلى حلب أمير طبلخاناه بها . ثم رُسم بأن يكون بطالا بدمشق، وسافر ببيغا أرُس وأحمد الساق بعد أيام إلى محل كفالتهما ثم سأل الأمير منجك الإعفاء عن أخذ الإمرة، وأن يقعد بطالا بجامعه، فأُجيب إلى ذلك

(١) في م : « كفالته » . (٢) هذا الجامع ذكره المقرئ في خطه باسم جامع منجك (ص ٣٢٠ ج ٢) فقال : إن موضعه يعرف بالثغرة تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير . أنشاه الأمير سيف الدين منجك اليوسفي في مدة وزارته بديار مصر في سنة ٧٥١ هـ وبني فيه صهريجا فصار يعرف بصهريج منجك، ورب فيه صوفية وقرر لهم طعاما يوميا ووقف عليه أراضي ناحية بلقنة بالقرية .

وأقول : إن هذا الجامع لا يزال قائما عامرا ببقاوة الشعائر الدينية فيه، ويسميه العامة جامع المنشكية وهو داخل درب المنشكية المتفرع من شارع باب الوداع بحرى القلعة بالقاهرة .

والظاهر أن الأمير منجك بدأ في عمارة هذا الجامع في سنة ٧٥٠ هـ بدليل لإثبات هذا التاريخ على باب المنبر ثم أتم عمارة في سنة ٧٥١ كما ذكر المقرئ أن مشدنة هذا المسجد من المآذن التي تسمى الأظفار يزخرها وجمال شكلها، وكان الجزء العلوي منها قد تهدم فأعادت إدارة حفظ الآثار العربية بناءه في سنة ١٩٤١ فعاتت المشدنة كما كانت، وبهذا الجامع منبر جميل دقيق الصنع، قامت إدارة حفظ الآثار باصلاح ما تلف من حشواته الدقيقة في سنة ١٩٤٤ فعاد للنبر رونقه الجميل .

وعما يلاحظ الآن أن الجامع منفصل عن مشدنته ثم عن دورة المياه، وهذه كذلك منفصلة عن المشدنة، والمفروض أن هذه المجموعة يجب أن يجمعها بناء واحد، وبالبحت عن سبب هذا الانفصال تبين لي أن الأمير منجك كان قد أنشأ خانقاه تجاه هذا الجامع كما ذكر المؤلف في حوادث سنة ٧٧٦ هـ من هذا الكتاب عند الكلام على وفاة الأمير منجك، وأن دورة المياه كانت ضمن بناء الخانقاه كما أن المشدنة كانت متصلة بها، وأن الخانقاه قد خربت ولم يبق من مبانيها إلا المشدنة التي لا تزال قائمة وحدها إلى اليوم أمام باب الجامع، وكذلك دورة المياه كما نشاهدنا الآن . والظاهر أن الأمير منجك بنى هذه الخانقاه تجاه جامعهم مقلدا في ذلك الأمراء : بشنك الناصري، وقوصون الساق وشيخون الناصري . وأما الصهريج (خزان الماء) فلا يزال باقيا في وسط الجامع وتكلمنا عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢١٧ من هذا الجزء .

بسفارة الأمير شيخون، وأسترد أملاكه التي كان أنعم بها السلطان على الممالك والخدام والجواري، ورم ما تشقت من صهر يجه وأستجذ به خطبة. ثم خلع السلطان على عمر شاه وأستقر حاجب المحجوب عوضا عن قبلاى المنتقل إلى نيابة السلطنة بديار مصر، وأنعم على طشتمر القاسمي بتقدمة ألف، وأستقر حاجبا ثانيا وهي تقدمه يتفرا. وفيها أخرج جماعة من الأمراء وفرقوا بالبلاد الشامية، وهم: الأمير طينال الجاشنكير وآلقبا الحموي الحاجب ومليكتمر السعدى وقطلوبغا أخو مغلطاي وطشبا الدوادار.

وفي يوم السبت ناسع شعبان وصل الملك المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك، فخلع عليه من الفد ورسم له بالعود إلى بلاده من جهة عيذاب^(٣)، وبعث إليه الأمراء بتقاديم كثيرة وتوجه إلى بلاده. وكانت أنه قد رجعت من مكة إلى اليمن بعد مسكه وأقامت في مملكة اليمن الصالح وكتبت إلى تجار الكارم توصيهم بأنها المجاهد وأن يقريضوه ما يحتاج إليه، وختمت على أموالهم من صنف المتجر بحدن وتميز وزبيد، فقدم قاصدها، بعد أن قبض على المجاهد ثانيا وسجن بالكرك، بعد أن كان رسم له الملك الناصر حسن بالتوجه إلى بلاده، لأمر بدا منه في حق السلطان في الطريق، فكتب مسفره يعرف السلطان بذلك. انتهى.

ثم في يوم الاثنين ثاني عشر شعبان، وصل إلى القاهرة الأمير أيتمش الناصري المعزول عن نيابة الشام، فقبض عليه من الفد.

ثم قدم الشريف ثقبه صاحب مكة في مستهل شهر رمضان بعد ما قدم قوده وقود أخيه عجلان، فخلع السلطان عليه بإمرة مكة بمفرده، وأقرض من الأمير

(١) في بعض المصادر: «السعدى». (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة. (٣) عيذاب كانت ثغرا من ثغور مصر القديمة على البحر الأحمر. سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٦٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة. (٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

- طاز ألف دينار ، ومن الأمير شيخون عشرة آلاف درهم ، وأقترض من التجار مالا كثيرا ، وأشتري الخيل والمالِك والسلاح وأستخدم عِدَّة أجناد ، ورُسم بسفر الأمير حُسام الدين لاجين العلّاق مملوك آقبًا الجاشنكير محبته ليقْله إمرة مَكَّة . ثم سافر الأمير طيْبًا المجدى في خامس شَوّال بالبحر والمحمل على العادة ، وسار الجميع إلى مَكَّة ، ولم يَعلَم أحد خبرَ المجاهد صاحب اليمن حتى قَدِم مَبْشَر الحاج في مستهل المحرم سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وأخبر بوصول الملك المجاهد إلى ممالك اليمن في ثامن عشر ذى الحجة من السنة الماضية ، وأنه أَسْتولى على ممالكه .
- وفي شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وخمسين ، وسبعمائة شرع الأمير طاز في عمارة قصره^(١)

- (١) هذا القصر ذكره المقرئ في خطه باسم دار طاز (ص ٧٢ ج ٢) فقال : إن هذه الدار بجوار المدرسة البندقدارية تجاه حمام الفارقاني على يمنة من سلك من الصليبية يريد حدة البقر وباب زويلة ، أنشأها الأمير سيف الدين طاز في سنة ٧٥٣ هـ وكان موضعها عدة مساكن هدمها ؛ وتولى الأمير منجك اليوسفي عمارتها ، حتى كملت في سنة ٧٥٤ هـ بغایت قصرا مشيدا وإصطبلا كبيرا . ثم قال : وهي باقية إلى يومنا هذا ، يسكنها الأمراء .
- وأقول : إن هذه الدار لا تزال باقية إلى اليوم ، وتعرف باسم مدرسة السيوفية بشارع السيوفية بالقاهرة ، وبها اليوم من مبانيها الأصلية بابها الكبير بشارع السيوفية وبابها الشرق الصغير بدرب الشيخ خليل (حارة الميضة) بدلهيزه وحواصله السفلية ، وبها بالدور العلوى قاعة كبيرة مزخرفة تقصّف بوجهها البحرية على حوش الدار وبجوارها قاعة صغيرة ، كذلك بالدور الثالث قاعة صغيرة من البناء الأصل لهذه الدار .
- وفي سنة ١٠٨٨ هـ أجرى الأمير على أغا دار السعادة عمارة كبرى في هذه الدار ، وجدد مقعدها الكبير المشرف على الحوش ، وكذلك وجهتها الغربية التي لا يزال باقيها منها الدكاكين المشرقة على شارع السيوفية ؛ وأنشأ في نهاية تلك الوجهة من الجهة القبلى سبلا ومكتبا لتعليم الأيتام القرآن ولا يزالان قائمين إلى اليوم .
- وفي زمن محمد على باشا الكبير جعلت هذه الدار مخزنا للهمات الحربية .
- وفي سنة ١٨٧٢ م صدرت إرادة سنية من الخديوى إسماعيل بفتح مدرسة للبنات فاستأجرت ظفارة المعارف هذه الدار من ناظر الوقف وجددت الدور العلوى الذى يعلو الدكاكين التي بشارع السيوفية ، وجعلت الدار مكانا لهذه المدرسة التي عرفت باسم « مدرسة البنات بالسيوفية » وبدأت الدراسة =

وإصطبله ، تجاه حمام الفارقاني بجوار المدرسة البندقدارية على الشارع . وأدخل فيه عدة أملاك ، وتولى عمارته الأمير متبجك ، وحمل إليه الأصرار وغيرهم من

== بها من يناير سنة ١٨٧٣ وهي أول مدرسة فتحت في مصر لتعليم البنات ، ولما نقلت المدرسة من هذه الدار إلى شارع المبتديان « سميت المدرسة السنية » ولا تزال قائمة إلى اليوم بهذا الاسم .

وقد عملت بهذه الدار عدة عمارات وإصلاحات لصيانتها طول هذه المدة ، وضع لها باب آخر على شارع السيوفية ، وأقيم في حوشها مبان حديثة ذات طابقين لمعاهد العلم التي نزلت بها ، ومنها المدرسة المحمدية ومعاهد أخرى نزلت فيها بصفة مؤقتة ويشغلها اليوم مدرسة الحلبة الثانوية للبنين من سنة ١٩٣٤ م .

(١) هذه الحمام لم يتكلم عليها المقرئ في ضمن حمامات القاهرة ، ولكنه لما تكلم على دار الأمير طاز السابق ذكرها قال : إنها تجاه حمام الفارقاني ، وكذلك لما تكلم في خطه على المدرسة الفارقانية (ص ٣٩٨ ج ٢) قال : إن هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة فيما بين حدة البقرصلية جامع ابن طولون ، وهي الآن بجوار حمام الفارقاني تجاه البندقدارية ، بناها والحمام المجاور الأمير ركن الدين بيهس الفارقاني وهو غير (آق سقر) الفارقاني المنسوب إليه المدرسة الفارقانية بحارة الزيرية من القاهرة .

وبما أن المدرسة الفارقانية المجاورة لحمام الفارقاني لا تزال باقية إلى اليوم ، وتعرف بجامع على الدين أو على نور الدين الفارقاني بشارع السيوفية ، عند تلاقيه بالنصف الغربي من شارع قره قول المنشية فقد بحثت عن حمام الفارقاني بجوار هذا الجامع ، فبين لي أن هذا الحمام قد هدم من زمن قديم . ومكانه اليوم المنزل رقم ٤٨ وقف على أفندي طلعت بشارع قره قول المنشية . وهذا المنزل بجوار الجامع المذكور من الجهتين الغربية والقبلية ، ويتبعه دكاكين تشرف على شارع السيوفية فيما بين الجامع وبين دار ورة عبدالله باشا فكري . وكان الباب العمومي لهذا الحمام بشارع السيوفية تجاه دار الأمير طاز ، فلما هدم الحمام وأقيم على أرضه مساكن جعل بابه العمومي دكانا من ضمن الدكاكين المشرقة الآن على شارع السيوفية وجعل باب المستودع بابا لائزل المذكور .

ولما تكلم على باشا مبارك في الخطط التوفيقية (ص ٤٦ ج ٢) على دار الأمير طاز وعلى زاوية الفارقاني (ص ٥٨ ج ٢) قال : إن حمام الفارقاني هي التي تعرف اليوم باسم حمام الأنفي بحارة الأنفي ، في حين أن حمام الفارقاني كانت بجوار المدرسة الفارقانية وكان بابها على الشارع تجاه دار الأمير طاز وقد أندثرت من قديم كما ذكرنا . وأما حمام الأنفي فلا تزال قائمة في الحارة المنفردة من شارع الصليبة بعيدة عن الدار والمدرسة المذكورتين .

(٢) هذه المدرسة ذكرها المقرئ في خطه باسم الخاقاه البندقدارية (ص ٢٠ ج ٢) وقد سبق الكلام عليها عند ذكر تربة طلاء الدين أيديكن البندقداري في الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

الزخام وآلات العيادة شيئا كثيرا ، وشرع الأمير صرغتمش أيضا في عمارة
إسطنبول^(١) الأمير بدر جك ، بجوار بئر الوطاويط قريبا من الجامع

(١) هذا الاسطيل هو الذى ذكره المقرئى فى خططه باسم دار صرغتمش (ص ٧٤ ج ٢)
فقال : إن هذه الدار بخط بئر الوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع أحمد بن طولون
من شارع الصليبية كان موضعها مساكن فاشتراها الأمير صرغتمش وبنائها قصرا واصطبلًا سنة ٨٧٥٣ هـ
ثم قال وهذه الدار عامرة إلى يومنا هذا (أى زمن المقرئى) يسكنها الأمراء . وفى سنة ٨٢٧ هـ وقع
الهدم فى القصر خاصة .

أقول : ومن هذا الوصف يتضح أن هذه الدار كانت بخط بئر الوطاويط ومشرفة
على شارع الصليبية بالقرب من المدرسة الصرغتمشية ، وبما أن الشارع المذكور لا يزال محفوظا باسمه
والمدرسة الصرغتمشية لا تزال قائمة وخط بئر الوطاويط لا يزال معروفا بهذا الاسم ، ويدل عليه شارع
بئر الوطاويط ، فقد بحثت فى تلك المنطقة عن دار صرغتمش واصطبله فبينت لى أن هذه الدار قد اندثرت ،
ومكانها اليوم دار راشد باشا حسنى المعروف بأبى شنب فضاء رقم ٩ بشارع الصليبية بالقاهرة وقد آلت
هذه الدار إلى ولده أحمد بك إحسان وهى بالقرب من جامع صرغتمش ويشغلها اليوم كلية الشريعة
الاسلامية أحد أقسام الجامعة الأزهرية .

و يظهر أن هذه الدار كانت آلت فى عهد دولة المماليك إلى الملك الأشرف أبى النصر قصوه الغورى
بدليل وجود بقايا من عصره فى الزاوية البحرية الشرقية من سور هذه الدار فى مدخل حارة الأربعين من
الجهة الغربية وطبعا اسم الملك الغورى .

(٢) تكلم المقرئى فى خططه على بئر الوطاويط (ص ١٣٥ ج ٢) فقال . إن هذه البئر أنشأها
الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه ، لينقل منها الماء إلى السبع سقايات
التي أنشأها بخط الحمراء وحسبها لجميع المسلمين ؛ فلما طال الأمر ونعرت السقايات التي كانت تحط السبع
سقايات بنى فوق البئر المذكورة وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط ، ولما أكثر الناس
من بناء الأماكن حول مكان هذه البئر عرفت الخطة إلى اليوم بخط بئر الوطاويط . ثم قال : وهو
خط عامر .

أقول : وقد دل البحث على أن هذا الخط كان يشمل المنطقة التي يحدها اليوم من الغرب جامع
أحمد بن طولون ومن الجنوب درب البرازيل ، ومن الشرق حارة الأربعين ومن الجنوب شارع الصليبية ؛
وكانت هذه المنطقة يحترقها شارع بئر الوطاويط من الشمال إلى الجنوب ، ولأن المباني التي كانت واقعة
بين هذا الشارع وبين جامع ابن طولون كانت مزاحمة له ومشوهة لوجهة الجامع طلبت إدارة حفظ الآثار
العربية كشف هذه الوجهة وإزالة المباني المذكورة . وفى سنة ١٩٢٥ أزيلت مصلحة التنظيم تلك
المباني وأقامت فى مكانها منزها عاما أصبح فاصلا بين الجامع وبين طريق شارع بئر الوطاويط ، وأطلق
عليه ميدان أحمد بن طولون .

٣٠ =

الطولوني^(١) وحل إليه الناس أيضا شيئا كثيرا من آلات العمارة . ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش المذكور ، واستقر رأس نوبة كبيرا ، في رتبة الأمير شيخون باختيار شيخون ، وجعل إليه التصرف في أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم ، ما عدا مال الخاص ، فإن الأمير شيخون يتحدث فيه ، فقصد الناس صرغتمش لفضاء أشغالهم ، وكثرت مهابته ، وعارض الأمراء في جميع أفعالهم ، وأراد ألا يعمل شيء إلا من بابه وبإشارته ، فإن تحدث غيره غَضِبَ وأبطل ما تحدث فيه وأحرق بصاحبه ، فأجمع الأمراء باستبداد السلطان بالتصريف ، وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة ، فطال صرغتمش وأستطال وعظم ترفعه على الناس ، فتكرت له الأمراء وكثرت الأراجيف بوقوع فتنة ، وإعادة الملك الناصر حسن ومَسَك شيخون ، وصاروا الأمراء على تحزوز وأستعداد ، فأخذ صرغتمش في التبرؤ مما رُمي به ، وحلف للأمير شيخون وللأمير طاز ، فلم يُصدِّقه طاز وهم به ، فقام شيخون بينهما قياما كبيرا ، حتى أصلح بينهما ، وأشار على طاز بالركوب إلى عمارة صرغتمش فركب إليه وتصافيا .

== وبما أن المؤلف قال : إن إسطل الأمير بدرجك الذي عمره الأمير صرغتمش دارا له يقع بجوار
١٥ بر الوطاطيط قريبا من الجامع الطولوني ، وبما أن تلك الدار مكانها اليوم منزل راشد باشا حسنى رقم ٩
بشارع الصليبية السابق التعلق عليها في الحاشية السابقة قد بحثت عن مكان بر الوطاطيط بجوار تلك الدار ،
وإلى أرحم أنها كانت في المنزل رقم ٢٩ ميدان أحمد بن طولون ، وهو وقف الشيخ عبد الرازق القاضي
وهذا المنزل يجاوره من الجهة الشرقية منزل راشد باشا حسنى الذى حل محل إسطل الأمير بدرجك
المجاور لبر الوطاطيط كما ذكر المؤلف . وعلينا من كبار السن المقيمين بمنزل وقف الشيخ عبد الرازق القاضي
وهو من الأماكن الأثرية بأنه كان يوجد بهذا المنزل بر قديمة وردت .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة

وفي هذه الأيام من سنة ثلاث وخمسين رتب الأمير شيخون في الجامع الذي أنشأه العلامة أكل الدين محمد الرومي الحنفى مدرسا ، وجعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الرومي الحنفى ، وجعل به درسا للملكية أيضا وولى تدريسه نور الدين السخاوى المالكي ، وقدر له ثلثائة درهم كل شهر ورتب به قراء ومؤذنين وغير ذلك من أرباب الوظائف ، وقدر لهم معاليم بلغت في الشهر ثلاثة آلاف درهم .

قلت : ذلك قبل أن تُبنى الخانقاه نجاء الجامع المذكور .

وفي عاشر جمادى الآخرة خلع السلطان على الأمير شيخون العمري واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن صرغتمش لأمر اقتضى ذلك ، وعند لبس شيخون الخلع قدم عليه الخبر بولادة بعض سراريه ولدا ذكرا ، فسره سرورا زائدا ، فإنه لم يكن له ولد ذكر .

وفي هذه الأيام أذعى رجل النبوة ، وأن معجزته أن ينحج امرأة قتل من وقتها ولدا ذكرا يخبر بصحة نبوته ، فقال بعض من حضر : إنك لبس النبي ، فقال :

(١) هذا الجامع تكلم عليه المقرئ في خطبته باسم جامع شيخون (ص ٣١٣ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بسوق منعم فيها بين الصليبة والزويلة تحت قلعة الجبل ، أنشأه الأمير الكبير سيف الدين شيخون الناصري رأس نوبة الأمراء في سنة ٧٥٦ هـ وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا ، ثم لما عمر الخانقاه نجاء الجامع نقل الصوفية إليها وزاد عدتهم . ثم قال : وهذا الجامع من أجل جوامع ديار مصر . وأقول : إن ما ذكره المقرئ من أن هذا الجامع أنشئ في سنة ٧٥٦ هـ لا يتفق والواقع ، فإن هذا التاريخ هو تاريخ بناء خانقاه شيخون الواقعة نجاء هذا الجامع ، وقول المقرئ : من أجل جوامع ديار مصر ينطبق كذلك على الخانقاه وليس على الجامع المذكور .

وأما هذا الجامع فإنه أنشئ في سنة ٧٥٠ هـ يؤيد ذلك أنه يوجد في نهاية طراز الوجهة العمومية للمسجد مكتوبة مذكور فيها : « وكان الفراغ من ذلك الجامع في شهر رمضان المعظم سنة خمسين وسبعمائة » وفي سنة ٧٥٣ هـ رتب فيه شيخون المدرسين كما ذكر المؤلف .

وهذا الجامع لا يزال باقيا إلى اليوم تقام فيه الشعائر الدينية ويعرف بجامع شيخون البحري لوقوعه نجاء الخانقاه التي تعرف اليوم بجامع شيخون القليل ويفصل بينهما شارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة .

لكونكم بنس الأمة، فضحك الناس من قوله، فكُتِبَ عن أمره، فوجدوا له نحو آثني عشر يوماً من حين خرج من عند المهانين .

وفي يوم الأربعاء عاشر شهر رجب قَدِمَ كتاب الأمير أرغون الكامل نائب الشام يتضمن أنه قُبِضَ على قاصد الأمير منجك الوزير بكتابته إلى أخيه بيغا أُرُس نائب حلب يحسن، له الحركة والمضيان، وأرسل الكتاب وإذا فيه أنه اتفق مع سائر الأمراء، وما بقي إلا أن يركب ويحتوك، فأقتضى الرأي الثاني حتى يحضر الأمراء والنائب إلى الخدمة من الغد، ويُقرأ الكتاب طيماً ليدبروا الأمر على ما يقع عليه الاتفاق، فلما طَلَعَ الجماعة من الغد، إلى الخدمة لم يحضر منجك، فطُلب فلم يوجد، وذكر حواشيه أنهم من عشاء الآخرة لم يعرفوا خبره، فركب الأمير صرغتمش في عدة من الأمراء وكهس بيوت جماعته فلم يقع له على خبر، وتفقدوا ممالিকে ففقد منهم آثان، فنودي عليه من القاهرة، وهُدِّدَ من أخفائه وأخرج عيسى ابن حسن الهجان في جماعة من عرب العائذ على النجيب لأخذ الطرقات عليه، ونُحِبَ إلى العربان وتُؤَاب الشام وولاية الأعمال على أجنحة الطيور بتحصيله فلم يقدروا عليه، وكُتِبَت بيوت كثيرة .

ثم في يوم الأربعاء رابع عشرين شهر رجب قَدِمَ الخبر بعصيان الأمير أحمد الساق نائب حماة وبعصيان الأمير بكتمش نائب طرابلس .

وفي يوم السبت سابع عشرين، كُتِبَ بإحضار الأمير بيغا أُرُس نائب حلب إلى الديار المصرية، وكُتِبَ ملطفات للأمراء حلب لتضمن أنه : إن امتنع من الحضور فهو معزول، ورُسِمَ لحامل الكتاب أن يُعَلِّمَ بيغا أُرُس بذلك مشافهةً بحضرة أمراء حلب .

فقدم البريد من الشام بموافقة ابن دُلغادر الى بيضا أرس وأنه تسلطن بحلب، وتلقب بالملك العادل وأنه يريد مصر لأخذ غُرمائه، وهم طاز وشيخون وصَرَغتمش وبُزْلاز وأرغون الكامل نائب الشام، فلما بلغ ذلك السلطان والأمراء رَسَمَ للنائب بَعْرَضَ أجناد الحلقة، وتعيين مضافيهم من عبَّرة أربعمائة دينار الإقطاع فما فوقها ليسافروا .

- ثم قَدِمَ البريد بأن قَرَّاجًا بن دُلغادر، قَدِمَ حلب في جمَع كبير من التُرُكَّان، فركب بيضا أُرْس وتلقاه، وقد واعد نائب حماة وطرابلس على مسيره أوّل شعبان الى نحو الديار المصرية، وأنهم يلقوه على الرستن^(١)، فأمر السلطان الأمير طُفَظَاي الدَّوَادار بالخروج الى الشام على البريد وعلى يده ملطقات لجميع أمراء حلب وحماة وطرابلس، فسار طُفَظَاي حتّى وصل دِمَشق وبعث بالملطقات الى أصحابها، فوجد أمر بيضا أرس قد قَوِيَ، ووافقه التواب والمساكر وابن دُلغادر بترُكَّانه، وحيار بن مُهنا^(٢) بَعْرَبانه، فكتبَ نائب الشام بأن سفر السلطان لا بد منه، وإلا خرج عنكم الشام جميعه، فأتفق رأى أمراء مصر على ذلك، وطلب الوزير ورعهم له بتهيئة بيوت السلطان، وتجهيز الإقامات في المنازل، فذكر أنه ما عنده مال لذلك، فرسم له بقرض ما يحتاج إليه من التجار، فطلب تجار الكايم وباعهم غلالا من الأهراء بالسعر الحاضر، وعدة أصناف أُنحر، وكتب لمُفَظَاي بالإسكندرية، وأخذ منه أربعمائة

(١) ذكرها أبو الفداء إسماعيل في كتابه تقويم البلدان، فقال : « ومن الأماكن القديمة المشهورة مدينة الرستن، وكانت عامرة في قديم الزمان، وهي اليوم (عصر أبي الفداء) خراب وبها بيوت كالقرية وآثار العارة والجدران وبعض العقود بها ظاهر، وكذا بعض أبواب المدينة وأسوارها بقيت . وهي في جنوب نهر العاصي على جبل أكثره تراب، سطحها في المنبسطة الآخذ الى حمص وهي بين حمص وحماة . ويقال : إنها خراب من زمن فوج الشام » . (٢) هو حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا أمير آل فضل . مات بنواحي سلبية في سنة ٧٧٦ هـ (عن المنهل الصافي ج ٢ ص ٥١ د ب) .

ألف درهم، وأخذ من النائب مائة ألف درهم قرضاً، ومن الأمير بلبان الأستادار مائة ألف درهم، فلم يمض أسبوعٌ حتى جهز الوزير جميع ما يحتاج إليه السلطان.

ونخرج الأمير طاز في يوم الخميس ثالث شعبان، ومعه الأمير بزلار والأمير كلثا والأمير فارس الدين ألبكي. ثم خرج الأمير طيغما المجدى وابن أرغون النائب وكلاهما مقدم ألف في يوم السبت خامس شعبان وخرج الأمير شيخون الممرى في يوم الأحد سادسه بتجمل عظيم، فبينما الناس في التفرج على طلبه إذ قيل قبض على منجك اليوسفى، وهو أن الأمير طاز لما رحل ووصل الى بلبس قيل له : إن بعض أصحاب منجك صحبة شاورشى مملوك قوصون، فطلبهما الأمير طاز وخص عن أمرهما فراه أمرهما، فأمر بالرجل فقُتس فإذا معه كتاب منجك لأخيه بيضا أرس، يتضمن أنه قد فعل كل ما يختاره، وجهز أمره مع الأمراء كلهم، وأنه أخفى نفسه وأقام عند شاورشى أياماً ثم خرج من عنده الى بيت الحسام الصقرى أستاذاره وهو مقيم حتى يعرف خبره، وهو يستحثه على الخروج من حلب، فبعث به طاز الى الأمير شيخون، فوافى الاطلاب خارجة، فطلب شيخون الحسام الصقرى وسأله فانكر، فأخذه الأمير صرغتمش وعاقبه. ثم ركب الى بيته بجوار الجامع الأزهر وهجمه فاذا منجك ومملوكه، فأخذه صرغتمش وأركبه مكتوف اليدين الى القلعة، فسير من وقته الى الاسكندرية فحبس بها.

ثم ركب السلطان الملك الصالح من قلعة الجبل في يوم الاثنين سابع شعبان في بقية الأمراء والخاصكية ونزل الى الريذانية خارج القاهرة وخلق على الأمير قبلاى نائب الغيبة باستقراره نائب الغيبة ورتب أمير على الماردى أن يقيم

(١) رواية السلوك : « وسبب ذلك أن الأمير طاز ... الخ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من هذا الجزء .

بالقلعة ومعه الأمير كُشلى السَّلاح دار لِيُقِيمَا داخل باب القلعة ، ويكون على باب القلعة الأمير أرْنان والأمير قُطْلُوبُغا الذهبي ورَّتب الأمير مجد الدين موسى الهذباني مع والى مصر لحفظ مصر . ثم استقلَّ السلطان بالمسير من الريدانية في يوم الثلاثاء بعد الظهر .

- فَقَدِمَ البريد بأنَّ الأمير مُغلطاي الدوادار خرج من دِمَشق يريد مصر وأنَّ الأمير أرغون الكامل نائب الشام لما بلغه خروج بييغا أُرْس بمن اجتمع معه من العساكر، عزم على لقائه فبلغه مخامرة أكثر أمراء دمشق فاحترس على نفسه وصار يجلس بالميدان وهو لا بُسَّ آلة الحرب . ثم اقتضى رأى الأمير مسعود بن خَطِير أنَّ النائب لا يَلْقَى القوم ، وأنه يُنادى بالقرض للنفقة بالكسوة فإذا خرج العسكر إليه بمنزلة الكسوة ، منعهم من عبورهم الى دمشق وسار بهم الى الرملة في انتظار ١٠ قدوم السلطان ، وأنه استصوب ذلك وفعله ، وأنه مقيم بعسكر دِمَشق على الرملة ، وأنَّ الأمير أَلْطُبُغا بُرْناق نائب صفد سار الى بييغا أُرْس وأن بييغا أُرْس سار من حلب الى حماة واجتمع مع نائبها أحمد الساق وبَكَلْمَش نائب طرابُلُس ، وسار بهم الى حِمص ، وعند نزوله على حمص وصل إليه مملوكا الأمير أرقطاي بكتاب السلطان ليحضر قَبَضَ عليهما وقيدَهما وسار يريد دمشق فبلغه مسير السلطان واشتهر ذلك في عسكره وأنه عَزِلَ عن نيابة حلب فانحلت عزائم كثير ممن معه من المقاتلة ، وأخذ بييغا أُرْس في الاحتفاظ بهم والتحرز منهم الى أن قَدِمَ دمشق يوم الخميس ١٥ خامس عشرين شهر رجب ، فاذا أبواب المدينة مغلقة والقلعة محصنة ، فبعث الى

(١) راجع الحاشية رقم ١٣ ص ١٥٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) في الأصلين : « ملوك الأمير أرقطاي » . والتصويب عن السلوك . ٢٠

(٣) في الأصلين : « يوم السبت » وتصويبه عن السلوك والتوفيقات الإلهامية .

الأمير إياجي نائب قلعتها بأمره بالإفراج عن قردم وأن بفتح أبواب المدينة،
 ففتح أبواب المدينة ولم يُفرج عن قردم فركب الأمير أحمد الساقى نائب حماة وبكلمش
 نائب طرابلس من الغد ليُغيرا على الضياع فوافى بعض عسكر بيغا أُرُس نجابا يُخبر بِمسك
 منجك ومسير السلطان من خارج القاهرة، وعاد أحمد وبكلمش في يوم الاثنين رابع
 عشر شعبان وقد نزل طاز بن معه المزرب فارتج عسكرُ بيغا أُرُس وتواعد قرأجا بن
 دلفادر وحيار بن مهنا على الرحيل، فها غربت الشمس إلا وقد خرجا بأنقالهما
 وأصحابهما وسارا، فخرج بيغا أُرُس في أثرهما فلم يدركهما، وعاد بكرة يوم الثلاثاء فلم
 يستقر قراره، حتى دقت البشائر بقلعة دمشق، بأن الأمير طاز والأمير أرغون
 الكاملى نائب الشام وأقبا دمشق وأن الأمير شيخون والسلطان ساقه، فبهت
 بيغا أُرُس وتفترق عنه مَنْ كان معه، فركب عائدا إلى حلب في تاسع عشر شعبان،
 فكانت إقامته بدمشق أربعة وعشرين يوما، أفسد أصحابه بدمشق فيها مفاصد
 وقبائح من النهب والسبي والحريق والفارات على الضياع من حلب إلى دمشق
 وفعلوا كما فعل التتار أصحاب قازان وغيره، فبعث السلطان الأمير أسندمر العلاقى
 إلى القاهرة بالإشارة فقَدِمَها يوم الجمعة خامس عشرين شعبان، ودقت البشائر لذلك
 وزُينت القاهرة

١٠

١٥

وأما السلطان الملك الصالح فإنه ألتقى مع الأمير أرغون شاه الكاملى نائب
 الشام على بُدْعَرَش من عمل غزّة، وقد تأخر معه الأمير طاز بن معه فدخلوا غزّة،
 وخلع السلطان على أرغون المذكور باستمراره في نيابة دمشق، وأنعم عليه بأربعمائة ألف
 درهم وأنعم على أمير مسعود بن خطير بألف دينار، وعلى كل أمراء دمشق كل واحد
 قدر رتبته، فكان جملة ما أنفق السلطان فيهم ستمائة ألف درهم، وتقدم الأمير
 شيخون والأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام إلى دمشق وتأخر الأمير صرغتمش

٢٠

صحبة السلطان يدبر العسكر ، ثم تبعهم السلطان إلى دمشق فدخلها في يوم الخميس مستهل شهر رمضان ، وخرج الناس إلى لقائه وزُيِّنَت مدينة دمشق ، فكان لدخوله يومٌ مشهود ، ونزل السلطان بقلعة دمشق ، ثم ركب منها في الغد يوم الجمعة ثانية إلى الجامع الأموي في موكب جليل حتى صلى به الجمعة وكان الأمراء قد مضوا في طلب بيبغا أرس .

- وأما بيبغا أرس فإنه قديم إلى حلب في تاسع عشرين شعبان ، وقد حُفِرَت خنادق تُجَاه أبواب حلب وغُلِّقَت وامتنعت القلعة عليه ورمته بالحجارة والمجانيق ، وتبعهم الرجال من فوق الأسوار بالزنى عليه ، وصاحوا عليه فبات تلك الليلة بن معه وركب في يوم الخميس مستهل شهر رمضان للزحف على مدينة حلب ، وإذا بصياح عظيم والبشائر تدق في القلعة وهم يصيحون : يا منافقون ، العسكر وصل ، فالتفت بمن معه فإذا صناجق على جبل جوشن^(١) فانهزموا عند ذلك بأجمعهم إلى نحو البرية ، ولم يكن ما رآوه على جبل جوشن عسكر السلطان ، ولكنه جماعة من جند حلب وعسكر طرابلس كانوا مخففين من عسكر بيبغا أرس عند خروجه من دمشق فساروا في أعقابهم يريدون الكسبة على بيبغا أرس وتعبوا على جبل جوشن فعند ما رآهم بيبغا لم يَشْك أنهم عسكر السلطان فانهزم . وكان أهل باقوسا قد وافقوهم^(٢)

(١) هو جبل مطلق على حلب في غربها . في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة . وقد أكثر شراء حلب من ذكره كثيرا ، فقال منصور بن المسلم بن أبي الخرجين النحوي الحلبي من قصيدة :

عسى مورد من سفح جوشن نافع * فاني إلى تلك الموارد ظلمات
وما كل ظن ظنه المرء كائن * يحسوم عليه للحقيقة برهات

انظر معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ١٥٥) وشرح القاموس مادة « جوشن » .

(٢) قرية من قرى حلب ، سميت باسم جبل باقوسا ، وهو في ظاهر حلب من جهة الشمال (انظر ياقوت ج ١ ص ٤٨٢ وج ٢ ص ٣١١ طبع أوروبا) .

وتقدموا عنهم فسكوا المضايق على ببيغا وأدركهم السكر المذكور من خلفهم فتمزق
عسكر ببيغا أُرُس وقد أتعقد عليهم القبار، حتى لم يُمكن أحد أن ينظر رفيقه فأخذهم
العربُ وأهل حلب قبضاً باليد، ونهبوا الخزائن والأثقال وسلبوهم ما عليهم من آلة
الحرب وغيره ونجا ببيغا أُرُس بنفسه بعد أن أمتلأت الأيدي بنهب ما كان معه
وهو شئ، يَجِلُّ عن الوصف، وتبع أهل حلب أسراءه وثماليكه وأخرجهم من عدة
مواضع فظفروا بكثير منهم، فيهم أخوه الأمير فاضل والأمير الطنبغا السلائي شاذ
الشراب خاناه والطنبغا برناق نائب صفد وملكتمر السعيدى وشادى أخو نائب حماة
وطييفا حلاوة الأوجاقى وابن أيدغدى الززاق ومهدي شاد الدواوين بحلب وأسنباي
قريب ابن دُلغادر وبهادر الحاموس وقليج أرسلان أستاذار ببيغا أُرُس ومائة مملوك
من ممالك الأمراء، فقيّدوا الجميع وسجنوا، وتوجه مع الأمير ببيغا أُرُس أحمد الساقى
نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس وطشتمر القاسمى نائب الرجبة وأقبغا البالىي
وطييدمر وجماعة أخر، تبلغ عدّتهم نحو مائة وستة عشر نفرا .

ثم دخل الأمراء حلب وأخذوا أموال ببيغا أُرُس، وكتبوا إلى قرآجا بن دُلغادر
بالعفو عنه والقبض على ببيغا أُرُس ومن معه ، فأجاب بأنه ينتظر فى القبض عليه
مرسوم السلطان، وقد نزل ببيغا أُرُس عنده، وسأل إرسال أمان ليبغا أُرُس وأنه
مستمر على امرته ، فجهّز له ذلك فامتنع من تسليمه ، فطلب الأمراء رمضان من
أمراء الأتراك، وخلع عليه بإمرة قرآجا بن دُلغادر وإقطاعه، وعاد الأمراء من حلب
وأسقتر بها الأمير أرغون الكاملى نائب الشام، وعاد الجميع إلى دمشق ومعهم الأمراء
المقبوض عليهم فى يوم الجمعة سلخ شهر رمضان، وصلوا العيد بدمشق مع السلطان
الملك الصالح صالح، وأقاموا إلى يوم الاثنين ثالث شوال، جلس السلطان طارمة
قلعة دمشق وأخرجوا الأمراء فى الحديد ونودى عليهم : هذا جزاء من يحاصر على

السلطان ويخون الأيمان . ووسطوهم واحداً بعد واحد ، وقد قدّم ذكر أسمائهم عند القبض عليهم فوسّط الجميع ، ما خلا ملكتمّر السعيدى فإنه أُعيد إلى السجن ، وخَلَعَ السلطان على أَيْمَنُش الناصرى واستقرّ في نيابة طرابلس عوضاً عن بَكَلْمُش السّلاح دار ، وخَلَعَ على طَنْبَرَق بنياية حمّاة عوضاً عن أحمد الساقى ، وعلى الأمير شهاب الدين أحمد بن صُبيح بنياية صَفَد عوضاً عن الطُّنْبُظَا بُرْناق .

ثم صلى السلطان صلاة الجمعة بالجامع الأموى وهو ساج شوال وخرج من دمشق يريد الديار المصرية بأمرائه وعساكره ، فكانت مدّة إقامته بدمشق سبعةً وثلاثين يوماً وسار حتى وصل القاهرة في يوم الثلاثاء خامس عشرين شوال من سنة ثلاث وخمسين وسبعائة ، ومشى بفرسه على الشَّقَق الحرير التى فُرِشت له بعد أن خرج الناس إلى لقائه والتفرّج عليه ، فكان لدخوله القاهرة أمرٌ عظيم لم يتفق ذلك لأحد من إخوانه ، وعند ما طَلَعَ إلى القلعة تلقته أمّه وجواريه ونثروا على رأسه الذهبَ والفضّة ، بعد أن فُرِشت له طريقه أيضاً بالشَّقَق الأطلس الملوّنة ، وانتهانى ترفّه ، ولم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا وفيه الأفراح والتهانى .

وفي قدوم السلطان الملك الصالح يقول العلامة شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة التّيسانى الحنفى تفعده الله برحمته :

١٥ [الكامل]

الصالحُ الملكُ المعظّمُ قدّرهُ * تُطَوّى له أرض البعيدِ النازحِ

لا تعجبوا من طيّها في سَيره * فالأرضُ تُطَوّى دائماً للصالحِ

ثم عمِلَ السلطان عدّة مهمّات بالقلعة والقصر السلطاني ، وخَلَعَ على جميع الأمراء وأرباب الوظائف .

- (١) في الدرر الكامنة : « السعدى » . (٢) في السلوك : « واستقر في نيابة حلب » .
(٣) في السلوك : « أحمد بن صبح » .

ثم قُبِضَ على الوزير عَلم الدين عبد الله بن أحمد بن زُبُور وهو بخلته قريب المغرب ، وسبب ذلك أنه لما فُرِّقَت التشاريفُ على الأمراء ، غَلِطَ الذي أخذ تشريف الأمير صرغتمش ، وهَضَلَ إليه بتشريف الأمير بَلْبَانَ السَّنَانِي - الأستاذار ، فلما رآه صرغتمش تحرك ما عنده من الأحقاد على ابن زُبُور المذكور ، وتشمَّرَ غَضَبًا ، وقام من فوره ودخل إلى الأمير شَيْخُون وألقى البُقْجَةَ قدامه وقال : انظرِ فُلَّ الوزير معي ، وحَلَّ الشاش وكشف التشريف . فقال شيخون : هذا وقع فيه الغلط فقام صرغتمش وقد أخذه من الغضب شِبُه الجنون وقال : أنا ما أرضى بالهوان ، ولأبَدَ من القبض عليه ، ومهما شئتُ فافعل ، ونخرج فصادف ابن زُبُور داخلًا إلى شَيْخُون وعليه الخُلعة ، فصاح في مماليكه خُذوه . ففى الحال نزعوا عنه الخُلعة ، وجروه إلى بيت صرغتمش ، فسجَّنه في موضع مُظلم من داره ، وعزَّلَ عنه أبنته رزق الله في موضع آخر . وكان قبل دخوله إلى شيخون رتبَ عِدَّة ممالك على باب حِزَانَةِ الخِصاص ، وباب النجاس وباب القلعة وباب القرافة وغيره من المواضع وأوصاهم بالقبض على حاشية ابن زُبُور وجميع الكُتَّاب ، بحيث لا يدعو أحدا منهم يخرج من القلعة ، فعند ما قُبِضَ على ابن زُبُور أرتجت القلعة وخرجت الكُتَّاب ، فقُبِضَت ممالك صرغتمش عليهم كلهم ، حتى على شهود الحِزَانَةِ وكُتَّابها ، وكُتَّاب الأمراء الذين بالقاعة ، وأختلطت الطاعة بممالك صرغتمش وصاروا يَقْبِضُونَ على الكاتب ، ويمضون به إلى مكان ليعزوه ثيابه ، فإن أحترموه أخذوا مَهْمَازه من رجله ، وخاتمته

(١) في السلوك : « وتميز فضبا » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) المقصود بهذا الباب باب القرافة الذي كان بالقلعة ، بدليل ذكره هنا مع أبوابها ، وقول المؤلف : « وأوصاهم بالقبض على حاشية ابن زُبُور وجميع الكُتَّاب ، بحيث لا يدعون أحدا منهم يخرج من القلعة » . وقد سبق التعليق على هذا الباب في الحاشية رقم ٢ ص ١٨١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة

من إصبعه ، أو يَفْتَدِي نفسه منهم بمال يدفعه لهم ، حتى يُطْلَقوه ، وفيهم من أخفى
عند الغلمان ، ففقر وا عليه مالا ، وأسترهنوا دوائه ، بحيث إن بعض غلمان أمير
حُسَيْن أخى السلطان ، جمع ست عشرة دواة من سنة عشر كاتبا ، وأصبح يُجيبهم
ويُدفع لهم أدويتهم . وذهب من الفرجيات والعائم والمتاديل شئ كثير . وساعة
القبص على ابن زُنْبُور ، بعث الأمير صرغتمش الأمير جُرجي والأمير قَشْتَمُر في عِدَّة
من المماليك إلى دُور ابن زنبور بالصناعة بمدينة مصر . وأوقعوا الحوطة على
حريمه ، وختموا بيسوته وبيوت أصهاره وكانت حُرْمهم في الفرج وعليهن الحلي
والحلل ، وعندهن معارفهن ، فسلب الممالك كثيرا من النساء اللاتي كن في الفرج ،
حتى مكثوهن من الخروج إلى دورهن ، فخرج عاتمة نساء ابن زنبور وبناته ولم تبقى
إلا زوجته فوكل بها ، وكتب إلى ولاة الأعمال بالوجه القبلي والوجه البحري
بالحوطة على ماله وزراعته ، وماله من القنود والتواليب وغيرها ، ونرج لذلك
عنة من مُقَدِّمى الحلقة ، وتوجه الحُسام العلاني إلى بلاد الشام ليوقع الحوطة
على أمواله ، وأصبح الأمير صرغتمش يوم السبت ثامن عشرين شوال ، فأخرج
أبن الوزير ابن زنبور رزق الله بُكْرَة ، وهذده وزل به من داره من القلعة إلى بيته ،
وأخذ زوجته ابن زُنْبُور أيضا وهذدها ، وألقى آبنها رزق الله إلى الأرض ، ليضربه فلم
تَصِر ، ودثته على موضع المال فأخذ منه خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم .
وأخرج من بئر صندوقا فيه ستة آلاف دينار ومصباغ . ووجد له عند الصارم مشد
المائة ستة آلاف دينار ومائة وخمسين ألف درهم ، سوى الثحف والتفاضيل

(١) سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٤ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة ، وكانت هل
البل ، وكان الساحل وقت إنشاء الصناعة بمصر يمتد إلى الطريق التي يمر فيها اليوم شارع الديورة شرق
بيدان فم الخليج ، حيث كان النيل يجري قديما . ويستفاد مما ذكر أن دور ابن زنبور كانت في المنطقة
التي يحدها من الغرب شارع الديورة بالقاهرة ، ولا أثر اليوم لشيء من تلك الدور التي أُلْدُرْتُ .

وثياب الصوف وغير ذلك . وألزم محمد [بن] الكوراني^(١) وإلى مصر بتحصيل بنات
 ابن زنبور، فودى عليهن، ونقل مافي دور صهرى ابن زنبور وسما لشاذ الدواوين،
 وعاد صرغتمش إلى القلعة، فطلب السلطان^(٢) جميع الكتاب وعرضهم، فعين موفق^(٣)
 الدين هبة الله [بن] إبراهيم [لوزارة] وبدر الدين [كاتب يلحقًا لنظر الخصاص]
 و [تاج الدين أحمد بن صاحب] أمين الملك عبد الله بن الفحام لنظر الجيش،
 وأخاه كريم الدين لنظر البيوت [وآبن السعيد لنظر الدولة]^(٤) وقسّم مملوك طقز دمر
 لشاذ الدواوين .

وفى يوم الأحد تاسع عشرين شوال خلع على الجميع، وأقبل الناس إلى باب
 صرغتمش للسعى في الوظائف فولى الأسعد حربة آستيفاء الدولة، وولى كريم الدين
 أكرم ابن شيخ ديوان الجيش . وسلم المقبوض عليهم لشاذ الدواوين وهم : الفخر
 [آبن]^(٥) قروينة ناظر البيوت، والفخر بن مليحة ناظر الجيزة والفخر مستوفى الصُحبة،
 والفخر بن الرضى كاتب الإسطل، وآبن معتوق كاتب الجهات، وطلب التاج بن
 لفينة ناظر المتجر وناظر المطبخ وهو خال آبن زنبور فلم يوجد، وكُذبت بسببه
 عدة بيوت، حتى أخذ وصار الأمير صرغتمش يتزل ومعه ناظر الخصاص وشهود
 الخزانة وينقل حواصل آبن زنبور من مصر إلى حارة زويلة^(٦) فأعياهم كثرة ما وجدوه
 له، وتبعت حواشى ابن زنبور، وهُجمت دور كثيرة بسببهم .

(١) التكلّة عن السلوك . (٢) التكلّة عن السلوك . (٣) التكلّة عن السلوك .

(٤) التكلّة عن السلوك . (٥) التكلّة عن السلوك . (٦) الزيادة عن السلوك .

(٧) مصر المذكورة هذا المقصود بها مدينة مصر القديمة، وحارة زويلة هى إحدى حارات القاهرة .

قد سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٥ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

- (١١) ثم في مستهل ذي القعدة نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالصناعة، وهدم منه ركنا فوجد فيه خمسة وستين ألف دينار، حملها إلى القلعة، وطلب ابن زنبور وضربه عريانا فلم يعترف بشيء، فقتل إلى بيته وضرب أبنه الصغير وأمه تراه في عدة أيام حتى أسمعته كلاما جافيا فأمر بها فمُصرت، وأخذ ناظر الخاص في كشف حواصل ابن زنبور بمصر، فوجد له من الزيت والشيرج والنحاس والرصاص والكبريت والعكر والبقم^(٢) والقند^(٣) والعسل وسائر أصناف المتعجّر ما أذهله، فشرع في بيع ذلك كله. وهذا والأمير صرغتمش ينزل بنفسه وينقل قماش ابن زنبور وأثاثه إلى حارة زويلة ليكون ذخيرة للسلطان، فبلغت عدة الحمالين الذين حملوا النصابي والأواني الذهب والفضة والبلور والصيني والكتب والملابس الرجالية والنسائية والزراكن والآلات والبسط الحرير والمقاعد ثمانمائة حمال، سوى ما حمل على البغال. وكان ما وجد له من أواني الذهب والفضة ستين قطارا، ومن الجواهر ستين رطلا، ومن اللؤلؤ الكبار إردنين، ومن الذهب المهرجة مائتي ألف دينار وأربعة آلاف دينار وقيل ألف ألف

- (١) الصناعة بمدينة مصر سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٤ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. وكانت على النيل وكان الساحل وقت إنشاء الصناعة بمصر ينتهي إلى الطريق التي يمر فيها اليوم شارع الديورة شرق ميدان فم الخليج حيث كان النيل يجري قديما. ويستفاد مما ذكر أن دور ابن زنبور كانت في المنطقة التي يحدها من الغرب شارع الديورة بالقاهرة ولا أثر اليوم لشيء من تلك الدور التي اندثرت.
- (٢) العكر: دردي كل شيء، وعكر الشراب والماء والدهن آخره وخاثره. وقد عكرت الممرجة إذا اجتمع فيها الدردي من الزيت، ولعل المقصود هنا أصناف زيت الإضاءة المستعملة وقتئذ.
- (٣) البقم: شجر يصبغ به وهو العندم. (٤) القند: عصارة قصب السكر إذا جمد ومنه يتخذ الفانيذ ولعله السكر المحروش. (٥) الدينار المهرجة أو المهرجة هو الدينار الذهب الكامل الوزن الخالص العيار وهو عبارة عن ٩٠٪ من المثقال عادة، كما يفهم من خطط المقرري (ج ٢ ص ٢٩٢) ومن خطط علي باشا مبارك (ج ٢٠ ص ٣٣) وقد استعمل المقرري المهرجة في كتاب السلوك (ج ٢ قسم ٢ ص ٣٩٣) طبعة الأستاذ زيادة كما استعملها ابن تقي بردي في عدة مواضع من كتابه النجوم الزاهرة ليدل على تمييزه عن الدينار الناقص الوزن الذي ضرب في عهد الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠٨ هـ، وعلى تمييزه أيضا عن العملة الأجنبية المسماة بالأفلورى أو المشخص، وهذه كلها عملة شاعت على عهد المؤلف. وانظر خطط علي باشا مبارك (ج ٢٠ ص ٥١ و ١٤١ و ١٤٢).

دينار، ومن الحوائص الذهب ستة آلاف حياصة، ومن الكَفَنَاتِ الزَرَكُشِ ستة آلاف
كَلَفَتَاهُ، ومن ملابسه عِدَّةُ أَلْفَيْنِ وَسِتْمِائَةِ فَرَجِيَّةٍ، ومن البُسُطِ ستة آلاف بِسَاطٍ،
ومن الشاشات ثَلَاثَةَ شَاشٍ، وَوُجِدَ لَهُ مِنَ الْخَلِيلِ وَالْبَغَالِ أَلْفُ رَأْسٍ، وَدَوَابُّ حَلَابَةٍ
سِتَّةَ أَلْفِ رَأْسٍ، وَمِنْ مَعَاصِرِ السَّكْرِ خَمْسَ وَعِشْرُونَ مَعْصَرَةً، وَمِنْ الْإِقْطَاعَاتِ
سَبْعِمِائَةَ إِقْطَاعٍ، كُلُّ إِقْطَاعٍ مَتَحْصِلُهُ خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِي السَّنَةِ. وَوُجِدَ
لَهُ مِائَةُ عَبْدٍ وَسِتُونَ طَوَاشِيًا وَسَبْعِمِائَةَ جَارِيَةٍ، وَسَبْعِمِائَةَ مَرْكَبٍ فِي النَّيْلِ، وَأَمْلَاكَ
قَوِّمَتْ بِثَلَاثَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَرُخَامٌ بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَنُحَاسٌ بِأَرْبَعَةِ أَلْفِ دِينَارٍ،
وَسُرُوجٌ وَبَدَلَاتٌ عِدَّةٌ خَمْسِمِائَةٍ، وَوُجِدَ لَهُ أَثْنَانٌ وَثَلَاثُونَ غُرْنًا، فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ
الْمَتَجَرِّ مَا قِيَمَتْهُ أَرْبَعُمِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ؛ وَوُجِدَ لَهُ سَعَةُ أَلْفِ نِطْعٍ وَخَمْسِمِائَةُ حِمَارٍ وَمِائَتَانِ
بِسْتَانٍ وَأَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةُ سَاقِيَةٍ، وَذَلِكَ سِوَى مَا نُهَبَ وَمَا أَخْتَلَسَ، عَلَى أَنَّ مَوْجُودَهُ
أَبْعَدُ بِنِصْفِ قِيَمَتِهِ. وَوُجِدَ فِي حَاصِلِ بَيْتِ الْمَالِ مِائَةُ أَلْفٍ وَسِتُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ؛ وَبِالْأَهْرَاءِ نَحْوُ عِشْرِينَ أَلْفَ إِرْدَبٍ: وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مَحْزَرٌ عَنِ الثَّقَاتِ.
وَأَمَّا غَيْرُنَا فَذَكَرَ لَهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً حِدَا، أَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِهَا خَوْفَ الْمَجَازِفَةِ.

وَكَانَ أَبْتَدَاءُ ابْنِ زُنْبُورَانَةَ مَاشِرًا فِي اسْتِيفَاءِ الْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ، فَهَضَّ فِيهِ وَشَكَرَتْ
سِيرَتُهُ إِلَى أَنَّ عَرَضَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْكُتَّابَ لِيَخْتَارَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤَلِّيه
كَاتِبَ الْإِسْطَبْلِ، وَكَانَ ابْنُ زُنْبُورَانَ هَذَا مِنْ جَمَلَتِهِمْ وَهُوَ شَابٌّ فَاتِحٌ عَلَيْهِ الْفَخْرُ نَازِلٌ
الْجَيْشِ وَسَاعِدُهُ الْأَكُوزُ وَالنَّشْوُ، فَوُلِّيَ كَاتِبَ الْإِسْطَبْلِ عِوَضًا عَنْ ابْنِ الْجِيْعَانِ
فَنَالَتْ فِيهَا السَّعَادَةُ، وَأَعْجَبَ بِهِ السُّلْطَانُ لِفِطْنَتِهِ فَدَامَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ النَّاصِرُ
فَاسْتَقَرَّ مَسْتَوِي الصُّحْبَةِ ثُمَّ أُنْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى نَظَرِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ وَلِيَ نَظَرَ الْخَاصِّ بِعَيْنَاةِ
الْأَمِيرِ أَرْغُونِ الْعَلَاثِيِّ ثُمَّ أَضِيفَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْجَيْشِ، وَجَمَعَ بَعْدَ مَدَّةٍ إِلَيْهِمَا الْوِزَارَةَ
وَلَمْ تَتَّفَقْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ هَذِهِ الْوِظَائِفُ.

(١) رَوَايَةُ السُّلُوكِ: «وَرَجِدَ لَهُ سَبْعِمِائَةُ أَلْفِ نِطْعٍ».

قلت : ولا بعده إلى يومنا هذا ، (أضى لواحد في وقت واحد) .

وعَظُم في الدولة ونالته السعادة ، حتى إنه كان يُحَلِّع عليه في ساعة واحدة ثلاث خَلَع ويُخَرِّج له ثلاث أفراس ، وَفَقَدَتْ كلمته وقويت مهابته ، وأتجر في جميع الأصناف حتى في المِلح والكبريت ، ولما صار في هذه الرتبة كثرت حسّاده وسعوا فيه عند صرغتمش وأغرّوه به ، حتى كان من أمره ما كان . وكان يقوم بكُلِّف شيخون .
جميعها من ماله وصار صرغتمش يُسمع شيخون بسببه الكلام ، ويقول : لو مكنتني منه أخذتُ منه للسلطان ما هو كَيْت وكَيْت ، وشيخون يعتذر له ويقول : لا يوجد من يَسُدُّ مسدّه ، وإن كان ولا بُدَّ يُقرَّر عليه مالٌ ويستمر على وظائفه ، وبينما هم في ذلك قَدِم الخبر بعصيان بَيْتِنا أُرْس ، فاشتغل صرغتمش عنه حتى سافروا وعادوا إلى القاهرة ، ووقع من أمر الخِلمة ما حكيناه

١٠

ثم انتدب جماعة بعد مسكه للسعى في هلاكه وأشاعوا أنه باق على دين النصرانية ، أنبتوا في ذهن صرغتمش ذلك ، وأنه لما دخل إلى القدس في سفرته هذه بدأ في زيارته بالقمامة فقبل عَتَبَتها وتعبّد فيها ثم خرج إلى المسجد الأقصى فأراق الماء في بابه ولم يُصلِّ فيه وتصدّق على النصارى ولم يتصدّق على غيرهم ، وربّوا قَتاوى أنه آرتد عن دين الإسلام .

١٥

وكان أجل من قام عليه الشريف شرف الدين نقيب الأشراف والشريف أبو العباس الصفراوي وبدر الدين ناظر الخاص والصوّاف تاجر الأمير صرغتمش ، وأشهد عليه أن جميع ما يملكه للسلطان من مال بيت المال دون ماله . ثم

(١) تقدّم الكلام عليها في الحاشية رقم ١ ص ١٦٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) كذلك في الأصلين والسياق يقتضى : « وأشهدوا عليه ... الخ » .

٢٠

حَسَنُوا لَصِرْغَتَمْشَ ضَرْبَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ فِي عُنُقِهِ بِأَشَّةٍ وَجَزِيرٍ وَضُرِبَ عُرْيَانًا
 قُدَّامَ بَابِ قَاعَةِ الصَّاحِبِ مِنَ الْقَلْعَةِ . ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى مَوْضِعِهِ وَعُصِرَ وَسُقِيَ الْمَاءُ وَالْمَلْحُ .
 ثُمَّ سُلِّمَ لَشَدِّ الدَّوَابِّ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَتَوَعَّاهُ عَلَيْهِ أَنْوَاعُ الْعَذَابِ فَتَكَلَّمَ الْأَمِيرُ شَيْخُونُ فِي عَدَمِ
 قَتْلِهِ فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَرَتَّبَ لَهُ الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ وَغَيَّرَتْ عَنْهُ ثِيَابَهُ وَنُقِلَ مِنْ قَاعَةِ الصَّاحِبِ
 إِلَى بَيْتِ صِرْغَتَمْشَ وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ أُخْرِجَ إِلَى قُوصٍ مُنْفِيًا ، وَمَاتَ بِهَا
 بَعْدَ أَنْ أَخَذَ سَائِرُ مَوْجُودِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ وَمِنْ حَوَاشِيهِ فَوْقَ الْأَثَقَى أَلْفَ دِينَارٍ . انْتَهَى .
 وَأَمَّا أَمْرُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَةِ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنَ عَشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ
 قَدِمَ الْبَرِيدُ مِنْ حَلَبٍ بِأَخِيذِ أَحْمَدَ السَّاقِي نَائِبِ حِمَاةَ ، وَبِكَلْمَشِ نَائِبِ طَرَابُلُسَ مِنْ
 عِنْدِ بْنِ دُلْعَادِرَ وَسُجِنَا بِقَلْعَةِ حَلَبٍ فَأَمَرَ السُّلْطَانُ إِلَى نَائِبِ حَلَبٍ بِخَلْعِهِ .

وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ تَوَفَّى الْخَلِيفَةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بَعْدَ
 أَنْ عَاهَدَ لِأَخِيهِ أَبِي بَكْرٍ ، فَطُلِبَ أَبُو بَكْرٍ وَنُكِّلَ عَلَيْهِ خَلْعَةُ الْخِلَافَةِ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ
 وَالْأَمِيرِ شَيْخُونُ وَلُقِبَ بِالْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ أَبِي بَكْرٍ . يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْوَفَايَاتِ عَلَى عَادَةِ هَذَا
 الْكِتَابِ . وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي الْمَنْهَلِ الصَّافِي بِأَوْسَعِ مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِيهِ . وَأَيْضًا فِي مُخْتَصَرِنَا
 الْمَنْصُوتِ : « بَمُورِدِ الْلطَافَةِ فِي ذِكْرٍ مِنْ وَلِيِّ السُّلْطَنَةِ وَالْخِلَافَةِ » .

وَأَمَّا أَمْرُ بَيْيُغَا أُرُسَ فَإِنَّهُ لَمَّا أُرْسِلَ قَرَّاجَا بْنُ دُلْعَادِرَ أَحْمَدَ السَّاقِي نَائِبِ
 حِمَاةَ وَبِكَلْمَشِ نَائِبِ طَرَابُلُسَ إِلَى حَلَبٍ فِي الْقَيْسُودِ وَاعْتَقِلَا بِقَلْعَةِ حَلَبٍ حَسَبَ مَا
 ذَكَرْنَاهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِمَا . ثُمَّ أُرْسِلَ قَرَّاجَا الْمَذْكُورَ بَيْيُغَا أُرُسَ بَعْدَ أَيَّامٍ
 فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعمِائَةٍ فَأُعْتَقِلَ بِقَلْعَةِ حَلَبٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ
 أَيْضًا . رَحِمَهُ اللَّهُ . وَقِيلَ : إِنَّهُ مَا حَضَرَ إِلَى حَلَبٍ إِلَّا رَعَوْهُمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَفِي بَيْيُغَا أُرُسَ يَقُولُ الْأُدَيْبُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْخَضِرِ السَّنْجَارِيُّ
 الْحَلَبِيُّ — رَحِمَهُ اللَّهُ — أَبْيَاتًا مِنْهَا :
 [الطَّوِيلُ]

بَنَى بَيْتُفَا بَنَى الْمَالِكِ عَنَوَةَ * وما كان في الأمر المراد موقفاً
أغار على الشقراء في قيد جهله * لكي يركب الشهباء في الملك مطلقاً
فلما علا في ظهرها كان راجياً * على أديم لكتنه كان موقفاً

ثم رسم السلطان الملك الصالح صالح أن يُقَرَّ أهل الذمة على ما أقرهم أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — عليه من ترك تشبههم بالمسلمين
في أمر من الأمور، وترك ركوب الخيل وتحمل السلاح، ورفع أصواتهم على
أصوات المسلمين وأشباه ذلك .

ثم رسم بنى الأمير منجك اليوسفى الوزير كان إلى صفد بطالا . وفي هذه
السنة (أعنى سنة أربع وخمسين وسبعائة) انتهت عمارة الأمير سيف الدين طاز إلى
تُجَاه حَمَام الفارقاني، فعمل طاز وليمة وعزم على السلطان والأمراء، ومدَّ سِماطاً عظيماً .
ولما انتهى السِماط وعزم السلطان على الركوب، قدم له أربعة رؤس من الخيل
بسروج ذهب وكنايش زركش، وقدم للأمير سيف الدين شَيْخُون فرسين، ولصَرَغْتَمِش
فرسين ولسائر الأمراء المقدمين كل واحد فرساً، ولم يُعهد قبل ذلك أن سلطاناً
نزل إلى بيت بعض الأمراء، بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلا هذا .

وَجَّعَ بالناس في هذه السنة الأمير ركن الدين عُمرشاه الحاجب، صاحب القنطرة^(١)

خارج القاهرة .

(١) هذه القنطرة هي من القناطر التي كانت واقعة على الخليج المصري داخل القاهرة، تعرف بقنطرة
عمارشة تحريف عمرشاه . ذكرها المقرئ في خطه باسم قنطرة عمرشاه (ص ١٤٧ ح ٢) فقال :
إنها واقعة على الخليج الكبير يتوصل منها إلى الخليج الغربي، ولم يذكر اسم منشئها ولا تاريخ إنشائها .
وبالبحث تبين لي أن هذه القنطرة أنشأها الأمير ركن الدين عمرشاه حول سنة ٧٤٥هـ وكانت موجودة
على الخليج المصري ومعروفة كما شاهدها باسم قنطرة عمارشة إلى سنة ١٨٩٨م التي تم فيها ردم القسم الثاني
من الخليج و ردمه اختفت تلك القنطرة . ومكانها اليوم بشوارع الخليج المصري تجاه مدخل حارة عمرشاه
التي توصل إلى سكة سوقة اللاله بالقاهرة .

ثم استهلّت سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، فكان فيها الواقعة والفِتنَة بين حاشية طاز وبين صرغتمش ، والسبب لهذه الحركة أن الأمير صرغتمش كان يخاف من طاز ويَفْضُ منه وكذلك كان طاز يَفْضُ من صرغتمش ، وكان طاز يدخل على شيخون مرارا عديدة بمسك صرغتمش ، وكان شيخون يكره الفتن والفساد ، وقصدّه الصلاح للأمر بكل ما يمكن فكان شيخون يَعهده ويصبرّه ، وكان صرغتمش أيضا يخاف شرّ طاز ويقول لشيخون : هذا ما يريد ألا هلاكي ، فكان شيخون يُطمئنه على نفسه ويَعهده بكل خير ، وكان إخوة طاز وحواشيه تُحرّضه على صرغتمش وعلى إثارة الفتنَة وقوى أمر طاز وإخوته وخرج عن الحد ، وهم الأمير جُتْمَر وكُلْناي وصهره طقْطاي ، فهؤلاء الذين كانوا يُحرّكون طاز على قيام الفتنَة ، ومسك صرغتمش ليستبدّ طاز بالأمر وحده ، ويكونوا هم عظماء الدولة ، وشيخون يعلم بذلك ويُسكّنهم ويُرجعهم عن قصدهم ، وطاز يستعجى من شيخون ، وطال الأمر إلى أن اتفق طاز مع إخوته المذكورين وغيرهم من مماليكه وأصحابه أنه يخرج هو إلى الصيد ، فإذا غاب عن المدينة يركب هؤلاء على صرغتمش ومن يلوذ به ويمسكونه في غيبته ، فيكون بشيعة طاز له عنزٌ عند شيخون من حياته منه ، فلما خرج طاز إلى الصيد بالبحيرة بإذن الأمير شيخون له وما عند شيخون علم من هذا الاتفاق ، رتب حاشية طاز وإخوته ومن يلوذ به أمرهم واجتمعوا ولبسوا السلاح وركبوا على صرغتمش فلما سمع شيخون بذلك أمر مماليكه أن يركبوا بالسلاح وكانوا مقدار سبعمائة مملوك فركبوا . وركب الأمير صرغتمش ومن يلوذ به ، ووقع الحرب بينهم وبين إخوة طاز ، وتقاتلا فانكسر إخوة طاز وقبض عليهم ، وعلى أكابر ممالك طاز وحواشيه ، فهربت البقية ، فدخل صرغتمش هو ومن بقي من أكابر الأمراء إلى شيخون وقالوا : لا بدّ من خلع الملك الصالح وإعادة الملك الناصر حسن إلى السلطنة ،

لكون الصالح كان يبيل إلى طاز، فاستنذر شيخون بأعذار غير مقبولة ، وأراد إبقاء الصالح . فلم يُوافقوه وما زالوا به حتى أذعن واتفقوا على خلعه نُخْلِع ، وأعيد الملك الناصر حسب ما يأتي ذكره في ترجمته .

- وكان خلَعَ الملك الصالح صالح في يوم الاثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعائة ، فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ، وحُصِن بالقلعة في بعض دورها إلى أن تُوَفِّي بها في ذى الحجة سنة إحدى وستين وسبعائة ، وله نحو سبع وعشرين سنة . ودُفِنَ بِتَرْبَةِ عَمِّهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عَلَى بَنِ قَلَاوُون [الخاتونية] بالقرب من المشهد النفيسى خارج القاهرة .
- وكان — رحمه الله — ملكا جليلا مليح الشكل عاقلا لم تُسَكِّر سيرته ولم تُذَم ، لأنه لم يكن له في سلطته إلا مجزؤ الاسم فقط ، لقلبة شيخون وطاز وصَرَغْتَمِش .
- على الأمر ، لأنهم كانوا هم حلَّ المملكة وعقدها واليهم أمورها لا لغيرهم .
- وأما أمر طاز فانه يأتي — إن شاء الله تعالى — في أول سلطنة الملك الناصر حسن ، بعد ذكر حوادث سِنِي الْمَلِكِ الصَّالِحِ هَذَا ، كما هي عادة هذا الكتاب . انتهى والله سبحانه أعلم .

١٥



السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهي سنة ثلاث وخمسين وسبعائة ، على أنه حَكَم من السنة الماضية من سابع عشر جُهادي الآخرة إلى آخرها

(١) هذه التربة هي التي تعرف اليوم بِتَرْبَةِ فَاطِمَةَ خاتون بحرى تربة الأشرف خليل بالقرب من المشهد النفيسى بشارع الأشرف بالقاهرة سبق الطبق طبعا باسم تربة المنصور قلاوون في الحاشية رقم ٢ ص ٢ ٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وفيها (أعني سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة) : توفى قاضي القضاة نجم الدين محمد الأذرعى الشافعى بدمشق على قضائها ، وتولى بعده قضاء دمشق قاضي القضاة كمال الدين المعرى قاضي قضاة حلب .

وتوفى الشيخ الإمام العلامة فريد دهره ووحيد عصره، زين الدين المعروف بالعُضد العجمي الحنفى رحمه الله تعالى، كان إما بارعا مفتتا فقيها مصتفا، وله اليد الطولى في علم المعقول والمنقول ، وتولى قضاء القضاة بمالك القان بوسعيد ملك التاربل كان هو المشار اليه بتلك الممالك ، والمعول على فتواه وحكمه ، وتصدى للإقراء والإفتاء والتصنيف عدة سنين . ومن مصنفاته «شرح المختصر لابن الحاجب» و«المواقف» و«الجواهر» وغير ذلك في عدة فنون ، وكان رحمه الله كريما عفيفا جواد احسن السيرة مشكور الطريقة . ١٠

وتوفى الأديب الفاضل الشاعر بدر الدين أبو علي الحسن بن علي المغربي المعروف بالزغاري الشاعر المشهور، مات عن نيف وخمسين سنة . ومن شعره قوله : [الرجز]
أعجب ما في مجلس اللهو جرى * من أدمع الزاوي لما انسكبت
لم تزل البطلة في قهقهة * ما بيننا تضحك حتى انقلبت
قال وله أيضا : [البسيط]

قلت وقد أنكرت سقاي * لم أر ذا السقم يوم يئسك
لئن أصابتك عين غيري * فقلت لا عين بعد عينك

(١) انظر الديوك أخر ج ٢ ص ٦٣١ وج ٣ ص ١٢٣ وقد ذكر وفاته سنة ٧٥٥ خطأ .
وقد ساق نسبه بأوضح من هذا فقال ما نصه : « عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد
الايحي المطارزي المعروف بالعضد الشيرازي الشافعي » وانظر المنهل الصافي ج ٢ ص ٢٨٥
(٢) كتب العضد العجمي مطبوعة متداولة . انظر معجم المطبوعات لسركيس ج ٧ ص ١٣٣٢ عمود ٢٥
(٣) في الأصلين : « لم أر ذا السقم » والتصويب عن المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٠ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٢

قال وله أيضا :

[المتقارب]

فَتِنْتُ بِاسْمِ رَجُلٍ أَلَّى * لُسُلَانِهِ الصَّبُّ لَمْ يَسْتَطِعْ
تَقَطَّعَ قَلْبِي وَمَا رَقَّ لِي * وَدَمْعِي يَرِقُّ وَلَا يَنْقَطِعُ

وَتُوفِّيَ الثَّوْنَيْنِ أَرْتَنَا، وَقِيلَ : أَرْتَنَا سُلْطَانُ بِلَادِ الرُّومِ، كَانَ نَائِبًا عَنِ السُّلْطَانِ

- بُوسَعِيدِ بْنِ خَرَبَنْدَا مَلِكِ التَّارِ بِمَجْمَعِ مَمْلَكَةِ الرُّومِ، وَدَامَ عَلَى ذَلِكَ سَنِينَ، فَلَمَّا مَاتَ .
بُوسَعِيدُ كَاتَبَ أَرْتَنَا هَذَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ
أَكُونَ نَائِبَكَ بِمَمْلَكَةِ الرُّومِ، فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ وَكُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ
الْخَلْعُ السَّنِيَّةُ وَكُتِبَ لَهُ : « نَائِبُ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْبِلَادِ الرُّومِيَّةِ » وَلَمْ تَزَلْ رُسُلُهُ تَرْتَدُّ
إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي أَوَائِلِ الْحِزْمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَكَانَ مَلِكًا عَارِفًا حَاقِلًا سَيَّوسًا مَذْبِرًا، طَالَتْ أَيَّامُهُ فِي السَّعَادَةِ .

وَتُوفِّيَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَلْكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيُّ الْأَمِيرُ أَخُو بَغْزَةَ فِي عَوْدِهِ
إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي عِلَّةٍ أَمَا كُنْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

(١) هكذا ضبطت بالمعارة في هامش ص ٣٤٨ ج ١ من الدرر الكامنة . (٢) حدّد صاحب
صبح الأعشى بلاد الروم على عهده بما لا يخرج من حدود تركية آسيا اليوم أي بلاد الأناضول . انظر ج ٥
ص ٣٣٩ وما بعدها .

- ١٥ ووصف حالها السياسية وذكر ملوكها السلجوقية والتتار وكيف أن أولاد هولاكو كانوا يولون أحد
أمراءهم « شحنة » على بلاد الروم فيكون لهم القفل ولأعقاب السلجوقية الرِّيم . قال : وقد ولي بوسعيد
صاحب إيران دمرداش بن جوبان « شحنة » على بلاد الروم سنة ٧٢٣ ثم قتل أباه جوبان فهرب دمرداش
إلى مصر فقتله الناصر محمد بن قلاوون . وبقي بيلاد الروم أمير من أمراء دمرداش اسمه أرتنا هذا الذي
ساق المؤلف وفاته في هذه السّنة فبعث بطاعته إلى بوسعيد أولًا ثم خرج عن طاعته وكتب إلى الناصر يسأله
كتابة تقليد له بالبلاد الرومية وبذلك صارت بلاد الروم من مضافات الديار المصرية . انظر ذلك مفصلاً

في صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٥٨ — ٣٦٣

(٣) ضبط في الدرر الكامنة بالمعارة : (بضم التاء وفتح اللام) ج ١ ص ١٧٥

وَتُوِّقُ الشَّيْخُ بهاء الدين محمد بن علي بن سعيد الفقيه الشافعي بدمشق في شهر رَمَضَانَ وكان فقيها فاضلا يُعرف بآبَن إمام المشهد^(١).

وَتُوِّقُ القاضى شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر الشافعي الدمشقي المعروف بابن القيسراني كاتب مَر دِمَشْق بطلا كانت لديه فضيلة وهو من بيت كتابة وفضل.

وَتُوِّقُ الأمير شهاب الدين أحمد بن بليك المحسني^(٢)، كان أميراً فقيها شافعيًا أدبيا نظم كتاب «التنبيه في الفقه» وكتب عدة مصنفات، وكان معدودا من الفضلاء العلماء.

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأثنتا عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا.



السنة الثانية من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهى سنة أربع وخمسين وسبعمائة.

فيها تُوِّقُ الخليفة أمير المؤمنين، الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكنى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد الهاشمى العباسى، كان بويج بالخلافة بعد وفاة والده بقُوص في العشرين من شعبان سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، فلم يمض له ما عهده أبوه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لَمَّا كان

(١) هكذا في الأصلين والسلوك. وقد ذكر وفاته ابن حجر في الدرر الكامنة ج ٤ ص ٦٥ — ٦٦ سنة ٨٧٥٢. (٢) انظره في الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٤٤ (٣) وردت في المنهل وفي خطط المقرئى بليك، ولكنها في الأصلين بليك وكذا في السلوك بخط المؤلف وفي الدرر الكامنة لابن حجر وابن فطوينا وابن الفرات، وابن إياس وهذا يطابق معاجم اللغة التركية.

- في نفسه من والده المستكنى بالله من ميلة لللك المظفر بيبرس الجاشنكير، وأراد أن يؤتى الخلافة لبعض أقاربه بل أحضره وخلع عليه ثم مات الملك الناصر بعد ذلك بمدة يسيرة، فتمت بموته خلافة الحاكم هذا إلى أن مات في هذه السنة^(١). والمتولى يومئذ لأمر الديار المصرية الأمير شيخون والأمير طازو والأمير صرغتمش ونائب السلطنة الأمير قهلاى، والسلطان الملك الصالح صالح وكان الحاكم مات ولم يعهد بالخلافة لأحد، فجمع الأمراء القضاة، وطلب جماعة من بنى العباس، حتى وقع الاختيار على أبى بكر بن المستكنى بالله أبى الربيع سليمان فبايعوه ولقبوه بالمعتضد^(٢). وتوفي قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على ابن الشيخ جمال الدين [بحي]^(٣) الحنفى المعروف بأبن الفؤيرة فى العشر الأوسط من شوال. كان فقيها بارها باشر توقيع الدست الشريف وكتب وصنف وولى القضاء سنين.
- ١٠.

وتوفي الشيخ المسند المعمر صدر الدين محمد بن شرف الدين محمد بن إبراهيم الميمنى المصرى فى شهر رمضان ودُفن بالقرافة عن تسعين سنة. وكان مولده سنة أربع وستين وستمائة وهو آخر من حدث عن النجيب عبد اللطيف وأبن غلان وسمع منه السراجان: البلقينى وأبن الملقن.

- ١٥ (١) انظر المنهل الصافى ج ١ ص ٧٤ (١) وانظر خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٤٢ — ٢٤٣ وانظر عقد الجان ج ٢٤ قسم أول ص ٩٨ وانظر خلفاء مصر العباسين فى ص ٢١ من مختصر المنهل الصافى للسيوفيت.
- (٢) سذكر المؤلف وفاته سنة ٥٧٦٣ هـ. (٣) زيادة يقتضها السياق انظر الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٣٩ (٤) الميمنى نسبة إلى بلدة ميدوم إحدى قرى مركز الواسطى مديرية بنى سويف وهى من القرى المصرية القديمة اسمها المصرى مبراتوم والزوى ازيو والقبلى ميتوم ومنه اسمها العربى ميدوم. وإليها ينسب هرم ميدوم. وهى قرية زراعية تبلغ مساحة أراضيها ١٦٣٠ فداناً وعدد سكانها حوالى ٥٠٠٠ نفس.
- ٢٠.

وتوفي القاضي الرئيس زين الدين أبو حفص عمر بن شرف الدين يوسف
ابن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي الشافعي الكاتب ، كاتب الإنشاء
بمجلب ، ثم ولي صحابة الإنشاء بها ووكالة بيت المال الى أن مات بمجلب عن
تسعين وستين سنة .

وتوفي الأمير سيف الدين ألبليغا بن عبد الله العادلي ، كان من أكابر الأمراء
أقام أميراً نحو ستين سنة ، وكان قد أصابته ضربة سيف في وقعة أرغون شاه
بدمشق بانت منها يده اليمنى ، وأستمر على أمرته وتقدمته الى أن مات في السابع
من شهر ربيع الآخر ، ودُفن بترتبه بدمشق خارج باب الحابية وقد أناف على
تسعين سنة ^(٢) .

وتوفي الأمير الجليل بدر الدين مسعود بن أُوحد بن مسعود بن الخطير بدمشق
في سبع شوال ، بعد ما تنقل في عدة ولايات وأعمال : مثل مجبوبة الحجاب بديار
مصر ونيابة غزّة وغير ذلك . وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وستمائة بدمشق ونشأ
بها وولى المجبوبة بها ، وأرسله تنكز الى مصر محبة أسندم رسول جوبان ، فلما
رآه الملك الناصر أعجبه شكله فرسم له بإمرة طبلخاناه بمصر وجعله من جملة الحجاب ،
فأقام على ذلك الى أن قبض السلطان على مملوكه ألماس الحاجب ولّاه عوضه
حاجب الحجاب ، ولم يكن بمصر يوم ذلك نائب سلطنة ، فعظم أمره الى أن مُسك
تنكز رسم له بنيابة غزّة ، ثم بعد موت الملك الناصر أُعطى إمرة بدمشق ، ثم طُلب
الى مصر وأعيد الى مجبوبة الحجاب ثانياً ، فلم تطل مدته لاختلاف الكلمة

(١) حيازة الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٠٧ : « تعافى الأدب وكتب في الإنشاء وولى وكالة

بيت المال ونظر الأحباس ثم ولي كتابة السر بمجلب » وهي أوضح . (٢) اظهره في المنهل العاصي

ج ١ ص ٢٥٤ (ب) .

وأُخرج إلى نيابة غَزَّة ثانياً، ثم عُزل ونُقِل إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ،
ثم ولي نيابة غَزَّة ثالث مرّة وأقام بها سنين ، ثم عُزل وتوجّه إلى دمشق أميراً بها .
ثم ولي نيابة طرابلس فلم تطل مدته بها وعُزل ، وتوجّه أيضاً إلى دمشق فأقام بها
إلى أن مات . رحمه الله .^(١)

- وتوفّي في هذه السنة جماعةٌ ممن تقدّم ذكرهم من الأمراء قُتلوا بقلمة حلب وهم :
- الأمير أحمد الساقى نائب حماة وبككش نائب طرابلس وبيّغا أُرُس نائب حلب وغيرهم .
- فأما الأمير بيّغا أُرُس القاسمي ، فإن أصله من ممالك الملك الناصر محمد
ابن قلاوون ومن أعيان خاصيّته ، ثم ولي بعد موته نيابة السلطنة بالديار المصرية
في أوّل سلطنة الملك الناصر حسن ، ثم قبض عليه بطريق الجهاز وحُبس ثم أُطلق
في أوّل دولة الملك الصالح صالح ، وتولّى نيابة حلب بعد أرغون الكامل ، ولما
ولي نيابة حلب شدّد على من يشرب الخمر بها إلى الغاية ، وظلّم وحكّم في ذلك بغير
أحكام الله تعالى ، حتى إنه سَمّر من سكر وطيف به بشوارع حلب ، وفي هذا المعنى
يقول ابن حبيب :

- أهل الطَّلَا توبوا وكلّ منكم * يعود عن ساق التقي مُسمرًا
فمن يبت راووقه معلقًا * أصبح ما بين الوري مُسمرًا
- وفيه أيضاً يقول القاضي شرف الدين حسين بن ريان^(٢) : [الخفيف]
- تُب عن الخمر في حلب * والزم العقل والأدب
حدّها عند بيّغا * بالمسامير والخشب

(١) انظر ترجمة أمير مسعود هذا في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٣٥٥) وفي أعيان مصر (ج ٧ ص ١٤٨) وما بعدها . وانظر خطط المقرئ ج ٢ في الصفحات ٥٥ و ٧١ و ٣٥٨ و ٤٢١ و ٤٦٤ .
(٢) انظر السلوك (ج ٣ ص ٥٩) (١) . (٣) انظر المنهل الصافي (ج ١ ص ٣٥٢) (ب) .
(٤) انظر ترجمته في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٤٣) (١) .

ثم خرج يتيماً عن طاعة السلطان ، ووقع له ما حكينا في ترجمة الملك الصالح
إلى أن طُفِرَ به وقُتِلَ في قلعة حلب ، وفيه يقول بعض الأدباء : [البسيط]

لَمَّا أَعْتَدَى يَتِيماً الْعَادَى وَمَنْ مَعَهُ • عَلَى الْوَرَى فَارَقُوا كُرْهًا مَوَاطِنَهُمْ
خَوْفَ الْمَلَكَ سَرَوْا لَيْلاً عَلَى عَجَلٍ • فَاصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ^(١)

وتوفي الرئيس أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكتاب طشتمر ، كان
من أعيان الكُتَّاب وتوفي نظر الجُش بالديار المصرية مدة ، ثم عُزِلَ وأُخرج إلى
القدس فأقام به مدة ، ثم أُعيد إلى القاهرة فأقام بها إلى أن مات .

وتوفي الأمير سيف الدين بَيَغْرَا بن عبد الله الناصري ثم المنصوري ، أحد أمراء
الألوف بالديار المصرية وهو بطل بحلب ، وكان شجاعاً مقداماً من أعيان أمراء
مصر وقد تقدم ذكره في عدة أماكن .

وتوفي الأمير زين الدين قراجا بن دُلَقَادِر صاحب أبلستين في رابع عشر
ذي القعدة ، وقد تقدم ذكره في واقعة الأمير بَيَغْرَا أُرْس .

وتوفي مُستَوِي الصَّحْبَةُ أسعد حربة أحد الكُتَّاب المُسَالِمَةِ في ذي القعدة
من السنة .

وتوفي الشيخ جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الإمام شمس الدين أبي محمد
عبد الله بن العفيف محمد بن يوسف بن عبد المنعم المقدسي النابلسي ثم الدمشقي
الحنبلي في شهر رجب ومولده سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

- (١) انظر أخبار بَيْغَا في المنهل الصافي (ج ١ ص ٣٧٣) (ب) وما بعدها وانظر تاريخ حلب للطباخ
(ج ٢ ص ٤٣١) وانظر السلوك للقرنزي (ج ٣ ص ٩) (١) . (٢) انظر السلوك للقرنزي
في وفيات سنة ٧٥٤ (ج ٣ ص ٩) (ب) وانظر الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٦٣) .
(٣) انظر الدرر الكامنة (ج ١ ص ٥١٤) . (٤) انظر المنهل الصافي ج ٣ ص ١٥
وانظر تاريخ حلب للطباخ ج ٢ ص ٤٢٥ وانظر السلوك للقرنزي في وفيات سنة ٧٥٤ ج ٣ ص ١٠
(٥) انظر السلوك للقرنزي في وفيات سنة ٧٥٤ ج ٣ ص ٩

وتُوفِّي الشيخ إمام الدين محمد بن زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن علي بن محمد بن الحسن القيسي القسطلاني الشافعي بالقاهرة في عشرين المحرم، ومولده بمكة المشرفة في سنة إحدى وسبعين وستمائة ^(١).

وتُوفِّي حاكم الموصل وسنجار الأمير بدر الدين حسن بن هندوا . كان من أعيان الملوك وكان بينه وبين صاحب ماريدين عداوة ، ووقع بينهما حروب قُتِل في بعضها حسن هذا بعد القبض عليه ^(٢).

وتُوفِّي القاضي شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب [بن الشهاب أحمد بن يحيى الدين يحيى] بن فضل الله بن الحُجَلِّي بن دُجَّان بن خَلَف القرشيَّ العَمَري ، نسبته الى عُمر بن الخطاب رضي الله عنه . [مات في شوال من هذه السنة] ^(٣).

- ١٠ [مولده في ثالث ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بدمشق، ومات بها في شهر رمضان وكان إماما بارعا كاتباً بليغاً أديباً مترسلاً، كتب المنسوب الفائق وتنقل في الخدم حتى ولي ناظر ديوان الإنشاء بالديار المصرية مدة طويلة ، وهو أول كاتب سرّ ولي بمصر من بني فضل الله، ولأه الأشراف خليل بن قلاوون بعد عزل عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن الأثير، فدام في كتابة السرّ سنين، الى أن نقله الملك الناصر محمد بن قلاوون الى كتابة سرّ دمشق، عوضاً عن أخيه يحيى الدين ^(٤)
- ١٥

(١) انظر السلوك للقريري في وفيات ٧٥٤ ج ٣ ص ٩ وانظر الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٢٨

(٢) انظر السلوك في وفيات سنة ٧٥٤ ج ٣ ص ١٠ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٨

(٣) النكلة عن الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٢٤ (٤) أما من ساق المؤلف بقية ترجمته

من أول القوس [الى آخر الترجمة فهو شرف الدين عبد الوهاب عم أبيه وقد سبقت وفاته في سنة ٧١٧

في ج ٩ ص ٢٤٠ من هذه الطبعة . وانظر السلوك في وفيات سنة ٧٥٤ وأعيان العصر الصفدي ج ٣

ص ٤٣٢ وانظر أولاد ابن فضل الله في مختصر المنهل الصافي ص ٢١٧ وراجع أعيان المصر ج ٢

ص ٤٠٨ — ٤١٦ وانظر المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٦٠ والمقريري الخطط ج ٢ ص ٥٦

يحيى بن فضل الله ، وولى موصه القاضى علاء الدين بن الأثير ، ولما مات رثاه
الشعراء والعلماء ورثاه العلامة شهاب الدين محمود بقصيدته التى أوزما : [الطويل]
بنيك المعالى والنهى الشرف الأعلى * وتبك الورى الإحسان والحلم والفضلا^(١)

ومن شعر القاضى شرف الدين المذكور يمدح الملك المنصور قلاوون الأئى

للصالحى : [الكامل]

تهب الألوف ولا تهاب لهم * ألقا إذا لاقيت فى الصف^(٢)
ألق وألق فى ندى ووعى * فلاجل ذا سموك بالألفى^(٣)

وله أيضا لما ختن الملك الناصر محمد بن قلاوون . [الخفيف]

لم يروع له الختائف جنانا * قد أصاب الحديد منه حديدا^(٤)
مثلا تنقص المصابيح بالقسط فتزداد فى الضياء وقودا

§ أمر النيل فى هذه ، السنة - الماء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة
ثمانى عشرة ذراعا وست عشرة إصبع . والله سبحانه أعلم .



السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون
على مصر وهى سنة خمس وخمسين وسبعمائة وفيها خلع الملك الصالح المذكور
فى ثانى شوال .

(١) انظر هذه القصيدة فى ص ٤٦١ من الثالث من أعيان مصر للصمدى .

(٢) انظر هذه القصيدة فى ص ٤١١ من الجزء الثالث من أعيان مصر للصمدى

(٣) وانظر هذه الأبيات فى المصدر المتقدم .

وفيهما تُوفِّي العلامة زين الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن القاسم بن منصور ابن علي الموصلي الشافعي الشهير بأبن شيخ العوينة بالموصلي عن أربع وسبعين سنة، وكان إماماً فقيهاً بارعاً مصنفًا ناظمًا ناثراً، نظم كتاب «الحاوي» في الفقه، وشرح «المختصر» و«المفتاح»، وقدم إلى الشام متوجّهاً إلى المحجاز الشريف وهو القائل:

٥. [الطويل]

وما أخترتُ بعدَ الدارِ عنِ أحبه * صُدودًا وحاشي أن يُقالِ صُدودُ
ولكن أسبابَ الضرورةِ لم تزل * إلى غير ما تهوى النفوسُ تقودُ^(١)

وتُوفِّي القاضي شهاب الدين أحمد ابن القاضي شمس الدين إبراهيم بن المسلم ابن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور الجهنّي الشافعي الشهير بأبن البارزي، ناظر أوقاف دمشق وبها مات عن نيف وثمانين سنة.

١٠.

وتُوفِّي الشيخ الإمام سراج الدين أبو حفص عمر ابن القدوة نجم الدين عبد الرحمن بن الحسين بن يحيى بن عبد المحسن القباني الحنبلي، كان إماماً زاهداً عابداً أفتى ودرّس وحَدَّثَ وناظر مشيخة المالكية بالقدس إلى مات.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم العلامة نضر الدين أبو طالب أحمد بن علي بن أحمد الكوفي البغدادي الحنفي الشهير بأبن الفصيح، مات بدمشق وقد قارب الثمانين سنة. وكان إماماً عالماً بارعاً في فنون، ناظماً ناثراً، نظم «الكتر في الفقه» و«السراجية»

١٥.

(١) شيخ العوينة جده الأعلى. انظر سبب هذه التسمية في الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٢-٤٤).

(٢) روى له هذين البيتين صاحب عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٥).

(٣) انظر عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٥) وانظر المنهل الصافي (ج ١ ص ٤٨) (ب).

وانظر أولاد البارزي في ص ١٢ من مختصر المنهل الصافي.

٢٠.

(٤) انظر الدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٦٨).

في الفرائض» وقَدِمَ إلى دمشق وتصدى للافتاء والتدريس والإقراء الى أن مات بها ومن شعره وهو في غاية الحسن :^(١)
[الوافر]

أمرٌ سِوَاكَ من فوق دُرٍّ * وناوَلَنِيهِ وهو أَحَبُّ عُنْدِي
فَدَقْتُ رُضَابَهُ ما بين نَدٍّ * وتَحَرَّى أُمْرِجًا مِنْهُ بِشَهْدِي^(٢)

وله أيضا : [الرجز]

زار الحبيبُ حَبِيبًا * يَأْحَسَنَ ذَاكَ الْمُحِبَّ
من صَدَه كُنْتُ مَيِّتًا * من وَصَلِهِ عُدْتُ حَيًّا^(٣)

وتُوِّفَى الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الظاهري^(٤) الدمشقي الشافعي مدرّس الفروخشاوية، كان فقيها فاضلا. مات بدمشق عن نيف وثمانين سنة. وكان له نظم ونبش المقامات، وله القصيدة المجازية التي أولها :
١٠

[الطويل]

سَرَّتْ نَسْمَةُ الوَادِي فَأَذْكُرَتِ الصَّبَا * لِإِلَى مَنِي فَاَنْصَبَ مَدْمَعُهُ صَبَا
وتُوِّفَى الشيخ الإمام جمال الدين محمد بن علاء الدين علي بن الحسن الهروي الحلبي الحنفي المعروف بالشيخ زاده. كان فقيها متصوفا زاهدا. قال ابن حبيب أنشدني بيتين بالفارسي وذَكَرَ لي معناهما وأقترح عليّ نظمهما بالعربي فقلت :
١٥

[الكامل]

(١) انظر المنهل الصافي (ج ١ ص ٩٤) والدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٠٤).

(٢) انظر هذه الأبيات في عقد الجمان (قسم ج ١ ص ٢٤) (١٠٦).

(٤) المدرسة الفروخشاوية تعرف بمسجد الدين فرخشاہ وواقعها حظ الخير خاتون بنه إبراهيم ابن عبد الله والدته من الدين فرخشاہ وهي زوجة شاهنشاه ابن أنصاري صلاح الدين سنة ٥٨٧ هـ وهي (أي اليوم) في مقابلة التكية السلجانية بالشرف الأمل شمالي حديقة الأمة. (عن خطط الشام لكردي) (ج ٦ ص ٩٥) ومختصر تنبيه الطالب ص ٢٧ - ٢٨ (٥) انظر المنهل الصافي ج ١ ص ٧٩ والدرر الكامنة (ج ١ ص ١٦٧).

الحائِطَه شَهِدَتْ بِأَنِّي مُخْطِئٌ * وَأَتَتْ بِخَطِّ عِدَّارِهِ تَذَكُّرًا
يَا حَاكِمَ الْحُبِّ أَتَيْدُ فِي قِصَّتِي * فَالْخَطَّ زُورُ وَالشُّهُودُ سَكَارَى

ومن إنشاء الشيخ زاده المذكور قوله : [الطويل]

وما العِيشُ إِلَّا وَالشَّيْبَةُ غَضَّةٌ • وَلَا الْحُبُّ إِلَّا وَالْمُحِبُّونَ أَطْفَالُ
وهم زعموا أنَّ الجُنُونَ أَخُو الصَّبَا * فَلَيْتَ جُنُونًا دَامَ وَالنَّاسُ عُقَالُ
وكانت وفاته بحلب عن نيف وخمسين سنة .^(١)

وتوفي الشريف علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الشرف عز الدين حمزة بن علي
ابن حسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة بن الحسين الحلبي تقيب الأشراف بحلب ،
وبها مات عن نيف وسبعين سنة ، وكان رئيسا كاتبًا مجيدًا عارفًا مثيرًا .^(٢)

وتوفي صاحب الوزير علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم الشهير
بأبن زنبور المصري القبطي المقدم ذكره ولي الوزارة ونظر الجيش والخاص ولم تجتمع
لأحد قبله . ثم نكب وصودر وأخذت أمواله وذخائره التي وصفناها في ترجمة الملك
الصالح ومات بقوص معتقلًا .^(٣)

وتوفي الوزير صاحب موفق الدين أبو الفضل هبة الله بن سعيد الدولة
القبطي المصري ، ولي نظر الدولة ثم الخاص ثم الوزارة إلى أن مات ، وكان مشكور
السيرة حسن الأخلاق ، وعنده تواضع وكرم ومعرفة وعقل .^(٤)

(١) انظر المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٢٧) (ب) وانظر عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٦) .

(٢) انظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٥ ص ١٦ - ١٧) والسلوك للقرنزي في وفيات سنة ٧٥٥

(ج ٣ ص ٢٣) (ب) . (٣) انظر أخبار ابن زنبور في الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١)

والمنهل الصافي (ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨) وخطط المقرئ (ج ٢ ص ٥٩ - ٦٢) وابن أبياس

(ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٨) والخطط التوفيقية (ج ٣ ص ٣٠) . (٤) انظر السلوك للقرنزي

في وفيات سنة ٧٥٥ (ج ٣ ص ٢٣) (١) وانظر خطط المقرئ (ج ٢ ص ٥٠ - ٧٣ و ٢٢٣)

وانظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤٣٧) وانظر الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٠٠)

وَتُوِّفَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَيْمَنُ النَّاصِرِ، نَائِبُ طَرَابُلسَ . مَاتَ بِهَا
وَتُوِّفَ عَوْضُهُ سَنَجُكُ الْيُوسُفِيِّ الْوَزِيرُ أَخُو بَيْغَا أَرُسَ، وَكَانَ أَيْمَنُ وَافِرَ الْحِشْمَةِ
لِإِنِّ الْجَانِبَ بَعِيدَ الشَّرِّ قَرِيبَ الْخَيْرِ، وَعِنْدَهُ عَقْلٌ وَسُكُونٌ وَوَقَارٌ، وَلَى الْجُيُوشَ
وَالْوِزَارَةَ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ، ثُمَّ وَلَى نِيَابَةَ دِمَشْقَ مَدَّةَ سَنَيْنَ، إِلَى أَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ وَنُجِّنَ
بِشَرِّ الْإِسْكَندَرِيَّةِ، ثُمَّ أُطْلِقَ وَوَلَى نِيَابَةَ طَرَابُلسَ بَعْدَ بَكَلَمَشَ النَّاصِرِيِّ فَدَامَ عَلَى
نِيَابَتِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ^(١) .

وَتُوِّفَ السُّلْطَانُ أَبُو الْجَحَاجِ يُوْسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجٍ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ
وَمَا وَالِاهَا، طَلَعَنَ بِخَيْتَجَرَفِي جَبِينَهُ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ، فَاتَتْ مِنْهُ وَاسْطَلَنَ بَعْدَهُ
ابْنُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ ^(٢) .

وَتُوِّفَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ إِيَّاجِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ، نَائِبُ قَلْعَةِ دِمَشْقَ ،
كَانَ شَجَاعًا مَقْدَامًا أَظْهَرَ فِي قِتْنَةِ الْأَمِيرِ بَيْغَا أَرُسَ أَمْرًا عَظِيمًا مِنْ حِفْظِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ
وَقَاتَلَ بَيْغَا أَرُسَ قِتَالًا عَظِيمًا وَقَامَ فِي ذَلِكَ أَمَّ قِيَامَ .

وَتُوِّفَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مُغْلَطَايُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ، بَطَّالًا فِي عَاشِرِ شَهْرِ
رَمَضَانَ، وَكَانَ مِنْ أَهْيَانِ مَمَالِكِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَخَاصِيكَيْتِهِ وَتُوِّفَ
رَأْسَ نَوْبَةٍ ثُمَّ صَارَ أَمِيرَ شِكَارِ ثُمَّ وَلَى الْأَمِيرُ أَخُورِيَّةَ الْكُبْرَى ، ثُمَّ أَمْسِكَ وَحُبِسَ
بَعْدَ أُمُورٍ وَقَعَتْ لَهُ ثُمَّ أُطْلِقَ وَأُخْرِجَ إِلَى الشَّامِ بَطَّالًا ، فَدَامَ بِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) .

(١) انظر المثل الصافي ج ٣ ص ٤٩١ (ب) والدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٥١ - ٤٥٢ وانظر

الإحاطة لابن الخطيب ج ١ ص ٤٠ وج ٢ ص ٣ وانظر الملوك النصريين في مختصر المثل الصافي ص ٣٦٧

(٢) انظر المثل الصافي ج ٣ ص ٣٩١ (ب) وخطط المقرئ ج ٢ ص ٦٠

(٣) انظر الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٥ - ٣٥٦

وتوفى تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن الصباح أمين الملك عبد الله بن الغنّام
القبطي المصري في شوال تحت العقوبة ، وهو أحد الكتّاب المدودة وتولى عدة
وظائف وباشرة مباشرة ، وكان مشكور السيرة . رحمه الله .^(١)

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثلاث عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا ونحمن أصابع .

(١) انظر السلوك للقرنيزي ج ٣ ص ٢٣ (ب) .

سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر

قد تقدم ذكره في سلطته الأولى من هذا الكتاب وذكرنا أيضا سبب خلع
من السلطنة بأخيه الملك الصالح صالح ثم ذكرنا في ترجمة أخيه الصالح سبب خلع
الصالح وإعادة الناصر هذا فلا حاجة لذكر ذلك ثانيا . والمقصود هنا الآن ذكر
عود الملك الناصر حسن الى ملكه فنقول : ولما قبض على أصحاب الأمير طاز
اتفق صرغتمش مع الأمير شيخون على خلع الملك الصالح من السلطنة وسلطنة الملك
الناصر حسن ثانيا وأبرموا ذلك حتى تم لهم فقاموا ودخلوا الى القلعة وأرسلوا طلبوا
الملك الصالح ، فلما توجه اليهم أخذ من الطريق وحبس في بيت من قلعة الجبل
وأرسلوا أشهدوا عليه بأنه خلع نفسه من السلطنة ، ثم طلبوا الملك الناصر حسنا من
محبيه بالقلعة ، وكتبوه في عوده ، وأشرطوا عليه شروطا قلیها . فاخذوه الى موضع
بالقلعة ، فيه الخليفة والقضاة ، وبايعوه ثانيا بالسلطنة ، ولبسوه تشریف السلطنة
وأبهة الملك ، وركب فرس النوبة ومشت الأمراء بين يديه الى الإيوان ، فترل
وجلس على تخت الملك ، وقبلوا الأمراء الأرض بين يديه على العادة ، وكان ذلك
في يوم الاثنين ثانی شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، ولم يغير لقبه بل نعت
بالناصر كما كان أولا على لقب أبيه ، ونودي باسمه بمصر والقاهرة ، ودقت البشائر
وتم أمره وحال قلع الملك الناصر خلعة السلطنة عنه ، أمر في الحال بمسك الأمير
طاز ، فشفع فيه الأمير شيخون لأنه كان آمنه وهو زليله ، فرسم له السلطان بالتوجه
الى نيابة حلب ، فخرج من يومه وأخذ في إصلاح أمره ، الى أن سافر يوم الجمعة
سادس شوال وسار حتى وصل حلب ، في الخامس من ذى القعدة ، وكانت ولايته
لنيابة حلب عوضا عن الأمير أرغون الكامل ، وطلب أرغون الى مصر ، فحضر
أرغون الى القاهرة وأقام بها مدة يسيرة ثم أمسك ، وأقام طاز في نيابة حلب ، ومعه
أخوه كُتْناي وجتتمر وكلاهما مقدما بها .

ودام الملك الناصر حسن في الملك إلى أن دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة والخليفة يوم ذاك المعتضد بالله أبو بكر، ونائب السلطنة بمصر الأمير أفتنم عبد الغنى وأتابك العساكر الأمير شيخون العمري ، وهو أول أتابك سمي بالأمير الكبير ، وصارت من بعده الأتابكية وظيفة إلى يومنا هذا ، وليس بها بخلة وإنما كانت العادة في تلك الأيام من كان قديم هجرة من الأمراء سُمي بالأمير الكبير [من غير خلة فكان في عصر واحد جماعة كل واحد منهم يسمى بالأمير الكبير] حتى وُلِّي شيخون هذا أتابكية العساكر - وسُمي بالأمير الكبير - بطَلَب تلك العادة القديمة وصارت من أجل وظائف الأمراء ، تم ذلك . انتهى .

وكان نائب الشام يوم ذاك أمير على المارديني ، ونائب حلب طاز ، وصاحب بغداد وما والاها الشيخ حسن ابن الشيخ حسين سبط أرغون بن أبقا بن هولاكو . وفي هذه السنة أيضا كملت خاتمة الأمير الكبير شيخون العمري بالصليبية والرَّبع

(١) العبارة المحصورة بين المربعين [] غير موجودة في الأصل المتوفى في .

(٢) هذه الخاتمة سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٦ ص ١٣١ بالجوز الساج من هذه الطبعة . وأضيف إلى ما سبق ذكره أن كل خاتمة تشتمل عادة على مسجد جامع للصلاة وعلى خلاوى ودور لسكنى الصوفية . وهذه الخاتمة لا تزال قائمة إلى اليوم وتعرف بجامع شيخون القبلى لوقوعها تجاه جامع شيخون البحرى الذى سبق التعليق عليه ويفصل بينهما شارع شيخون وتمتد هذه الخاتمة من أكبر وأكبر الخواصق في القاهرة فسجدها الجامع لا يزال ماضيا باقاة الشعار الدينية والخلاوى ويعملوها مساكن الطلبة دورين لا تزال باقية تشرف بشكلها المدرسى الجليل على صحن الجامع ولكنها مطلية الآن من السكى والتدريس وفي هذه الخاتمة قبر منشأ رحمه الله .

(٣) الربع بفتح الراء المشددة هو عدة مساكن ملوية تحتها حوانيت (دكاكين) ووكانل للتجارة ، ولكل ربع باب يتصل مباشرة بسلم داخل وجهة البناء المشرقة على الطريق العام وبواسطته يصعد السكان إلى مساكن الربع المخصصة لسكنى العامة بالأجرة الشهرية .

وهذا الربع أشار إليه المقرئ في خطه عند كلامه على خاتمة شيخون التى تكلمنا عليها في الحاشية السابقة ، فقال : « وأنشأ عدة حوانيت يعملوها بيوت لسكنى العامة » .

ومن المأينة تبين لى أن هذا الربع كان واقعا بجوار الخاتمة من الجهة الغربية وقد هدم وزال أثره وجعل بابه الذى كان بشارع شيخون دكانا ضمن الدكاكين التى تجمعت في مكان الحوانيت القديمة التى كانت أسفل الربع المذكور .

والحمّامان وفرّغت هذه العمارة ولم يتشوّش أحد بسببها، ورّتب في مشيختها العلامة
أبّكل الدين محمد البّابريّ الحنفى^(٢)، وأشركه في النظر.

ودام السلطان حسن في السلطنة ولم يُحرّك ساكنا إلى أن آسَهت سنة ثمان
وخمسين وسبعائة قبض على أربعة من الأمراء وتُجنّوا بغير الإسكندرية، وهم :
الأمير بقا السلاح دار، وقطّطاي الدوادار، وقطّطو بّنا الذهبي، و خليل بن قوصون
وخلّع على الأمير علم دار باستقراره في الدوادارية، وخلّع على الأمير قشّمر باستقراره
حاجبا ووزيرا، وكان القبض على هؤلاء الأمراء بعد أن ضرب الأمير شيخون
بالسيف، وحمل إلى داره جريحا ولزم الفراش إلى أن مات، حسب ما يأتي ذكره.

(١) بمعاية هذين الحمايين تبين لي أنهما كانا متجاوزين ولهما مستوفد واحد وكان أحدهما خاص
للرجال والثاني خاص للنساء، وأن حمام الرجال لا يزال باقيا وعامرا إلى اليوم ويعرف بحمام الصليبة لقربه
منها، ويقع بابه بين الدكاكين الواقعة غربي الخاقاه بشارع شيخون، ويستعمل الآن للرجال والنساء لكل
جنس ساعات معينة لاستحمامه.

وأما حمام النساء فقد كان بابه بشارع الزكية وقد هدم بسبب توسيع شارع الزكية وما بقي من أرضه أقيم
عليه الدكاكين القائمة الآن في أوّل شارع الزكية على يسار الداخل فيه من جهة الصليبة.

(٢) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٨٦ هـ ونسبه كما يأتي : « محمد بن محمد بن محمود
الرومي البّابريّ ... الخ » واظّره في السلوك الجزء الثالث والرابع (ص ٢٤ ب) واظّره في الدرر الكامنة
(٤ ص ٢٥٠).

(٣) نسبة إلى بابريّ (بفتح الباء الثانية وسكون الراء) : قرية من أعمال بغداد . عن معجم البلدان
الباقوت ولب الباب للسيوطي .

(٤) دلتني البحث على أن دار شيخون هي بذاتها دار الأمير قوصون السابق التعليق عليها باسم اسطبل
قوصون في الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة وذكرنا في الحاشية المذكورة أن اسطبل
الأمير قوصون (دار قوصون) كان مخصصا لسكنى كل من صار أتابك العساكر (أي قائد الجيش) فلما
عين شيخون أتابكا سكن في هذه الدار فصرّفت به يؤيد ذلك ما ذكر مؤلف هذا الكتاب في حوادث شهر
ربيع الآخر من سنة ٧٧٩ هـ أن قشّمر العلاني الطويل ضرب رنكه (رسم الشعار الخاص به) على اسطبل
شيخون بالرميلة تجاه باب السلسلة وهذا الوصف ينطبق تماما على اسطبل قوصون السابق ذكره . ثم ذكر
المؤلف في أواخر حوادث الشهر المذكور أن قشّمر الدوادار نزل إلى بيت شيخون بالرميلة وسكن به ليحكم
بين الناس . ثم ذكر في حوادث شهر ذي الحجة من تلك السنة أن بركة الجوباني سكن في بيت قوصون
بالرميلة تجاه باب السلسلة وهذا دليل آخر على أن دار شيخون هي بذاتها دار قوصون ، مع العلم بأن شيخون
العمري وقشّمر العلاني وقشّمر الدوادار وبركة الجوباني تولّون الأتابكية بالتعاقب .

- وأمرُ ضَرْبَ شَيْخُون كان في يوم الاثنين من شعبان سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة ، وهو أن السلطان الملك الناصر حسنا جلس في اليوم المذكور على كرسى الملك بدار العدل للخدمة ^(١) ، والأمراء جلوس في الخدمة والقضاة والأعيان وجميع أرباب الدولة ، وبينما السلطان جالس على كرسى الملك وثب مملوك من الممالك السلطانية يُسمى قُطْلُو تَجَا السلاح دار على الأمير الكبير شَيْخُون ، وضربه بالسيف ثلاثاً ضَرْبَاتٍ أصابت وجهه ورأسه وذراعه ، فوقع شَيْخُون مَفْشِيًّا عليه ، وأُرْجِفَ بموته ، وقام السلطان من على الكرسى ودخل الى القصر ، ووقعت الهَجَّةُ ، فلما سَمِعَتِ ممالكُ شَيْخُون بذلك ، طلعوا القلعة راكبين مُجَبَّةَ أمير خليل بن قَوْصُون أحد الأربعة المقبوض عليهم بعد ذلك ، غَمَلُوا شَيْخُون على جَنَوِيَّةٍ وبه رَمَقٌ ، وزلوا به الى داره ، وأحضروا الجراحية فأصلحوا جراحاته ، وبات شَيْخُون تلك الليلة ، وأصبح السلطان الملك الناصر حسن نزل لعيادته من الغد ، فدخل عليه وحَلَفَ له أن الذي وقع لم يكن بخاطره ولا له عِلْمٌ به ، وكان الناس ظنوا أن السلطان هو الذي سَلَطَهُ على شَيْخُون ، فَتَحَقَّقَ الناس براءة السلطان ، وطلَّم السلطان الى القلعة وقد قبض على قُطْلُو تَجَا المذكور . فرسم السلطان بتسميره فُسْمَر . ثم وَسَّطَ في اليوم المذكور ، بعد أن سأل السلطان قُطْلُو تَجَا السلاح دار المذكور عن سبب ضرب شَيْخُون بالسيف ، فقال : طلبتُ منه خُبْرًا فَمَنَعَنِي منه وأعطاه لغيري . ولَزِمَ شَيْخُون الفِرَاش من جراحه الى أن مات في ذى القعدة من السنة ، وبموته خَفَّ عن السلطان أشياء كثيرة ، فإنه كان ثَقِيلَ الوَطْءَةِ على السلطان الى الغاية ، بحيث إن السلطان كان لا يفعل شيئاً حتى يشاوره حَقِيرَها وجَلِيلَها ، فلما مات أَتَيْتِ السلطان حسن الى إنشاء ممالكه ، فأمر منهم جماعة كثيرة على ماسياقي ذكره .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٩ من هذا الجزء .

ثم أخذ السلطان حسن في شراء دار الطنبغا المارداني وبلغا الجحوى بالرملة^(١) وهدمهما وأضاف إليهما عدة دور وإسطبلات أخرى، وشرع في بناية مدرسته المعروفة به ثجاء قلعة الجبل، التي لم يُبنَ في الإسلام نظيرها، ولا حكاها معمار في حسن عملها، وذلك في سنة ثمان وخمسين المذكورة.

ولما شرع في عمارتها جعل عليها مشدين ومهندسين وأجتهد في عملها. وأما مصروفها وما أجمع بها من الصنائع والمعلمين فكثير جدا لا يدخل تحت حصر، وقيل: إن إيوانها يعادل إيوان كسرى في الطول.

قلت: وفي الجملة إنما أحسن ما بُني في الدنيا شرقا وغربا في معناها بلا مدافعة.

وفي هذه السنة وقع أمر عجيب، قال ابن كثير في تاريخه: «وفي هذه السنة^(٢)

حلت جارية من عتقاء الأمير الهيدباني قريبا من تسعين يوما، ثم شرعت تطرح ما في بطنها، فوضعت قريبا من أربعين ولدا، منهم أربع عشرة بنتا. وقد تشكل الجميع، وتميز الذكر من الأنثى، فسبحان القادر على كل شيء.

قلت: وابن كثير ثقة حجة فيما يرويهِ وينقله. انتهى.

(١) تقدم الكلام عليها في الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٢) يريد بها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وبالرجوع الى تاريخ ابن كثير المنسب بالبداية والنهاية (النسخة الفتورغرافية) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٠ تاريخ (القسم الثالث من الجزء الرابع ص ٣٦٨) وجدنا تبانيا ظاهرا بين الروایتين فأثرنا إثبات رواية ابن كثير هنا، ونصها: «وفي شهر شعبان من هذه السنة حكى... عن جارية من عتقاء الأمير سيف الدين ترم المهندار أنها حلت قريبا من سبعين يوما ثم شرعت تطرح ما في بطنها فوضعت قريبا من أربعين يوما في أيام متوالية ومتفرقة أربعة عشر بنتا وصبيًا بدهن، كلهن يعرف بشكل الذكر من الأنثى».

(٣) هكذا ورد في الأصلين. وفي المنهل الصافي (ج ٢ ص ٣٧ (١)): «الأمير الحمداني».

وفي ابن كثير كما هو وارد في الحاشية السابقة رقم ٢

ولما مات شيخون انفرد صرغتمش بتدبير المملكة ، وعظم أمره واستطال في الدولة ، وأخذ وأعطى وزادت حرمة وأثرى وكثرت أمواله ، الى أن قبض عليه الملك الناصر حسن حسب ما يأتي ذكره في محله ، إن شاء الله تعالى .

- ثم إن السلطان قبض على الأمير طاز نائب حلب ، في أوائل سنة ثمان وخمسين المذكورة بسفارة صرغتمش ، وقبده وحمله إلى الإسكندرية فحبسه بها ، وولى عوضه في نيابة حلب الأمير منبجك اليوسفي^(١) الوزير ، نقل إليها من نيابة طرابلس . ثم عزل السلطان عز الدين بن جماعة عن قضاء الشافعية بديار مصر ، وولى عوضه بهاء الدين بن عقيل^(٢) ، فأقام ابن عقيل في القضاء ثمانين يوما وعزل ، وأعيد ابن جماعة ثم نقل السلطان منبجك اليوسفي المذكور من نيابة حلب إلى الشام عوضا عن أمير على المارديني ، ونقل المارديني إلى نيابة حلب ، كل ذلك في سنة ثمان وخمسين . وسبعائة المقدم ذكرها ، وخلع السلطان على تاج الدين بن ريشة وأستقر في الوزارة ثم تقي السلطان جماعة من الأمراء ، منها الأمير جرجي الإدريسي^(٣) ، وأنعم بإقطاعه وهو إمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر على مملوكه يلغا العمري صاحب الكباش وهو الذي قتل أستاذة الملك الناصر حسنا المذكور ، حسب ما يأتي ذكره في وقته من هذا الكتاب في هذه الترجمة ، ثم خلع عليه وجعله أمير مجلس عوضا عن الأمير تنكز بقا المارديني . ثم في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان سنة

(١) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن حضر الكافي الشافعي عز الدين . توفي سنة ٧٦٧ هـ من الذرور الكامنة ج ٢ ص ٣٧٨ وطبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٢٣) . وسيد ذكر المؤلف وفاته ضمن من توفوا في السنة المذكورة .

(٢) هو بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عقيل توفي سنة ٧٦٩ هـ . وسيد ذكر المؤلف وفاته ضمن من توفوا في السنة المذكورة .

(٣) سماه المؤلف صاحب الكباش ، لأنه كان من الأمراء الذين سكنوا بالكباش . وقد سبق التعليق عليه في الحاشيتين : رقم ٢ ص ٧٢٠ ورقم ٢ ص ١١٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

تسع وخمسين وسبعمائة، أمسك السلطان الأمير صرغتمش الناصري، بعد ما أقعد له قواعد مع الأمير طيغاً الطويل ويبلغا العمرى وغيرهما، وأمسك معه جماعة من الأمراء، وهم طشتمر القاسمي حاجب الحجاب، وطئيغا الماجارى وأزدمر وقارى وأرغون الطرخانى وأقبا الحموى، وجماعة أخر من أمراء الطبليخانات والعشرات، وكان سبب مسكه أن صرغتمش كان قد عظم أمره بعد موت شيخون، واستبذ ٥ بأمور الدولة وتدير الملك، فلما تم له ذلك، ندب الملك الناصر حسنا لمسك طاز ووغر خاطره عليه، حتى كان من أمره ما كان، فلما صفا له الوقت بغير منازع، لم يقنع بذلك، حتى رام الوثوب على الملك الناصر حسن ومسكه واستقلاله بالملك، فبلغ الناصر ذلك فأتفق مع جماعة من الأمراء على مسكه عند دخوله على السلطان في خلوة، فلما كان وقت دخوله وقفوا له في مكان رتبهم السلطان فيه، فلما دخل صرغتمش احتاطوا به وقبضوا عليه، ثم خرجوا لمن عين لهم من الأمراء المقدم ذكرهم. فقبضوا عليهم أيضا في الحال، وحبسوا الجميع بقلعة الجبل، فلما بلغ ممالك صرغتمش وحواشيه من الممالك، ركبوا بالسلاح وطلعو إلى الرملة، فقتل إليهم الممالك السلطانية من القلعة، وقاتلوهم من بكرة النهار إلى العصر عدة وجوه، إلى أن كانت الكثرة على ممالك صرغتمش. وأخذتهم السيوف السلطانية، ونهبت ٥ دار صرغتمش عند بئر الوطاويط، ونهبت دكاكين الصليبة، وميسك من الأنعام صوفية المدرسة الصرغتمشية جماعة لأنهم ساعدوا الصرغتمشية وأحموهم عند

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٧ من هذا الجزء. (٢) هذه المدرسة تكلم عليها المقرئ في خطه (ص ٤٠٣ ج ٢) فقال: إنها خارج القاهرة بجوار جامع الأمير أبي العباس أحمد بن طولون، كان موضعها قديما من جملة قطائع ابن طولون ثم صارت عدة مساكن فأخذها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري رأس نوبة الثوب وهدمها وأبدا في بناء المدرسة في شهر رمضان سنة ٧٥٦ هـ وانتهت في جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ وقد جاءت من أبداع المباني وأجلها وأحسنها قالبا وأبهجها منظرا وجعل الأمير صرغتمش هذه المدرسة وفقا على الفقهاء الحنفية ورتب بها درسا لتحديث وأجرى لهم جميعا المعاليم ونفد رتبهم لهم =

كسرتهم ؛ وما أذن المغرب حتى سكن الأمر وزالت الفتنة ، ونودي بالأمان والبيع والشراء .

وأصبح الملك الناصر حسن في بكرة يوم الثلاثاء وهو سلطان مصر بلا منازع ، وصفاً له الوقت ، وأخذ وأعطى ، وقرب من آختر وأبعد من أبعد ، وخلع على الأمير أبلحى اليوسفى واستقر به حاجب المحاب عوضاً عن طشتمر القاسمى ، وخلع على جماعة أخرى عتة وظائف ، ثم أخذ في ترقية مماليكه والإنعام عليهم . وأعيان مماليكه : يلغاً العمرى وطيفغا الطويل وجماعة من أولاد الأمراء .

وكان يميل لإنشاء أولاد الناس وترقيهم الى الرتب السنية ، لا لحبه لهم ، بل كان يقول : هؤلاء مامونو العاقبة ، وهم فى طى عالمى ، وحيث وجهتهم اليه توججوا ، ومتى

وأقول : إن هذه المدرسة لا تزال باقية بيدع مبانيها وبهيج منظرها عامرة بالشعائر الدينية وتعرف بجامع صرغتمش بشارع الخضرى بقم السيدة زينب بالقاهرة بجوار جامع ابن طولون من الجهة البحرية الغربية للجامع . والظاهر من قول المقرئى أن هذه المدرسة بين جامع ابن طولون وبين قلعة الجبل يقصد أنها بين الجامع وبين الطريق التى توصل الى قلعة الجبل . ومذكور على كفى باب هذه المدرسة أن بناها تم فى ربيع الآخر سنة ٧٥٧ هـ . وقال المقرئى : إنه تم فى جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ والفرق بسيط لأن الشهرين متصل بعضهما ببعض .

وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإجراء عدة ترميمات وإصلاحات عظيمة فيما تهدم من بناء هذه المدرسة ، منها إعادة مثنتها الى حالتها الأولى وبناء القبة التى فوق الإيوان الشرقى الذى به المحراب طبق طرازها الأصل .

وبهذه المدرسة قبر منشأ تحت القبة الثانية الغربية وعليه تركبة من الرخام مزخرفة بنقوش فارسية .
١) قال المقرئى فى خطه عن السلطان حسن : لم يكن مثله فى الدولة التركية حملاً وعزماً ، أمر أولاد الناس لأول مرة فى تاريخ الدولة التركية ليستعوض بهم عن الجند التركى ، ولكنه عوجل قبل ذلك . ولم يأت بعده من أحبا تلك الفكرة إلا ابن أخيه الأشرف شعبان بن حسين ، فانه اتخذه من المصريين أمراء بدل الأمراء الممالك ، ولكنه عوجل كنهه ونحدث الفكرة بموتها . انظر خطط المقرئى (ج ٢ ص ٣١٨) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٥) وابن إياس (ج ١ ص ٢٣٥) .

أُحِبَّتْ عَزْلَهُمْ أَمْكَنِي ذَلِكَ بِسَهْلَةٍ ، وَفِيهِمْ أَيْضاً رَفُقٌ بِالرَّعِيَةِ وَمَعْرِفَةٌ بِالْأَحْكَامِ ،
حَتَّى إِنَّهُ كَانَ فِي أَيَّامِهِ مِنْهُمْ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهُمْ أَمْرَاءُ مُقَدِّمُونَ ، يَأْتِي ذِكْرُ أَسْمَائِهِمْ
فِي آخِرِ تَرْجُمَتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثم أخرج السلطان صَرْغَتَمِشَ وَرَفَقَتَهُ فِي الْقِيُودِ إِلَى الْإِسْكَندَرِيَةِ ، فَسُجِنَ
صَرْغَتَمِشُ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ السَّنَةِ ، عَلَى مَا سَأَمْنَى ذِكْرُ صَرْغَتَمِشَ
فِي الْوَفَايَاتِ مِنْ حَوَادِثِ مَنِينِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنَ .

ثم إِنْ السُّلْطَانُ عَزَلَ الْأَمِيرَ مَنَجْكَ الْيُوسُفِيَّ عَنْ نِيَابَةِ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ سِتِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَطَلَبَهُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ مَنَجْكَ إِلَى غَزَةِ بَلَّغَهُ أَنَّ السُّلْطَانَ
يُرِيدُ الْقَبْضَ عَلَيْهِ ، فَتَسَحَّبَ وَلَمْ يُوقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ ، وَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَى السُّلْطَانَ
وَأَكْثَرَ مِنَ الْفَحْصِ عَلَيْهِ ، وَعَاقَبَ بِسَبَبِهِ خِلَائِقَ فَلَمْ يُقِدِّهِ ذَلِكَ . ١٠

ثم خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ عَلَى الْمَارِدِيِّ نَائِبَ حَلَبَ ، بِإِعَادَتِهِ إِلَى نِيَابَةِ دِمَشْقَ
كَمَا كَانَ أَوَّلًا ، وَاسْتَقَرَّ بِكُتْمَرِ الْمُؤْمَنِيِّ فِي نِيَابَةِ حَلَبَ عَوْضًا عَنْ عَلَى الْمَارِدِيِّ ، فَلَمْ
تَطُلْ مَدَّتُهُ بِحَلَبَ وَعُزِّلَ عَنْهَا بَعْدَ أَشْهُرٍ بِالْأَمِيرِ أَسَدْمُوسُ الزَّيْنِيِّ ، أَنَحَى يَلْبُغَا الْبَحْيَاوِيِّ
نَائِبَ الشَّامِ كَانَ .

١٥ ثم خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى نَجْمِ الدِّينِ بْنِ قَرْوِينَةَ بِاسْتِقْرَارِهِ فِي نَظَرِ الْجَيْشِ وَالْخِصَاصِ
مَعًا ، ثُمَّ ظَهَرَ الْأَمِيرُ مَنَجْكَ الْيُوسُفِيَّ مِنْ اخْتِفَائِهِ فِي بَيْتٍ بِالشَّرَفِ الْأَعْلَى بِدِمَشْقَ ،
فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، بَعْدَ أَنْ اخْتَفَى بِهِ نَحْوَ السَّنَةِ ، فَأُخِذَ وَأُحْضِرَ إِلَى
الْقَاهِرَةِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانَ وَعَلَيْهِ بُشَّتْ عَسَلِيَّ^(١) وَعَلَى رَأْسِهِ مِثْرٌ صَفَحَ

(١) رواية السلوك : « وهو لابس بشتا من صوف وقد اعتم بمزور من صوف » . انظر السلوك

عنه لكونه لم يخرج من بلاده، ورسم له بإمرة طبلخانة بدمشق، وأن يكون طرخانا^(١) يقيم حيث شاء، وكُتِبَ له بذلك توقيعُ شريف .

ثم في هذه السنة وقع الوباء بالديار المصرية، الى أوائل سنة اثنتين وستين وسبعائة، ومات في هذا الوباء جماعة كثيرة من الأعيان وغيرهم، وأكثرهم كان لا يتجاوز مرضه أربعة أيام الى خمسة، ومن جاوز ذلك يطول مرضه، وهذا الوباء يقال له : الوباء الوسيط^(٢) (أعني بين وباءين) .

وفي هذه الأيام عظم يلُغُ العُمري في الدولة حتى صار هو المشار اليه، وثقلت وطأته على أستاذه الملك الناصر حسن، مع تمكن الملك الناصر في ملكه، وكان يلُغُ العمرى وطبعا الطويل وتُمان تمرهم أعظم أمرائه وخاصيته من مماليكه .

- فلما أن استهلَّت سنة اثنتين وستين وسبعائة بلغ الملك الناصر أن يلُغُ يُنكر عليه من كونه يُعطى الى النساء الإقطاعات الهائلة، وكونه يختص بالطواشيه ويُحكِّمهم في المملكة وأشياء غير ذلك، وصارت الخاصية يتقلون للسلطان عن يلُغُ أمورا قيحة في حقّه في مثل هذا المعنى وأشباهه، فتكلم الملك الناصر حسن مع خواصه بما معناه : إنه قبض على أكابر أمرائه من ممالك أبيه، حتى استبدّ بالأمر من غير منازع، وأنشأ مماليكه مثل يلُغُ المذكور وغيره، حتى يسلم من مُعارض، فصار يلُغُ يعترض عليه فيما يفعله، فعظم عليه ذلك ونَدِم على ترقيه، وأخذ يتربص وقتا يُمسك يلُغُ فيه .

(١) الترخات : الأمير في اللغة التركية، وقد استعملت في المصادر التي تحت بدنا معنى المعزول أو المتقاعد بغير عمل، يجري عليه ما يكفبه من أموال الدولة، فكانهم أرادوا بها «أقام شريفا في داره غير مهان» فالطرخانيات في الاصطلاح القديم هي الإحالة على المعاش الآن تفريسا . انظر ابن إياس ج ١ ص ٢٥٣ وج ٢ ص ٧٥ وج ٣ ص ١٦ وانظر صبح الأعشى ج ١٣ ص ٤٨ وما بعدها . وقد وردت هذا المعنى كثيرا في الضوء الالام والدرر الكامنة والمنهل الصافي ... الخ .

واتفق بعد ذلك أن السلطان حسنا خرج الى الصيد ببر الجيزة بالقرب من
 الهرمين،^(١) وتخرجت معه غالبُ أمرائه يلبغا وغيره على العادة ، فلما كان يوم الثلاثاء
 ثامن جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين المذكورة، أراد السلطان القبض على يلبغا^(٢)
 لما بلغه عن يلبغا أنه يريد الركوب عليه هناك، فصبر السلطان حسن حتى دخل الليل،
 فركب ببعض خاصيته من غير استعداد ولا اكتراث بيلغا، وسار يريد يكبس
 على يلبغا بمخيمه فتم بعض خاصية السلطان بذلك الى يلبغا ، فاستعد يلبغا بماليكه
 وحاشيته لقتاله ، وطلب خشد اشيته وواعدهم بالإمرات والإقطاعات ، وخوفهم
 عاقبة أستاذهم الملك الناصر حسن المذكور، حتى وافقه كثير منهم، كل ذلك والملك
 الناصر في غفلة استخفافا بمملوكه يلبغا المذكور، حتى قارب السلطان خيمة يلبغا،
 ١٠ خرج اليه يلبغا بمن معه وقتاله ، فلم يثبت السلطان لقلة من كان معه من مماليكه ،
 وانكسر وهرب وعدى النيل وطلع الى قلعة الجبل في الليل ، هي ليلة الأربعاء التاسع
 من جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين المذكورة ، وتبعه يلبغا ومن معه يريد
 القلعة ، فاعترضه ابن المحسنى أحد أمراء الألو ف بماليكه ، ومعه الأمير
 قشتمر المنصوري ، وواقعا يلبغا ببسولا قوقعة هائلة ، انكسر فيها يلبغا مرتين ،
 ١٥ وابن المحسنى يتقدم عليه ، كل ذلك وابن المحسنى ليس له علم من السلطان
 أين ذهب ، بل بلغه أنه توجه إلى جهة القلعة ، فأخذ في قتال يلبغا وتويعه عن
 المسير إلى جهة القلعة ، واشتد القتال بين يلبغا وابن المحسنى حتى أردف يلبغا الأمير
 أبلحاي اليوسفى حاجب التجاب وغيره ، فانكسر عند ذلك ابن المحسنى وقشتمر،

(١) أى على الجانب الغربى للنيل ، والمقصود بالهرمين الهرمان الكبيران المعروفان بأهرام الجيزة
 الواقعان غربى مدينة الجيزة على حافة الصحراء . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٥ من الجزء الثامن من
 هذه الطبعة . (٢) فى م : «تاسع جمادى الأولى ... الخ» . وفى ف : «رابع جمادى الأولى»
 وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق . (٣) انظره فى السلوك (ج ٣) و ٤ لوحة ٦٣ (١) .

وقيل : إن يلبغا لما رأى شدة ابن المحسنى في القتال دس عليه من رجعه عن قتاله وأوعده بأوعاد كثيرة، منها أنه لا يُغير عليه ما هو فيه في شيء من الأشياء خوفاً من^(١) طلوع النهار قبل أن يدرك القاعة ، وأخذ السلطان الملك الناصر حسن ، لأن الناصر كان طلع إلى قلعة الجبل في الليل ، ولم يشعر به أحد من أمرائه ومماليكه وخواصه ، وصاروا في حيرة من عدم معرفتهم أين توجه السلطان ، حتى يكونوا معه على قتال يلبغا ، وعلم يلبغا أنه متى تعوق في قتال ابن المحسنى إلى أن يطلع النهار ، أتت العساكر الملك الناصر من كل فج ، وذهبت رُوحه ، فلما ولى ابن المحسنى عنه أتهزب يلبغا الفرصة بمن معه وحرك فرسه وصحبته من وافقه إلى جهة القلعة ، حتى وصل إليها في الليل . والله أعلم .

وأما أمر السلطان حسن ، فإنه لما أنكر من مملوكه يلبغا وتوجه إلى قلعة الجبل ، حتى وصل إليها في الليل ، ألبس مماليكه المقيمين بالقلعة ، فلم يجد لهم خيلاً لأن الخيول كانت في الربيع ، وبينما هو في ذلك طرقه يلبغا قبل أن يطلع النهار وتجمع العساكر عليه ، فلم يجد الملك الناصر قوة للقائه ، فليس هو وأيدمر الدواداري زى الأعراب ليتوجهها إلى الشام ونزلاً من القلعة وقت التسبيح ، فلقبهما بعض المماليك فأنكروا عليهما وأمسكوهما في الحال ، وأحضرهما إلى بيت الأمير شرف الدين [موسى] بن الأركشي أستاذار العالية ، فحملهما في الوقت إلى يلبغا حال طلوع^(٢) يلبغا إلى القلعة ، فقتلهما يلبغا في الحال قبل طلوع الشمس .

وكان عمر السلطان حسن يوم قُتل نيفاً على ثلاثين سنة تخميناً ، وكانت مدة ملكه في سلطته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر [وسبعة أيام]^(٣) وكان قتله وذهاب

(١) في م : « خوفاً على طلوع النهار ... الخ » . (٢) التكلة من السلوك (ج ٣ ص ٢٥) . (٣) التكلة من السلوك (ج ٣ ص ٢٥) .

ملكه على يد أقرب الناس إليه من مماليكه وخواصه ، وهم : يلبغا العمري وطبغا الطويل وتمان تمر وغيرهم وهم من مشترواته ، اشتراهم ورباهم وخولهم في النعم ورقاهم إلى أعلى المراتب ، خوفا من أكابر الأمراء من ممالك أبيه ، فكان ذهاب رُوحه على أيديهم ، وكانوا عليه أشد من تلك الأمراء ، فإن أولئك لما خلعه من السلطنة بأخيه الملك الصالح ، حبسوه بالدور من القلعة مكرما مبعثلا ، وأجروا عليه الرواتب السنية ، إلى أن أعادوه إلى ملكه ثانيا ، وهم مثل شيخون وصرغتمش وقبلاي النائب وغيرهم ، فصار يتذكر ما قاساه منهم في خلعه من السلطنة وتحكهم عليه ، فأخذ في التدبير عليهم حتى قبض على جماعة كثيرة منهم وأبادهم . ثم رأى أنه ينشئ مماليكه ليكونوا له حزبا وعصدا ، فكانوا بعكس ما أتمله منهم ، ووثبوا عليه ، وكبيرهم يلبغا المقتم ذكره ، وعندما قبضوا عليه لم يمهله ساعة واحدة ، وعندما وقع نظرهم عليه قتلوه من غير مشاورة بعضهم لبعض ، موافاة لحقوق تربيته لهم وإحسانه إليهم ، فكان بين فعل ممالك أبيه به وبين فعل ممالكه له فرق كبير ، والله در القائل :
مُعَادَاة الْعَاقِل ، وَلَا مُصَاحِبَةُ الْجَاهِل .

قلت : لا جرم أن الله تعالى عز وجل عامل يلبغا المذكور من ممالكه بجنس ما فعله مع أستاذه ، ووثبوا عليه وقتلوه أشر قتلة ، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وَأَسْتَوْلَى يَلْبَغَا الْعُمَرَى الْخَاصِكِي عَلَى الْقَلْعَةِ وَالْخَزَائِنِ وَالسَّلَاحِ وَالْحَيُولِ وَالْجُمَالِ ، وَعَلَى جَمِيعِ مَا خَلْفَهُ أَسْتَادُهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَسَنٌ ، وَأَقَامَ فِي الْمَمْلَكَةِ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدَ ابْنَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ حَاجِي ابْنَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ بَعْدَ حَوَادِثِ سَنِينَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنٍ ، كَمَا هِيَ عَادَةُ هَذَا الْكِتَابِ .

وكان الملك الناصر حسن سلطانا شجاعا مقداما كريما عاقلا حازما مدبرا سيوسا ، ذا شهامة وصرامة وهيبة ووقار ، على الأهمية كثير الصدقات والبر ، ومما يدل على علو همته مدرسته التي أنشأها بالرميلة تجاه قلعة الجبل في مدة يسيرة ، مع قصر مدته في السلطنة والنجار عليه في تصرفه في سنين من سلطته الثانية أيضا ، وكان صفته للطول أقرب ، أشقر وبوجه نَمَش ، مع كَيْس وحلاوة ، وكان متجملا في ملبسه ومركبه ومماليكه وبركه ، اصطنع مرة خيمة عظيمة ، فلما تجرت ضربت له بالحوش السلطاني من قلعة الجبل ، فلم ير مثلها في الكبر والحسن ، وفيها يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي حملة التلمساني المغربي . رحمه الله تعالى :

[الطويل]

- ١٠ حَوَتْ خِيَمَةُ السُّلْطَانِ كُلَّ عَجِيْبَةٍ * فَامْسَيْتُ مِنْهَا بَاهِتًا أَعْجَبُ
لِسَانِي بِالتَّقْصِيرِ فِيهَا مُقْصَرٌ * وَإِنْ كَانَ فِي أَطْنَانِهَا بَاتَ يُطْنَبُ

وكان السلطان الملك الناصر حسن مُغرما بالنساء والخدّام ، وأقننى في سلطته من الخدّام ما لم يقتنه غيره من ملوك التُّرك قبله ، وكان إذا سافر يستصحب النساء معه في سفره لكونه ما كان له ميلٌ للشباب كعادة الملوك من قبله ، كان يَعِفُّ عن ذلك ، وفي محبته إلى النساء وواقفته مع يلبغا يقول بعض أصحاب يلبغا فيه شعرا :

- ١٥ ذلك ، وفي محبته إلى النساء وواقفته مع يلبغا يقول بعض أصحاب يلبغا فيه شعرا :

[الكامل]

- ٢٠ (١) لا تزال هذه المدرسة قائمة الى اليوم ، وهي أضخم وأنعم مساجد مصر طرا ، روى الإسماعيلي أنه لما دخل السلطان سليم مصر وزار المدارس والمساجد قال عن مدرسة السلطان حسن : هذا حصار عظيم وقال عن مدرسة المؤيد هذه عمارة الملوك ، وعن مدرسة الغوري : هذه قاعة تاجر . انظر تاريخ الإسماعيلي طبع بجزر ٢٨٤ - ٢٨٥ - وروى السخاوي وغيره أن السلطان حسن لم يدفن فيها وإنما دفن فيها أحد سلالته . انظر التبر المسبوك للسخاوي ص ٢٥١ وقد ظلت مدرسة لطلاب العلم لعهد صاحب كتاب واقعة الشراكة أي حوالى سنة ١١٢٣ هـ انظر ص ١٩

(٢) رواية المنهل الصافي : « وفي قصته مع يلبغا وصحبته للنساء يقول بعض الأدباء » . انظر المنهل الصافي

« ج ٢ ص ٣٦ (ب) » .

لَمَّا أَتَى لِلْعَادِيَاتِ وَزُلْزِلَتْ * حَفِظَ النِّسَاءَ وَمَا قَرَأَ لَوَاعِيَهُ
فَلَأْجَلَ ذَلِكَ الْمَلِكُ أَضْحَى لَمْ يَكُنْ * وَأَتَى الْقِتَالُ وَفُصِّلَتْ بِالْقَارِعَةِ
لَوْ عَامِلَ الرَّحْمَنِ فَازَ بِكَهْفِهِ * وَبَنَصْرِهِ فِي عَصْرِهِ فِي السَّايِغَةِ
مِنْ كَانَتِ الْقَيْنَاتِ مِنْ أَحْزَابِهِ * عَطَمَ بِهِ الدَّخَانَ ^(١) نَارَ لَامِعَةٍ
تَبَّتْ يَدَا مَنْ لَا يَخَافُ مِنَ الدَّعَا * فِي اللَّيْلِ إِذْ يَغْشَى يَقَعُ فِي النَّازِعَةِ

وخلف السلطان الملك الناصر حسن، تفضله الله برحمته، من الأولاد المذكور
عشرة: وهم أحمد وقاسم وعلي وإسكندر وشعبان وإسماعيل ويحيى وموسى ويوسف
ومحمد، وستاً من البنات، وخلف من الأموال والقماش والذهب العين والسلاح
والخيول وغيرها شيئاً كثيراً. استولى يلبغا على الجميع، وتصرف فيه حسب ما أرادته.
وكان السلطان حسن محباً للرعية، وفيه لين جانب، تحدث سائر خصاله،
لم يُعَبْ عليه في مُلكه سوى ترقيه للمالكية في أسرع وقت، فإنه كان كريماً باراً
بإخوته وأهله، يميل إلى فعل الخير والصدقات، وله مآثر بمكة المشرفة، واسمه
مكتوب في الجانب الشرقي من الحرم، وعُمِلَ في زمنه بابُ الكعبة الذي هو
بابها الآن، وكسا الكعبة الكُسوة التي هي إلى الآن في باطن البيت العتيق، وكان
كثير السبر لأهل مكة والمدينة، إلى أن كانت الواقعة لعسكره بمكة في أواخر سنة
إحدى وستين وسبعائة التي كان مقدم عسكرها الأمير قندس وابن قراستقر وحصل
لهم الكثرة والنهب والقتل من أهل مكة وإخراجهما من مكة على أقبح وجه،

(١) رواية ابن إياس: «من كانت الأنعام من أحزابه» وعقب على الأبيات بما يأتي:
«أراد الناظم بقوله: عطمط الإشارة إلى مفعول كان اسمه «عطمط» وأشار «بالدخان» إلى اسم
مشيب، كانا يغنيان بالديار المصرية والبلاد الشامية. انظر تاريخ ابن إياس (ج ١ ص ٢١٠).
(٢) ريد زمن المؤلف وهو القرن التاسع الهجري. (٣) انظر أخبار هذه الفتنة مفصلة في «شفاء
الغرام في أخبار البلد الحرام» لأبي الطيب محمد بن أحمد القاسمي ص ٢٨٤ — ٢٨٥ (طبع لبيزج).

- غَضِبَ بعد ذلك على أهل مكة وأمر بتجهيز عسكر كبير الى الحجاز للانتقام من أهل مكة، وعزَمَ على أنه يترعها من أيدي الأشراف الى الأبد، وكاد يَتِمُّ له ذلك بسهولة وسُرعة، وبينما هو في ذلك وقع بينه وبين مملوكه يَلْبُغا وكان من أمره ما كان .
- وكان السلطان حسن يميل الى تقديم أولاد الناس الى المناصب والولايات حتى إنه كان غالب نواب القلاع بالبلاد الشامية في زمانه أولاد ناس، ولهذا لم يخرج عليه منذ سلطته بالبلاد الشامية خارجي، وكان في أيامه من أولاد الناس ثمانية من مقدّمى الألوف بالديار المصرية . ثم أنعم على ولديه بتقديم ألف فصارت الحملة عشرة، فأما الثمانية فهم : الأمير عمر بن أرغون النائب وأسنبغا بن الأبى بكرى ومحمد ابن طوغاى ومحمد بن بهادر رأس نوبة ومحمد بن المحسنى الذى قاتل يَلْبُغا وموسى بن أرقطاي وأحمد بن آل ملك وشرف الدين موسى بن الأزركىشى الأستاذار، فهؤلاء من مُقدّمى الألوف . وأما الطلبخانات والعشرات فكثير، وكان بالبلاد الشامية جماعة أخر فكان ابن آقشتمرى نائب حلب وأمير على المَآرِدِىنى نائب الشام وابن صبيح نائب صَقَد وأما من كان منهم من المقدمين . والطلبخانات نواب القلاع فكثير . وقيل : إن سبب تغيير خاطر يَلْبُغا من أستاذه الملك الناصر حسن — على ما قيل — إنه لما عمِلَ ابن مولاهم البليقة التى أولها :

- (١) فى الأصلين : « وكان » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٢) فى ف : « من المناصب ... الخ » . (٣) يلاحظ أن هذا الاسم يرد فى الأصلين وفى بعض المصادر التى تحت يدنا تارة باسم « ابن صبح » وأخرى باسم « ابن صبيح » . (٤) هو سراج الدين عمر بن مولاهم ولم تقف له على تاريخ وفاة وقد ذكر المؤلف هذه البليقة فى المنهل الصافى بتمامها ، كما ذكر أيضا بليقة عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الشيخ زين الدين المروزى الشافى الحموى الأصل الشهير بابن الخراط نزيل القاهرة وأحد أعيان موقعى الدست . وسيدكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٨٤٠ هـ . انظر البليقتين فى المنهل الصافى ج ٢ ص ٣٠٤ (أ) (ب) . (٥) البليقة تجمع على بلاليق وهى أغنية شعبية هزلية (عن دوزى) وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

مَنْ قَالَ أَنَا : جُنْدِي خَلَقَ ، لَقَدْ صَدَقَ . عِنْدِي قُبَا ، مِنْ عَهْدِ نُوحٍ ، عَلَى الْفَتْوحِ

لَوْ صَادَفُوا شَمْسَ السُّطُوحِ ، كَانَ أَحْتَرَقَ

وَرَقَّصُوا بِهَا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ حَسَنَ ، أَشَارُوا « بِالْجُنْدِيِّ خَلَقَ » إِلَى يَلْبَغَا
وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ حَسَنَ وَالسُّلْطَانِ حَسَنَ يَضْحَكُ وَيَسْتَعِيدُهَا مِنْهُمْ
فَفَضِبَ مِنْ ذَلِكَ يَلْبَغَا وَحَقَّدَ عَلَى أَسَاتِذَةِ السُّلْطَانِ وَهَذَا يَبْعُدُ وَقُوعُهُ لَكِنَّهُ قَدْ قِيلَ .

قلت : وقد أثبتنا هذه البليقة — والتي عملها الشيخ زين الدين عبد الرحمن
ابن الخراط في الفقيه التي أولها :

مَنْ قَالَ أَنَا * فَفِيهِ بَشَرٌ * لَقَدْ فَشَّرَ

— فِي تَارِيخِنَا الْمَنْهَلِ الصَّافِي فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ الْخَرَّاطِ الْمَذْكُورِ بِتَمَامِهَا وَكُلِّهَا وَهِيَ
مِنْ أَظْرَفِ الْبَلَالِقِ فِي مَعْنَاهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اِنْتَهَى .



السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهي سنة
ست وخمسين وسبعماية على أنه حكم — في السنة الخالية بعد خلع أخيه الملك
الصالح صالح — من شوال إلى آخرها .

وفيها (أعني سنة ست وخمسين) تُوُفِّيَ قَاضِي الْقَضَاةِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ
أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ عَبْدِ الْكَافِي بْنِ عَلِيٍّ بْنِ تَمَّامِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ مُوسَى
ابْنِ تَمَّامِ بْنِ حَامِدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سِوَارِ بْنِ سَلِيمِ الْأَنْصَارِيِّ

(١) عقد له ولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب صاحب طبقات الشافعية الكبرى ترجمة عمته نفع
في ثمانين صفحة . وما قاله في أول الترجمة بعد تصحيح نسبه : « الشيخ الإمام الفقيه المحدث الحافظ المحقق
المقرئ الأصول المتكلم النحوي اللغوي الأدب الحكيم المطلق الجدل الخلافي النظار شيخ الإسلام قاضي
القضاة تقي الدين أبو الحسن » . انظر هذه الترجمة ص ١٤٦ ج ٦ من طبقات الشافعية الكبرى .

السُّبُكِيُّ الشافعي — رحمه الله تعالى — بشاطئ النيل في ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة، ومولده في [أول يوم من] شهر صفر سنة ثلاث وعشرين وستمائة بسُّبُكٍ^(٢) الثلاث^(٣) وهي قرية بالمنوفية من أعمال الديار المصرية بالوجه البحري، وكان — رحمه الله — إماما عالما بالفقه والأصول والحديث والتفسير والنحو والأدب وفي شهرته ما يُغني عن الإطناب في ذكره. وقد استوعبنا ترجمته في تاريخنا « المنهل الصافي » بأوسع من هذا فلينظر هناك لمن أراد ذلك. ومن شعره :

إِنَّ الْوِلَايَةَ لَيْسَ فِيهَا رَاحَةٌ * إِلَّا ثَلَاثٌ يَتَّبِعُهَا الْعَاقِلُ^(٤)
حُكْمٌ يَحْقُقُ أَوْ إِزَالَةٌ بِاطِّل * أَوْ نَفْعٌ مُتَحَاجٌّ سِوَاهَا بِاطِّلُ^(٥)

وَتَوَفَّى قَاضِي الْقَضَاةِ نَوْرُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ النَّصِيرِ بْنِ عَلِيٍّ السَّخَاوِيُّ^(٦)

١. (١) رواية المنهل الصافي ج ٢ ص ٤١٢ : « في يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة » .
(٢) التكملة من المنهل الصافي المصدر المتقدم . (٣) هذه القرية هي بذاتها سيك الضحاك التي سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٧ ص ٣٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) رواية الطبقات الكبرى للشافعية : « يتبعها ... الخ » . (٥) سماه المقرئ : « علي بن عبد الصمد ابن علي » . (٦) السخاوي : نسبة إلى بلدة سخا، وأصلها من المدن المصرية الكبيرة القديمة، اسمها المصري « خاسوخوت » والرومي : « أكسويس » والقبلي : « سخوي » ومنه اسمها العربي سخا، وكانت في عهد الفراعنة قاعدة للقمم السادس بالوجه البحري . وذكر ما يتنون أنها كانت عاصمة مصر في عهد الأسرة الرابعة عشرة، ولكن لم يظهر فيها من الآثار ما يؤيد هذه الرواية .
١٥. ولا يزال يوجد من أطلال المدينة القديمة تل أثرى مرتفع كانت مساحة أرضه حوالي ١٢٠ فدانا ثم أخذ التل في القصران بسبب ما نقل من أثره تدريجيا لتسميد الأراضي الزراعية لأعمال أخرى . وقد استصلحت أغلب أرض هذا التل وأصبحت صالحة للزراعة، والباقي من التل تبلغ مساحته حوالي ٤٠ فدانا .
٢٠. وفي عهد العرب كانت سخا قاعدة كورة (قسم) كبيرة .

وردت في كتاب المسالك لابن حوقل « سخا » بالصاد وقال : إنها بين مسير وسهور، وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع وإقليم جليل له عامل بمسكروجنه وغلات وبها القمح والكتان الكثير وزيت الفجل .

٢٥. وردت كذلك في نزعة المشتاق للادريسي « سخا » في البرية بالقرب من منبول ولها إقليم متصل . وفي معجم البلدان سخا كورة بمصر وقصبتها (قاعدتها) سخا بأسفل مصر وهي فصبة كورة الغربية وبها دار الوالي . =

المصري المالكي قاضي قصبة الديار المصرية بها وقد قارب الثمانين سنة في ليلة الاثنين ثاني جمادى الأولى وُدِّفِنَ بالقرافة .^(١)

وتُوفِّيَ الشيخ الأديب شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقي الشاعر المشهور المعروف بالخيّاط بطريق الحجاز . ومن شعره قوله . [السريع]

خَلَفْتُ بِالشَّامِ حَبِيبِي وَقَدْ * يَمْنَتُ مِصْرًا لِسَيِّ طَارِقِ

وَالْأَرْضُ قَدْ طَالَتْ فَلَا تَبْعِدِي * بِاللَّهِ يَا مِصْرُ عَلَى عَاشِقِي^(٢)

وتُوفِّيَ القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن ابن عبد الحق السعديّ البارئباري المصري كاتب منتر طرابلس وكان فاضلا كاتباً

وردد في كتاب الانتصار لابن دقاق بأن سخا مدينة قديمة حسة ولها إقليم واسع وقد تغيرت أحوال هذه المدينة الكبيرة حتى أصبحت الآن قرية من قرى مركز كفر الشيخ بمديرية الغربية بمصر .

وعدد سكانها حوالي ٤٠٠٠ نفس ومساحة أراضيها ١٤٠٠ فدان وهي مركز تفتيش سخا التابع لمصلحة الأملاك الأميرية وبها محطة كبيرة للتجارب الزراعية ومحلج للقطن ملك الحكومة وقسم لثريسة مواشى وزارة الزراعة وبها منزل نخم لاستراحة من يقصد هذه الجهة من الوزراء ومنزل آخر لاستراحة كبار الموظفين . (١) رواية السلوك (ج ٣ و ٤ لوحة ٢٥) : « راجع جمادى الأولى » . (٢) عقد المؤلف

له ترجمة وافية في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٣٢٨) . (٣) رواية السلوك : « ابن عبد العزيز ... الخ » انظره في (ج ٣ و ٤ ص ٢٥) وانظره في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٨٥) (١) .

(٤) البارئباري : نسبة الى بلدة بارئبارة إحدى القرى المصرية القديمة وهي المعروفة اليوم باسم « برميال » القديمة إحدى قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية بمصر . وردت في نزهة المشتاق للادريسي

محركة باسم « برنيلز » على بحر أشموم (البحر الصغير) ووردت محركة كذلك في نسخة دوزي طبع ليدن باسم « برنيلين » والصواب « برنيلز » بدليل وجود الراء الأخيرة في أسمائها المذكورة بعد ، فوردت في معجم

البلدان لياقوت باسم « بيورنبار » قال والعامه تقول : بارئبارة بلدة من نواحي مصر قرب دمياط على نهر أشموم بين البسراط وأشموم (أشموم الرمان) يعمل بها الشرب الفاخ الجليد العريض (والشرب قاش

دقيق رفيع يصنع من الكنان) . ووردت في قوانين الدواوين لابن مماتي وفي التحفة السنية لابن الجيمان باسم « بارئبارة » من أعمال الدقهلية . وفي تاج العروس للزبيدي « بورنبار » قال : وعلى السة العامة :

« بارئبار » . وفي العهد العثماني حرف اسمها من بارئبار الى برتبال . وفي تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ قسمت الى بلدين وهما : برتبال الكبيرة وهذه وبرتبال الصغيرة وهي قرية أخرى . ومن سنة ١٢٥٩ هـ عرفت

باسمها الحالي وهو برميال القديمة وهي واقعة على البحر الصغير الذي كان يعرف قديما ببحر أشموم . وبلغ مساحة أراضيها حوالي احد عشر ألف فدان . وسكانها هي والعرب التابعة لها حوالي ثمانية آلاف نفس ، منها ٥٥٠٠ نفس يسكنون البلدة الأصلية .

خَدَمَ الْمُلُوكَ وَبَاشَرَ كِتَابَةَ سِرِّ طَرَابُلُسَ . وَكَانَ لَهُ شَمْرٌ جَيِّدٌ وَكِتَابَةٌ حَسَنَةٌ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَتُوِّفِيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْبَاقِ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ [بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ] (١) بْنِ مُحَمَّدِ الْحَلْبِيِّ النَّحْوِيِّ الْمُقَرَّرِ الْفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ السَّيِّمِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا أَفْقَى وَدَرَسَ وَأَقْرَأَ عِدَّةَ سِنِينَ . وَتُوِّفِيَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُبْلَايَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيُّ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ثَلَاثَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنْ مَمَالِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ ، وَوَلَّى نِيَابَةَ الْكَرْكُ ثُمَّ الْمَجُوبِيَّةَ الثَّانِيَةَ بِمِصْرَ ، ثُمَّ نَقَلَ إِلَى الْمَجُوبِيَّةِ الْكُبْرَى بِهَا ، ثُمَّ وَلَّى نِيَابَةَ السُّلْطَانَةِ بِالْأَمِيرِ الْمِصْرِيِّ . وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ نُبْذَةٍ جَيِّدَةٍ فِي عِدَّةٍ تَرَاوَعَتْ .

وَتُوِّفِيَ الْقَاضِي زَيْنُ الدِّينِ خَضِرُ بْنُ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ خَضِرِ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِلْمِ الدِّينِ سُلَيْمَانَ بْنِ نُورِ الدِّينِ عَلَى كَاتِبِ الْإِنْشَاءِ بِالْأَمِيرِ الْمِصْرِيِّ . وَمَوْلَدُهُ لَيْلَةَ الْأَحَدِ رَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ عَشْرٍ وَسَبْعِمِائَةٍ . كَانَ فَاضِلًا قَادِرًا عَلَى الْكِتَابَةِ سَرِيعًا ، يَكْتُبُ مِنْ رَأْسِ الْقَلَمِ التَّوَاقِيعَ وَالْمُنَاشِيرَ وَاعْتَمَدَ الْقَاضِي علاءُ الدِّينِ عَلَى بْنِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ وَثَرٌ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَمِنْ شِعْرِهِ فِي مِقْصَصِ قَوْلِهِ :

١٥ [الطَّوِيلُ]

يُحَرِّكُنِي مَوْلَايَ فِي طَوْبِ أَمْرِهِ * وَيُسْكِنُنِي [شَانِيهِ] وَسَطَ فَوَائِدِهِ
وَيَقْطَعُنِي إِنْ رَامَ قَطْعًا وَإِنْ يَعْصِلْ * يَنْشُقُّ بِحَسَدِي الْوَصَلَ عِنْدَ اعْتِمَادِهِ

(١) النكتة عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٣٣٩) . (٢) رواية الدرر الكامنة والسلوك (في عاشر جمادى الآخرة) . (٣) في ف و م « بياض » . وما أتيته عن المنهل الصافي (ج ٢ ص ٦١) (١) .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين آص ملك بن عبد الله بطلاً ^(١) بدمشق في شهر رمضان .
وكان من أعيان الأمراء ، وتنقل في عدة وظائف وأعمال ، وكان مشهوراً بالشجاعة .
رحمه الله .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين قردم بن عبد الله الناصري الأمير أخور بطلاً
بدمشق في يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان ، وقد تقدم ذكره في عدة أماكن .
§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا . والله سبحانه وتعالى أعلم .



السنة الثانية من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهي سنة سبع
ونحسين وسبعائة . ١٠

فيها تُوفِّي السيد الشريف شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد
الحُسَيْنِي نقيب الأشراف بالديار المصرية ، وفيها تُوفِّي عن سبعين سنة — وكان رحمه
الله — إماما عالما فاضلا ، دُرِس بالقاهرة بمشهد الحسين والفخرية ، وولى حِسْبَةَ
القاهرة ووكالة بيت المال ، وكان معدودا من الرؤساء العلماء .

وتُوفِّي قاضي القضاة نجم الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي نجر الدين عثمان
ابن أحمد بن عمرو بن محمد الزُرْعِي الشافعي قاضي قضاة حلب في صفر ، وكان —
رحمه الله — إماما عالما فاضلا وافني ودُرِس وولى الحكم بعدة بلاد . ١٥

(١) البطال هنا في اللغة وفي بقية ما سلف من الكتاب هو لفظ اصطلاحى معناه : الخالى من الخدمة والعمل ، فهو مرادف لكلمة طرخان السابق شرحها في هذا الجزء ص ٣١١ وقد استعملت نفس المعنى في جميع المصادر التى تحت يدينا . انظر صبح الأعشى (ج ٧ ص ٢٠٠) .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ وما بعدها من الجزء السادس من هذه الطبعة . ٢٠

وَتُوِّقَ صَاحِبُ بَغْدَادٍ وَمَا وَالَاهَا الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَقْبَعَا بْنِ أَيْلَكَانَ^(٢) ببغداد، وَمَلَكَ بَعْدَهُ بَغْدَادَ ابْنُهُ الشَّيْخُ أُوَيْسُ . وَالشَّيْخُ حَسَنٌ هَذَا هُوَ سِبْطُ الْمَلِكِ أَرْغُونُ بْنُ أَبْنَا بْنِ هَوْلَاكُو بْنِ طُولُونُ بْنُ چَنَكْرَخَانُ مَلِكِ التَّارِ صَاحِبِ «الْبِسْقِ»^(٣) وَالْأَحْكَامِ التَّرْكِيَّةِ . وَكَانَ فِي أَيَّامِ الشَّيْخِ حَسَنِ الْغَلَاءُ الْعَظِيمُ بِبَغْدَادٍ حَتَّى أُبِيعَ بِهَا الْخَبَزُ بِسَنَجِ الدَّرَاهِمِ وَبَرِحَ النَّاسُ عَنْهَا، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيِّرَةِ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَتُوِّقَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ شَرَفُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْمُنَاوِي الشَّافِعِيُّ^(٤) فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ خَامِسَ شَهْرِ رَجَبٍ، وَكَانَ -- رَحِمَهُ اللَّهُ -- فَقِيهًا عَالِمًا، نَازِلًا فِي الْحُكْمِ بِالْقَاهِرَةِ، وَأَقْبَى وَدَرَسَ وَشَرَحَ الْفَرَائِضَ «مِنْ الْوَسِيطِ» وَغَيْرِهِ .

وَتُوِّقَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ كَمَالُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ [عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ] مَهْدَى النَّشَافِيِّ^(٥) فِي يَوْمِ الْأَحَدِ حَادِيَ عَشَرَ صَفَرٍ وَمَوْلَدُهُ فِي أَوَائِلِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ إِحْدَى

- (١) كَذَا فِي مَوْفٍ وَالْمُهَلِّ الصَّافِي (ج ٢ ص ١٩) (ب) وَالسُّلُوكُ : (ج ٣ ص ٤١٧) (أ) .
 وَفِي الدَّرَرِ الْكَامَةِ (ج ٢ ص ١٤) : «حَسَنُ بْنُ أَقْبَعَا» . (٢) فِي السُّلُوكِ نَفْسُ الْمَصْدَرِ الْمُتَقَدِّمُ : «أَيْلَكَانُ» بِأَلِفٍ . الْمُوَحَّدَةُ . (٣) قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَى : «الْبِسْقِ» فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ (ص ٢٦٨) مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . فَانْظُرْهُ . (٤) رَوَايَةُ هَامِشٍ : «م» . وَالْمُهَلِّ الصَّافِي (ج ٢ ص ١٩) (ب) : «بِيعَ بِهَا بِسَنَجِ الدَّرَاهِمِ» بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ . (٥) فِي الْأَصْلَيْنِ : «شَرَفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ» وَهُوَ خَطَأً صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ عَنْ الدَّرَرِ الْكَامَةِ (ج ١ ص ١٧) وَالسُّلُوكِ (ج ٣ ص ٤١٧) (أ) . (٦) فِي الدَّرَرِ فِي الْمَصْدَرِ الْمُتَقَدِّمِ : «مَاتَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ» .
 (٧) التَّكْلِفَةُ عَنِ السُّلُوكِ (ص ٢٧) (أ) (ب) وَالْمُهَلِّ الْكَامَةِ (ج ١ ص ٢٢٤) وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ (ج ٥ ص ١٧٥) . (٨) النَّشَافِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى بَلَدَةٍ نَشَا إِحْدَى الْقُرَى الْقَدِيمَةِ الْمِصْرِيَّةِ، وَهِيَ الْيَوْمَ إِحْدَى قُرَى مَرْكَزِ طَلْعَا بِمَدِيرَةِ الْغُرْبَةِ بِمِصْرَ، اسْمُهَا الْمِصْرِيُّ الْقَدِيمُ : «نَسَات» وَالرُّومِيُّ : «نَكْسِيسُ» وَالْقِبْطِيُّ : «دُوسَةُ» وَوَرَدَتْ فِي قَوَانِينِ الدَّرَاوِينِ لِابْنِ مَسْنَانَ، وَفِي النُّحْفَةِ السَّنِيَّةِ لِابْنِ الْجُبَيْرِ، «نَسَا» مِنْ أَعْمَالِ الْغُرْبَةِ . وَتَبْلُغُ مَسَاحَةُ أَطْيَانِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ حَوْلَى ٥٥٠٠ فِدَانٍ . وَتَعْدَدُ سَكَّانُهَا هِيَ وَالْغُرْبُ الثَّابِتَةُ لَهَا حَوْلَى ٦٠٠٠ نَفْسٍ مِنْهَا ٣٠٠٠ نَفْسٍ يَسْكُنُونَ الْبَلَدَةَ الْأَصْلِيَّةَ .
 (٩) اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ، فَفِي السُّلُوكِ الْمَصْدَرِ الْمُتَقَدِّمِ : «تُوِّقَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ» حَادِيَ عَشَرَ صَفَرٍ . وَفِي الدَّرَرِ الْكَامَةِ الْمَصْدَرِ الْمُتَقَدِّمِ : «مَاتَ يَوْمَ السَّبْتِ عَاشِرَ صَفَرٍ» .

وتسعين وسقانة . وكان — رحمه الله — إماما عالميا خطيبا فصيحاً مصنفًا ولى
خطابة جامع الأمير أيّدُص الخطيرى ببولاق وإمامته ودرّس به وهو أول من ولى
خطابته وإمامته . ومن مصنفاته : كتاب «جامع المختصرات» وكتاب «المتقى»
وعلق على «التنبيه» استدراكات، وله غير ذلك . والله أعلم .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا . والله أعلم .



السنة الثالثة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مهر وهى سنة ثمان
وخمسين وسبعمائة .

فيها توفى الأمير الكبير أتابك السّاكر شِيخُون بن عبد الله العمرى الناصرى
اللا مدبر الممالك الإسلامية بالديار المصرية في السابع من ذى الحجة بالقاهرة من
جرح أصابه لما ضربه قُطْلُونَجُما السلاح دار في موكب السلطان حسن حسب
ما تقدم ذكره في ترجمة السلطان حسن هذه الثانية . وقيل : كانت وفاته في أواخر
ذى القعدة وسنة نيّف على خمسين سنة . وكان أصله من تگّابية الملك الناصر محمد
ابن قلاوون وكان تركى الجنس ، جلبه خواجا عمر من بلاده وباعه لملك الناصر

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٣ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) توجد منه

نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٧٥] فقه شافى . (٣) هو متق الجوامع ،
يقع في ستة مجلدات مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٨٣] فقه شافى .

(٤) هو تأليف الإمام أبى إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى القيرزى بادهى . توجد منه

عدة نسخ خطية ومطبوعة بأرقام مختلفة . راجع فهرس فقه الإمام الشافى . (٥) فى المنهل الصافى

(ج ٢ ص ١٨٩) : « إلى أن مات فى سادس عشر ذى القعدة » . وفى الدرر الكامنة :

« إلى أن مات فى سادس عشرى ذى القعدة » . (٦) فى ف : « قراجا عمر » .

وترقى بعد موت الملك الناصر حتى صار أتابك العساكر بالديار المصرية، وهو أول من سُمي بالأمير الكبير، وليها بجلمة، وصارت من بعده وظيفة. وهو صاحب الجاسع^(١) واخلانقاه بخط صليبة أحمد بن طولون. وقد تقدم من ذكره في ترجمة الملك الناصر حسن والملك الصالح وغيرهما ما يُستغنى عن ذكره هنا ثانياً. ودفن بخانقائه

المذكورة. وفي شيخون يقول بعض شعراء عصره مضمناً: [البيسط]

شيخو الأمير المفدى كله حسن * حوى المحاسن والحسنى ولا عجب

دع الذين يلومونى عليه سدى * ليذهبوا فى ملايى أية ذهبوا

وتوفى الشيخ الإمام العالم العلامة قوام الدين أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر

ابن أمير غازى الفارابى الإتقانى الحنفى بالقاهرة، ودفن بالصجراء خارج القاهرة

— وكان رحمه الله — إماماً عالمياً مُفتياً بارعاً فى الفقه واللغة العربية والحديث

وأسماء الرجال وغير ذلك من العلوم، وله تصانيف كثيرة منها: «شرح الهداية»

فى عشرين مجلداً «وشرح الإخسيكى» «وشرح البرذوى» ولم يكمله، وولى التدريس

بمشهد أبى حنيفة ببغداد. ثم قَدِمَ دمشق فأُقي بها ودُرس وأُشغل وصنّف بدمشق

كتاباً فى منع رفع اليدين فى الصلاة فاضلاً عن تكبيرة الافتتاح. ثم طُلب الى القاهرة

١٥ (١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٩ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٣ من هذا الجزء. (٣) فى الأصلين: «أمير فارس». وما أثبتناه عن «الملك

(ج ٣ ص ٢٨) وعن المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٦٨) وعن الدرر الكامنة (ج ١ ص ١٤٤). (٤) ويسمى هذا الترخ: «غاية البيان ونادرة الزمان فى آخر الآوان» توجد منه عدة أجزاء محفوظة

من نسخ متعددة تحت أرقام مختلفة محفوظة بدار الكتب المصرية. (٥) هو محمد بن محمد بن عمر

٢٠ حسان الدين الإخسيكى: نسبة الى إخسيكى؛ بلدق ما وراء النهر على شاطئ نهر الشاش من بلاد مرو. وله المنتخب الحسامى وقد شرحه عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخارى. (٦) هو على

ابن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد أبو الحسن نحر الإسلام البرذوى. له «كرو

الوصول الى معرفة الأصول» ويعرف بأصول البرذوى وله شرح يسمى «كشف الأسرار» لعبد العزيز

ابن أحمد بن محمد علاء الدين البخارى. توفى البرذوى فى صفر سنة ٤٨٢ هـ (عن تاج التراجم ص ٣٠).

مكرماً معظماً حتى حضرها وصار بها من أعيان العلماء لا سيما عند الأمير صرغتمش
الناصري ، فإنه لأجله بنى مدرسته بالصليبة حتى ولّاه تدريسها . ولما مات
— رحمه الله تعالى — ولى تدريس الصرغتمشية العلامة أرشد الدين السرائي الحنفي .

وتوفى قاضى القضاة نجم الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن القاضى عماد الدين
أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسى
ثم الدمشقى الحنفى قاضى قضاة الحنفية بدمشق بها عن نحو أربعين سنة وكان — رحمه
الله — إماماً عالمياً علامة أفتى ودّرس وناب فى الحكم عن والده بدمشق ثم استقل
بالوظيفة من بعده عدة سنين ومُحَدث سيرته . وله مصنفات كثيرة منها : كتاب
« رفع الكلفة عن الإخوان فى ذكر ما قدم القياس على الاستحسان » وكتاب
« مناسك الحج » مطبوع وكتاب « الاختلافات الواقعة فى المصنفات » وكتاب
« محظورات الإحرام » وكتاب « الإرشادات فى ضبط المشكلات » عدة مجلدات
وكتاب « الفتاوى فى الفقه » وكتاب « الإعلام فى مصطلح الشهود والأحكام »^(٢)
وكتاب « الفوائد المنظومة فى الفقه » .

وتوفى الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله الكامل المعروف بأرغون الصغير
بالقدس بطالاً قبل أن يبلغ الثلاثين سنة من العمر وكان أرغون خصيصاً عند الملك
الكامل ثم عند أخيه الملك الصالح إسماعيل وترقى حتى صار أميراً مائة ومقدم ألف
بديار مصر . ثم ولى نيابة حلب ثم نيابة الشام ثم أُعيد الى نيابة حلب ثانياً الى أن
طُلب الى القاهرة وقُبِض عليه واعتُقل بالإسكندرية مدة ثم أُخرج الى القدس

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٢) فى المنهل الصافى
(ج ١ ص ٣٠) (١) : « والحكام » . (٣) وتسمى « الفوائد البدرية » وهى تشمل
ألف بيت ، وتوجد منها نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٣٤٥] فقه حنفى .
(٤) عقد له المؤلف ترجمة وافية فى المنهل (ج ١ ص ١٨٥) (ب) .

بطالاً، فأت به . وكان أميراً جليلاً عارفاً شجاعاً كريماً وفيه برٌّ ومعروف وله مآثر، من ذلك بيمارستان بحلب وغيره . رحمه الله تعالى .

وتوفي الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن عبد المحسن السجدي الشافعي . كان معدوداً من فقهاء الشافعية . رحمه الله .

وتوفي القاضي علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأطروش الحنفي محتسب القاهرة وقاضي العسكر بها كان من بياض الناس وله وجهة . رحمه الله تعالى .

وتوفي الشيخ الإمام العلامة محب الدين أبو عبد الله محمود ابن الشيخ الإمام علاء الدين أبي الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي في يوم الأربعاء ثامن عشرين شهر ربيع الآخر وكان فقيهاً مصنفًا ومن مصنفاته : « شرح ابن

الحاحب في الأصول » وكتاب « اعتراضات على شرح الحاوي » في الفقه لأبيه .
وله غير ذلك .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وإصبع . مبلغ الزيادة

ثمانى عشرة ذراعاً وست أصابع . والله أعلم .

(١) لا يزال هذا الديرستان من جملة الآثار القديمة الباقية في حلب داخل باب قنسرين ، وهو يمثل للرائ من الداخل والخارج روعة الهندسة المصرية الشرقية . عمره الأمير أرغون الكامل نائب (حاكم) حلب سنة ٧٥٨ هـ ووقف عليه قرية بنش العظمى من القرىيات وقد ظل يؤدي خدمته الإنسانية في حلب حتى أوائل القرن العاشر ثم أهمل أمره وحولت وارداته من قرية بنش سنة ١٢٨٤ هـ إلى أوقاف الجامع الكبير بحلب . وصفه الشيخ محمد راغب الطباخ سنة ١٣٤٢ هـ فقال : « تدخل إلى هذا الديرستان فتجد جهرتين جلوس الأطباء ، ثم تجد محناً واسماً يحيط بطرفه القبلي والشامي رواقان ضيقان مرفوعان على أعمدة نظيمة ووراهما حجر صخرة خاصة لحبس المجانين فيها . ثم استطرد الشيخ الطباخ فقال : قد بلغنا أنه كان بأطراف الصحن الخارجي وعلى أطراف الحوض الذي في وسطه توضع أنواع الرياحين لينظرها المجانين ، وكانوا يأتون بالآلات الطرب والمغنين فيداون المجانين بها أيضاً » .

ونظم الشيخ الطباخ قوله بأن بلاط الصحن كان متوهناً جداً ، فاهتم بحيل بإشادة ١٣٠٢ هـ بتليطه وتجديده حوضه . وكان لبابه الكبير حلقتان كبيرتان جميلتان الشكل من النحاس الأصفر فلغا منه ١٥ سنة وأخذتا إلى متحف الآستانة » . انظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٣٤٧ — ٣٤٨) .



السنة الرابعة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهي سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

فيها تُوِّقِي الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصري في مجننه بشير الإسكندرية في ذى الحجة . وكان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وترقى حتى صار من أكابر الأمراء ومدبري الديار المصرية مع الأمير شيخون وبعده وقد تقدم من ذكره في ترجمة الملك الصالح والملك الناصر حسن ما يكفي بذكره هناك : ولما حبسه الملك الناصر حسن بشير الإسكندرية كتب إليه صرغتمش كتابا يخضع إليه وفي أوله :

[الكامل]

قلبي يُحدثني بِأَنك مُتَلِفِي * دُوحِي فِدَاكَ عَمَرْتُ أَلَمْ تَعْرِفْ^(١)
فلم يلتفت الملك الناصر لكتابيه وفعل به ما قَدَّرَ عليه وكان صرغتمش عظيما في الدولة فاضلا مشاركا في فنون يُدَاكِرُ بالفقه والعربية ويحب العلماء وأرباب الفضائل ويكثر من الجلوس معهم وهو صاحب المدرسة بخط الصليبية وله يرِّ^(٢) وصدقات، إلا أنه كان فيه ظلمٌ وعسف مع جبروت .

وتُوِّقِي القاضي شرف الدين أبو البقاء خالد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد^(٣)
ابن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر الخزومي الشافعي المعروف بابن القيسراني الحلبي ثم الدمشقي بدمشق عن نيف وخمسين سنة وكان كاتباً فاضلاً مصنفًا باشر كتابة الإنشاء بدمشق ووكالة بيت المال وسميع الكثير .

(١) هذا البيت من فائفة عمر بن الفارض المشهورة . راجع ترجمته في المنهل الصافي ج ٢ ص ٢١٤ (ب)

(٢) راجع الحاشية ٢ ص ٣٠٨ من هذا الجزء .

(٣) انظره في السلوك ج ٤ ص ٣٠ (١) والمنهل الصافي ج ٢ ص ٥٤ (ب) .

وتوفى قاضي الإسكندرية نضر الدين أبو العباس محمد بن أحمد بن عبد الله الشهير بابن المخلطة في يوم الجمعة سابع شهر رجب، ولي قضاء الإسكندرية أشهراً، بعد أن كان دّرس بالقاهرة بمدرسة الصرغتمشية : دّرس الحديث . وكان فاضلاً عارفاً بالأصول وله سماع وتولى بعده قضاء الإسكندرية ابن التّنيّ^(٢) .

- وتوفى ملك الغرب أبو عثان فارس ابن السلطان أبي الحسن عليّ ابن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيى بن حمّامة الميرنيّ المغربي بمدينة فاس بعد أن حكم خمس سنين وكان مشكور السيرة . رحمه الله .

- (١) انظره في السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٠ ب) . (٢) التني : نسبة إلى تنس (بفتحين مع التخفيف)، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط مما يلي مراکش على بعد ١٠٣ ميل غربي مدينة الجزائر . وعدد سكانها يقرب من خمسة آلاف نسمة .
- وأولاد التني في الإسكندرية من بيت علم ورياسة ، تولى منهم قضاء القضاة المالكية على عهد ابن خلدون أحمد بن محمد جمال الدين بن عطاء الله الشهير بابن التني ، ولد سنة ٨٧٤٠ وتوفى سنة ٨٨٠١ و يلاحظ لنا أن ابن التني الذي معنا هو أبوه جمال الدين هذا .
- انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد مخلوف ص ٢٢٤ وانظر ذخيرة الأعلام للقمي ص ١٩٠ وقاموس لينكوت الجغرافي ونيل الابتهاج بطريرك الديباج لآبَا التنبكي ص ٧٤ و ٢٨٥
- (٣) ورد نسب هكذا في الأصلين والسلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٠) وورد في الدرر الكامنة برواية تختلف عما ورد فيها ، ونصها : « فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحميد الميرنيّ أبو عثان ابن أبي الحسن » انظر الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٢١٩) .
- (٤) اسمها اللاتيني فسزاً أوفساً وهي عاصمة مراکش الثانية على خط عرض ٣٤/٦ شمالاً وخط طول ٥/١ غرباً وتبعد من شرق المحيط الأطلسي بمائة ميل تقريباً وعلى بعد ٢٤٥ ميلاً شمال شرق مدينة مراکش . وهي أعظم مدن المغرب الأقصى ازدحاماً بالسكان وأكبرها إطلاقاً من الناحيتين التجارية والبلدية لأنها محط القوافل إلى قلب الصحراء . وتقع المدينة على سفح جلة هضاب منقطة بالحدائق والكروم وهي مدينتان : فاس القديمة ذات الأسوار في الغرب ؛ والجديدة في الشرق . وشوارعها ضيقة . وبها نحو ١٥٠ مسجداً أعظمها جامع القرويين الشهير وجامع مولاي إدريس مؤسس فاس وهذا الأخير أعظم الأماكن المقدسة في مراکش

وتُوفِّي الشريف مانع بن علي بن مسعود بن جَمَاز بن شيحة الحُسَيْنِي أمير المدينة بها وتَوَلَّى المدينة الشريفة بعده أَبُو عَمّه فضل بن القاسم في ذى القعدة .

وتُوفِّي الأمير سيف بن فضل بن مُهَنَّأ بن عيسى بن مُهَنَّأ بن مانع بن حديشة ابن غُضَيَّة في ذى القعدة وكان جواداً شجاعاً ، ولى إمرة آل فضل غير مرة . وقيل إنه قُتِل سنة ستين وهو الأصح

وتُوفِّي الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن عيسى بن حسن بن كُر الحنبلِي إمام أهل الموسيقى ، وله فيها تأليف حسنة ويتصل نسبه إلى الخليفة مَرْوان بن محمد الحمار . وكان صوفيّاً فقيهاً وله زاويةٌ عند مشهد الحسين بالقاهرة . ومولده في شهر

وتستمد المدينة حياتها من نهر فاس يفترق منه ثمانية أنهار تشق المدينة كلها تدخل منها في كل دار . وليس في المغرب مدينة يخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس .

وفي المدينة من البيوت العربية الجميلة والمستشفيات والمدارس عدد وفير وصناعتها شهيرة من الحرير والطرابيش والأحذية مما هو مشهور في إفريقية الشمالية كلها .

وقد لمع اسم فاس في العصور الوسطى إلى النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادي حيث كانت عاصمة المغرب والأندلس يفد إليها العلماء والطلاب من جميع أنحاء شمال إفريقية وأسبانيا . وبلغ سكانها مئات الآف من الأهلين . ولا يزال بها بقية من المجد الذاهب حيث سكنها اليوم يقربون من مائتي ألف نسمة فيهم عشرة آلاف يهودي . انظر معجم لِبَنَكُوت الجغرافي ومعجم البلدان لياقوت .

(١) هو فضل بن القاسم بن جَمَاز بن شيعة . توفى في ذى القعدة سنة ٧٥٣ هـ (عن الدرر الكامنة ص ٢٢٢ ج ٣) . (٢) رسمت هذه اللفظة في السلوك (ج ٣ و ٤) هكذا : « كور » .

(٣) دلتى البحث على أن هذه الزاوية كانت واقعة في الجهة القبلية من المسجد الحسني وبالقرب منه ، جددتها الأمير بشباي رأس نوبة كبير حوالى سنة ٨٠٥ هـ وجعلها مدرسة كما ورد في الضوء اللامع للسخاوي .

وفي القرن الماضي جددتها محمد أفندي البزدار وجعلها جامعا وسبيلا ، عرف بجامعة البزدار وقد خرب هذا الجامع في عصرنا الحاضر ولم يبق منه كما شاهدته إلا الواجهة البحرية وفيها باب الجامع وشباك السبيل .

وفي سنة ١٩٣٠ أزلت مصلحة التنظيم مجموعة المباني الواقعة بين جامع سيدنا الحسين وبين شارع جوهر القائد (الشعواني سابقا) وجعلت مكانها ميّداً عاماً ، وبذلك زالت آثار جامع البزدار الذي

كان في محل زاوية ابن كُر المذكور . ولما كان السبيل الملحق بهذا الجامع هو من الأسبلة الأثرية ، وفيه قاعة ذات سقف أثرى مزخرف من العصر العثماني فقد اضطرت إدارة حفظ الآثار العربية للحفاظ

على نموذج هذا الأثر أن تنقله بجواره وشكله إلى مكان آخر . وفي سنة ١٩٣٥ نقل السبيل إلى درب الفزازين (النساجين) المتفرع من شارع أم الغلام بقسم الجالية بالقاهرة وأقيم في مكانه الحالي برسمه الأصلي .

ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وستمائة بالقاهرة ، وكان فاضلاً قرأ القرآن على الشطنوفى وحفظ الأحكام لعبد الفنى [بن عبد الواحد] ^(٤) « والعُمدة في الفقه » للشيخ موفق الدين والمُلحة للحريرى وسمع على أشياخ عصره مثل الدِّمياطى والأبرقوهى وغيرهما وصنف كتاباً في الموسيقى سماه : « غاية المطلوب ، في الأنغام والضروب » وقد أَوْضَحْنَا أمره وما يتعلق بفنه الموسيقى في المنهل الصافى إذ هو محل الاستيعاب .

وتوفى الأمير الطواشى صفى الدين جوهر بن عبد الله الخنأشى البتخاصى مقدم الممالك السلطانية ، وقد قارب المائة سنة من العمر . وكان من أعيان الخدام وأمانتهم .

وتوفى الأمير سيف الدين شَكْرُ بَقَا بن عبد الله الماردين أمير مجلس وزوج أخت السلطان حسن ، كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية ، لا سيما في دولة الناصر حسن . وكان عاقلاً مدبراً سيّوساً .

وتوفى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن الهكاري الكُرْدِي الشافعى بدمشق في ذى القعدة . ومولده سنة خمس وثمانين وستمائة وكان فقيهاً فاضلاً .

- (١) في المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢٣٨ ب) : « قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : اجتمعت به غير مرة وسألته عن مولده فقال : في رابع عشر شهر ربيع الأول... الخ » . (٢) هو على بن يوسف ابن حريز بن فضل بن معضاد النور أبو الحسن الخنسى المعروف بالشطنوفى الشافعى . توفى يوم السبت ودفن يوم الأحد ٣٠ من ذى الحجة سنة ٥٧١٣ هـ (عن غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير محمد ابن الجزرى المتوفى سنة ٥٨٣٣ هـ (ص ٥٨٥ ج ١) . (٣) هو عمدة الأحكام في الحديث — تأليف الحافظ أبى محمد عبد الفنى بن عبد الواحد الجماعيل المقدسى الخنبلى ؛ تقدمت وفاته سنة ٥٦٠٠ هـ . (٤) تكملة عن النجوم الزاهرة طبعة الدار (ص ١٨٥ ج ٦) . (٥) هو عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر شيخ الإسلام موفق الدين ، تقدمت وفاته سنة ٦٢٠ وانظر مختصر طبقات الخنابلة ص ٤٥ (٦) هو الحافظ الدِّمياطى عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف الدِّمياطى أبو أحمد وأبو محمد شرف الدين . تقدمت وفاته سنة ٧٠٥ هـ (٧) هو شهاب الدين أحمد بن رافع الدين إسماعيل بن محمد بن المؤيد الأبرقوهى . تقدمت وفاته سنة ٧٠١ هـ .

وَتُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مَلِكُ تَمْرُبُزْنَ عَبْدُ اللَّهِ السَّعْدِيُّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ بِحِمَاةٍ بَطَّالًا^(٢)
 بعد أن ولي عدة وظائف وتنقل في عدة ولايات . رحمه الله تعالى .
 § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وتماني أصابع .
 مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .



السنة الخامسة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهي سنة
 ستين وسبعائة .

فيها تُوِّقُ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيّ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابٍ الدِّينِ أَحْمَدُ
 ابْنُ شَأْسِ الْمَالِكِيّ قَاضِي قُضَاةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعِ شَوَّالٍ وَدُفِنَ
 بِالْقِرَافَةِ . وَكَانَ إِمَامًا بَارِعًا فِي مَذْهَبِهِ أَفْتَى وَدَرَسَ وَنَابَ فِي الْحُكْمِ ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ
 بِالْقَضَاءِ ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيِّرَةِ ، مِنْ عِلْمٍ وَفَضْلٍ . رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَتُوِّقُ قَاضِي قُضَاةِ حِمَاةِ تَقِيّ الدِّينِ أَبُو الْمُنْظَفَرِ مُحَمَّدُ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدُ
 بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عُثْمَانَ الْقَيْسِيّ الْحَنْفِيّ الْحَمَوِيّ الشَّهِيرُ بِابْنِ الْحَكِيمِ ، بِأَمْرِ قَضَاءِ حِمَاةِ^(٣)
 تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَحُدِّثَ سِيرَتُهُ وَمَاتَ بِمَنْزِلَةِ ذَاتِ الْحِجْ مِنْ الْحِجَازِ ، وَقَدْ جَاوَزَ^(٤)
 سِتِينَ سَنَةً وَكَانَ عَالِمًا زَاهِدًا وَرِعًا .

١٥

(١) في السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣١ ب) . « السعيدى » . (٢) في السلوك المصدر
 التقدم : « في ثامن ذي الحجة » . (٣) في السلوك : (ج ٣ و ٤ ص ٣١ ب)
 « بابين الحكم الحنفى » . (٤) ذات الحاج أو ذات الحج هي منزلة من منازل طريق ركب
 الحاج الثامن بعد عمان ثلاث مراحل المذهب إلى المدينة المنورة .
 قال صاحب درر القرائد المنظمة نقلًا عن حسن بن عيسى مقدم الركب الشامي في زمته ما يلي : « ثم
 يرحل إلى ذات حج وبها محل شريف يسمى النابوت يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم حفر بيده الشريفة
 ذلك الموضع فنبع الماء ، وفاض ، وبجانبه بركة قديمة البناء . وأصلحت من نحو خمس سنين لسقاية الحاج »
 أي حوالي سنة ٩٦٠ هجرية . انظر الجزء الثاني من درر القرائد المنظمة ص ٥٢ — ٥٣

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام وقُطِبَ الوجود أبو البقاء وقيل أبو الوفاء خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر المالكي المألقي ثم المكي العالم المشهور، صاحب التصانيف في مذهبه بمكة المشرفة بعد أن آتته إليه رئاسة مذهبه ولم يُخَلَّف بعده مثله .

٥. وتُوفِّي القاضي جمال الدين إبراهيم ابن العلامة شهاب الدين محمود بن سليمان ابن فهد الحلبي الحنبلي بحلب عن أربع وثمانين سنة وكان فاضلا كاتباً ماهراً في صناعته ، كَتَبَ في ديوان الإنشاء بمصر وولى كتابة سرّ حلب ثلاث مرات نيّفاً وعشرين سنة وحدث عن جماعة من حفاظ الديار المصرية والإسكندرية . وكان عارفاً بالاصطلاح والكتابة ، وله نظمٌ ونثر . ومن شعره ما كتبه لوالده منشوقاً بقوله :
- ١٠ . [السريع] .

هل زمنٌ وتي بكم عائِدٌ * أم هل ترى يرجع عيشٌ مضى

فارقكم بالرغم مني ولم * اختره ليكني أطلعتُ القضا

قلت : لو كانت وظيفته قضاء حلب كان في قوله : « أطلعتُ القضا » تورية .

وكان جواداً ممدحاً وفيه يقول البارع جمال الدين محمد بن نبأته المصري قصيدته المشهورة التي أولها :

١٥ . [الطويل]

أجبرائلاً حياً الربيع دياركم * [وإن لم يكن فيها لطفى مني] . انتهى

وتُوفِّي القاضي تاج الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن علي بن أبي القاسم بن علي

ابن أبي الفضل العُذري الدمشقي الحنفي المعروف بابن السكّانرى . كان عارفاً بطل

(١) الزيادة عن نيل الاتباع الشيخ أحمد بابا النيكى ص ١١١-١١٢ وزاد : « توفي في شوال من السنة » .

(٢) النكلة عن المنهل الصافي (ج ١ ص ٤٠) (١) ولا توجد هذه القصيدة في ديوانه المطبوع . ولا ين

نبأته فيه وفي أبيه المدائح الكثيرة والمرائى . وانظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٥ ص ٢٧ - ٢٩) .

(٣) هكذا في الأصلين : وعبارة الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٣٤ ما يلي : « كان عارفاً بالشروط بارعا فيها

غاية في إخراج علل المكاييب وقد كتب في مجلس الحكم بحلب ... الخ » . وهي أوضح وعبارة الأصلين غلقة .

المكاتب الحكيمة خيرا بسلوك طرائقها العلمية والعملية وكتب الحكم والإنشاء بحلب ومات عن خمس وستين سنة . رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير عز الدين طقطاي بن عبد الله الصالحى^(١) الدوادار بطرابلس عن بضع وأربعين سنة معتقلا . وكان أميرا فاضلا جليلا رئيسا وفيه يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى^(٢) تغمده الله برحمته : [الكامل]

هذا الدوادار الذى أقلامه * تدر المهارق مثل روض نافع^(٣)
تجرى بأرزاق الورى قدأدها * وبلى تحدر من غمام سافع^(٤)
استغفر الله العظيم غلط بل * نهر جرى من لج بحر طاف
وإذا تكون كريهة فيمينه * تسطو بحد أسنة وصفائح^(٥)
يا غردهر قد حواه [فإنه] * عز لمولانا المليك الصالح

وتوفى الخان جانبك خان بن أربك خان صاحب كرمى ممرى وبلاد

(١) فى الأصلين : « سيف الدين » والتصويب عن المثل الصاق (ج ٢ ص ٢٣٧) (١)
وأعيان النصر للصفدى (ج ٣ قسم أول ص ١٥٢) والسلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣١) (١) .

(٢) فى الأصلين : « فائح » وما أثبتناه عن أعيان العصر . (٢) فى الأصلين : « ساع »
والتصويب عن أعيان العصر . (٤) التكلة عن أعيان العصر للصفدى (ج ٣ قسم أول ص ١٥٤)

وقد أفرد له الصفدى ترجمة مطولة . (٥) سراى بالفارسية هى القصر ، وهما هى عاصمة القبيلة الذهبية فى الجزء الغربى من الأمبراطورية المغولية التى أسسها جنكيز خان الشهير . بناها بركة خان المتوفى سنة ١٢٦٥ هـ حفيد جنكيز خان (بعد وفاة ياقوت صاحب معجم البلدان لأنه لم يذكرها فى معجمه) فى أرض سبعة على بسط من الأرض على الشط الشرق لنهر الأثل (القسولجا) ، الى الجانب الشمال الشرقى غربى بحر الخزر (قزوین) على مسيرة يومين من مصبه . وصارت فرسة كبيرة للتجار وروقيق الترك ومدية عظمى ذات حمامات وأسواق ووجوه بر ، مقصودة بالاجلاب من جميع بلاد التتر الذين كان منهم ملوك الترك بالديار المصرية ، كما سبيل فى الحاشية التالية :

قال ابن فضل الله العدى « وكان فى وسطها بركة ماء للاستعمال ، أما شرب أهل البلدة فكان من النهر (الفلما) تجلب فى جرار الفخار ونصف على عجالات وتجبر الى المدينة وتباع فيها » . وهذا الوصف ينطبق اليوم على مدينة تزاريف الروسية وهى على أحد روافد الشط الشرق لنهر الفولجا على خط عرض ٤٤° ٨' -

١٥

٢٠

٢٥

(١١) الدشت بها، بعد أن حَكَم ثمانى عشرة سنة . ونسبه يتصل لِجَنَكِرْخان وتولى بعده الملك ابنه بردك . خان والله أعلم بالصواب .

§ أمر النيل في هذه السنة — المياء القديم خمس أذرع وثلاث عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا وثلاث أصابع . وقيل أربعة أصابع من غير زيادة
والله سبحانه أعلم بالصواب .

= شمالا وطول ١٥/٥٥ شرقا وعلى بعد ٢٠٠ ميل شمال غرب استراخان . ولا تزال حول تزار يف
أطلال مدينة عظمى ظهر على ضوه حفريات بريجورى سنة ١٨٤٥ أنها بقايا سراى عاصمة القبيلة الذهبية .
ولقد خرب تيمور سراى سنة ٧٨٤ هـ ونربت مرة أخرى سنة ١٤٧٢ م ، وفى سنة ١٤٨٠ هـ هاجت
بقايا مدينة سراى قوة روسية بمساعدة قوة أخرى من قوات خانات القريم . وفى سنة ١٥٥٤ م تم فتح
الروس لاستراخان وكانت بقايا مدينة سراى فى حالة تخريب تام .

انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٧ . وانظر تقويم أبى الفداء ص ٢١٦ وانظر دائرة المعارف الاسلاميه
مادة Sarâi وانظر قاموس لبتكوت الجغرافى Tzarew وأطلس اسبروز التاريخى للمصور الوسطى ..
(١) بلاد الدشت هى القسم الغربى من الإمبراطورية المغولية التى أسسها جنكيز خان وهى بلاد
القبجاق أو القبيلة الذهبية نسبة الى خيم معسكراتها ذوات اللون الذهبى . وكانت حدود بلاد الدشت فى عهد
أصحاب تقويم البلدان وصبح الأعشى والمنهل الصافى كما يلى :

« من بحر قسطنطينية الى نهر اريس مسيرة ٨٠٠ فرسخ طولاً ، وعرضها من باب الأبواب الى مدينة بلغار
مسيرة ٦٠٠ فرسخ وأكثر مساحتها قرى ومراع » . وهى اليوم تشمل الجزء الغربى من التركستان الروسية وبلاد
القوقاز وولاية قازان الحالية وما والاها شرقا وغربا فى الخوض الأدنى لنهر الفولجا الى بسارابيا على حدود
رومانيا . وكانت قاعدتها مدينة سراى التى تقدم ذكرها فى الحاشية السابقة . وقد توغل خاناتها فى روسيا
وبولاندا والمجر ودمشاقيا ، وأسلم منهم بركة خان المتوفى سنة ٦٦٥ هـ وهو باني سراى العاصمة

قرب مصب نهر الفولجا . وكان غالب القبيلة الذهبية من الترك والتركمان التتر ومنهم كانت جمهرة جيوش
مصر فى القرون الوسطى . قال صاحب مسالك الأبصار « رغب الملك الصالح نجم الدين أيوب فى مشغرى
الماليك منهم ثم صار من مملكتهم من انتهى اليه الملك والسلطنة ، فالتب الجنسية للجنسية ، حتى أصبحت مصر منهم
أهله المعالم بحجة الجوانب ، منهم أقار كواكبها وصدور مجالسها وزعماء جيوشها وعظماؤها ، وحده الاسلام

لهم مراقبتهم فى حماية الدين ، حتى إنهم جاهدوا فى الله أهلهم فى موقعة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٨ هـ
التي كسرها المغر فطر عساكره ولا كرم ملك التتار بعد أن عجزت عنهم عساكر سائر الأمصار . وكذلك جاهدوا
فى الله بنفس الصلابه والعزم والقوة الصليبيين حتى قضوا عليهم القضاء المبرم فى عكا ، على عهد الأشرف
 خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠ هـ ، وظلوا قوة مصر الحربية حتى تغلب عليهم الظاهر برقوق الذى أسس دوله
 الشراكسة كما سياتى فى أصل الكتاب . انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٦ وما بعدها والمنهل الصافى

ج ١ ص ١٩٣ (١) وانظر تقويم البلدان لأبى الفداء ص ٢١٧ والبلوك للقرئزى طبعة الأستاذ زبادة
ج ١ ص ٣٩٤ — ٣٩٥ ، وأطلس اسبروز التاريخى للمصور الوسطى .



السنة السادسة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهي سنة

إحدى وستين وسبعائة .

فيها توفى الشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف
بن أحمد بن هشام الأنصاري الحنبلي النحوي في ليلة الجمعة الخامس من ذى القعدة
ودُفِن بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفية خارج باب النصر من القاهرة . وكان بارعا
في عدة علوم ، لا سيما العربية فإنه كان فارسها ومالك زمامها وهو صاحب الشرح
على ألفية ابن مالك في النحو المسمى « بالتوضيح » وشرح أيضا « البردة » [وشرح
« بانت سعاد » وكتاب « المفتي » وغير ذلك ومات عن بضع وخمسين سنة وكان
أولا حنفيا ثم استقر حنبليا وتزل في دروس الحنابلة .

وتوفى قاضي القضاة صدر الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن سليمان [بن داود]
ابن محمد بن عبد الحق الدمشقي الحنفي باليمن عن ثلاث وستين سنة . وكان إماما
بارعا مفتتا ، أفتى ودرس بدمشق وبأشهرها عدة وظائف ، منها : كتابة الإنشاء
والنظر في الأحكام ورحل إلى العراق وخراسان ومصر والحجاز واليمن . وكان له شعر
جيد من ذلك قوله :

(١) دلتني البحث أن مقابر الصوفية مكانها اليوم المقابر المعروفة الآن بجباية باب النصر في المنطقة .
الواقعة على جانبي القسم الجنوبي من شارع نجم الدين المرسل من باب النصر إلى العباسية بالقاهرة .

(٢) التكله عن الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٠٩) . (٣) انظر لترجمة واقية في الدرر ج ٢
ص ٣٠٨ وما بعدها ولحفيد عبد الله بن محمد في التبر المسبوك للسعاوي ص ٣٦١ وفيات سنة ٨٥٥ هـ .
(٤) ترجم له صديقه الصفدي في أعيان مصر ترجمة طويلة وصف في أثنائها خبر وفاته فقال « ثم إنه
دخل إلى اليمن ومعه مملوكه طشتر فلما وصل إلى المهجم توفى رحمه الله تعالى ، قيل : إنه قتل كان معه قطعة
بلخش عظيمة ، لأنه كان يدعى أنها لصاحب اليمن » انظر الجزء الثالث من أعيان مصر قسم ١ ص ٣ - ٨

لما بدأ في خدّه عارضٌ * وشاق قلبي نبتّه الأخضرُ

أمطر أجفاني مستمطراً * فقلتُ هذا عارضٌ ممطرُ

وتوفى الشيخ الإمام الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلى العلائى
الدمشقى الشافى، كان إماماً حافظاً رَحَلاً عارفاً بمذهبه، سمع بالشام ومصر والمجاز
وتقدم في علم الحديث وجمع وألف وصنف ودّرس بالصلاحية والتَّنْكِيرِية بالقدس،
[وبها توفى] وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة . وقال الإسوي: سنة ستين .
ومولده بدمشق في سنة أربع وتسعين وستائة .

وتوفى القاضي ضياء الدين أبو المحاسن يوسف بن أبى بكر بن محمد الشهير بابن
خطيب بيت الآبار الدمشقى . مات بالقاهرة عن نيف وسبعين سنة . وكان مقدماً
في الدولة الناصرية وباشراً الحسبة ونظراً الأوقاف وغيرها ، [وكان لأهل الشام
نعم الذخيرة] .

(١) هي بالقرب من السور من جهة الشمال بباب الأسباط وقفها السلطان صلاح الدين على الشافعية
سنة ٥٨٨ هـ وكان موضعها كنيسة فهدمها صلاح الدين وبني مكانها المدرسة وكانت وظيفة مشيختها
من الوظائف السنوية في دولة صلاح الدين وأبنائه وعاليكها ، ولما فتح الأتراك مصر والشام كانت المدرسة
قائمة حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، فنزل عنها الأتراك للآباء البيض المسيحيين بفعلوها مدرسة
إكليريكية . وفي الحرب العظمى أرجعها الترك مدرسة للعلوم الدينية الإسلامية . فلما سقطت القدس
في أيدي الحلفاء رجعت إلى المسيحيين كنيسة ، وفقه الأمر من قبل ومن بعد . انظر خطط الشام
لكرد على ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣ في مدارس القدس . (٢) من المدارس المصرية بالقدس
أنشأها الأمير تنكر الناصرى نائب الشام سنة ٧٢٩ هـ وهي مدرسة عظيمة ليس في مدارس القدس أقنن
من بنائها ، وهي بجانب باب الهرم بمجوار باب السلسلة مجاورة للسور من جهة الغرب ولا تزال عامرة
إلى الآن وهي مقر المحكمة الشرعية بالقدس . انظر خطط الشام لكرد على ج ٦ ص ١١٨ - ١١٩
في مدارس القدس . (٣) الزيادة عن طبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٠٤) . (٤) التكملة عن
الصفدى وأورد لصديقه ابن خطيب بيت الآبار ترجمة مسبوقة في ٨ صفحات من أخبار العصر ونمت فيه بهذا
الوصف منذ وفد على مصر سنة ٧٢٧ هـ على عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى وفاته في عهد الملك الناصر
حسن بن محمد بن قلاوون في جميع الوظائف الجليلة التي تولّاها بمصر . انظر الجزء السابع من أعيان مصر
قسم ٢ ص ٣٢٥ - ٣٢٨

وتُوفِّي الشيخ تقي الدين إبراهيم ابن الشيخ بدر الدين محمد بن ناهض بن سالم ابن نصر الله الحلبي الشهير بابن الضَّيِّير بحلب عن بضع وستين سنة . وكان فقيها بارعا سمع الحديث وجمع وحصل وكتب كثيرا من الإنشاء والعلم والأدب .

وتُوفِّي الشريف زين الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن علي محمد بن علي الحسيني الحلبي نقيب الأشراف بحلب . كان رئيسا نبیلا من بيت رياسة وشرف . رحمه الله تعالى ^(١) .

وتُوفِّي الشيخ شرف الدين موسى بن بَكُّك الإسرائيلي الطبيب في شَوال . وكان بارعا في الطب مشاركا في غيره .

وتُوفِّي الشيخ الإمام الخطيب شهاب الدين أبو العباس أحمد ^(٢) [بن] القسطلاني خطيب جامع عمرو — رحمه الله — بمصر القديمة في ذی الحجة ، وكان دينًا خيرا من بيت فضل وخطابة ، وقد تقدّم ذكر جماعة من آبائه وأقاربه .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم اثنتا عشرة ذراعا سواء . يبلغ الزيادة أربع وعشرون ذراعا ، قاله غير واحد ، ونَحَرِبَت أما كن كثيرة من عِظَم زيادة النيل . والله أعلم .



اتمى الجزء العاشر من النجوم الزاهرة ويليه الجزء الحادى عشر
وأوله : ذكر سلطنة الملك المنصور محمد على مصر

(١) انظر ترجمة مطولة لهذا الشريف في تاريخ حلب للطباخ (ج ٥ ص ٣٠ — ٣١) .

(٢) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٣٣) (١) .



تنبيه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية والمدن والقرى المصرية القديمة وغيرها مع تحديد أماكنها من وضع العلامة المحقق المرحوم محمد رمزي بك الذي كان مفتشا بوزارة المالية وعضوا في المجلس الأعلى لإدارة حفظ الآثار العربية، كالتعليقات السابقة في الأجزاء الماضية ابتداء من الجزء الرابع . ولا يسعنا إلا أن نسأل الله جلّت قدرته أن ينزل على قبره شأبيب رحمته، وأن يجزيه الجزاء الأوفى على خدمته لله وأهله . وكانت وفاته — رحمه الله — يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ (٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥ م) .

استدراكات

كان العلامة المحقق المرحوم محمد رمزي بك قد وصى أحد أفراد الأسرة قبل وفاته بهذه الاستدراكات ليُرسلها إلى دار الكتب المصرية لجاءتنا بطريق البريد بعد وفاته .

باب الصفا

ورد في الحاشية رقم ٣ صفحة ٩١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة أن باب الصفا كان واقعا تقريبا في النقطة التي يتقابل فيها شارع سوق المواشي بشوارع الفسطاط بمصر القديمة .

وبإعادة البحث تبين لي أن هذا الوصف خطأ . والصواب أن هذا الباب كان واقعا في السور البحري لمدينة الفسطاط على رأس الطريق التي كانت تمر في المنطقة التي بها اليوم جبانة السيدة نفيسة الجديدة فيما بين باب الصفا المذكور وأمتداد شوارع الأشرف والخليفة والركيبة حيث كانت تسير الطريق قديما بين الفسطاط والقاهرة . وقد بينا هذا الوصف فيما كتبناه عن هذا الباب في صفحة ٦٥٤ بالعدد الخامس من مجلة العلوم الصادرة في سنة ١٩٤٢ وعلى الخريطة المرفقة بالعدد المذكور .

شارع نجم الدين

ورد في الحاشية رقم ١ ص ٦٧ بالجزء السادس من هذه الطبعة ما يفيد أن شارع نجم الدين الممتد من جبانة باب النصر من الجنوب إلى الشمال منسوب إلى الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي الذي أنشأ مسجدا ظاهرا باب النصر سنة ٥٦٦ هـ على ما جاء في المقرئ ص ٤١٢ ج ٢ ثم جددت هذه التسمية نسبة إلى الشيخ صالح المحتش نجم الدين أبي الغنائم محمد بن أبي بكر الشافعي المشهور بغنائم السعودي صاحب الزاوية التي في نهاية هذا الشارع من الجهة البحرية .

العش

ورد بالحاشية رقم ٣ ص ٢٦١ بالجزء السابع من هذه الطبعة أن ناحية العش التي وُلِد بها الملك السعيد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بضواحي القاهرة هي الناحية التي تعرف اليوم باسم منية شين إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية بمصر .

وبإعادة البحث تبين لى أن هذا الإرجاع خطأ ، والصواب أنه من الاطلاع على كتاب الانتصار لابن دقاق ظهر لى أن ناحية العش هي ناحية أخرى كانت واقعة غربى البركة المعروفة بالعكرشة ، وبما أن حوض العكرشة لا يزال موجودا ومعروفا تحت رقم ٤٧ بأراضي ناحية أبى زعبل وشرق سكنها تبين لى من ذلك أن ناحية العش التي وُلِد بها الملك السعيد بركة خان بضواحي القاهرة هي التي تسمى اليوم كفر الشيخ سعيد بجوار سكن ناحية أبى زعبل بمركز شين القناطر ومن توابعها .

حلوان

ورد فى الحاشية رقم ٢ صفحة ٩٠ بالجزء التاسع من هذه الطبعة ما يفيد أن حلوان البلد أنشأها عبد العزيز بن مروان على النيل فى سنة ٦٧ هجرية والصواب أنه أنشأها فى سنة ٧٠ هجرية بعد أن اشترى أرضها من أهلها فى تلك السنة .

وورد فى الحاشية المذكورة أن مدينة حلوان الحمامات أنشأها الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٢ هجرية -- ١٨٧١ ميلادية . والصواب أن هذا التاريخ هو تاريخ إنشاء الحمامات لأنها كانت أنشئت هى والفندق ونقطة البوليس فى السنة المذكورة فى الخلاء ، قبل أن تبنى مدينة حلوان الحمامات التى فى الجبل بمدة أربع سنوات .

وأما مدينة حلوان الحمامات ذاتها فقد أنشأها الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٥ هجرية -- ١٨٧٤ ميلادية وقد تكلمنا على ذلك فى الرسالة التى طبعناها عن مدينة حلوان فى مجلة العلوم سنة ١٩٤٤ .

فهرس الولاءة الذين تولوا مصر

من سنة ٥٦٩٠ هـ - إلى سنة ٥٧٠٩ هـ

(م)

المظفر ركن الدين بيسرس بن عبد الله المنصوري الجاشنكير

٢٣٢ - ٢٨٢ سنة ٥٧٠٩ هـ

المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري سلطان

الديار المصرية ٨٥ - ١١٤ من سنة ٦٩٦ - ٦٩٧ هـ

(ن)

الناصر أبو الفتح وأبو المعالي ناصر الدين محمد بن السلطان

الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى النجمى الألفى -

ولايته الأولى ٤١ - ٥٤ سنة ٦٩٣ هـ

ولايته الثانية ١١٥ - ٢٣١ من سنة ٦٩٨ - ٥٧٠٨ هـ

(١)

الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور سيف الدين

قلاوون الألفى الصالحى النجمى ٣ - ٤٠ من سنة ٦٩٠ -

٥٦٩٢ هـ

(خ)

خليل = الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون .

(ع)

العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركى المفلئ سلطان

الديار المصرية ٥٥ - ٨٤ من سنة ٦٩٤ - ٥٦٩٥ هـ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٩٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .